

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الخامس

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

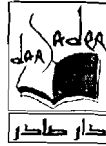
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمع بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[62] - ذكر النابغة الجعدي ونسبه وأخباره¹

والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر

[نسبه]

هو ، على ما ذكر أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ وَالْقَحْذَمِيُّ ، وهو الصحيح ، حَبَّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَحَّوحِ بْنِ عُذْسَ ، وقيل ابن عمرو بن عُذْسَ مكان وحوح ، ابن ربيعة بن جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَةَ بْنِ معاوية بن بكر بن هَوَازِنَ بْنِ منصور بن عِكْرَمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ . هذا النسب الذي عليه الناس اليوم مجتمعون . وقد روى ابن الكلبي وأبو اليَقْظَانَ وأبو عُبيدة وغيرهم في ذلك رواياتٍ تُخالف هذا ، فمنها أنَّ ابن الكلبي ذكر عن أبيه أنَّ خَصَفَةَ الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عَيْلَانَ ليس كما قالوا ، وأنَّ عِكْرَمَةَ ابنُ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ وَخَصَفَةَ أمّه ، وهي امرأة من أهل هَجَرَ . وقيل : بل هي حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلَانَ قد مات وعِكْرَمَةُ صغير فربَّته حتى كبر ، وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خَصَفَةَ ، فبقيت عليه ؛ ومَن لا يعلم يقول : عِكْرَمَةُ بن خَصَفَةَ بن قيس ، كما يُقال خِنْدِفَ ، وإنَّما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر . وقالوا في صَعَصَعَةَ بْنِ معاوية : إنَّ الناقمِيةَ بنت عامر بن مالك ، وهو الناقم ، سُمِّيَ بذلك لأنَّه انتقم بلطمَةِ لُطَيْمِها ، وهو ابن سعد بن جَدَّانَ² بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن زرار ، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوَازِنَ فمات عنها أو طَلَّقَهَا وهي نس³ ، فتزوَّجها سعد بن زيد مَناةَ بن تميم ، فولدت على فراشه صَعَصَعَةَ بن معاوية ، ثم ولدت هُبَيْرَةَ وَنَجْدَةَ وَجُنَادَةَ ؛ فلمَّا مات سعد اقتسم بنوه الميراث وأُخرجوا صَعَصَعَةَ مِنْهُ ، وقالوا : أنت ابن معاوية بن بكر ؛ فلمَّا رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقروا بنسبه ودفعوه عن الميراث ؛ فلمَّا رأى ذلك أتى سعد بن الظَّرِبِ الْعَدَوَانِيَّ فشكا إليه ما لقي ، فزوَّجه بنتَ أخيه عَمْرَةَ بنت عامر بن الظَّرِبِ ، وأبوها

1 ترجمة النابغة الجعدي في طبقات ابن سلام 123-131 والشعر والشعراء : 208-214 ومعجم المرزباني 195 وكتاب المعمرين رقم : 66 والخزانة 3 : 167-173 والموشح : 64 وأسَدُ الغاية والإصابة والاستيعاب وانظر بروكلمان 1 : 232 وقد جمعت أشعاره ماريا نلينو ، وقد اعتمدنا هنا طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1964 .

2 ل : خندف .

3 النساء : المرأة يظنُّ بها الحمل لتأخّر الحيض .

عامر الذي يُقال له : ذو الحِلْم ؛ وعَمْرَة ابنته هذه هي التي كانت تَقْرَعُ له العصا إذا سها في الحكم ؛ وله يقول الشاعر¹ :

لذي الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقْرَعُ العصا وما عَلِمَ الإنسانُ إلّا لِيَعْلَمَا

قال : وكانت عَمْرَة يوم زَوَّجها عُمُها نِسَاءً من ملك من ملوك اليَمَن يُقال له : الغافِق بن العاصي الأَزْدِي ، والمُلْك يومئذٍ في الأَزْد ، فولدت على فراش صِعْصعة عامر بن صِعْصعة ، فسَمَّاه صِعْصعةً عامراً بَجْدَه عامر بن الطَّرِب . وقال في ذلك حبيب بن وائل بن ذُهْمَان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوَازن :

أَزْعَمْتُ أَنَّ الغافِقِيَّ أبوكم نسبٌ لَعَمْرُ أَيْك غيرُ مُفْنَدٍ
وأبوكم مَلِكٌ يُنْتَفُ باسته هَلْبَاء عافِيَةٌ كَعُرفِ الهُدْهُدِ
جَنَحَتْ عَجُوزُكُمْ إِلَيْهِ فَرَدَّهَا نِسَاءً بعامركم ولَمَّا يُؤيدُ²

ويكنى النابغة أبا ليلي .

وأخبرنا أبو خَلِيفَة عن مُحَمَّد بن سَلَام قال : هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صِعْصعة . وقال ابن الأعرابي : هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة ، ووافق ابن سَلَام في باقي نسبه . وهذا وَهْمٌ مَنْ قال : إن اسمه قيس³ ؛ وليس يُشَكُّ في أنه كان له أخ يُقال له وَحْوح بن قيس ، وهو الذي قتله بنو أسد ؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة .
وأُمّه فاخترة بنت عمرو بن جابر بن شَيْخَة الأَسَدِي .

[سبب لقبه النابغة]

وإنما سُمِّي النابغة لأنه أقام مَدَّةً لا يقول الشعر ثم نَبَغَ فقاله .
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأتُ على القَحْذَمِي : قال الجعدي الشعر في الجاهلية ثم أُجْبِلَ⁴ دهرًا ثم نَبَغَ بعدُ في الشعر في الإسلام .
أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار عن مُحَمَّد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : أقام النابغة الجعدي ثلاثين سنة لا يتكلَّم ، ثم تكَلَّمَ بالشعر .

1 تقدّم بيت المتلمس هذا في ترجمة ذي الإصبع العدوانى . وانظر المثل في مجمع الميداني 1 : 37 ومستقصى الزمخشري 1 : 408 .

2 يُؤيد في ل : يولد .

3 انظر بشأن اسمه والخلاف فيه (أهو قيس بن عبد الله أم عبد الله بن قيس) مصادر ترجمته .

4 أُجْبِلَ الشاعر : صعب عليه قول الشعر .

[عمره وشعره فيه]

قال القحذمي في رواية حماد عنه : كان الجعدي أسنً من نابغة بني دُبيان .
قال ابن سلام في رواية أبي خليفة عنه : كان الجعدي النابغة قديماً شاعراً طويلاً مُفلِقاً
طويل البقاء في الجاهلية والإسلام ، وكان أكبر من الذبياني ؛ ويدل على ذلك قوله ¹ : [من الوافر]
وَمَنْ يَكُ سائِلاً عَنِّي فَأِنِّي مِنْ الْفَتِيانِ أَيَّامَ الْخُنَانِ²
أَتَتْ مِائَةَ لَعَامٍ وُلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ
فَقَدْ أَبَقْتُ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنِّي كَمَا أَبَقْتُ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي

قال وعمر بعد ذلك عُمرًا طويلاً . سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنن ما هي ؟ فقال :
وقعة كانت لهم ؛ فقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم : خنُوهُم³ بالرماح ، فسُمِّي ذلك العامُ
الخنن . ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبياني أنه عُمر مع المنذر بن الحرق قبل النعمان بن
المنذر ، وكان النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر وفي عصره ، ولم يكن له قديم إلا أنه مات
قبل الجعدي ، ولم يدرك الإسلام . وقد أدركه الجعدي الذي يقول ⁴ : [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ شَيْئاً قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَمِنْ عَادَةِ الْحَزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرِّقٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مُقْفِرَا
كُهُولٌ وَفَتِيَانٌ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ دَنَانِيرُ مِمَّا شَيْفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا⁵

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن
محمد بن حكيم عن كان يأخذ العلم عنه ولم يُسم إلي أحدًا في هذا : أن النابغة عُمر مائة وثمانين
سنة ، وهو القائل ⁶ :

لَيْسْتُ أَنَسًا فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسَا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ إِلَاهُهُ الْمُسْتَأَسَا⁷

وهي قصيدة طويلة ، يقول فيها ، وفيه غناء :

- 1 شعر النابغة الجعدي : 160-163 .
- 2 رواية الشطر الأول في الشعر والشعراء : «ومن يحرص على كبري فاني» . الخنن : داء يأخذ بالإبل في مناخرها وتموت منه .
- 3 خنوههم : اقطعوهم .
- 4 انظر رائية النابغة (رقم 3 أ) في مجموع شعره : 35-59 وهناك بعض اختلاف في الرواية .
- 5 سيف الدينار أو السيف : جلي .
- 6 شعره : 77-80 .
- 7 المستأس : المستعان .

صوت

وكنْتُ غُلَاماً أَقَاسِي الحُرُوبَ بَ يَلْقَى المُقَاسُونَ مِنِّي مِرَاسَا
فَلَمَّا دَنَوْنَا لَجَرَسِ النُّبَا حَ لَمْ نَعْرِفِ الحَيَّ إِلَّا التَّمَاسَا
أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهًا أَعْرَ مُلْتَبِسًا بِالفُؤَادِ التَّبَاسَا
غَنَى فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الأَبْيَاتِ فُلَيْحَ بَنِ أَبِي العَوْرَاءِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بالوسطَى .

رجع الخبر إلى رواية عمر بن شبة :

قال : وقال أيضاً : [من الوافر]

أَلَا زَعَمْتُ بَنُو سَعْدٍ بَآئِي أَلَا كَذَبُوا كَبِيرُ السِّنِّ فَاثِي
أَتَتْ مِائَةً لِعَامٍ وُلِدْتُ فِيهِ وَعِشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ

قال : وأنشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول فيها : [من المتقارب]

ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه : كم لبثت مع كل أهل ؟ قال : ستين سنة .

[شعره مشؤوم]

وأخبرني بعض أصحابنا عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال : أنشد رجلاً من العجم قول النابغة الجعدي :

[من المتقارب]

لَيْسْتُ أَنَا سَاءً فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَا سَاءً

[قيل إنه عاش 220 سنة]

وفُسر له ، فقال : «بدين شان بود» ، أي هذا رجل مشؤوم . وأما ابن قتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عُمِّرَ مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان . وما ذاك بمُنكَرٍ ؛ لأنَّه قال لعمر رضي الله تعالى عنه : إنه أفنى ثلاثة قرون كلَّ قرن ستون سنة ، فهذه مائة وثمانون ، ثمَّ عُمِّرَ بعده فمكث بعد قتل عمر خلافة عثمان وعليٍّ ومعاوية ويزيد ، وقديم على عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه ، فاستمأحه ومدحه ؛ وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر نحو مائة ذكر ابن قتيبة ؛ بل لا أشكُّ أنه قد بلغ هذه السن . وهاجى أوس بن مخرماء بحضرة الأخطل والعجاج وكعب بن جُعيل فغلبه أوس ، وكان مُغَلَّباً .

[دعاء النبي له]

حدثنا أحمد بن عمر بن موسى القطان المعروف بابن زنجويه قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله السكري قال حدثنا يعلى بن الأشدق العقيلي قال حدثني نابغة بني جعدة قال :

أَنشَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ هَذَا الشَّعْرَ فَأَعْجِبَ بِهِ :

[من الطويل]

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجَدُونَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «فَأَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى» ؛ فَقُلْتُ : الْجَنَّةُ ؛ فَقَالَ : «قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ؛

فَقُلْتُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[من الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُورِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَجَدْتُ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك» ؛ قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتَهُ وَقَدْ آتَتْ عَلَيْهِ مِائَةُ سَنَةٍ

أَوْ نَحْوُهَا وَمَا انْفَضَّ مِنْ فِيهِ سِنَّ .

[تجنب الخمر والأزلام والأوثان]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ

النَّبَاغَةُ الْجَعْدِيُّ مِمَّنْ فَكَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْكَرَ الْخَمْرَ وَالسُّكْرَ وَمَا يَفْعَلُ بِالْعَقْلِ وَهَجَرَ الْأَزْلَامَ

وَالْأَوْثَانَ وَقَالَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَلِمَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا¹ :

[من المنسرح]

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقْلُهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمًا

وَكَانَ يَذْكُرُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَالْحَنِيفِيَّةَ ، وَيَصُومُ وَيَسْتَغْفِرُ ، وَيَتَوَقَّى أَشْيَاءَ لِعَوَاقِبِهَا .

[وفد على النبي ﷺ وأسلم]

وَوَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ :

[من الطويل]

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيتلو كتاباً كَالْمَجَرَّةِ نَبْرًا

وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أُجِسَّ وَمَنْ مَعِيَ سُهَيْلًا إِذَا مَا لَاحَ ثُمَّتَ غَوْرًا

أَقِيمْ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفَعْلِهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أُوجِرًا²

[استأذن عثمان في سكنى البادية]

وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَأَنشَدَ النَّبِيُّ ﷺ ؛ فَقَالَ لَهُ : «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك» ؛ وَشَهِدَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ

أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ صَفِيْن . وَقَدْ ذَكَرَ خَبْرَهُ مَعَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَأَمَّا خَبْرُهُ مَعَ

عُثْمَانَ فَأَخْبَرَنَا بِهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ

مُحَارِبٍ : دَخَلَ النَّبَاغَةُ الْجَعْدِيُّ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ : أُسْتَوْدَعُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : وَأَيْنَ تَرِيدُ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ قَالَ : الْحَقُّ بِإِلَى فَأَشْرَبُ مِنْ الْبَانِهَا فَإِنِّي مُكْرٍ لِنَفْسِي ؛

1 شعر النابغة : 132 .

2 أوجر : خائف .

فقال : أتعزُّباً¹ بعد الهجرة يا أبا ليلى ؟ أما علمتَ أنَّ ذلكَ مكروه ؟! قال : ما علمته ، وما كنت لأُخرجَ حتَّى أعلمَكَ . قال : فأذنْ له ، وأجِّلْ له في ذلكَ أجلاً ، فدخل على الحسن والحسين ابني عليٍّ فودَّعهما ؛ فقالا له : أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى ؛ فأنشدهما : [من المنسرح]

الحمدُ لله لا شريكَ له مَنْ لَمْ يَقْلُها فنفسه ظَلَمًا

فقالا : يا أبا ليلى ، ما كنَّا نروي هذا الشعرَ إلَّا لأُمِّيةَ بنِ أبي الصَّلْتِ ؛ فقال : يا ابني رسولِ الله ﷺ إني لصاحبُ هذا الشعرِ وأوَّلُ مَنْ قاله ، وإنَّ عينَ السروقِ لَمَن سَرَقَ شعرَ أُمِّيةَ .

[كان مغلباً في الهجاء]

قال أبو زيد عمرُ بن شَبَّةَ في خبره : كان النابغة شاعراً متقدِّماً ، وكان مغلباً ما هاجى قطَّ إلَّا غلبَ ، هاجى أوسَ بنَ مَغرَاءَ وليلى الأَخيليةَ وكعبَ بنَ جُعيلٍ فغلبوه جميعاً . [مهاجاته أوسَ بنَ مَغرَاءَ]

وقال أبو عمرو الشَّيباني : كان بدءُ حديثِ النابغة وأوسَ بنِ مَغرَاءَ أنَّ معاويةَ لما وَجَّهَ بُسرَ بنَ أرطاةَ الفَهْرِيَّ لقتلِ شيعةِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه ، قام إليه معنُ بنُ يزيدِ بنِ الأَخنسِ السُّلَميِّ وزِيَادُ بنِ الأَشْهَبِ بنِ وَرْدِ بنِ عمرو بنِ ربيعةَ بنِ جَعْدَةَ ، فقالا : يا أميرَ المؤمنين ، نسألكَ باللهِ وبالرحمِ إلَّا تجعلَ بُسرَ على قيسِ سلطاناً ، فيقتلَ قيساً بِمَنْ قتلْتَ بنو سُلَيْمٍ من بني فَهْرٍ وبني كِنانةَ يومَ دَخَلَ رسولُ الله ﷺ مَكَّةَ ؛ فقال معاويةَ : يا بُسرُ لا أُمِرَ لكَ على قيسٍ ؛ وسارَ بُسرٌ حتَّى أتى المدينةَ ، فقتلَ ابنيَّ عُبيدِ اللهِ بنِ العباسِ ، وفرَّ أهلُ المدينةِ ودخلوا الحَرَّةَ (حَرَّةَ بني سُلَيْمٍ) . ثم سارَ بُسرٌ حتَّى أتى الطائفَ ؛ فقالت له ثَقِيفٌ : ما لكَ علينا سلطانَ ، نحن من قيسٍ ؛ فسارَ حتَّى أتى هَمْدانَ وهم في جبلٍ لهم يُقالُ له شِيَّامٌ ، فتحصَّنت فيه همدانُ ، ثم نادَوْا : يا بُسرُ نحن همدانُ وهذا شِيَّامٌ ، فلم يلتفت إليهم ، حتَّى إذا اغترَّوا ونزلوا إلى قُراهم ، أغارَ عليهم فقتلَ وسبى نساءهم ؛ فكنَّ أوَّلَ مسلماتِ سُبَيْنَ في الإسلامِ . ومرَّ بجيٍّ من بني سعدٍ نُزُولِ بَيْنِ ظَهْرِيَّ بنِي جَعْدَةَ بِالْفَلَجِ² ، فأغارَ بُسرٌ على الحيِّ السَّعْدِيِّينَ فقتلَ منهم وأسرَ ؛ فقال أوسُ بنَ مَغرَاءَ في ذلكَ : [من الطويل]

مُشِيرِينَ ترعونَ النَّجِيلَ وقد غَدَتْ بأوصالِ قَتْلَاكم كِلَابُ مُزَاجِمٍ

المُشيرُ : الذي قد بسطَ ثوبه في الشمسِ . والنجيلُ : جنس من الحمض . فقال النابغة

1 التعزُّبُ : أن يصير المرءُ أعزَّياً بعد أن كان مهاجراً ، وقد عدَّ الرسولُ ذلكَ من الكبائر .

2 الفلج : موضع أو ماء .

يجيبه¹ :

[من الوافر]

متى أَكَلْتُ لُحُومَكُمْ كِلَابِي أَكَلْتُ يَدِيكَ مِنْ جَرَبٍ تَهَامٍ²

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب ممّا أجاز لنا روايته عنه من حديثه وأخباره ممّا ذكره منها عن محمد بن سلام الجُمُحِيّ عن أبي العَرَّاف ، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر ، قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة عن محمد بن سلام عن أبي العَرَّاف : أَنَّ النابغة هاجى أوس بن مَعْرَاء ؛ قال : وَلَمْ يَكُنْ أَوْسٌ مِثْلَهُ وَلَا قَرِيباً مِنْهُ فِي الشَّعْرِ ؛ فقال النابغة : إِنِّي وَإِيَّاهُ لَنَبْتَدِرَ بَيْتاً ، أَيُّنَا سَبَقَ إِلَيْهِ غَلَبَ صَاحِبَهُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ أَوْس :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا تَبَلَّى سَرَابِيلُ عَامِرٍ مِنْ اللُّؤْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا
قال النابغة : هذا البيت الذي كُنَّا نَبْتَدِرُ إِلَيْهِ . فغلب أوس عليه .

قال أبو زيد : فحدَّثني المدائني أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا فِي الْمِرْبَدِ فَتَنَافَرَا وَتَهَاجَا ، وَحَضَرَهُمَا الْعَجَّاجُ
وَالْأَخْطَلُ وَكعب بن جُعِيل ، فقال أوس :

[من الرجز]

لَمَّا رَأَتْ جَعْدَةً مِّنَا وَرَدَا وَلَوْ نَاعَمًا فِي الْبِلَادِ رُبْدَا
إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ مَعَدَا كَاهِلَهَا وَرَكْنَهَا الْأَشْدَا

[من الرجز]

فقال العَجَّاج :

كَلَّ امْرِئٌ يَعْدُو بِمَا اسْتَعَدَا

[من الطويل]

وقال الأخطل يُعِين أَوْسَ بْنِ مَعْرَاءٍ وَيَحْكُمُ لَهُ :

وَإِنِّي لِقَاضٍ بَيْنَ جَعْدَةٍ عَامِرٍ وَسَعْدٍ قَضَاءُ بَيْنَ الْحَقِّ فَيْصَلَا
أَبُو جَعْدَةَ الذُّبُّ الْخَبِيثُ طَعَامُهُ وَعَوْفُ بْنُ كَعْبٍ أَكْرَمُ النَّاسِ أَوَّلَا

[من البسيط]

وقال كعب بن جُعِيل :

إِنِّي لِقَاضٍ قَضَاءٍ سَوْفَ يَتَّبِعُهُ مَنْ أَمَّ قَصْدًا وَلَمْ يَعْدِلْ إِلَى أَوْدٍ³
فَصَلًّا مِنَ الْقَوْلِ تَأْتُمُ الْقَضَا بِهِ وَلَا أَجُورُ وَلَا أَبْغِي عَلَى أَحَدٍ
نَاكَتْ بَنُو عَامِرٍ سَعْدًا وَشَاعَرَهَا كَمَا تَنِيكَ بَنُو عَبْسٍ بَنِي أَسَدٍ

1 شعر النابغة : 201 .

2 تهام : منسوب إلى تهامة . وقارن بالنقائض : 717 .

3 أود : عوج .

[مهاجاته ليلي الأخيلىة]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان سبب المهاجاة بين ليلي الأخيلىة وبين الجعدي أن رجلاً من قُشَيْر ، يُقال له ابن الحيا (وهي أمه) واسمه سَوَّار بن أَوْفَى بن سَبْرَة ، هجاه وسبَّ أخواله من أزد في أمر كان بين قُشَيْر وبين بني جَعْدَة وهم بأصبهان متجاورون ، فأجابه النابغة بقصيدته التي يُقال لها الفاضحة¹ ، سُمِّيَتْ بذلك لأنَّه ذكر فيها مساوي قُشَيْر وعُقيل وكلَّ ما كانوا يُسَبِّون به ، وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحَيَّين من قُشَيْر وعُقيل :

جَهِلْتَ عَلِيَّ ابْنَ الْحَيَا وَظَلَمْتَنِي وَجَمَعْتَ قَوْلًا جَاءَ بَيْنًا مُضَلَّلًا
وقال في هذه القصَّة أيضاً قصيدته التي أوَّلها² : [من البسيط]

إِمَّا تَرَى ظُلُلَ الْأَيَّامِ قَدْ حَسَرَتْ عَنِّي وَشَمَرْتُ ذِيلاً كَانَ ذِيالاً³
وهي طويلة ، يقول فيها :

وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ مَا جَدُّتُمْ نَفْراً حَامُوا عَلَى عُقَدِ الْأَحْسَابِ أَزْوَالاً⁴
عند النَّجَاشِيِّ إِذْ تُعْطُونَ أَيْدِيَكُمْ مُقَرَّنِينَ وَلَا تَرْجُونَ إِرْسَالاً
إِذْ تَسْتَحْيُونَ عِنْدَ الْخَذَلِ أَنَّ لَكُمْ مِنْ آلِ جَعْدَةَ أَعْمَاماً وَأَخْوَالاً
لو تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُلْقُوا جُلُودَكُمْ وَتَجْعَلُوا جِلْدَ عَبْدِ اللَّهِ سِرْبَالاً
يعني عبد الله⁵ بن جَعْدَة بن كعب :

إِذَا تَسْرَبَلْتُمْ فِيهِ لِيُنْجِيَكُمْ مَّا يَقُولُ ابْنُ ذِي الْجَدَيْنِ إِذْ قَالَا
حَتَّى وَهَبْتُمْ لِعَبْدِ اللَّهِ صَاحِبَهُ وَالْقَوْلُ فِيكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ مَا فَالَا⁶
تلك المَكَارِمُ لِأَقْعَبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاً
يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سَقَوْا رجلاً من جَعْدَة أدركوه في سفر وقد جهد عطشاً لبناً وماءً فعاش .

1 شعر النابغة : 114-122 .

2 شعره : 100-112 .

3 ذيل : طويل .

4 أزوال : جمع زول وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد .

5 هو خال النابغة الجعدي .

6 فال : أخطأ .

وقال في هذه القصة أيضاً يفخر عليهم قصيدته التي أولها¹ :

أبلغ قُشَيْراً والحريشَ فما ذا ردّ في أيديكم شَتْمِي
وفخر عليهم بقتل غُلْقَمَة الجُعْفِيّ يوم وادي نِساح² وقتل شَرَّاحِيل بن الأصهب
الجُعْفِيّ ، ويوم رَحْرَحان أيضاً ، فقال فيه :

هَلَّا سَأَلْتَ يَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ ظَنَنْتَ هَوَازُنُ أَنَّ الْعِزَّ قَدْ زَالَا³
فلماً ذكر ذلك النابغة قال :

تِلْكَ الْمَكَارِمَ لَأَقْبَانٍ مِنْ لَبَنٍ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا
ففخر بما له وَغَضَّ مِمَّا لَهُمْ . ودخلت⁴ ليلي الأَخِيلِيَّةَ بينهما فقالت :

وما كنتُ لو قَاذَفْتُ جُلَّ عَشِيرَتِي لِأَذْكَرَ قَعْبِي حَازِرٍ قَدْ تَمَلَّلَا⁵
وهي كلمة⁶ . فلماً بلغ النابغة قولها قال⁷ :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى وَقُولَا لَهَا هَلَا فَقَدْ رَكِبْتُ أَيْراً أَعْرَّ مُحَجَّلَا
وقد أَكَلْتُ بَقْلًا وَخِيَمًا نَبَاتُهُ
يعني ألبان الأيل .

دَعِي عَنْكَ تَهْجَاءُ الرِّجَالِ وَأَقْبَلِي عَلَى أَذْلَغِي يَمْلَأُ اسْتَكَّ فَيْشَلَا
وكيف أهاجي شاعراً رُحِمَهُ اسْتُهُ خَضِيبُ الْبَنَانِ لَا يَزَالُ مُكْحَلَا
فَرَدَّتْ عَلَيْهِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ فَقَالَتْ⁸ :

أَنَا بَعْدُ لَمْ تَنْبَغْ وَلَمْ تَكْ أَوَّلَا وَكَنتَ صُنِيًّا بَيْنَ صُدُتَيْنِ مَجْهَلَا
الصُّنْيُ : شَيْبٌ صَغِيرٌ يَسِيلُ مِنْهُ الْمَاءُ . وَصُدَّانُ : جَبَلَان .
أَنَا بَعْدُ إِنْ تَنْبَغْ بِلَوْمِكَ لَا تَجِدُ لِلْوُؤْمِكِ إِلَّا وَسْطَ جَعْدَةٍ مَجْعَلَا

1 شعر النابغة : 234 .

2 وادي نِساح : باليمامة .

3 رَحْرَحان : جبل خلف عرفات كان للعرب فيه يومان سيورد أبو الفرج خبرهما فيما بعد في هذه الترجمة .

4 ل : واعتنت .

5 الحازر : اللبن الحامض .

6 كلمة هنا بمعنى قصيدة .

7 شعر النابغة : 123 .

8 ديوان ليلي الأَخِيلِيَّة (جمع وتحقيق خليل العطية وجيل العطية ، الكويت ، 1971) 100-101 .

تُعِيرَنِي دَاءَ بَأْمَك مِثْلَهُ وَأَيَّ حَصَانٍ لَا يُقَالُ لَهَا هَلَا¹

فغلبته . فلَمَّا أَتَى بني جعدة قولها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتينَّ صاحبَ المدينة ، أو أمير المؤمنين ، فيأخذنَّ لنا بحقنا من هذه الخبيثة ، فإنها قد شتمت أعراسنا وافترت علينا ، فتهيئوا لذلك ؛ وبلغها أنَّهم يريدون أن يستعدوا عليها ، فقالت : [من الطويل]
أتاني من الأنبياء أنَّ عشيرة بشوران يزجون المطي المذلل²
يروح ويغدو وفدُهم بصحيفة ليستجلدوا لي ، ساء ذلك معملاً

وقد أخبرني ببعض هذه القصة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة فجاء بها مُختلطة ، وهذا أوضح وأصح .

[يوم وادي نساح]

قال أبو عمرو : فَأَمَّا ما فخر به النابغة من الأيام ، فمنها يوم عُلُقمة الجُعفي ، فإنه عدا في مذحج ومعه زهير الجعفي ، فَأَتَى بني عُقيل بن كعب فأغار عليهم ، وفي بني عقيل بطون من سليم يقال لهم بنو بجلة ، فأصاب سبياً وإيلاً كثيرة ، ثم انصرف راجعاً بما أصاب ، فاتبعه بنو كعب ، ولم يلحق به من بني عُقيل إلا عقال بن خويلد بن عامر بن عُقيل ، فجعل يأخذ أبقار إبل الجُعفين فيؤول عليها حتى يُنذِيها ، ثم يلحق ببني كعب فيقول : إيه فدي لكم أبواي ، قد لحقتم القوم ؛ حتى وردوا عليهم النخيل في يوم قائظ ، ورأس زهير في حجر جارية من سليم من بني بجلة سبها يومئذ وهي تفلية ، وهو متوسد قطيفة حمراء وهي تصفر سَعَفاته - أي أعلى رأسه - بهذب القطيفة ، فلم يشعروا إلا بالنخيل ؛ فكان أول من لحق زهيراً ابن النهاضة ، فضرب وجه زهير بقوسه حتى كسر أنفه ، ثم لحقه عقال بن خويلد ، فبعج بطنه ، فسال من بطنه برير وحلب ، والبرير : ثمر الأراك . والحلب : لبن كان قد اصطبحه . فذلك يوم يقول أبو حرب أخو عقال بن خويلد : والله لا أصطبج لبناً³ حتى آمن من الصبح⁴ . قال : وهذا اليوم هو يوم وادي نساح⁵ وهو باليمامة .

[يوم شراحيل]

قال : وأما يوم شراحيل بن الأصهب الجُعفي فإنه يوم مذكور تفتخر به مُضَرُّ كلها .

1 وأي حصانٍ لا يقال له هلا في ل : وأي نجيب لا يقال له هلا .

2 شوران : جبل في ديار بني جعدة .

3 ل : حلب .

4 الصباح : الغارة في الصباح .

5 لم يتطرق أبو عبيدة في النقائض وابن عبد ربه في العقد الفريد إلى يوم وادي نساح أو يوم شراحيل .

وكان شراحيلُ خرج مُغيّراً في جمع عظيم من اليمن ، وكان قد طال عمره وكثر تبعه وبُعد صيته¹ واتصل ظفّره ، وكان قد صالح بني عامر على أن يغزوا العرب ماراً بهم في بدّاته وعودته لا يعرض أحدٌ منهم لصاحبه ؛ فخرج غازياً في بعض غزواته فأبعد ، ثم رجع إليهم فمرّ على بني جعدة فقرّته ونحرت له ؛ فعمد ناسٌ من أصحابه سفهاء فتناولوا إبلاً لبني جعدة فنحروها ؛ فشكّت ذلك بنو جعدة إلى شراحيل ، فقالوا : قرّناك وأحسنّا ضيافتك ثم لم تمنع أصحابك ممّا يصنعون ؛ فقال : إنهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعمري ؛ وإنّا يُقيمون عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم . فقال الرُقّاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة لأخيه ورد بن عمرو ، وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن ورد : دعني أذهب إلى بني قُشير ، قال : وجعدة وقُشير أخوان لأمّ وأب ، أمهما ريطة بنت قُفّذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سليم بن منصور ، فأدعوهما ، واصنع أنت يا هذا لشراحيل طعاماً حسناً كثيراً ، وادعُه وأدخله إليك فاقتله ، فإن احتجت إلينا فذخّنْ ، فإني إذا رأيتُ الدخان أتيتك بهم فوضعتنا سيوفنا على القوم . فعمد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه ، ودعا شراحيل وناساً من أصحابه وأهله وبني عمّه ، فجعلوا كلّما دخل البيت رجلٌ قتله وردٌ ، حتى انتصف النهار ؛ فجاء أصحاب شراحيل يُتبعونه ، فقال لهم وردٌ : تروّحوا فإنّ صاحبكم قد شرب وثمل وسيرُوح فرجعوا ؛ ودخّن وردٌ ، وجاءت قُشير ، فقتلوا من أدركوا من أصحابه ، وسار سائرهم ؛ وبلغهم قتلُ شراحيل ، فمروا على بني عُقيل ، وهم إخوتهم ، فقالوا : لنقتلنّ مالك بن المُتفق ؛ فقال لهم مالك : أنا آتيكم بورد ؛ فركب بني عُقيل إلى بني جعدة وقُشير ليعطوهم ورداً ؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذبّوا عن عُقيل ، حتى تفرّق من كان مع شراحيل . فقال في ذلك بحيرُ بن عبد الله بن سلّمة² :

أَحْيِ يَتَبَعُونَ الْعِيرَ نَحْراً أَحْبُّ إِلَيْكَ أَمْ حَيًّا هَلَالِ
لَعَلَّكَ قَاتِلٌ وَرْدًا وَلَمَّا تَسَاقَ الْخَيْلُ بِالْأَسَلِ النَّهَالِ
أَلَا يَا مَالُ وَيْحَ سِوَاكَ أَقْصِرْ أَمَا يَنْهَاكَ حَلْمُكَ عَنْ ضَلَالِ

[يوما رحران]

وأما يوما رَحْرَحان³ ، فأحدهما مشهور قد ذُكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار

1 ل : صوته

2 له ترجمة في المؤلف والمختلف للآمدي (76) وقد ضبط بالقلم بضمّ الباء وفي النقائض (ص 70) بفتحها .

3 انظر في خبر يومي رحران كتاب النقائض ص 1060 وما بعدها . أمّا ما أورده أبو الفرج عن غارة الطماح الحنفي فغير متصل بيومي رحران .

الحارث بن ظالم ، وهذا اليوم الثاني ، فكان الطَّمَّاح الحنفيُّ أغار في بني حَنيفة وبني قيس بن ثَعْلبة على بني الحَرِيش بن كعب وبني عُبادة بن عُقيل وطوائف من بني عَبَسَ يقال لهم بنو حَذِيفَة¹ ؛ فركبت بنو جَعْدَة وبنو أبي بكر بن كِلاب ، ولم يشهد ذلك من بني كِلاب غيرُ بني أبي بكر ، فأدركوا الطَّمَّاح من يومهم ، فاستنقذوا ما أخذوه وأصابوا ما كان معه ، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم .

[كعب الفوارس ومقتله]

قال : وأما ما ذكره² من إدراكهم بئار كعب الفوارس ، فإن كعب الفوارس ، وهو ابن معاوية بن عُبادة بن البَكاء ، مرَّ على بني نَهْد وعليه سلاحه ، فحمل عليه رجل من نَهْد يُقال له خُلَيْف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه ؛ ثم إنَّ خُلَيْفاً بعد ذلك بدَّهْرَ مرَّ على بني جَعْدَة ، فراه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جَبَّة كعب وفيها أثر الطعنة ، وكان مُحْرِماً فلم يقدر على قتله ، فقال : يا هذا ! ألا رَقَعْتَ هذا الخَرْق الذي في جَبَّتِكَ ؟ وجعل يترصده بعد ذلك ، حتى بلغه بعد دهرٍ أنه مرَّ ببني جَعْدَة ، فركب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرساً له وقد أُخبر أنَّ خُلَيْفاً مرَّ بجَبَنَاتِهِمْ ، فأدركه فقتله ، ثم قال : بُؤ بكعب . ثم غزا نواحِيَهُمْ عبدُ الله بن ثور بن معاوية بن عُبادة بن البَكاء : جَرماً ونَهْداً ، وهم يومئذٍ في بني الحارث ، فناداهم بنو البَكاء : ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنَّ النهديَّ قتل صاحبنا مُحْرِماً ؛ فقاتلهم نَهْد وجَرَم جميعاً يومئذٍ ، وكان عبد الله بن ثور يومئذٍ على فرسٍ وَرْدٍ ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذٍ غنيمة عظيمة ، وقتلوا قتلى كثيرة . فقال عبد الله في ذلك :

[من الطويل]

فسائلُ بني جَرَمٍ إذا ما لقيتهم ونَهْداً إذا حَجَّتْ عليك بنو نَهْدٍ
فإنَّ يُخبروك الحقَّ عنَّا تجدُّهم يقولون أبلي صاحبُ الفرسِ الورْدِ

[يوم الفلج]

قال : وأما يوم الفَلَج³ ، فإنَّ بكر بن وائل بعثتُ عيناً على بني كعب بن ربيعة حتى جاء الفَلَجَ - وهو ماء - فوجد النِّعَمَ بعضُه قريباً من بعض ، ووجد النَّاسَ قد احتملوا ، فليس في النِّعَمِ إلَّا من لا طبَّاخ⁴ به من راعٍ أو ضعيف ؛ فجاءهم عنُهم بذلك ، فركبت بكر بن وائل

1 ل : جذيمة .

2 لم يذكر النابغة ثار كعب الفوارس في القصائد التي أشار إليها أبو الفرج . فهل سها أبو الفرج أو أنَّ ثمة سقط في أصول الأغاني التي وصلتنا ؟ وقد أورد أبو عبيدة خبر الثَّار (ص 469) متصلاً بخبر «يوم فيف الرِّيح» .

3 هذا يوم آخر لم يتطرق إليه أبو عبيدة وابن عبد ربّه .

4 لا طبَّاخ به : لا قوّة له ولا سمن له .

يريدونهم ، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم ، سَمِعُوا الصَّهِيلَ وَأَصْوَاتَ الرجال ؛ فقالوا لعينهم : ما هذا ويلك ؟ ! قال : والله ما أدري ، وإن هذا لما لم أعهد ، فأرسلوا مَنْ يَعْلَمُ عَلَيْهِمْ ؛ فَرَجَعَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الرجال قد رَجَعُوا ، ورأى جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة¹ ؛ فَكَرَّوْا راجعين من ليلتهم ؛ وَأَصْبَحَتْ بنو كعب فرأوا الأثر فاتَّبَعُوهم ، فَأَصَابُوا من أُخْرِيَاتِهِمْ رجالاً وخيلاً ، فَرَجَعُوا بها .

[خداش بن زهير وهيرة بن عامر]

قال : وأَمَّا قوله : [من البسيط]

لو تستطيعون أن تُلْقُوا جُلُودَكُمْ وتجعلوا جِلْدَ عبدِ الله سِرْبَالاً

فإنَّ السبب في ذلك أَنَّ هُبَيْرَةَ بن عامر بن سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ ، لقي خِدَاشَ بن زهير الْبَكَّائِي ، فتنافرا على مائة من الإبل ، وقال كلُّ منهما لصاحبه : أَنَا أَكْرَمُ وَأَعَزُّ مِنْكَ ؛ فَحَكَّمَا في ذلك رجلان من بني ذِي الْجَدْنِ ، فَقَضَى بينهما أَنَّ أَعْزَهُمَا وَأَكْرَمَهُمَا أَقْرَبُهُمَا من عبد الله بن جَعْدَةَ نَسَباً ؛ فقال خِدَاشُ بن زُهَيْرٍ : أَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ ، أَمَّ عبد الله بن جَعْدَةَ عَمَّتِي ، وهي أُمَيْمَةُ بنت عمرو بن عامر ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنِّي مَنْزِلَةً أَبُوبُ ؛ فلم يَزَالَا يَخْتَصِمَانِ في القرابة لعبد الله دون المُكَاثَرَةِ بَابَائِهِمَا إقْرَاراً له بذلك ، حتى فَلَجَ² هُبَيْرَةُ الْقُشَيْرِيَّ وظَفِر .

[عبد الله بن جَعْدَةَ]

قال أَبُو عمرو : وكان عبد الله بن جَعْدَةَ سَيِّداً مُطَاعاً ، وكانت له إِتَاوَةٌ بِعَكاظٍ يُؤْتَى بها ، يَأْتِيهِ بها هذا الْحَيُّ من الْأَزْدِ وَغَيْرِهِمْ ؛ فَجَاءَ سُمَيْرُ بن سَلَمَةَ الْقُشَيْرِيَّ وَعَبْدُ اللَّهِ جَالِسٌ على ثِيَابٍ قد جُمِعَتْ له من إِتَاوَتِهِ ، فَأَنْزَلَهُ عَنْهَا وَجَلَسَ مَكَانَهُ ؛ فَجَاءَ رِياحُ بن عمرو بن رَبِيعَةَ بن عَقِيلٍ وهو الْخَلِيعُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَخَلُّعِهِ عن الْمُلُوكِ لَا يُعْطِيهِمُ الطَّاعَةَ فقال للقشيري : مَا لَكَ وَلِشَيْخِنَا تُنْزِلُهُ عن إِتَاوَتِهِ وَنَحْنُ هَاهُنَا حَوْلَهُ ! فقال الْقُشَيْرِيَّ : كَذَبْتَ ، مَا هِيَ لَهُ ؛ ثُمَّ مَدَّ الْقُشَيْرِيَّ رِجْلَهُ فَقَالَ : هَذِهِ رِجْلِي فَاضْرِبْهَا إِنْ كُنْتَ عَزِيزاً ؛ قَالَ : لَا ! لِعَمْرِي لَا أُضْرِبُ رِجْلَكَ ؛ فَقَالَ لَهُ الْقُشَيْرِيَّ : فَاْمُدُّ لِي رِجْلَكَ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ ضَرْبُهَا أَمْ لَا ؛ فَقَالَ : وَلَا أُمَدُّ لَكَ رِجْلِي ، وَلَكِنْ أَفْعَلْ مَا لَا تُنْكَرُهُ الْعَشِيرَةُ وَمَا هُوَ أَعَزُّ لِي وَأَذَلُّ لَكَ ؛ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى رِجْلِ الْقُشَيْرِيَّ فَسَحَبَهُ عَلَى قَفَاهُ وَنَحَّاهُ ، وَأَقْعَدَ عَبْدُ اللَّهِ بن جَعْدَةَ مَكَانَهُ .

1 ل : وخلقاً كثيراً .

2 فلج : غلب وفاز .

قال : وعبد الله بن جعدة أول من صنع الدبابة¹ ؛ وكان السبب في ذلك أنهم انتجعوا ناحية البحرين ، فهجموا على عبد لرجل يُقال له كَوْدَن في قصر حصين ، فدخن العبد ودعا النساء والصبيان ، فظنوا أنه يُطعمهم ثريداً ، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم ، فصاح النساء والصبيان ، وقام العبد ومن معه على شرف القصر ، فجعل لا يدنو منه أحداً إلا رماه ؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبابة على جذوع النخل وألبسها جلود الإبل ، ثم جاء بها والقوم يحملونها حتى أسندوها إلى القصر ، ثم حفروا حتى خرقوه ؛ فقتل العبد ومن كان معه واستنقذ صبيانهم ونساءهم . فذلك قول النابغة² :

ويوم دعا ولدانكم عبد كودن فخالوا لدى الداعي ثريداً مُفلّلا
وقى ابن زياد وهو عقبه خيركم هبيرة ينزو في الحديد مُكبّلا

يعنى هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير ، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة ، حتى مروا على بني زياد العسيتين والرجال غيب ، فأخذوا ابناً لأنس³ بن زياد وانطلقوا به يرجون الفداء ؛ وانطلق عمه عُمارة بن زياد حتى أتى بني كعب ، فلقي هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير ، فقال له : يا هبيرة إن الناس يقولون : إنك بخيل ؛ قال : معاذ الله ! قال : فهب لي جيتك هذه ؛ فأهوى ليخلعها ، فلما وقعت في رأسه وثب عليه فأسره ، ثم بعث إلى بني قشير : علي وعلي إن قبلت من هبيرة أقل من فدية حاجب⁴ إلا أن يأتوني بآخي الذي في أيدي بني جعدة ؛ فمشت بنو قشير إلى بني جعدة ، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم ، فافتدوا به هبيرة .

[وحوح أخو النابغة]

وأما خبر وحوح أخى النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة ، فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سبياً وأسرى ، فركبت بنو أسد في آثارهم حتى لحقوهم بالشُرَيْف⁵ ، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة ، فذاودا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردّوهم ؛ ولم يظفروا منهم بشيء . وتعلقت امرأة من بني أسد بالحكم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أَرَدَها خلفه ، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته ، فعطف

1 الدبابة : آلة من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه .

2 شعر النابغة : 129 عن الأغاني .

3 ل : لأوس .

4 هو حاجب بن زرارة .

5 ل : السديف وهو تحريف . والشريف واد بنجد .

عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوَان ، فضرِبَ يدها بالسيف فقطعها وتخلَّصه .
وطعن يومئذٍ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعدي ، فارتث¹ في معركة القوم ، فأخذه
خالد بن نَضْلَةُ الأسدي ؛ وعطَفَ عليه يومئذٍ أخوه النابغة ، فقال له خالد بن نَضْلَةُ : هَلُمَّ إِلَيَّ
وأنت آمن ؛ فقال له النابغة : لا حاجة لي في أمانك ، أنا على فرسي ومعِي سلاحي وأصحابي
قريب ، ولكنني أوصيك بما في العَوْسِجَةِ (يعني أخاه وحوح بن قيس) ؛ فعدَلَ إليه خالد
فأخذه وضمَّه إليه ومنع مِنْ قتله ودأواه حتى فُدي بعد ذلك . قال : ففي ذلك يقول مُدْرِك
العَبْسِي² :

أَقَمْتُ عَلَى الْحِفَاطِ وَغَابَ فَرَجٌ وَفِي فَرَجٍ عَنِ الْحَسْبِ انْفِرَاجٌ
كَذَلِكَ فَعَلْنَا وَجِبَالُ عَمِّي وَرَدْنَ بِوَحُوحٍ فَلَجَّ الْفِلَاجُ

[مزيد من مفاخرة النابغة الجعدي]

ومَّا قاله النابغة في هذه المفاخرة وعُتِيَ فيه قوله وقد جُمِعَ معه كلُّ ما يغني فيه من
القصيدة³ :

صوت

هَلْ بِالْدِّيَارِ الْغَدَاةَ مِنْ صَمَمٍ أَمْ هَلْ بِرِنْعِ الْأُنَيْسِ مِنْ قَدَمٍ
أَمْ مَا تُتَادِي مِنْ مَائِلِ دَرَجِ السَّ يَلُ عَلَيْهِ كَالْحَوْضِ مُنْهَدِمٍ
غَرَاءُ كَاللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْقَمِ رَاءُ تَهْدِي أَوَائِلَ الظُّلَمِ
أَكُنِّي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ
كَأَنَّ فَاهَا إِذَا تَبَسَّمَ مِنْ طِيبٍ مَسْمٌ وَطِيبٍ مُبْتَسَمٍ⁴
يُسْنُ بِالضَّرْوِ مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ هَيْلَانَ أَوْ ضَامِرٍ مِنَ الْعُتَمِ⁵

عروضه من المنسرح . وفي الأوَّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالخنصر
في مجرى البنصر ، ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر ابن المكيِّ والهشامِيُّ أَنَّهُ لمُعِد ،
وأظنَّه من منحول يحيى ، وذكر حبش أَنَّهُ لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل

1 أرتث : أصابته جراح وبه رمق .

2 ل : الفقعي .

3 شعر النابغة الجعدي : 148 .

4 وطيب مبتسم في الديوان : وحسن مبتسم .

5 يسن : يسوك . الضرو : شجر طيب الرائحة يتسوك به . براقش وهيلان : مدينتان كانتا في اليمن ثم خربتا .

العتم : شجر الزيتون البري .

بالبنصر ، وذكر حبش أنَّ فيها لإسحاق رملًا آخر ؛ ولابن مِسْجَح فيها ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالبنصر .
[سبَّقه إلى الكناية عَمَّنْ يعني]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأَخْفَش قال : أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إلى الكناية عن اسم من يَعْنِي بغيره في الشعر الجعديُّ ، فإنه قال :

أَكْنِي بغير اسمها وقد علم الله خَفِيَّاتِ كُلِّ مَكْتَمٍ
فَسَبَقَ النَّاسُ جَمِيعًا إِلَيْهِ وَاتَّبَعُوهُ فِيهِ . وَأَحْسَنُ مَنْ أَخَذَهُ وَالْظُّفَةُ فِيهِ أَبُو نُوَّاسٍ حَيْثُ يَقُولُ¹ :

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانٍ كَيْفَ خَلَفْتُمُ أَبَا عَثْمَانَ
فَيَقُولُونَ لِي جِنَانٌ كَمَا سَرَّ كَ فِي حَالِهَا فَسَلُّ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِتْمَانِي

[رَأَى الْفَرَزْدَقُ فِي شِعْرِهِ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة قال حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : ذَكَرَ الْفَرَزْدَقُ نَابِغَةَ بَنِي جَعْدَةَ فَقَالَ : كَانَ صَاحِبَ خُلُقَانٍ عِنْدَهُ مُطَرَفٌ بِالْفِ ، وَخِمَارٌ² بَوَافٍ ، يَعْنِي دَرَاهِمًا .
[مَدَحَ ابْنَ الزَّبِيرِ]

وَحَدَّثَنِي خَبْرَهُ مَعَ ابْنِ الزَّبِيرِ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ وَالْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَوَكَيْعٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ حَدَّثَنِيهِ مِنْ حِفْظِهِ ، قَالُوا حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَخِي هَارُونَ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ : أَقْحَمَتِ السَّنَةُ³ نَابِغَةَ بَنِي جَعْدَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَأَنْشَدَهُ⁴ :

حَكَمَيْتَ لَنَا الصَّدِيقَ لَمَّا وَلَيْتَنَا وَعَثْمَانَ وَالْفَارُوقَ فَارْتَاحَ مُعَدُّ
أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَابُ الْفَلَاحِ⁵ عَثْمَتُ

1 ديوان أبي نُوَّاس (الغزالي) : 252 .

2 الخمار : النصف تغطِّي به المرأة رأسها ، وقد يطلق على العمامة لأنَّ الرجل يغطِّي بها رأسه .

3 أقحمت السنة : اضطر بسبب الجذب إلى الخروج من البادية إلى الريف حيث الخضرة والماء .

4 شعر النابغة الجعدي : 204-205 .

5 العثمثم : الجمل الشديد الطويل .

لتجبرُ منه جانباً زَعَزَعَتْ به صُرُوفُ الليالي والزمانُ المصممُ

فقال له ابن الزبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فإنّ الشعر أهونُ وسائلك عندنا ، أمّا صفوة مالنا فلآل الزبير ، وأمّا عَفْوَتُهُ¹ فإنّ بني أسد بن عبد العزى تشغلها عنك وتيمّأ معها ، ولكن لك في مال الله حقّان : حقّ برويتك رسول الله ﷺ ، وحقّ بشيرك أهلك الإسلام في فيئهم ؛ ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم ، فأعطاه قلائصَ سبعةً وجَمَلاً رَجِيلاً² ؛ وأوقر له الإبلُ بُراً وتمراً وثياباً ، فجعل النابتة يستعجل فيأكل الحبّ صرّفاً ؛ فقال ابن الزبير : ويحّ أبي ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ ؛ فقال النابتة : أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما وليت قريش فعذلت واسترحمت فرحمت وحدت فصعدت ووعدت خيراً فأنجزت فأنّا والنبئون فُرَاطُ القاصفين³ » وقال الحرّميّ : « فُرَاطٌ لها ضُمنٌ » . قال الزُّبيريّ : كتب يحيى بن معين هذا الحديث عن أخي . [هجاؤه أبا شعري]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلف قالّا حدّثنا الرياشيّ قال قال أبو سليمان عن الهيثم بن عديّ قال : رَعَتْ بنو عامر بالبصرة في الزرع ، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم ، فتصارخوا : يا آل عامر ، يا آل عامر ! فخرج النابتة الجعديّ ومعه عُصبة له ؛ فاتى به إلى أبي موسى الأشعريّ ، فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعيةً قومي ؛ قال : فضربه أسواطاً ؛ فقال النابتة⁴ : [من الوافر]

رَأَيْتُ الْبَكَرَ بَكَرَ بَنِي ثَمُودٍ	وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكَرَ الْأَشْعَرِيْنَا
فَإِنْ يَكُنْ ابْنُ عَفَّانٍ أَمِيناً	فَلَمْ يَبْعَثْ بِكَ الْبَرَّ الْأَمِينَا
فِيَا قَبْرَ النَّبِيِّ وَصَاحِبِيهِ	أَلَا يَا غَوْثَنَا لَوْ تَسْمَعُونَا
أَلَا صَلَّى إِلَهُكُمْ عَلَيْكُمْ	وَلَا صَلَّى عَلَى الْأُمَرَاءِ فِينَا

[مع عليّ ومعاوية]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالّا حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن ذأب قال : لما خرج علي رضي الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابتة بني جَعْدَة ؛ فساق به يوماً فقال⁵ :

1 عفوته : عفو أي ما فضل عن النفقة .

2 القلائص : جمع قلوّص وهي الناقة الشابة . والجمل الرجيل أو الرحيل : القوي على السير .

3 فراط القاصفين : المتقدّمون إلى الشفاعة أو الحوض في تراحم . ضمن : ضامنون .

4 شعر النابتة الجعدي : 210 .

5 شعره : 192-193 .

قد عَلِمَ المِصْرانِ والعِراقُ أنَّ عَلِيًّا فَحَلَّها العُتاقُ¹
 أبيضُ جَحْجَاجٌ لَهُ رِواقُ وأُمُّهُ غَالِي بِها الصَّداقُ
 أَكْرَمُ مَنْ شَدَّ بِهِ نِطاقُ إِنَّ الألى جَارَوْكَ لا أَفاقوا
 لَهُم سِياقٌ وَلَكُم سِياقُ قد عَلِمْتُ ذَلِكُم الرِّفاقُ
 سَقَمْتُ إِلى نَهْجِ الهُدَى وساقُوا إِلى التِّي لَيس لَها عِراقُ²
 فِي مِلَّةٍ عَادَتُها النِّفاقُ

فلَمَّا قَدِمَ معاويةُ بنَ أبي سفيانِ الكُوفَةَ ، قامَ النّابغةُ بين يديه فقال³ : [من الطويل]

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ رِسالتي وأَيُّ نَصيحٍ لا يَبِيْتُ على عَنبٍ⁴
 مَلِكُكُمْ⁵ فَكانَ الشَّرُّ آخَرَ عَهْدِكُمْ لَئِن لَّمْ تَدارِكُكُمْ حُلُومُ بني حَرْبٍ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله ؛ فدخل النابغة على معاوية ،
 وعنده عبد الله بن عامر ومروان ، فأنشده⁶ : [من الطويل]

مَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي ابنَ هَندٍ بِحاجتي على النَّأيِ والأَنباءِ تُنمى وتُجَلَبُ
 وَيُخْبِرُ عَنِّي ما أَقولُ ابنَ عامر ونعمَ الفَتى يَأوي إِليه المُعَصَّبُ⁷
 فَإِنْ تَأخَذُوا أَهْلِي وَمالِي بِظَنَّةٍ فَإِنِّي لَحَرابُ الرِّجالِ مُحَرَّبُ
 صَبُورٌ على ما يَكرهُ المرءُ كُلَّهُ سِوى الظَلَمِ إِنِّي إِنْ ظَلَمْتُ سَأَغْضَبُ

فالتفت معاوية إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أرى ألا تردّ عليه شيئاً ؛ فقال : ما أهون والله عليك أن ينحجر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العرب فترويه ، أما والله إن كنت لمن يرويه ! أردد عليه كل شيء أخذته منه . وهذا الشعر يقوله النابغة الجعدي لعقيل بن خويلد العقيلي يحذره غيب الظلم لما أجار بني وائل بن معن ، وكانوا قتلوا رجلاً من جعدة ، فحذّرهم مثل حرب البسوس إن أقاموا على ذلك فيهم .

1 المِصران : البصرة والكوفة .

2 ليس لها عراق : ليس لها نهاية أو غاية .

3 شعر النابغة الجعدي : 214 .

4 وأي في ل : برأي . وفي أنساب الأشراف : وإني نصيح .

5 ملككم في أنساب الأشراف : هلككم .

6 شعره : 7-8 .

7 المعصب : الذي أكلت ماله السنون أو الذي يُعصب بظنه من الجوع .

قال أبو عمرو الشَّيبَانِي : كان السبُّ في قول الجعدي هذه القصيدة أن المُتَشِيرَ الباهليَّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظْفَرًا . فوجد بني جعدة قد قتلوا ابنًا له يُقال له سيدان ، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة ثم في بني جعدة ، فلمَّا أن علم ذلك المُتَشِيرُ وأتاه الخبرُ أغار على بني جعدة ثم على بني سُبَيْع في وَجْهه ذلك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ؛ فلمَّا فعل ذلك تصدَّعت باهلة ، فلاحقت فرقة منهم يُقال لهم بنو وائل بعقال بن خويلد العقيليِّ ، ولحقت فرقة أخرى يُقال لهم بنو قُتَيْبَة وعليهم حَجَلُ الباهليِّ يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ الكلابيِّ ، فأجارهم يزيد ، وأجار عِقالَ وائلاً . فلمَّا رأت ذلك بنو جعدة أرادوا قتالهم ، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم فقد أجرتهم ؛ فأما أحدُ الثلاثة القَتلى منكم فهو بالمتول ، وأما الآخران فعليَّ عَقْلُهُما ؛ فقالوا : لا نقبل إلا القتالَ ولا نُريد من وائل غيراً (يعني الدية) ؛ فقال : لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ ؛ فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية . وانتقلت وائل إلى قومهم . فقال النابغة في ذلك قصيدته التي ذكر فيها عِقالاً² :

فأبلغ عِقالاً أن غاية داحسٍ	بكفيلك فاستأخر لها أو تقدّم
تجير علينا وائلاً في دمانا	كانك عما ناب أشياعنا عم
كليب لعمري كان أكثر ناصراً	وأيسر جرماً منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة	كمحاشية البرد اليماني المسهم ³
وما يشعر الرمح الأصم كعوبه	بثروة رهط الأبلح المتظلم ⁴
وقال لجسّاس أغثني بشربة	تفضل بها طولاً علي وأنعم
فقال تجاوزت الأحص وماءه	وبطن شبيث وهو ذو مترسم ⁵

1 العقل : الدية .

2 شعر النابغة الجعدي : 142-144 .

3 المسهم : المخطّط .

4 في رواية «بنزوة رهط الأبلح المتوسم» . والأصم : الصلب . والثروة كثرة العدد . والأبلح : المتكبر الذي لا يرعوي عن الفجور . المتظلم : الظالم .

5 الأحص وشبيث : ماءان أو موضعان . والمثل «تخطى إلي شبيثاً والأحص» (مجمع الميداني : 1 : 145 وجمهرة العسكري 1 : 155) .

63 - [حرب بكر وتغلب]¹

[مقتل كليب بن ربيعة ونشوب حرب البسوس]

وكان السبب في قتل كليب² بن ربيعة ، فيما ذكره أبو عبيدة عن مقاتل الأحول بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد أخى بني قيس بن ثعلبة ، ونسخت بعضه من رواية الكلبي ، وأخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل ، فجمعت من روايتهم ما احتيج إلى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى ، أن كليباً كان قد عزّ وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً ، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويُرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره . فبلغ من عزّه وبغيه أنه اتخذ جرّو كلب ، فكان إذا نزل منزلاً به كلاً قذف ذلك الجرّو فيه فيعوي ، فلا يرعى أحد ذلك الكلاً إلا بإذنه ، وكان يفعل هذا بجياض الماء ، فلا يردها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب ؛ فضرب به المثل في العزّ ، ف قيل : «أعز من كليب وائل»³ . وكان يحمي الصيد ، ويقول : صيد ناحية كذا وكذا في جوارى ؛ فلا يصيد أحد منه شيئاً ؛ وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جلس ، ولا يحتجى أحد في مجلسه غيره ؛ فقتله جساس بن مرة .

وقال أبو عبيدة : قال أبو برزة القيسي وهو من ولد عمرو بن مرثد : وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغلي أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه ، ولا يحمي حمي إلا بأمره ، وكان إذا حمى حمي لا يقرب ؛ وكان لمرة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم ، وكانت أختهم عند كليب . وقال مقاتل وفراس : وأُم جساس هيلة بنت منقذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة ، ثم خلف عليها سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بعد مرة بن ذهل ، فولدت له مالكا وعوفاً وثعلبة . قال فراس بن خندق البسوسي⁴ : فهي

- 1 انظر حول هذه الحرب النقائض : 905 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 213 وما بعدها ونهاية الأرب 15 : 396-406 و 21 : 473 وما بعدها وابن الأثير 1 : 523 وسرح العيون : 92 والشرطي 2 : 371 وأيام العرب في الجاهلية (محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 2 ، 1953) 142-168 وبعض كتب الأمثال عند الحديث على المثل «أعز من كليب وائل» والمثل «أشام من البسوس» . وقد جمع أبو الفرج روايات أبي عبيدة والكلبي والمفضل واختصر اللفظ .
- 2 اسمه وائل ، وكليب لقب عليه بسبب جروه الذي سيرد الحديث عنه بعد قليل .
- 3 المثل 2594 مجمع الميداني 2 : 42 وأمثال العرب ؛ للضي : 129 وجمهرة العسكري 1 : 132 ومستقصى الزمخشري 1 : 246 .
- 4 النقائض : القيسي .

أَمَّا . وخالة جَسَّاسِ البَسُوسِ - وقال أَبُو بَرَزَةَ : البَسُوسِيَّةُ - وهي التي يُقال لها : «أَشَّامُ من البَسُوسِ»¹ فجاءت فنزلت على ابن أختها جَسَّاسِ فكانت جارةً لبني مُرَّةَ ، ومعها ابنُ لها ، ولهم ناقةٌ خَوَّارَةٌ² من نَعَمِ بني سعد ومعها فَصِيلٌ .

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال ، قال أَبُو بَرَزَةَ : وقد كان كُليبُ قبل ذلك قال لصاحبه أُخْتِ جَسَّاسِ : هل تَعْلَمِينَ على الأرض عريباً أَمْنَعُ مِنِّي ذِمَّةً ؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة ، فقالت : نعم أخي جَسَّاسُ ونَدَمَانُهُ ابن عمِّه عمرو المَزْدَلَفُ بنُ أَبِي رَيْعَةَ بن ذُهَلِ بن شَيْبَانَ . وزعم مقاتِلُ : أن امرأته كانت أُخْتِ جَسَّاسِ ، فيينا هي تَغْسِلُ رأسَ كُليبِ وتُسَرِّحُهُ ذاتَ يومٍ إذ قال : مَنْ أَعَزُّ وائِلُ ؟ فصمَّتْ ، فأعاد عليها ؛ فلمَّا أَكْثَرَ عليها قالت : أَخَوَايَ جَسَّاسُ وَهَمَّامُ ؛ فنزع رأسه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فَصِيلَ ناقةِ البَسُوسِ خالةِ جَسَّاسِ وجارةِ بني مُرَّةَ فقتله ؛ فأغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لَقِيَ كُليبُ بنَ البَسُوسِ فقال : ما فعل فَصِيلُ نَاقَتِكُمْ ؟ قال : قتلتُه وأُخْلِيتَ لنا لبَنُ أُمِّه ؛ فأغمضوا على هذه أيضاً . ثم إنَّ كُليباً أعاد على امرأته فقال : مَنْ أَعَزُّ وائِلُ ؟ فقالت : أَخَوَايَ ؛ فأضمَرها وأسرَّها في نفسه وسكت ، حتى مَرَّتْ به إِبِلُ جَسَّاسِ ، فرأى الناقةَ فَأَنكَرَهَا ، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالَةِ جَسَّاسِ ؛ قال : أَوَ قد بلغ من أَمْرِ ابْنِ السَّعْدِيَّةِ أَنْ يُجِيرَ عليَّ بغيرِ إذْنِي ! أَرِمَ ضَرْعَهَا يا غلامُ . قال فِرَاسٌ : فأخذ القوسَ فرمى ضَرْعَ الناقةِ فاختلط دُمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعَاةُ على جَسَّاسِ فَأَخْبَرُوهُ بِالْأَمْرِ ؛ فقال : احلُّبوا لها مِكْيَالِي لبِنٍ بِمَحَلِّبِهَا ولا تَذْكُرُوا لها من هذا شيئاً ؛ ثم أغمضوا عليها أيضاً . قال مُقاتِلٌ : حتى أَصابَتْهم سَمَاءٌ ، فغدا في غَيْبِهَا يَتَمَطَّرُ³ ، وَرَكِبَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ وابنُ عمِّه عمرو بن الحارث بن ذُهَلِ ، وقال أَبُو بَرَزَةَ : بل عمرو بن أَبِي رَيْعَةَ ، واطعن عمرو كُليباً فَحَطَّمَ صُلْبَهُ ؛ وقال أَبُو بَرَزَةَ : فسكت جَسَّاسُ ، حتى طَعَنَ ابْنَا وائِلِ ؛ فمَرَّتْ بِكَرْبِ بن وائِلِ على نَهْيٍ⁴ يُقال له شُبَيْثٌ فنفاهم كُليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ، ثم مَرُّوا على نَهْيٍ آخر يُقال له الْأَخْصُ فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ؛ ثم مَرُّوا على بطن الجَرِيبِ⁵ فمنعهم إِيَّاه ؛ فمَضَوْا حتى نزلوا الذَّنَائِبَ⁶ ، وَاتَّبَعَهُمْ كُليبٌ وَحَيْهُ حتى نزلوا عليه ؛ ثم

1 مجمع الميداني 1 : 374 وفصل المقال : 504 ومستقصى الزمخشري 1 : 176 وجمهرة العسكري : 556 .

2 ناقة خوارة : رقيقة حسنة .

3 يتمطر : يتنزّه .

4 نهى : غدير .

5 الجريب : اسم لواد كبير في نجد .

6 الذنائب : موضع بنجد .

مرَّ عليه جَسَّاسٌ وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال . طردتْ أهلنا عن المياه حتى كِدَتْ تَقْتُلُهُمْ عطشاً ؛ فقال كليبٌ : ما منعناهم من ماءٍ إلَّا ونحن له شاغلون ؛ فمضى جَسَّاسٌ ومعه ابنُ عمِّه المزدلفُ . وقال بعضهم : بل جَسَّاسٌ ناداه فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي ؛ فقال له : أو قد ذكرتُها ؟ أما آتي لو وجدتها في غير إبل مُرَّةٍ لاستحللتُ تلك الإبلَ بها . فعطف عليه جَسَّاسٌ فرسه فطعنه برمح فأنفذَ حِصْنِيهِ¹ ؛ فلما تَدَاءَمَهُ² الموتُ قال : يا جَسَّاسُ اسقِنِي من الماء ؛ قال : ما عَقَلْتُ استسقاءكَ الماءَ منذُ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ إلَّا ساعتَكَ هذه ! . قال أبو بَرَزَةَ : فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فاحتزَّ رأسه . وأما مقاتلٌ فزعم أنَّ عمرو بن الحارث بن ذهل الذي طعنه فقصمَ صُلْبَهُ . قال : وفيه يقول مهلهلٌ :

قتيلٌ ما قَتِلُ المرءِ عمرو وجَسَّاسُ بنِ مُرَّةٍ ذو ضَرِيرٍ³

وقال العباسُ بن مرداسٍ السُّلَمِيُّ يُحَذِّرُ كَلِيبَ بنَ عَهْمَةَ السُّلَمِيِّ ثم الظَّفَرِيَّ لما مات حربُ بنُ أُمَيَّةَ وَخَنَقَتِ الجَنُ مُرداساً وكانوا شركاء في القرية فجحدهم كليبٌ حَظَّهُم منها ، وسنذكر خبر ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى ، فحذره غِبُّ الظلم فقال⁴ :

أَكَلِيبُ ما لك كلَّ يوم ظالماً والظلمُ أنكدُ وجهُهُ مَلْعُونُ

فافعلْ بقومك ما أَرَادَ بوائِلُ يومَ الغَدِيرِ سَمِيكَ المطعونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنَحِّلُ للأعشى :

ونحن قَهَرْنَا تَغْلِبَ ابنةَ وائلٍ بقتلِ كَلِيبٍ إذ طغى وتَخَيَّلَا

أَبَانَاهُ بالنابِ التي شَقَّ ضَرْعُهَا فأصبحَ مَوْطُوءَ الحِمَى مُتَذَلِّلاً⁵

قال : ومَقَتْلُ كَلِيبٍ بالذنائب عن يسار فَلَجَةٍ⁶ مُصْعِداً إلى مَكَّةَ ، وقبره بالذنائب . وفيه يقول المهلهلُ :

ولو نَبَشَ المقابرُ عن كَلِيبٍ فَيُخْبِرَ بالذنائب أَيُّ زِيرٍ

قال أبو بَرَزَةَ : فلما قتله أَمالَ يَدُهُ بالفرس حتى انتهَى إلى أهله . قال : وتقول أُخته

1 الحِصْنُ : ما دون الإبط إلى الكشح .

2 تَدَاءَمَهُ الموتُ : تراحم عليه .

3 الضَرِيرُ : الشِدَّةُ ، وذو ضَرِيرٍ : ذو صبر على الشرِّ .

4 في النقائض أربعة أبيات . وسيورد أبو الفرج خبر القرية وموتُ حرب بن أُمَيَّةَ والعباس بن مرداس السلمي والشعر في ترجمة أبي سفيان فيما بعد .

5 أَبَاءُ بالقتيل : قتل قتيلاً به .

6 فَلَجَةٌ : منزل على طريق مَكَّةَ .

حين رآته لأبيها : إِنَّ ذَا جَسَّاسٍ أَتَىٰ خَارِجًا رَكْبَتَاهُ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجْتَ رَكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمْرِ عَظِيمٍ ! . قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا بُنَيَّ ؟ قَالَ : وَرَائِي أَنِّي قَدْ طَعَنْتُ طَعْنَةً لَشُعْلَنْ بِهَا شَبُوحٌ وَائِلٌ زَمْنًا ؛ قَالَ : أَقْتَلْتَ كَلِيبًا ؟ قَالَ نَعَمْ ؛ قَالَ : وَدِدْتُ أَنَّكَ وَإِخْوَتَكَ كُنْتُمْ مُتَمِّمٌ قَبْلَ هَذَا ، مَا بِي إِلَّا أَنْ تَتَشَاءَ بِي أَبْنَاءُ وَائِلٍ . وَزَعَمَ مُقَاتِلٌ أَنَّ جَسَّاسًا قَالَ لِأَخِيهِ نَضْلَةَ بْنِ مَرَّةَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ عَضْدُ الْحِمَارِ :

وَإِنِّي قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْبًا تُعْصُ الشَّيْخَ بِالمَاءِ القَرَّاحِ
مُذَكَّرَةً مَتَى مَا يَصْنَعُ عَنْهَا فَتَى نَشَيْتُ بِآخَرَ غَيْرِ صَاحٍ¹
تُنْكَلُ عَنْ ذُبَابِ الْغِيِّ قَوْمًا وَتَدْعُو آخِرِينَ إِلَى الصَّلَاحِ²
فَأَجَابَهُ نَضْلَةُ :

فَإِنْ تَكْ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْبًا فَلَا وَانٍ وَلَا رَثَ السَّلَاحِ
قَالَ أَبُو بَرَزَةَ : وَكَانَ هَمَامُ بْنُ مَرَّةَ أَخَى مُهْلَهْلًا وَعَاقِدَهُ إِلَّا يَكْتُمُهُ شَيْئًا ؛ فَجَاءَتْ إِلَيْهِ أُمَةٌ لَهُ فَاسْرَتْ إِلَيْهِ قَتْلَ جَسَّاسٍ كَلِيبًا ؛ فَقَالَ لَهُ مُهْلَهْلٌ : مَا قَالَتْ ؟ فَلَمْ يُخْبِرْهُ ؛ فَذَكَرَهُ الْعَهْدَ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ : أَخْبِرْتُ أَنَّ جَسَّاسًا قَتَلَ كَلِيبًا ؛ فَقَالَ : اسْتُ أَخِيكَ أَضِيقُ مِنْ ذَلِكَ³ . وَزَعَمَ مُقَاتِلٌ : أَنَّ هَمَامًا كَانَ أَخَى مُهْلَهْلًا وَكَانَ عَاقِدَهُ إِلَّا يَكْتُمُهُ شَيْئًا ؛ فَكَانَا جَالِسَيْنِ ، فَمَرَّ جَسَّاسٌ يَرْكُضُ بِهِ فَرَسُهُ مُخْرِجًا فَخْذِيهِ ؛ فَقَالَ هَمَامٌ : إِنَّ لَهُ لَأَمْرًا ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ كَاشِفًا فَخْذِيهِ قَطُّ فِي رَكْضٍ ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَتْهُ الْخَادِمُ فَسَارَتْهُ أَنَّ جَسَّاسًا قَتَلَ كَلِيبًا ؛ فَقَالَ لَهُ مُهْلَهْلٌ : مَا أَخْبَرْتُكَ ؟ قَالَ : أَخْبَرْتَنِي أَنَّ أَخِي قَتَلَ أَخَاكَ ؛ قَالَ : هُوَ أَضِيقُ اسْتًا مِنْ ذَلِكَ⁴ . وَتَحَمَّلَ الْقَوْمُ ، وَغَدَا مُهْلَهْلٌ بِالْخَيْلِ .

وَقَالَ الْمَفْضَلُ فِي خَبَرِهِ⁵ : فَلَمَّا قُتِلَ كَلِيبٌ قَالَتْ بَنُو تَغْلِبَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تَعَجَلُوا عَلَى إِخْوَتِكُمْ حَتَّى تُعْذِرُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ؛ فَانْطَلَقَ رَهْطٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَذَوِي أَسْنَانِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مَرَّةَ بْنَ ذَهْلٍ ، فَعَظَّمُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : اخْتَرْنَا مِنْ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْنَا جَسَّاسًا فَنَقْتُلَهُ بِصَاحِبِنَا فَلَمْ يَظْلِمْ مَنْ قَتَلَ قَاتِلَهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْنَا هَمَامًا ، وَإِمَّا أَنْ تُقَيِّدَنَا مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَسَكَتَ ، وَقَدْ حَضَرَتْهُ وَجْهُ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَقَالُوا : تَكَلَّمْ غَيْرَ مَخْذُولٍ ؛ فَقَالَ : أَمَّا جَسَّاسٌ فَغَلَامٌ حَدِيثُ

1 مذكرة : شديدة .

2 ذباب الغي : الجنون أو الشر .

3 المثل رقم 1781 عند الميداني .

4 المثل رقم 1781 عند الميداني .

5 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (تقديم وتعليق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، 1981 : 129-137) .

السنّ ركب رأسه فهرّب حين خاف فلا علم لي به ، وأمّا همّام فابو عَشْرَة وأخو عَشْرَة¹ ، ولو دفعته إليكم لصيَح بنوه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجريّة غيره ؛ وأمّا أنا فلا أتعجلُ الموت ، وهل تزيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولةً فأكونَ أوّلَ قتيْل ! ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنيّ ، فذوَنكم أحدهم فاقتلوه به ، وإن شئتم فلكم ألفُ ناقةٍ تضمُنُها لكم بكرُ بنُ وائل ؛ فغَضِبوا وقالوا : إنا لم نأتك لترذلَ² لنا بنيك ولا لتسومنا اللين ؛ فتفرّقوا ووقعت الحربُ . وتكلّم في ذلك عند الحارث بن عبّادٍ ، فقال : « لا ناقة لي في هذا ولا جمل »³ ، وهو أوّل من قالها وأرسلها مثلاً . قالوا جميعاً : كانت حربهم أربعين سنة ، فيهنّ خمسُ وقعاتٍ مُراحفات ، وكانت تكون بينهم مُغاورات ، وكان الرجلُ يلقي الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هذا .

[يوم عُنيزة]

وكان أوّل تلك الأيام يوم عُنيزة ، وهي عند فلجة ، فتكافؤوا فيه لا لبكر ولا لتغلب ؛ وتصديق ذلك قولُ مُهلِهلٍ :

[من الوافر]

كأنّا غُدوةٌ وبنيّ أينا بجَنب عُنيزة رَحِيّا مُديرِ
ولولا الرِيحُ أسمع مَنْ بحَجَرٍ صليلَ البِيض تُقرَع بالذُّكورِ

[يوم واردات]

فتفرّقوا ، ثم غبروا زماناً . ثم التقوا يوم واردات⁴ ، وكان لتغلب على بكر ، وقتلوا بكرةً أشدَّ القتل ، وقتلوا بُجيراً ؛ وذلك قولُ مُهلِهلٍ :

[من الوافر]

فإني قد تركتُ بوارِداً بُجيراً في دَمٍ مثلِ العَبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بني عبّادٍ وبعضُ الغَشَمِ أَشْفى للصدورِ⁵

قال مُقاتلٌ : إنّه إنّما التَّقَطَ تَوّاً . وسيجيء حديثه أسفل من هذا . التوّ : الفرد ، يُقال : وجدته تَوّاً ، أي وحده .

قال أبو بَرْزة : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بني ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم الحارث بن عبّادٍ ، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة ، حتى التقوا بالحنو ، فظهرت بنو ثعلبة على تغلب .

1 أضاف المفضل : وعم عشرة .

2 ل : لتؤدي . وترذل بنيك . تعطينا رذال بنيك (المفضل) .

3 جمهرة العسكري 2 : 391 وأمثال العرب 1 : 131 .

4 واردات : موضع عن يسار طريق مكة .

5 الغشم : الظلم .

[يوم القصيات]

قال مقاتل : ثم التقوا يومَ بطن السَّرو ، وهو يوم القصيات ، وربما قيل يوم القصية ، وكان لبني تغلب على بكر ، حتى ظنَّت بكرٌ أن سيقتلونها قال مقاتل :

[يوم قضة]

وَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ هَمَامَ بْنِ مَرَّةَ . ثُمَّ التَّقَوْا يَوْمَ قِضَّةَ وَهُوَ يَوْمُ التَّحَالُفِ وَيَوْمُ الثَّنِيَّةِ . وَيَوْمُ قِضَّةَ وَيَوْمُ الْفَصِيلِ لِبَكْرِ عَلَى تَغْلِبَ . قَالَ أَبُو بَرْزَةَ : أَتَبِعْتُ تَغْلِبَ بِكْرًا فَقَطَعُوا رِمَالَتِ خَزَازَى وَالرَّغَامَ ثُمَّ مَالُوا لِبَطْنِ الْحِمَارَةِ ؛ فَوَرَدَتْ بِكْرٌ قِضَّةَ فَسَقَتْ وَأَسْقَتْ ثُمَّ صَدَرَتْ وَحَلَّأُوا¹ تَغْلِبَ ، وَنَهَضُوا فِي نُجْعَةٍ يُقَالُ لَهَا مُوَيَّةٌ لَا يَجُوزُ فِيهَا إِلَّا بَعِيرٌ بَعِيرٌ ، فَلَحِقَ رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبَ بِغُلَيْمٍ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَطْرُدُ ذَوْدًا لَهُ ، فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالرَّحْمِ ثُمَّ رَفَعَهُ فَقَالَ : تَحَدَّيْ أُمَّ الْبَوِّ عَلَى بَوِّكَ . فَرَأَاهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَالَ : أَنْفِذُوا جَمَلَ أَسْمَاءَ (ابْنَتَهُ) فَإِنَّهُ أَمْضَى جِمَالِكُمْ وَأَجْوَدُهَا مَنْفَذًا ، فَإِذَا نَفِذَ تَبِعْتَهُ النَّعْمَ ؛ فَوَثَبَ الْجَمَلُ فِي الْمُوَيَّةِ ، حَتَّى إِذَا نَهَضَ عَلَى يَدَيْهِ وَارْتَفَعَتْ رِجْلَاهُ ضَرَبَ عُرْقُوبِيَهُ وَقَطَعَ بِطَانِ الطَّعِينَةِ فَوَقَعَ فَسَدَّ الثَّنِيَّةُ ، ثُمَّ قَالَ عَوْفُ : أَنَا الْبُرْكُ أُبْرِكُ حَيْثُ أُدْرِكُ ، فَسُمِّيَ الْبُرْكُ ، وَوَقَعَ النَّاسُ إِلَى الْأَرْضِ لَا يَرُونَ مَجَازًا ، وَتَحَالَفُوا لَتَعْرِفَهُمُ النِّسَاءُ ؛ فَقَالَ جَحْدَرُ بْنُ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ أَبِي الْمَسَامِعةِ ، وَاسْمُهُ رَبِيعَةُ ؛ قَالَ : وَإِنَّمَا سُمِّيَ جَحْدَرًا لِقَصَرِهِ : لَا تَخْلُقُوا رَأْسِي فَإِنِّي رَجُلٌ قَصِيرٌ ، لَا تَشِينُونِي ، وَلَكِنِّي أَشْتَرِيهِ مِنْكُمْ بِأَوَّلِ فَارَسٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقَوْمِ ؛ فَطَلَعَ ابْنُ عَنَاقٍ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلَ يَمْدَحُ مِسْمَعَ بْنَ مَالِكٍ بِذَلِكَ :

يَا ابْنَ الَّذِي لَمَّا حَلَقْنَا اللَّمَمَا ابْتِاعَ مِنَّا رَأْسَهُ تَكْرُمًا²

بِفَارَسٍ أَوَّلٍ مِنْ تَقْدَمَا

وقال البكريّ :

وَمِنَّا الَّذِي فَادَى مِنَ الْقَوْمِ رَأْسَهُ بِمَسْتَلَمٍ مِنْ جَمْعِهِمْ غَيْرِ أَعْرَلا³
فَادَى إِلَيْنَا بَزَّهُ وَسِلَاحَهُ وَمُنْفَصِلًا مِنْ عُنُقِهِ قَدْ تَزَيَّلَا

قال : وَكَانَ جَحْدَرٌ يَرْتَجِزُ يَوْمَئِذٍ وَيَقُولُ :

رُدُّوْا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَمَّتْ إِنْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ فَجُزُّوا لِمَتِّي

وَزَعَمَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمِسْمَعِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَقْلُهَا ، وَأَنَّ صَخْرَ بْنَ عَمْرِو السُّلَمِيَّ قَاتِلُهَا ؛ فَقَالَ

1 حَلَّأُوا تَغْلِبَ : مَنَعُوا الْمَاءَ .

2 لَمَّا فِي ل : يَوْمَ .

3 مَسْتَلَمٌ : لَا بَسَ السِّلَاحَ كُلَّهُ .

مِسْمَع : كَرْدِين (كذب) عامر . وقال البكري :
 وَمِنَّا الَّذِي سَدَّ الثَّيَةَ غُدُوَّةً عَلَى حَلْفَةٍ لَمْ يُبْقِ فِيهَا تَحَلُّلاً
 بَجَهْدِ يَمِينِ اللَّهِ لَا يَطْلُعُونَهَا وَلَمَّا نُقَاتِلْ جَمْعَهُمْ حِينَ أُسْهَلَا
 وَأَمَّا مَقَاتِلُ فزعم أَنَّهُمْ قالوا : اتَّخَذُوا عِلْماً يَعْرِفُ بِهِ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، فَتَحَالَقُوا . وفيه
 يقول طَرْفَةٌ¹ :
 [من الطويل]

صوت

سائلوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقَوَانَا يَوْمَ تَحَلَّاقَ اللَّمَمُ
 يَوْمَ تُبْدِي الْبَيْضُ عَنْ أُسُوقِهَا وَتُلْفُ الْخَيْلُ أُعْرَاجَ النَّعَمِ²
 غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ابْنُ مُحَرَّرٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ
 الْمَكِّيِّ أَنَّهُ لِمُعَبَّدٍ .
 [همام بن مرّة ومقتله]

وزعم مقاتل أَنَّ هَمَّامَ بْنَ مَرَّةَ بْنَ ذُهْلٍ بْنَ شَيْبَانَ ، لَمْ يَزَلْ قَائِدَ بَكْرٍ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ
 الْقُصَصِيَّاتِ ، وَهُوَ قَبْلَ يَوْمِ قِصَّةٍ ، وَيَوْمَ قِصَّةٍ عَلَى أَثَرِهِ . وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ مَقْتَلِ هَمَّامٍ أَنَّهُ وَجَدَ
 غُلَامًا مَطْرُوحًا ، فَالْتَقَطَهُ وَرَبَاهُ وَسَمَّاهُ نَاشِرَةً فَكَانَ عِنْدَهُ لَقِيطًا ؛ فَلَمَّا شَبَّ تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي
 تَغْلِبَ ؛ فَلَمَّا التَقُوا يَوْمَ الْقُصَصِيَّاتِ جَعَلَ هَمَّامٌ يُقَاتِلُ ، فَإِذَا عَطِشَ رَجَعَ إِلَى قَرِيبَةٍ فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ
 وَضَعَ سِلَاحَهُ ؛ فَوَجَدَ نَاشِرَةً مِنْ هَمَّامٍ غَفْلَةً ، فَشَدَّ عَلَيْهِ بِالْعِزَّةِ³ فَأَقْصَدَهُ فَقَتَلَهُ ، وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ
 تَغْلِبَ . فَقَالَ بَاكِي هَمَّامُ :
 [من الطويل]

لَقَدْ عَيَّلَ الْأَقْوَامَ طَعْنَةَ نَاشِرَةٍ أَنَا شِيرُ لَا زَالَتْ يَمِينُكَ آشِرَةً⁴

[الحارث بن عباد أخذ بشار ابنه بجير]

ثُمَّ قَتَلَ نَاشِرَةَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ قِصَّةٍ وَتَجَمَّعَتْ إِلَيْهِمْ بَكْرٌ ، جَاءَ إِلَيْهِمْ
 الْفَيْدُ الرِّمَّانِيُّ أَحَدُ بَنِي زِمَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ مِنَ الْيَمَامَةِ ، قَالَ
 عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمِسْمَعِيُّ : فَرَأَسُوهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَقُلْتُ أَنَا لِفِرَاسِ بْنِ خَنْدَقٍ : إِنْ عَامراً يَزْعُمُ أَنَّ
 الْفَيْدَ كَانَ رَئِيسَ بَكْرٍ يَوْمَ قِصَّةٍ ؛ فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ⁵ ! كَانَ أَقَلَّ النَّاسِ حِظًّا فِي عِلْمِ

1 ديوان طرفة (صادر ، بيروت) : 90 وزعم الأصمعي أنها مصنوعة .

2 أُسُوقٌ : جمع ساق . أعراج النعم : قطعان من الإبل .

3 العززة : شبه العكازة ولها زج من أسفلها .

4 يروى : «الأيتام» بدل الأقوام . وعيلهم : أفقرهم وجعلهم عالة على الآخرين .

5 ل : عبد الملك .

قومه . وقال فراس : كان رئيس بكر بعد هَمَام الحارث بن عباد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عباد قد اعتزل يوم قتل كليب ، وقال : لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عذلي ، وربما قال : لست من هذا ولا جملي ولا رحلي ، وخذل بكرًا عن تغلب ، واستعظم قتل كليب لسؤدده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارث بن عباد : [من مجزوء الكامل]

يا بؤسَ للحرب التي وضعتُ أراهاطَ فاستراحوا
والحربُ لا يَبْقَى لصا حبها التَّخِيلُ والمِراحُ¹
إلاَّ الفتى الصَّبارُ في النَّدِّ سجداتِ والفرسُ الوَقاحُ

فلما أخذ بُجَيْرُ بن الحارث بن عبادَ تَوًّا بوارِدات ، وإِنَّمَا سُلِّ وَلَمْ يُوْخِذْ فِي مُزاحِفَةٍ ، قال له مُهْلَهْلُ : مَنْ خَالَكَ يا غلام ؟ قال امرؤ القيس بن أبان التَّغْلَبِيُّ لمهلل : إِنِّي أرى غلاماً لَيَقْتُلَنَّ به رجل لا يُسأل عن خاله ، وربما قال عن حاله ، قال : فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به ، قتله الحارث بن عباد يوم قِصَّة بيده ، فقتله مهلهل . قال : فلما قتل مهلهل بُجَيْراً قال : بؤ² بِشِيسَع نعل كليب ؛ فقال له الغلام : إن رَضِيتُ بذلك بنو ضُبَيْعَةَ بن قيس رَضِيتُ . فلما بلغ الحارث قتلُ بُجَيْرِ ابن أخيه ، وقال أبو بَرْزَةَ : بل بجير ابن الحارث بن عباد نفسه ، قال : نَعَمْ الغلامُ غلامٌ أَصْلَحَ بين ابني وائلي وباء بكليب . فلما سمعوا قول الحارث : قالوا له : إن مهلهلاً لما قتله قال له : بؤ بِشِيسَع نعل كليب³ ، وقال مهلهل : [من الرجز]

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كُليبٍ حُلَامٌ⁴ حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمَامَ

وقال أيضاً :

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كُليبٍ غُرَّةٌ حتى ينالَ القتلُ آلَ مُرَّةٍ

فغضب الحارث عند ذلك فنادى بالرحيل . قال مقاتل : وقال الحارث بن عباد :

قَرَّباً مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حربُ وائلي عن حِيالٍ⁵

1 لصاحبها في رواية : «لجاحمها» أي مشيرها .

2 باء بدمه : عادله وكافأه .

3 جمهرة العسكري 1 : 266 وأمثال العرب : 132 .

4 قتيل حُلَام : ذهب باطلاً .

5 النعامة : فرس الحارث بن عباد . لقحت : حملت . حِيال : انعدام الحمل . والمعنى أَنَّ الحرب هاجت بعد سكون .

لا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْ طُ كَلِيبٌ تَرَاَجَرُوا عَنْ ضَلَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ هُوَ وَإِنِّي بَحَرَهَا الْيَوْمَ صَالِ

قال : ولم يصحح عامر ولا مسمع غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو بَرَزَة قال : كان أول فارس لقي مهلهلاً يوم وإردات بُجَيْر بن الحارث بن عُباد ، فقال : مَنْ خَالِكَ يَا غِلام ، وبوأ¹ نحوه الرمح ؛ فقال له امرؤ القيس بن أبان التَّغْلَبِيّ ، وكان على مقدّماتهم في حروبهم : مهلاً يا مهلهل ! فإنَّ عمَّ هذا وأهل بيته قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شيء مما نكره ، والله لئن قتلته ليقتلن به رجلٌ لا يُسأل عن نسبه ؛ فلم يلتفت مهلهلٌ إلى قوله وشدَّ عليه فقتله ، وقال : بُوْ بَشِيعٌ نعل كليب ؛ فقال الغلام : إن رَضِيتَ بهذا بنو ثعلبة فقد رَضِيتُهُ . قال : ثم غيروا زماناً ، ثم لقي هَمَام بن مرّة فقتله أيضاً . فأتى الحارث بن عُباد فقيل له : قتل مهلهل هماماً ؛ فغضب وقال : رُدُّوا الجِمالَ على عكرها² «الأمرُ مخلوجةٌ ليس بسُلْكِي»³ ؛ وجَدَّ في قتالهم . قال مقاتل : فكان حَكَمَ بكر بن وائل يومَ قِصَّةِ الحارث بن عُباد ؛ وكان الرئيسَ الفندُ ، وكان فارسهم جَحْدَرٌ ، وكان شاعرهم سعد بن مالك بن ضُبَيْعة ، وكان الذي سدَّ الثَّيَّةَ عوف بن مالك بن ضُبَيْعة ؛ وكان عوفُ أُنْبَهَ من أخيه سعد .

[أسر مهلهل ونجاته]

وقال فِرَاس بن خَنْدَق : بل كان رئيسهم يومَ قِصَّةِ الحارث بن عُباد . قال مقاتل : فأَسَرَ الحارثُ بن عبادَ عَدِيًّا ، وهو مهلهل ، بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ؛ فقال له : دُلَّنِي عَلَى الْمَهْلَهْلِ ؛ قال : ولي دَمِي ؟ قال : ولك دَمُكَ ؛ قال : ولي دِمَّتُكَ وذِمَّةُ أَيْيِكَ ؟ قال : نعم ، ذلك لك ؛ قال : فَأَنَا مُهْلَهْلٌ . قال : دُلَّنِي عَلَى كُفٍّ لِبُجَيْرٍ ؛ قال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هَذَاكَ عَلَّمَهُ ؛ فَجَزَّ ناصِيَّتَهُ⁴ وقَصَدَ قَصْدَ امرئ القيس فشَدَّ عليه فقتله . فقال الحارث في ذلك :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعِ رِفَ عَدِيًّا إِذْ أَمَكْتَنِي الْيَدَانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أَوْ تَسَرَ بُجَيْرًا أَبَاتُهُ ابْنُ أَبَانٍ⁵

1 بُوْأ الرمح : سدده .

2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل أي ردوا الإبل إلى بعضها .

3 انظر المثل رقم 139 عند الميداني وص 305 في فصل المقال . والمخلوجة : الطعنة المعوجة ، والسلكي : الطعنة المستقيمة .

4 كانوا يجزون ناصية الأسير قبل إطلاق سراحه للافتخار بفعلهم .

5 طُلَّ : دم القتل لم يؤخذ بثأره .

فارسٌ يَضْرِبُ الكَتِيبةَ بالسِّيفِ ف وتسمو أَمَامَهُ العَيْنَانِ
وزعم حُجْرًا أَن مُهْلَهْلًا قَالَ : لَا وَاللَّهِ أَوْ يَعْهَدَ لِي غَيْرُكَ ؛ قَالَ الْحَارِثُ : اخْتَرْتُ مَنْ شِئْتُ ؛
قَالَ : اخْتَارَ الشَّيْخُ الْقَاعِدَ عَوْفَ بْنَ مُحَلَّمٍ ؛ قَالَ الْحَارِثُ : يَا عَوْفُ أَجْرُهُ ؛ قَالَ : لَا حَتَّى يَقْعَدَ
خَلْفِي ؛ فَأَمَرَهُ فَقْعَدَ خَلْفَهُ ؛ فَقَالَ : أَنَا مُهْلَهْلٌ . وَأَمَّا مُقَاتِلُ فَقَالَ : إِنَّمَا أَخَذَهُ فِي دَوْرِ الرَّحَى
وَحَوْمَةِ الْقِتَالِ وَلَمْ يَقْعَدَ أَحَدٌ بَعْدُ ، فَكَيْفَ يَقُولُ الشَّيْخُ الْقَاعِدُ ! . قَالَ مُقَاتِلُ : وَشَدَّ عَلَيْهِمْ
جَحْدَرٌ ، فَاعْتَوَرَهُ عَمْرُو وَعَامِرُ ، فَطَعَنَ عَمْرًا بِعَالِيَةِ الرَّحْمِ وَطَعَنَ عَامِرًا بِسَافِلَتِهِ فَقَتَلَهُمَا عِدَاءُ²
وَجَاءَ بَيَزَهْمَا . قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمُسَمْعِيُّ : فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ عَالِمٌ قَالَ : سَأَلَنِي الْوَلِيدُ بْنُ
يَزِيدَ : مَنْ قَتَلَ عَمْرًا وَأَخَاهُ عَامِرًا ؟ قُلْتُ : جَحْدَرٌ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ، فَهَلْ تَدْرِي كَيْفَ قَتَلَهُمَا ؟
قُلْتُ : نَعَمْ ، قَتَلَ عَمْرًا بِسِنَانِ³ الرَّحْمِ ، وَقَتَلَ عَامِرًا بِزُجْجِهِ . قَالَ : وَقَتَلَ جَحْدَرٌ أَيْضًا أَبَا مِكْنَفٍ .
قَالَ مُقَاتِلُ : فَلَمَّا رَجَعَ مُهْلَهْلٌ بَعْدَ الْوَقْعَةِ وَالْأَسْرِ إِلَى أَهْلِهِ ، جَعَلَ النِّسَاءَ وَالْوِلْدَانَ يَسْتَخْبِرُونَهُ :
تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ عَنْ زَوْجِهَا وَابْنِهَا وَأَخِيهَا ، وَالْغُلَامُ عَنْ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ؛ فَقَالَ : [مِنَ الْخَفِيفِ]

لَيْسَ مِثْلِي يُخْبِرُ النَّاسَ عَنْ آ بَائِهِمْ قَتَلُوا وَيُنْسِي الْقِتَالَ
لَمْ أَرَمْ عَرْصَةَ الْكَتِيبةِ حَتَّى إِذَا سَعَلَ الْوَرْدُ مِنْ دِمَائِ نِعَالِ⁴
عَرَفْتَهُ رِمَاحُ بَكْرِ فَمَا يَا خُذْنَ إِلَّا لَبَانَهُ وَالْقَذَالَ
غَلَبُونَا ، وَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالًا فَحَالًا

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى لَحِقَ بِأَرْضِ الْيَمَنِ ، فَكَانَ فِي جَنْبٍ⁵ ، فَخَطَبَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ ابْنَتَهُ فَأَبَى أَنْ
يَفْعَلَ ، فَأَاكَرَهُوهَ فَأَنْكَحَهَا إِيَّاهُ ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ مُهْلَهْلٌ :

أَنْكَحَهَا فَقَدَّمَهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمِ⁶
لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ضُرْجٌ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ⁷
أَصْبَحْتُ لَا مُنْفِسًا أَصْبَتْ وَلَا أَبْتُ كَرِيمًا حُرًّا مِنَ النَّدَمِ⁸

1 ل : جحدر .

2 عالية الرح : سنامه . وسافلته : زجه . وقتلها عدا : قتلها بطعنتين متواليتين .

3 ل : بعالية .

4 لم أرم : لم أبرح . الورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .

5 جنب : حمى باليمن .

6 الأراقم : حمى بن تغلب . الحباء : المهر .

7 أبانان : جيلان يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود .

8 المنفس : الكثير من المال .

هان على تَغْلِب بما لَقِيتُ أختُ بني المَالِكِينَ من جُشَمٍ
 ليسوا بِأَكفائنا الكرام ولا يُغْنُون من عَيْلَةٍ ولا عَدَمٍ
 ثمَّ إنَّ مهلهلاً انحدر ، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبَيْعة ، فطلب إليه أحواله بنو يَشْكُر ،
 وأمَّ مهلهلٍ المرادة¹ بنت ثَعْلَبَة بن جُشَم بن غَبَر اليَشْكُرِيَّة ، وأختها مَنَّة بنت ثَعْلَبَة أمَّ حُبَيِّ بن
 وائلٍ ، وكان المَحَلَّل بن ثَعْلَبَة خالهما ، فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكونَ عنده ففعل ؛
 فسقاه خمرًا ، فلمَّا طابت نفسه تَغَنَّى :
 [من الخفيف]

طِفْلَةٌ ما ابنةُ المَحَلَّل بيضا لَعُوبٌ لذيذَةٌ في العِناقِ
 حتى فرغ من القصيدة ، فأدَّى ذلك مَنْ سَمِعَه من المَهلهل إلى عمرو ، فحوَّله إليه وأقسم ألاَّ
 يذوق عنده خمرًا ولا ماء ولا لبنًا حتى يَرِدَ رَيْبُ الهَضَابِ (جمل له كان أَقْلُ وروده في الصيف
 الخُمْسَ) ؛ فقالوا له : يا خير الفتيان ، أُرْسِلْ إلى رَيْبٍ فلتُوثَ به قبلَ وروده ، ففعل فأوجره
 ذُنُوبًا² من ماء ؛ فلمَّا تَحَلَّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة ، وهو أوبأ ماءً رأيتَه قطً ، فمات .
 فتلك الهَضَاب التي كان يرعاها رَيْبٌ يُقال لها هَضَاب رَيْبٍ ، طالما رَعِيَتْهِنَّ ورأيتَهِنَّ .
 [القبائل التي انضمت إلى بكر]

قال مقاتل : ولم يُقاتل معنا من بني يَشْكُر ولا من بني لُجَيْم ولا ذُهَل بن ثَعْلَبَة غيرُ ناس
 من بني يَشْكُر وذُهَلٍ قاتلتُ بِأَحْرَةٍ ، ثم جاء ناس من بني لُجَيْم يومَ قِصَّةٍ مع الفِندِ . وفي ذلك
 يقول سَعْد بن مالك :

إنَّ لُجَيْمًا قد أَبَتْ كُلُّها أن يُرْفِدونا رجلًا واحدًا
 وَيَشْكُرٌ أَضْحَتْ على نأيها لَمْ تَسْمَعْ الآنَ لها حامدا
 ولا بنو ذُهَلٍ وقد أَصْبَحُوا بها حُلُولًا خَلْفًا ماجدا
 القَائِدِي الخِيلَ لأَرْضِ العِدا والضارِبِينَ الكوكِبَ الوافِدا³

وقال الْبَكْرِيُّ :

وصدَّتْ لُجَيْمٌ للبراءة إذ رأتْ أهاضيبَ موتٍ تُمَطِّرُ الموتَ مُعْضِلًا⁴

[من الطويل]

1 ل : المرناة .

2 أوجره ذنوباً : جعل في فيه دلوأ من الماء .

3 الكوكب الوافد : سيد القوم القادم .

4 أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر . ل : يوم بدلاً من موت .

وَيَشْكُرُ قَدْ مَالَتْ قَدِيمًا وَأَرْتَعْتُ وَمَنْتَ بِقُرْبَاهَا إِلَيْهِمْ لِتُوصَلَا
وَقَالُوا جَمِيعًا : مَاتَ جَسَّاسٌ حَتَفَ أَنْفَهُ وَلَمْ يُقْتَل .
[عدد القتلى من بكر وتغلب]

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قَتَلِي تُعَدُّ وَلَا تَذَكَّرُ إِلَّا ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ مِنْ تَغْلِبَ
وَأَرْبَعَةً مِنْ بَكْرٍ عَدَدَهُمْ مُهْلَهْلٌ فِي شِعْرِيهِ ، يعني قَصِيدَتِيهِ : [من الوافر]

أَلَيْتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي	إِذَا أَنْتِ أَنْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي ¹
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَال لَيْلِي	فَقَدْ أَبْكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ	فَيَعْلَمَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ
يَوْمَ الشَّعْثَمِينَ أَقَرَّ عَيْنًا	وَكَيْفَ لِقَاءٍ مِنْ تَحْتَ الْقُبُورِ ²
وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَوَارِدَاتِ	بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ
هَتَكَتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُبَادِ	وَبَعْضُ الْعَشْمِ أَشْفَى لِلصَّدُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ يُوفِي مِنْ كَلْبٍ	إِذَا بَرَزَتْ مَخْبَأَةُ الْخُدُورِ ³
وَهَمَّامَ بِنِ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا	عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ النُّسُورِ
يُنُوءُ بِصَدْرِهِ وَالرِّمْحُ فِيهِ	وَيَخْلِجُهُ خِدْبٌ كَالْبَعِيرِ ⁴
فَلَوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجَرٍ	صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرِعُ بِالذِّكُورِ
فِدَى لَبْنِي شَقِيقَةَ يَوْمِ جَاوُوا	كَأْسِدِ الْغَابِ لَجَّتْ فِي الزَّئِيرِ
كَأَنَّ رَمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَيْرِ	بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورِ ⁵
غَدَاةَ كَأَنَّنا وَبَنِي أَيْنَا	بَجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحِيًا مُدِيرِ
تَظَلَّ الْخَيْلُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ	كَأَنَّ الْخَيْلَ تُرْحَضُ فِي غَدِيرِ ⁶

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل . وقال أيضاً :

طَفْلَةٌ مَا ابْنَةُ الْحَلَلِ بَيْضَا لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فِي الْعِنَاقِ

1 ذو حسم : موضع بالبادية . لا تحوري : لا ترجعي .

2 يوم الشعثمين : يوم واردة . وفي شعر الأخطل ما يشير إلى أنه يوم الذنائب .

3 يُوفِي فِي ل : يشفي .

4 يخلجه : يجذبه . والخذب : الضخم .

5 أشطان : حبال شديدة الفتل . جال البئر : ناحيتها .

6 ترحض : تغسل .

فاذهبي ما إليك غير بعيدٍ لا يُؤاتي العناقُ مَنْ في الوثاقِ
ضربتُ نحرَهَا إليَّ وقالتُ يا عَدِيًّا لقد وَقَتَكَ الأواقي
ما أَرْجِي في العيش بعدَ نداما يَ أَرَاهِم سَقُوا بِكَاسِ حَلَاقٍ¹
بعدَ عمرو وعامرٍ وَحُبِّي ورَبِيعِ الصَّدُوفِ وابْنِي عَنَاقِ
وامرئ القيسِ مَيِّتَ يومَ أَوْدَى ثم خَلَّى عَلَيَّ ذَاتَ العَراقي²
وكليبِ سَمَ الفوارسِ إِذْ حُمَّ رماه الكِماءُ بِالإِيفاقِ³
إِنَّ تَحْتَ الأحجارِ حَدًّا وَلِينًا وَخَصِيمًا أَلَدَ ذَا مِغْلاقِ⁴
حَيَّةٌ في الوجارِ أريدُ لا تَدَ فَعُ مِنْهُ السَّليمَ نَفْثَةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب . قال عامر : والدليل على أَنَّ القَتلى كانوا قليلاً أَنَّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب ، فعدُّوهم وعدُّوا بنبيهم وبنِي بنبيهم ، فإن كانوا خمسمائة فقد صدقوا ، فكم عسى أَن يبلغ عددُ القَتلى والقبائل . قال مِسْمَع : إِنَّ أَخِي مجنون ، وكيف يحتجُّ بشعرِ المهلهل ، وقد قتل جَحْدَرُ أَبَا مِكنَفَ يومَ قِصَّةٍ فلم يذكره في شعره ، وقَتَلَ اليشكريُّ ناشِرَةَ فلم يذكره في الشعر ، وقَتَلَ حَبِيبٌ يومَ وِاردات ، وقَتَلَ سعدُ بن مالك يومَ قِصَّةِ ابنِ القَيْبِحة فلم يُذكر ، فهؤلاء أربعة . وقال البَكْرِي :

تركنا حَبِيباً يومَ أَرْجَفَ جَمْعُهُ صريعاً بأَعلى وِارداتٍ مُجَدَّلاً
وقال مُهلهلُ أيضاً :

[من الخفيف]

لستُ أَرْجو لَذَّةَ العيشِ ما أَزَمَتُ أَجْلاذُ قِدِّ بِساقِي
جَلَّلُونِي جِلْدَ حَوْبٍ فَقَدَ جَعَلُوا نَفْسِي عِنْدَ التَّرَاقِي⁵
وقال آخرُ يَفْخَرُ بيومِ وِارداتِ :

[من الوافر]

ومُهِراقُ الدماءِ بوارِدادِ تَبِيدَ المُخْزِياتُ وما تَبِيدُ

فقلتُ لعامر : ما بالُ مِسْمَعِ وما احتجَّ به من هؤلاء الأربعة ؟ فقال عامر : وما أربعةٌ إن كنتُ أَغفلتهم فيما يقولون ؟ إنهم قتلوا يومَ كذا ثلاثة آلاف ، ويومَ كذا أربعة آلاف ، والله ما

1 كأس حلاق : كأس المنية .

2 ذات العراقي : الداهية .

3 الإيفاق : توتير القوس للرمي .

4 حد : حدة . ذو مغلاق : لسان بليغ يسدُّ الحجَّةَ على خصمه . ويروى «مغلاق» أي يغلقها على خصمه .

5 الحوب : الضخم من الجمال .

أظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفاً ! فهاتوا فعُدُّوا أسماء القبائل وأبناءهم وأنزلوا معهم إلى أبناء
أبنائهم ، فكم عسى أن يكونوا ؟

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الخفيف]

أَرْجُرِ الْعَيْنَ أَنَّ تُبْكِي الطُّلُولَا	إِنَّ فِي الصَّدْرِ مِنْ كُلِّبٍ غَلِيلَا
إِنَّ فِي الصَّدْرِ حَاجَةً لَنْ تَقْضَى	مَا دَعَا فِي الْغُصُونِ دَاعٍ هَدِيلَا
كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا كُلِّبُ وَلَمَّا	أَقْضَرَ حَزْناً يُؤْتِبُنِي وَغَلِيلَا
أَيُّهَا الْقَلْبُ أَنْجِزِ الْيَوْمَ نَجْبَاً	مَنْ بَنِي الْحِصْنِ إِذْ غَدَوْا وَذُحُولَا ¹
كَيْفَ يَكْبِي الطُّلُولَ مَنْ هُوَ رَهْنٌ	بَطْعَانِ الْأَنَامِ جَيْلاً فَجِيلَا
أُبْضُوا مَعْجِسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرِفْ	سَنَا كَمَا تُوعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا ²
وَصَبْرْنَا تَحْتَ الْبَوَارِقِ حَتَّى	رَكَدَتْ فِيهِمُ السِّيُوفُ طَوِيلَا
لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَنَزَلْنَا	وَأَخُو الْحَرْبِ مَنْ أَطَاقَ النَّزُولَا

الشعر لمهلل³ ، قال أبو عبيدة : اسمه عديّ ، وقال يعقوب بن السكيت : اسمه امرؤ
القيس ، وهو ابن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن
تغلب ؛ وإنما لُقِبَ مُهْلِلًا لِطِيبِ شعره⁴ ورَقته ، وكان أحدَ مَنْ غَنَّى مِنَ الْعَرَبِ فِي شعره .
وقيل : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَصَّدَ الْقَصَائِدَ وَقَالَ الْغَزَلَ ؛ فَقِيلَ : قَدْ هَلْهَلَ الشَّعْرُ ، أَيِ أَرْقَهُ . وَهُوَ أَوَّلُ
مَنْ كَذَّبَ فِي شعره⁵ . وَهُوَ خَالَ أَمْرِيءَ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ . وَكَانَ فِيهِ خُنْثٌ وَلَيْنٌ ،
وَكَانَ كَثِيرَ الْحَادِثَةِ لِلنِّسَاءِ ، فَكَانَ كُلِّبٌ يَسْمِيهِ «زَيْرَ النِّسَاءِ» ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ : [من الوافر]

وَلَوْ نَبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلِّبٍ فَيَعْلَمَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زَيْرٍ

الغناء لابن مُحَرِّزٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْأَيَّاتِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى .

1 النحب : النذر . بنو الحصن : ثعلبة بن عكابة . الذحول : جمع ذحل وهو الثَّار .

2 أُنْبِضَ الْقَوْسُ : جَذِبَ وَتَرَهَا لِنُصُوتِ . مَعْجِسٌ : مَقْبُضٌ .

3 ترجمة مهلهل في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 215-217 والخزانة 2 : 164-174 ومعجم المرزباني :

79 .

4 ل : صوت .

5 لقوله : «ولولا الريح أسمع من بحجر . . .» نظراً لبُعد المسافة بين مكان الواقعة وحجر . وقد حمل ذلك عليه

القالبي وأبو الفرج وابن قتيبة ، على أنها من أيسر المبالغات في الشعر العربي .

وللغريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى ، والذي فيه سَجْحَةٌ منها لابن مُحَرَّز . ولَعَبْدُ لَحْنَانُ أَحَدُهُمَا فِي الْأَوَّلِ وَالسَّادِسِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، وَالْآخِرُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ . وَلِابْرَاهِيمَ فِي الْأَوَّلِ وَالرَّابِعِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وَلِإِسْحَاقَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثِ مَآخُورِيٍّ . وَلِعُلُوبِهِ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ ، وَلِمَالِكٍ فِيهِمَا خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وَلِابْنِ سُرَيْجٍ فِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ . وَلِابْنِ سُرَيْجٍ أَيْضاً فِي الْأَوَّلِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ . وَلِلْغَرِيضِ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ . وَلِلْهَذَلِيِّ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالسَّابِعِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ . وَلِمَالِكٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالْخَامِسِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ وَعَمْرُو بْنِ بَانَةَ .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

ثَكَلْتَنِي عِنْدَ الثَّنِيَّةِ أُمِّي وَأَتَاهَا نَعْيٌ عَمِّي وَخَالِي

إِنْ لَمْ أَشْفِ الْنَفُوسَ مِنْ حَيٍّ بِكَرٍ وَعَدِيَّ تَطَاهُ بُزْلُ الْجِمَالِ¹

الشعر مجهول² ؛ غَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ ثَقِيلاً أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ ، وَغَنَاهُ الْغَرِيضُ ثَقِيلاً أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرُو بْنِ بَانَةَ .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

قَرَّبَا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنْ حِيَالٍ

قَرَّبَاهَا فِي مُقَرَّبَاتٍ عِجَالٍ عَابَسَاتِ يَثِينَ وَثَبَ السَّعَالِي³

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمُ اللَّهِ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالٍ

الشعر للحارث بن عباد . والغناء للغريض ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ . وفيه لحن آخر يُقالُ إِنَّهُ لِابْنِ سُرَيْجٍ .

1 هذا البيت رواية أخرى :

إِنْ لَمْ أَشْفِ الْنَفُوسَ مِنْ تَغْلِبِ الْغَدِ رِيبُومَ تَذَلَّ فِيهِ بَزْلُ الْجِمَالِ

2 إضافة من ل ، ولعلَّ البيتين ملحقان بشعر الحارث بن عباد .

3 مقربات : خيل يقرب مربطها لكرامتها .

ومنها :

صوت

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلِّيًّا يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفَرَارُ
يَا لَبَكْرٍ فَاطْعَنُوا أَوْ فَحُلُّوا صَرَّحَ الشَّرُّ وَبَانَ السَّرَارُ

الشعر لمهلل . والغناء لابن سُرَيْج ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغناه الأبيجر خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو .

ومنها :

صوت

الْيَتَنَّا بِذِي حُسْمٍ إِنِّي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
كَأَنَّ الْجَدْيَ جَدِّي بَنَاتِ نَعَشٍ يُكَبُّ عَلَى الْيَدَيْنِ بِمُسْتَدِيرٍ¹
وَتَحْبُو الشَّعْرِيَّانِ إِلَى سُهَيْلٍ يَلُوحُ كَقِمَّةِ الْجَمَلِ الْكَبِيرِ²
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلُ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

الشعر لمهلل . والغناء لابن مُحَرِّز في الأول والثاني ثقيل أول بالبنصر ، وله في الأبيات كلها خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى ، عن إسحاق جميعاً . وفي الأبيات كلها على الولاة للأبيجر ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو . ويُقال : إِنَّ فِيهَا لَحْنًا لِلْغَرِيزِ أَيْضًا .

[مقتل جَسَّاس]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّرِيُّ قال حدثنا محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابي عن الْمُفَضَّلِ عن أَبِي عُبَيْدَةَ : أَنَّ آخِرَ مَنْ قُتِلَ فِي حَرْبِ بَكْرٍ وَتَغْلِبِ جَسَّاسُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ شَيْبَانَ ، وَهُوَ قَاتِلُ كُلَيْبِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَكَانَتْ أُخْتُهُ تَحْتَ كُلَيْبٍ ، فَقَتَلَهُ جَسَّاسٌ وَهِيَ حَامِلٌ ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَهْلِهَا وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ ، فَكَانَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَا كَانَ ؛ ثُمَّ صَارُوا إِلَى الْمَوَادَعَةِ بَعْدَ مَا كَادَتِ الْقَبِيلَتَانِ تَتَفَانِيَانِ ؛ فَوَلَدَتْ أُخْتُ جَسَّاسٍ غُلَامًا فَسَمَّيْتَهُ الْمِجْرَسَ وَرَبَّاهُ جَسَّاسٌ ، فَكَانَ لَا يَعْرِفُ أَبًا غَيْرَهُ ، وَزَوْجَهُ ابْنَتَهُ . فَوَقَعَ بَيْنَ الْمِجْرَسِ

1 الجدي : نجم يدور مع بنات نعش أو أحد البروج . يكب : ينكس .

2 تحبو : تدنو . الشعريان : الشعري اليمانية أو العبور والشعري : الغميصاء . وهما اللتان تبكيان لأخييهما سهيل في شعر المعري .

وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام؛ فقال له البكري: ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك؛ فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيباً، فسألته عما به فأخبرها الخبر؛ فلما أوى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثدييها، فتنفس تنفساً تنفط ما بين ثدييها من حرارتها؛ فقامت الجارية فرعة قد أفلتها رعدة حتى دخلت على أبيها، فقصت عليه قصة الهجرس؛ فقال جسّاس: ثائر ورب الكعبة! وبات جسّاس على مثل الرصف حتى أصبح؛ فأرسل إلى الهجرس فأتاه، فقال له: إنما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت، وقد زوجتك ابنتي وأنت معي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا ننفاني، وقد اصطللحنا وتحاجزنا، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح، وأن تتطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا؛ فقال الهجرس: أنا فاعل، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بلامته وفرسه؛ فحمله جسّاس على فرس وأعطاه لأمة ودرعاً؛ فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما، فقصّ عليهم جسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية، ثم قال: وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم؛ فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رُحمه، ثم قال: وفرسي وأذنيه، ورُمحي ونصلي، وسيفي وغراري، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه؛ ثم طعن جسّاساً فقتله، ثم لحق بقومه؛ فكان آخر قتيل في بكر بن وائل.

[ترحيل امرأة كليب عن مأتم زوجها]

قال أبو الفرج: أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن الشرقي بن القطامي قال: لما قتل جسّاس بن مرة كليب بن ربيعة، وكانت جليلاً بنت مرة أخت جسّاس تحت كليب، اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب: رحلي جليلاً عن مأتمك، فإن قيامها فيه شماتة وعارٌ علينا عند العرب؛ فقالت لها: يا هذه اخرجي عن مأتمنا، فأنت أخت واطرنا وشقيقة قاتلنا؛ فخرجت وهي تجر أعطافها؛ فلقبها أبوها مرة، فقال لها: ما وراءك يا جليلاً؟ فقالت: نُكَلِّ العَدَد، وحرز الأبد؛ وفقد حليل، وقتل أخ عن قليل؛ وبين ذين غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد؛ فقال لها: أو يكف ذلك كرم الصنح وإغلاء الديات؟ فقالت جليلاً: أُمِّيَّة مخدوع ورب الكعبة! أيا لبدن تدع لك تغلب دم ربها؟ قال: ولما رحلت جليلاً قالت أخت كليب: رحلة المعتدي وفراق الشامت، ويل غدأ لآل مرة، من الكرة بعد الكرة! فبلغ قولها جليلاً، فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها! أسعد الله جد أختي، أفلا قالت: نفرة الحياء، وخوف الاعتداء!

[رثاء جليلة لكليب]

ثم أنشأت تقول¹ :

[من الرمل]

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا
 فإذا أنت تبيّنت الذي
 إن تكن أخت امرئ ليمت على
 جلّ عندي فعل جَسَّاسٍ فيا
 فعل جَسَّاسٍ على وجدي به
 لو بعينٍ فقيئت عيني سوى
 تحمّل العين قذى العين كما
 يا قتيلاً قوَّض الدهرُ به
 هدم البيت الذي استحدثته
 ورماني قتله من كذب
 يا نسائي دونكنّ اليوم قد
 حصّني قتل كليب بلظي
 ليس من يكي ليومين كمن
 يشتفي المدرك بالثأر وفي
 ليته كان دمي فاحتلبوا
 إنني قاتلة مقتولة

تَعَجَّلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
 يُوجِبُ اللَّوْمُ فُلُومِي وَاعْذُلِي
 شَفَقٍ مِنْهَا عَلَيْهِ فافْعَلِي
 حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلَتْ أَوْ تَنْجَلِي
 قَاطِعُ ظَهْرِي وَبُذْنُ أَجَلِي
 أُخْتِهَا فَاَنْفَقَاتْ لَمْ أُخْفِلِ
 تَحْمِلُ الْأُمُّ أَذَى مَا تَفْتَلِي
 سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلٍّ
 وَانْتَنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
 رَمِيَّةَ الْمُصْمِي بِهِ الْمُسْتَأْصِلِ
 خَصَّنِي الدَّهْرُ بَرُزُهُ مُعْضِلِ
 مِنْ وَرَائِي وَلَظَى مُسْتَقْبَلِي
 إِنَّمَا يَكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
 دَرَكِي ثَأْرِي تُكَلُّ الْمُثْكَلِ
 بَدَلًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي²
 وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَحَ لِي

1 ذكر المرزباني في أشعار النساء عن الحرمي بن أبي العلاء نسبة هذه الأبيات عن محمد بن خلف المرزبان إلى فاطمة أخت كليب ومهلل ترثي بها أخاها . على أن في الأبيات ما لا يتفق منطقياً مع هذه النسبة .

2 بدلاً في ل : درراً .

[64] - ذكر الهذلي وأخباره

[نسب الهذلي وصناعته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : الهذليان أخوان يُقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود ؛ فالأكبر منهما يُقال له سعيد ، ويكنى أبا مسعود ، وأمه امرأة يُقال لها أم فَيْعَل ، وكان كثيراً ما يُنسب إليها ، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيْس ، وكان فتیان من قريش يروحون إليه كلَّ عشية فيأتون بطحاء يُقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها ، ويأتيهم فيُعْني لهم ويكون معهم . وقد قيل : إن الأكبر هو عبد آل ، والأصغر سعيد .

[يعني وهو يزاول نقش الحجارة]

قال هارون وحدثني الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي : أن الهذلي كان نقاشاً يعمل الرُّبْم من حجارة الجبل ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان إذا أمسى¹ راح فأشرف على المسجد ثم غنى ، فلا يلبث أن يرى الجبل كقُفْرَص الخبيص صُفْرَةً وحُمْرة من أُرْدِيَةِ قريش ؛ فيقولون : يا أبا عبد الرحمن ، أعد ؛ فيقول : أمّا والله وها هنا حجر أحتاج إليه لم يَرِد الأبطح فلا ؛ فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويحذروها إلى الأبطح ، وينزل معهم حتى يجلس على أعظمها حجراً ويعني لهم .

قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جناح قال أخبرني أبو لطيف وعُمارة قالا : تغنى الهذلي الأكبر ، وكان من أنفسهم ، وكان فتیان قريش يروحون كلَّ عشية حتى يأتوا بطحاء يُقال لها بطحاء قريش قريباً من داره ، فيجلسون عليها ويأتيهم فيُعْنيهم .

[أجازته الحارث بن خالد لما سمع غناءه]

قال : وأخبرني ابن أبي طرفة عن الحسن بن عبّاد الكاتب مولى آل الزبير قال : هجم الحارث بن خالد ، وهو يومئذ أمير مَكَّة ، على الهذلي وهو مع فتیان قريش بالمفجر² يعنيهم وعليه جُبَّة صوف ، فطرح عليه مُقْطَعَاتِ خَزّ ، فكانت هذه أوّل ما تحرّك لها .

[تزوج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها]

قال هارون : وحدثني حماد عن أبيه قال : ذكر ابن جامع عن ابن عبّاد أن ابن سريج لما

1 ل : مشى .

2 المفجر : موضع بمكة . وفي ل : المفخر .

حضرتة الوفاة نظر إلى ابنته فبكى ، فقالت له : ما يُكيك ؟ قال : أخشى عليك الضيعة بعدي ؛ فقالت له : لا تخف فما من غنائك شيء إلا وقد أخذته ؛ قال : فغنيني فغنته ، فقال : قد طابت نفسي ، ثم دعا بهذلي فزوجها منه ؛ فأخذ الهذلي غناء أبيها كله عنها فانتحل أكثره ؛ فعامة غناء الهذلي لابن سريج مما أخذه عن ابنته وهي زوجته .

[حدره الحارث بن خالد من منى]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان قال : كان الهذلي منزله بمنى ، وكان فتیان قريش يأتونه فيغنيهم هناك ، ثم أقبل مرة حتى جلس على جمرة العقبة فغنى هناك ، فحدره الحارث من منى ، وكان عاملاً على مكة ، ثم أذن له فرجع إلى منى¹ .

[غنى لفتية من قريش]

قال هارون : وحدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال : كان الهذلي النقاش يغدو إليه فتیان قريش وقد عمل عمله بالليل ، ومعهم الطعام والشراب والدرهم . فيقولون له : غننا ؛ فيقول لهم : الوظيفة ، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفة الأخرى ، أنزلوا أحجاري ، فيلقون ثيابهم ويأترون بأزهرهم وينقلون الحجارة وينزلونها ، ثم يجلس² على شخوب³ من شناخيب الجبل فيجلسون تحته في السهل فيشربون وهو يغنيهم حتى المساء ، وكانوا كذلك مدة ؛ فقال له يوماً ثلاثة فتية من قريش : قد جاءك كل واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تنقص وظيفتك عليهم ، وقد اختار كل واحد منا صوتاً من غنائك ليجعله حظّه اليوم ، فإن وافقت الجماعة هواناً كان ذلك مشتركاً بيننا ، وإن أبوا غنيت لهم ما أرادوا وجعلت هذه الثلاثة الأصوات لنا بقية يومنا ؛ قال : هاتوا فاختر أحدهم :

عَفَتْ عَرَفَاتٌ فَاَلْمَصَايِفُ مِنْ هِنْدٍ

وَاخْتَارَ الْآخَرُ :

[من الطويل]

أَلَمْ بَنَّا طَيْفُ الْخِيَالِ الْمَهْجَدُ⁴

وَاخْتَارَ الْآخَر :

[من المنسرح]

هَجَرْتُ سَعْدَى فَزَادَنِي كَلْفَا

1 ل : مكة .

2 ل : ينزلون .

3 الشخوب : رأس الجبل .

4 المهجد : الموقظ .

فغَنّاهم إِيَّاهَا ، فما سَمِعَ السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك ؛ فلمّا أرادوا الانصراف قال لهم : إني قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أحد ، فهل لكم فيه ؟ قالوا : هاتِهْ مُنْعِماً بذلك ؛ فاندفع فغَنّاهم :

إِنَّ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ ظَلَّتْ سَفَاهَةً تُبْكِي عَلَى جُمْلٍ لِيُورَقَاءَ تَهْتَفُ
فَقَالُوا : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ، لَا جَرَمَ لَا يَكُونُ صُبُوحُنَا فِي غَدٍ إِلَّا عَلَيْهِ ، فَعَادُوا وَغَنّاهم إِيَّاهُ
وَأَعْطَوْهُ وَظَلَفَتْهُ ؛ وَلَمْ يَزَالُوا يَسْتَعِيدُونَهُ إِيَّاهُ بَاقِي يَوْمِهِمْ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

من ذلك¹ :

صوت

عَفَتْ عَرَفَاتُ فَالْمَصَافِ مِنْ هِنْدٍ فَأَوْحَشَ مَا بَيْنَ الْجَرِيِّينَ فَالْنَهْدُ²
وغيرها طولُ التقادُمِ والبلى فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ
الشعر للأخوص ، وقيل : إنه لعمر . والغناء للهذلي ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقل
الأول بالخنصر في مجرى البنصر .
ومنها :

صوت

من المائة المختارة

أَلَمْ بِنَا طَيْفُ الْخِيَالِ الْمَهْجِدُ وَقَدْ كَادَتْ الْجِوَاءُ فِي الْجَوْ تَصْعَدُ
أَلَمْ يُحْيِينَا وَمِنْ دُونِ أَهْلِهَا فَيَافٍ تَغُورُ الرِّيحُ فِيهَا وَتُنْجِدُ
عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهذلي ثقل أول بإطلاق
الوتر في مجرى البنصر ، وهو اللحن المختار ، وفيه ليحيى المكي هَزَجٌ . ولحنُ الهذلي هذا مما
اختير للرشيد والواثق بعده من المائة الصوت المذكورة .
ومنها :

[من المنسرح]

1 البيتان في ديوان الأخوص : 75 وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 116 .

2 الجريان والنهد : أسماء مواضع .

صوت

هَجَرْتُ سَعْدَى فزادني كَلَفًا هِجْرَانُ سَعْدَى وَأَزْمَعْتُ خُلَفًا
وَقَدْ عَلَي حُبُّهَا حَلَفْتُ لَهَا لَوْ أَنَّ سَعْدَى تُصَدِّقُ الحِلَفَا
مَا عَلِقَ القلبُ غَيْرَهَا بَشَرًا وَلَا سِوَاهَا مِنْ مَعْلَقِي عَرَفَا
فَلَمْ تُجِبْنِي وَأَعْرَضْتُ صَلَفًا وَغَادَرْتَنِي بِحُبِّهَا كَلَفَا

الغناء للهذليّ ثانيّ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[ابن مزامير داود]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيْعِيّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق قال : زَوْج ابْنِ سُرَيْج لما حضرته الوفاة الهذليّ الأكبر بابتته ، فأخذ عنها أَكْثَرَ غناء أبيها ، وادَّعاه فَعَلَبَ عليه . قال : وولدت منه ابناً ؛ فلَمَّا أُفِيعَ جاز يوماً بِأَشْعَبَ وهو جالس في فِتيّة من قریش ، فوثب فحمله على كتفه وجعل يرقصه ويقول : هذا ابن دَفْتِي المصحف وهذا ابنُ مزامير داود ؛ فقيل له : ويلك ؛ ما تقول ومن هذا الصبي ؟ فقال : أُو ما تعرفونه ! هذا ابن الهذليّ من ابنة ابن سُرَيْج ، وُلِدَ على عُود ، واستهلَّ¹ بغناء ، وحَنَك بملوي² ، وقُطعت سرّته بوتر ، وخُتِنَ بِمِضْرَاب .

[إسحاق الموصلي يأخذ بغنائه مطرفاً من إبراهيم بن المهدي]

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال : دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة ، فرأيت عليه مُطَرَفَ خَزَّ أَسود ما رأيت قطّ أحسن منه ؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف ، فقال : لقد كان لكم أَيَّامٌ حسنة ودولة عجيبة ؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثله ؛ فقال : إنّ قيمته مائة ألف درهم ، وله حديث عجيب ؛ فقلت : ما أقومّه إلّا بنحو مائة دينار ؛ فقال إسحاق : شربنا يوماً من الأَيَّامِ فَبِتْ وَأَنَا مُثَخَّن³ ، فانتبّهت لرسول محمد الأمين ، فدخل عليّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : عَجَلْ ؛ وكان بخيلاً على الطعام ، فكنْتُ آكل قبل أن أذهب إليه ؛ فقمت فتسوكت وأصلحت شأني ، وأعجلني الرسولُ عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه ، وإبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبّة خَزَّ دَكْناء ؛ فقال لي محمد :

1 استهلّ : رفع صوته بالكاء عند الولادة .

2 حَنَك : ذلك حنكاه . والملوي : من أجزاء العود .

3 مثخن : أوهنه السكر ، كما تقول أثنخته الجراح .

يا إسحاق ، أَتَغَدَّيتْ ؟ قلت : نعم يا سيدي ؛ قال : إِنَّكَ لَنَهَمَ ، أَهَذَا وَقْتُ غَدَاءٍ !
 فقلت : أَصَبَحْتُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وبِي خُمَارُ فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا حَدَّثَانِي عَلَى الْأَكْلِ ؛ فَقَالَ لَهُ :
 كَمْ شَرَبْنَا ؟ فَقَالُوا : ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ ، فَقَالَ : اسْقُوهُ إِيَّاهَا ؛ فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَفَرَّقَ عَلَيَّ !
 فَقَالَ : يُسْقَى رِطْلَيْنِ وَرِطْلًا ؛ فَدَفَعَ إِلَيَّ رِطْلَانِ فَجَعَلْتُ أَشْرِبُهُمَا وَأَنَا أَتَوَهُمُ أَنَّ
 نَفْسِي تَسِيلُ مَعَهُمَا ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيَّ رِطْلَ آخَرَ فَشَرِبْتَهُ ، فَكَأَنَّ شَيْئًا انْجَلَى عَنِّي ؛ فَقَالَ
 غَنِّي : [من الطويل]

كُليبٌ لعُمري كان أكثرَ ناصراً

فغَنَّيْتَهُ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَطَرِبَ ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَدْخُلُ إِلَى النِّسَاءِ
 وَيَدْعُنَا ، فَقَمْتُ فِي إِثْرِ قِيَامِهِ ، فَدَعَوْتُ غَلَامًا لِي ، فَقُلْتُ : اذْهَبْ إِلَى بَيْتِي وَجِئْنِي
 بِيَزْمَاوَرْدَتَيْنِ¹ وَلَقُفْهُمَا فِي مَنَدِيلٍ وَادْهَبْ رَكْضًا وَعَجَلٌ ، فَمَضَى الْغَلَامُ وَجَاءَنِي بِهِمَا ، فَلَمَّا
 وَافَى الْبَابَ وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ انْقَطَعَ فَنَفَقُ² مِنْ شِدَّةِ مَا رَكَضَ عَلَيْهِ ، وَأَدْخَلَ إِلَيَّ
 الْبِزْمَاوَرْدَتَيْنِ ، فَأَكَلْتُهُمَا وَرَجَعْتُ نَفْسِي إِلَيَّ وَعَدْتُ إِلَى مَجْلِسِي ؛ فَقَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ : لِي
 إِلَيْكَ حَاجَةٌ أُحِبُّ أَنْ تَقْضِيَهَا لِي ؛ فَقُلْتُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ³ ، فَقُلْ مَا شِئْتَ ؛
 قَالَ : تُرَدِّدْ عَلَيَّ : «كَلِيبُ لَعُمري» وَهَذَا الْمِطْرَفُ لَكَ ؛ فَقُلْتُ : أَنَا لَا أَخْذُ مِنْكَ مِطْرَفًا
 عَلَى هَذَا ، وَلَكِنِّي أَصِيرُ إِلَى مَنْزِلِكَ فَأُلْقِيهِ عَلَى الْجَوَارِي وَأُرَدِّدُهُ عَلَيْكَ مِرَارًا ؛ فَقَالَ :
 أُحِبُّ أَنْ تُرَدِّدَهُ عَلَيَّ السَّاعَةَ وَأَنْ تَأْخُذَ هَذَا فَإِنَّهُ مِنْ لُبْسِكَ وَهُوَ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ؛
 فَرَدَّدْتُ عَلَيْهِ الصَّوْتِ مِرَارًا حَتَّى أَخْذَهُ ، ثُمَّ سَمِعْنَا حَرَكَةَ مُحَمَّدٍ فَقَمْنَا حَتَّى جَاءَ وَجَلَسَ ،
 ثُمَّ قَعَدْنَا فَشَرَبَ وَتَحَدَّثْنَا ؛ فَغَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ : «كَلِيبُ لَعُمري» ، فَكَأَنِّي وَاللَّهِ لَمْ أَسْمَعْهُ قَبْلَ
 ذَلِكَ حُسْنًا ؛ وَطَرِبَ مُحَمَّدٌ طَرِبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا غَلَامُ ، عَشْرُ يَدَرٍ لَعُمِّي
 السَّاعَةَ ! فَجَاوُوا بِهَا ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ لِي فِيهَا شَرِيكًا ؛ قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
 إِسْحَاقُ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا أَخَذْتُهُ مِنْهُ لَمَّا قَمْتُ ؛ فَقُلْتُ أَنَا : وَلِمَ أَضَاقَتْ
 الْأُمُورُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى تُرِيدَ أَنْ تُشْرِكَ فِيهَا يُعْطِي ؛ قَالَ : أَمَّا أَنَا فَأُشْرِكُكَ وَأَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ ؛ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْمَجْلِسِ أَعْطَانِي ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَأَعْطَانِي هَذَا الْمِطْرَفَ ، فَهَذَا
 أَخِذْ بِهِ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهِيَ قِيمَتُهُ .

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلّي بالزبد والبيض .

2 نفق : مات والضمير يعود إلى الدابة .

3 ل : عبد من عبيدك .

صوت
من المائة المختارة

من رواية جَحْظَةَ عن أصحابه¹ :

[من مجزوء الخفيف]

عَلَّلِ الْقَوْمَ يَشْرَبُوا	كِي يَلْدُوا وَيَطْرَبُوا
إِنَّمَا ضَلَّ الْفَوَّ	دَ غَزَالٌ مُرَبَّبٌ ²
فَرَشْتُهُ عَلَى النَّمَاءِ	رِقِ سَعْدَى وَزِينُ
حَالَ دُونَ الْهَوَى وَدَو	نَ سُرَى اللَّيْلِ مُصْعَبٌ ³
وَسَيَّاطٌ عَلَى أَكْفٍ	رَجَالٍ تَقَلَّبُ

الشَّعْرُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ . والغناء في اللحن المختار للملك بن أبي السَّمْح ، ولحنه من الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وفيه لِإِسْحَاقَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ . ولابن سُرَيْجٍ فِي الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالْأَوَّلِ ثَانِي ثَقِيلٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . ولمعبد فِي الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 177 .

2 مرَبَّبٌ فِي الدِّيَّانِ : مَرَبَرَبٌ .

3 هُوَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَمَا سَيَأْتِي فِي التَّرْجُمَةِ وَيُرْوَى : «مَنْعَ الْهُوَى وَالْهُوَى وَسَرَى اللَّيْلِ مُصْعَبٌ» .

[65] - ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات

ونسبه وأخباره¹

[نسب عبيد الله بن قيس الرقيات]

هو عُبَيْدُ اللَّهِ بن قَيْسِ بن شَرِيحَ بن مَالِكِ بن رَبِيعَةَ بن أَهْيَبَ بن ضِيَابَ بن حُجَيْرِ بن عَبْدِ بن مَعِيصِ بن عامر بن لُؤَيٍّ بن غالب . وأُمُّهُ قَتِيلَةُ بنت وَهَبِ بن عَبْدِ اللَّهِ بن رَبِيعَةَ بن طَرِيفِ بن عَدِيٍّ بن سَعْدِ بن لَيْثِ بن بَكْرٍ بن عَبْدِ مَنَاءَ بن كِنَانَةَ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بن أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن مُحَمَّدٍ بن أَبِي قُلَامَةَ² الْعُمَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن طَلْحَةَ ، قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِيهِ أَيْضاً مُحَمَّدُ بن الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ ، قَالَ جَمِيعاً : كَانَ يُقَالُ لِبَنِي مَعِيصِ بن عامر بن لُؤَيٍّ وَبَنِي مُحَارِبِ بن فِهْرٍ : الْأَجْرَبَانِ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ ، وَكَانَا مُتَحَالِفِينَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لهُمَا الْأَجْرَبَانِ مِنْ شِدَّةِ بَأْسِهِمَا وَعَرَّهُمَا³ مَنْ نَاوَاهُمَا كَمَا يُعَرَّ الْجَرْبُ .

[سب لقيه بالرقيات]

وَإِنَّمَا لُقِبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بن قَيْسٍ الرُّقِيَّاتِ لِأَنَّهُ شَبَّ بِثَلَاثِ نِسْوَةٍ سُمِّيْنَ جَمِيعاً رُقِيَّةً ، مِنْهُنَّ رُقِيَّةُ بنت عَبْدِ الْوَاحِدِ بن أَبِي سَعْدِ بن قَيْسِ بن وَهَبِ بن أَهْبَانَ بن ضِيَابَ بن حُجَيْرِ بن عَبْدِ بن مَعِيصِ بن عامر بن لُؤَيٍّ ، وَابْنَةُ عَمِّهَا يُقَالُ لَهَا رُقِيَّةُ ، وَامْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهَا رُقِيَّةُ . وَكَانَ هَوَاهُ فِي رُقِيَّةَ بنت عَبْدِ الْوَاحِدِ ؛ وَكَانَ عَبْدُ الْوَاحِدِ ، فِيمَا أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بن أَبِي الْعَلَاءِ عَنْ الزُّبَيْرِ ، يَنْزِلُ الرُّقَّةَ . وَإِيَّاهُ عَنَى ابْنُ قَيْسٍ بِقَوْلِهِ :

ما خَيْرُ عَيْشٍ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَ مَا عَثَرَ الزَّمَانُ وَمَاتَ عَبْدُ الْوَاحِدِ

وله في الرقيات عدة أشعار يُغْنَى فيها تَذَكُّرُ بَعْقَبِ هَذَا الْخَيْرِ . وَالْأَبْيَاتُ الثَّانِيَةُ الَّتِي فِيهَا اللَّحْنُ الْمُخْتَارُ يَقُولُهَا فِي مُضْعَبِ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عَوْفِ الزُّهْرِيِّ ، وَكَانَ صَاحِبَ شَرْطَةِ مَرْوَانَ بنِ الْحَكَمِ بِالْمَدِينَةِ .

1 ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 450-452 وشرح شواهد المغني : 47 والموشح : 187 والخزانة : 7 : 281-289 وطبقات ابن سلام : 648-655 والسمط : 294 وحقق دهبوانه الدكتور محمد يوسف نجم (بيروت) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ل : قُدَامَةُ .

3 عَرَّهَ بِمَكْرُوهِهِ : أَصَابَهُ بِهِ .

[مصعب بن عبد الرحمن على شرطة المدينة]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي قال¹ : لما ولي مروان بن الحكم المدينة ولى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شرطته ؛ فقال : إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة ، فأبغني رجالاً من غيرها ، فأعانه² بمائتي رجل من أهل أيلة³ ، فضبطها ضبطاً شديداً . فدخل المسور بن مخرمة على مروان فقال : أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب ! فقال :

ليس بهذا من سياق عتبُ يمشي القطوف وينام الركب⁴

وقال غير مصعب في هذا الخبر وليس من رواية الحرّميّ : إنه بقي إلى أن ولي عمرو بن سعيد المدينة وخرج الحسين رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير ؛ فقال له عمرو : اهدم دور بني هاشم وآل الزبير ؛ فقال : لا أفعل ؛ فقال : انتفخ سحر⁵ك يا ابن أم حريث ! ألق سيفنا ! فألقاه ولحق بابن الزبير . وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزبير ، ففعل وبلغ منهم كلّ مبلغ ، وهدم دار ابن مطيع التي يقال لها العنقاء ، وضرب محمد بن المنذر بن الزبير مائة سوط ؛ ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه ؛ فقال له محمد : أتضرب عروة ؟ فقال : نعم يا سبلان إلا أن تحتمل ذلك عنه ؛ فقال : أنا أحتمله ، فضربه مائة سوط أخرى ، ولحق عروة بأخيه . وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المسور بن مخرمة أحد من هرب منه ؛ ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه وضربه بالسوط⁶ ضرباً مبرحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين ، وقال للناس ، فيما ذكر عنه ، إن عمراً مات مرتداً عن الإسلام .

[شاعر قريش]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزبير قال : سألت عمّي مصعباً ومحمد بن الضحّاك ومحمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام ، فكلّهم قالوا : ابن قيس الرقيّات ؛ وحكي ذلك عن عديّ وعن الضحّاك بن عثمان ؛ وحكاها محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي . قال

1 ديوان ابن قيس الرقيّات : 79 .

2 ل : فدعا له .

3 أيلة : هي اليوم مدينة العقبة .

4 السياق : السوق . القطوف من الدواب : البطيء .

5 انتفخ سحره : تجاوز قدره . والسحر : الرئة .

6 ل : مائة سوط .

الزبير : وحَدَّثني بمثله عَمَامَةُ بن عمرو السَّهْمِيّ عن مِسْوَ بن عبد الملك اليربوعي .
[ثناء طلحة الزهري على شعره]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحريّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حَدَّثنا الزبير بن بكار قال حَدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ عن عمّه محمد بن عبد العزيز : أن ابن قيس الرقيات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له : يا عمّي ، إني قد قلتُ شعراً فاسمعه فإنك ناصحٌ لقومك ، فإن كان جيداً قلتُ ، وإن كان رديئاً كففتُ ؛ فقال له : أنشد ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَنعَ اللهوَ والهوى وسُرَى الليلِ مُصْغَبُ
وسياطٌ على أك ف رجاءٍ تَقْلُبُ

فقال : قل يا ابن أخي فإنك شاعر .

[خرج مع مصعب على عبد الملك ثم شفع له ابن جعفر]

وكان عبيد الله بن قيس الرقيات زبيرياً الهوى ، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك ؛ فلما قُتِل مصعب وقُتِل عبدُ الله هَرَبَ فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه .

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحريّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حَدَّثنا الزبير بن بكار قال حَدَّثني عبد الله بن البصير البربري² مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال عبيد الله بن قيس الرقيات : خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخوصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلما نزل مصعب بن الزبير بمسكن³ ، ورأى معالم الغدر من معه ، دعاني ودعا بمالٍ ومناطق ، فملاً المناطق من ذلك المال والبسني منها ، وقال لي : انطلق حيثُ شئتُ فإني مقتول ؛ فقلت له : لا والله لا أرى حتى أرى سييلك ؛ فأقمتُ معه حتى قُتِل ؛ ثم مضيتُ إلى الكوفة ، فأولُ بيتٍ صِرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتانِ كأنهما ظبيتانِ ، فرقيتُ في درجةٍ لها إلى مشربةٍ فقعدتُ فيها ، فأمرتُ لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حول ، تقيم لي ما يُصلحني وتغدو عليّ في كلِّ صباح فتسألني بالصباح والحاجة⁴ ، ولا تسألني من أنا ولا أسألها من هي ، وأنا في

1 ل : فكلم .

2 ل : النضر اليزيدي .

3 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير .

4 أي كيف أصبحت وما حاجتك ؟

ذلك أَسْمَعَ الصَّبَاحَ فِيّ والجُعَلَ ؛ فلَمَّا طالَ بي المَقَامُ وفقدتُ الصَّبَاحَ فِيّ وَغَرِضْتُ¹ بِمَكَانِي غَدْتُ عَلَيَّ تَسْأَلُنِي بِالصَّبَاحِ والحَاجَةِ ، فَعَرَفْتَهَا أَنِّي قَدْ غَرِضْتُ وَأَحْبَبْتُ الشُّخُوصَ إِلَى أَهْلِي ؛ فقالت لي : نَاتِيكَ بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ فَلَمَّا أَمْسَيْتُ وَضَرَبَ اللَّيْلُ بِأَرْوَاقِهِ رَقِيتُ إِلَيَّ وَقَالَتْ : إِذَا شِئْتَ ! فَتَزَلْتُ وَقَدْ أَعَدَّتْ رَاحِلَتَيْنِ عَلَيْهِمَا مَا أُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَعَهُمَا عَبْدٌ ، وَأَعْطَيْتِ الْعَبْدَ نَفَقَةَ الطَّرِيقِ ، وَقَالَتْ : الْعَبْدُ وَالرَّاحِلَتَانِ لَكَ ؛ فَرَكِبْتُ وَرَكِبَ الْعَبْدُ مَعِي حَتَّى طَرَقَتْ أَهْلَ مَكَّةَ ، فَدَقَقْتُ مَنْزِلِي ؛ فَقَالُوا لِي : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ ؛ فَوَلُّوْهُمَا وَبَكُّوْهُ ، وَقَالُوا : مَا فَارَقْنَا طَبْلُكَ إِلَّا فِي هَذَا الْوَقْتِ ؛ فَأَقَمْتُ عَنْدهُمْ حَتَّى أُسْحَرْتُ ، ثُمَّ نَهَضْتُ وَمَعِيَ الْعَبْدُ حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، فَجِئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمَسَاءِ وَهُوَ يُعِشِّي أَصْحَابَهُ ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ وَجَعَلْتُ أُتَعَاْجِمُ وَأَقُولُ : يَارَ² يَارَ ابْنَ طَيَّارٍ ؛ فَلَمَّا خَرَجَ أَصْحَابُهُ كَشَفْتُ لَهُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ : ابْنُ قَيْسٍ ؟ فَقُلْتُ : ابْنُ قَيْسٍ ، جِئْتُكَ عَائِذًا بِكَ ؛ قَالَ : وَيَحْكُ ؛ مَا أَجَدَّهُمْ فِي طَبْلِكَ وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى الظَّفَرِ بِكَ ! وَلَكِنِّي سَأَكْتُبُ إِلَى أُمِّ الْبَنِينَ بِنْتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَهِيَ زَوْجَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ أَرْقُ شَيْءٍ عَلَيْهَا . فَكُتِبَ إِلَيْهَا يَسْأَلُهَا أَنْ تَشْفَعَ لَهُ إِلَى عَمِّهَا ، وَكُتِبَ إِلَى أَبِيهَا يَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهَا كِتَابًا يَسْأَلُهَا الشَّفَاعَةَ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ وَسَأَلَهَا : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ لِي حَاجَةٌ ؛ فَقَالَ : قَدْ قَضَيْتُ كُلَّ حَاجَةٍ لَكَ إِلَّا ابْنَ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ ؛ فَقَالَتْ : لَا تَسْتَشِرْ عَلَيَّ شَيْئًا ! فَفَنَحَّ بِيدِهِ فَأَصَابَ خَدَّهَا³ ، فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى خَدِّهَا ؛ فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتِي ارْفَعِي يَدَكَ ، فَقَدْ قَضَيْتُ كُلَّ حَاجَةٍ لَكَ وَإِنْ كَانَتْ ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ ؛ فَقَالَتْ : إِنْ حَاجَتِي ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ تُؤَمِّنُهُ ، فَقَدْ كُتِبَ إِلَيَّ أَبِي يَسْأَلُنِي أَنْ أَسْأَلَكَ ذَلِكَ ؛ قَالَ : فَهُوَ آمِنٌ ، فَمُرِّيهِ يُحْضِرُ مَجْلِسِي الْعَشِيِّ ؛ فَحَضَرَ ابْنُ قَيْسٍ وَحَضَرَ النَّاسُ حِينَ بَلَغَهُمْ مَجْلِسُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَخَّرَ الْإِذْنَ ، ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، وَأَخَّرَ إِذْنَ ابْنِ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ حَتَّى أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، أَتَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالُوا : لَا ؛ فَقَالَ : هَذَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ الَّذِي يَقُولُ⁴ :

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلُ الشَّامُ غَارَةً شَعْوَاءَ

1 غرض : ضجر .

2 يار : كلمة فارسية معناها الصاحب والمعين .

3 ل : وجهها .

4 ديوان ابن قيس الرقيات : 95 - 96 .

تُذهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ الْعُقَيْلَةِ الْعِذْرَاءَ¹

[مدح عبد الملك فلم يرض مدحه]

فقالوا : يا أمير المؤمنين اسقنا دَمَ هذا المنافق ؛ قال : الآن وقد أمتته وصار في منزلي وعلى بساطي ! قد أحرّت الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابنُ قيس الرقيات أن يُشده مديحه فأذن له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها² :

[من المنسرح]

عاد له من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلتها لا أمم دارها ولا صقب
والله ما إن صبت إلي ولا إن كان بيني وبينها سب³
إلا الذي أورثت كثيرة في الد قلب وللحب سورة عجب

حتى قال فيها :

إن الأغر الذي أبوه أبو ال عاصي عليه الوقار والحجب⁴
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنني من العجم وتقول في مُصَعَب :

[من الخفيف]

إنما مُصَعَبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً ! .

قال : وقال ابن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر : ما نفعني أُماني ، تركت حياً كميّة لا آخذ مع الناس عطاء أبداً ؛ فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السن ؟ قال : ستين سنة ؛ قال : فعمر نفسك ؛ قال : عشرين سنة من ذي قبل⁵ ؛ فذلك ثمانون سنة ؛ قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفا درهم ؛ فأمر له بأربعين ألف درهم ، وقال : ذلك لك عليّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك ؛ فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر⁶ :

[من الطويل]

1 العذراء في ل : الحساء ؛ الخدام : الخلخال . وفي الديوان : براها وهي أيضاً الخلاخيل واحدها برة .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 1-6 .

3 الديوان : « يعلم بيني وبينها سبب » .

4 الديوان : « إن الفتيق الذي . . . » .

5 يقال أفعّل ذلك من ذي قبل أي في المستقبل .

6 ديوان ابن قيس الرقيات : 82-83 مع بعض اختلاف في الترتيب .

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
تَزُورُ امْرَأً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غِرَارُهَا
أَتَيْنَاكَ نُنْثِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا يُثْنِي عَلَى الرُّوضِ جَارُهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا
إِذَا مِتَّ لَمْ يُوصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تُقَمِّ طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا
ذَكَرْتُكَ أَنْ فَاضَ الْفَرَاتُ بِأَرْضِنَا وَفَاضَ بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ بِحَارُهَا
وَعِنْدِي مِمَّا حَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَةً عَطَاوُكَ مِنْهَا شَوْلُهَا وَعِشَارُهَا
مُبَارَكَةٌ كَانَتْ عَطَاءً مُبَارِكٍ تُمَانِجُ كُبْرَاهَا وَتَنْمِي صِغَارُهَا

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ قَالَ حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ : وَيَحْكُ يَا ابْنَ قَيْسٍ : أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ حِينَ
تَقُولُ لِابْنِ جَعْفَرٍ :

تَزُورُ امْرَأً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غِرَارُهَا

أَلَا قُلْتَ : قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ وَلَمْ تَقُلْ : قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ ؛ فَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ : قَدْ وَاللَّهِ عِلْمَهُ اللَّهُ
وَعِلْمَتُهُ أَنْتَ وَعِلْمَتُهُ أَنَا وَعِلْمُهُ النَّاسُ .

[رواية أخرى في شفاعة ابن جعفر له]

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ
الرِّقَايَاتِ مَنَعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَطَاءَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ ، فَاسْتَجَارَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
جَعْفَرٍ ، وَقَصَدَهُ فَأَلْفَاهُ نَائِمًا ، وَكَانَ صَدِيقًا لِسَائِبِ خَثَرٍ ، فَطَلَبَ الْإِذْنَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ
فَتَعَذَّرَ ، فَجَاءَ سَائِبُ خَثَرٍ لِيَسْتَأْذِنَ لَهُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ سَائِبٌ : فَجِئْتُ مِنْ قِبَلِ رَجُلٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
جَعْفَرٍ فَنَبَحْتُ نُبَاحَ الْجُرُودِ الصَّغِيرِ ، فَانْتَبَهَ وَلَمْ يَفْتَحْ عَيْنَيْهِ ، وَرَكَعَنِي بِرِجْلِهِ ، فَدُرْتُ إِلَى عِنْدِ
رَأْسِهِ ، فَنَبَحْتُ نُبَاحَ الْكَلْبِ الْهَرَمِ ، فَانْتَبَهَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَرَأَنِي ؛ فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ وَيَحْكُ !
فَقُلْتُ : ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ بِالْبَابِ ؛ قَالَ : آئِذْنُ لَهُ ، فَأَذْنْتُ لَهُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ فَحَرَّبَ ابْنُ
جَعْفَرٍ بِهِ وَقَرَّبَهُ ؛ فَعَرَفَهُ ابْنُ قَيْسٍ خَبْرَهُ ، فَدَعَا بِطَبِيبَةٍ¹ فِيهَا دَنَانِيرُ ، وَقَالَ : عُدُّ لَهُ مِنْهَا ؛
فَجَعَلْتُ أَعُدُّ وَأَتَرَنُ² وَأُحَسِّنُ صَوْتِي بِجُهِدِي حَتَّى عَدَدْتُ ثَلَاثَمِائَةَ دِينَارٍ ، فَسَكَتُ ؛ فَقَالَ لِي
عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَكَ وَيْلَكَ سَكَتَ ! مَا هَذَا وَقْتُ قَطْعِ الصَّوْتِ الْحَسَنِ ، فَجَعَلْتُ أَعُدُّ حَتَّى نَفَدَ مَا

1 ظبية : جراب .

2 ل : وأطرب .

كان في الظبية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتهإ إليه ؛ فلما قبضها قال لابن جعفر : أسأل أمير المؤمنين في أمري ؛ قال : نعم ، فإذا دخلت إليه معي ودعا بالطعام ، فكل أكلاً فاحشاً . فركب ابن جعفر ، فدخل معه إلى عبد الملك ؛ فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل ؛ فقال عبد الملك لابن جعفر : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن استبقي ، وإن قُتل كان أكذب الناس ؛ قال : وكيف ذلك ! قال : لأنه يقول : [من المنسرح]

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

فإن قتلته لغضبك عليه أكذبتة فيما مدحك به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال ؛ قال : ولم وقد وهبته لي ؟ فأجِبْ أن تهَب لي عطاءه أيضاً كما وهبت لي دمه وعفوت لي عن ذنبه ؛ قال : قد فعلتُ ، قال : وتُعطيهِ ما فاتته من العطاء ؛ قال : قد فعلتُ ، وأمرتُ له بذلك .

[عطاء عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال : كان ابن قيس الرقيات منقطعاً إلى ابن جعفر ، وكان يصله ويقضي عنه دينه ، ثم استأمن له عبد الملك فأمنه ، وحرّمه عطاءه ؛ فأمره عبد الله أن يُقدّر لنفسه ما يكفيه أيام حياته ففعل ذلك ، فأعطاه عبد الله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثر منه ؛ ثم جاءت عبد الله صيلة من عبد الملك وابن قيس غائب ، فأمر عبد الله خازنه فخبأ له صيلته ، فلما قدم دفعها إليه ؛ وأعطاه جارية حسناء ؛ فقال ابن قيس¹ :

إذا زرتُ عبدَ الله نفسي فداؤه	رجعتُ بفضلٍ من نَداهُ ونائل
وإن غِبتُ عنه كان للودِّ حافظاً	ولم يكُ عني في المغيبِ بغافل
تداركني عبدُ الإله وقد بدتُ	لذي الحقدِ والشَّانِ مني مقاتلي
فأنقذني من غمرة الموت بعد ما	رأيتُ حياضَ الموتِ جَمَّ المناهل
حباني لما جئتُه بعطيّة	وجارية حسناء ذاتِ خلاخل

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها :

[من المنسرح]

صوت

عادَ له من كثيرة الطربُ فعينه بالدموع تنسكبُ

كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتْهَا لَا أُمَّمَ دَارُهَا وَلَا صَقَبُ
وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَّتْ إِلَيَّ وَلَا يُعْرِفُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ¹
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثَتْ كَثِيرَةً فِي الدَّ قَلْبَ وَلِلْحَبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح ، غنّاه معبداً ثقيلاً أولَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . قوله : « لا أُمَّمَ دَارُهَا » يعني أنها ليست بقريبة . ويُقال : ما كَلَّفْتَنِي أُمَّمًا من الأمر فأفعله : أي قريباً من الإمكان ؛ ويُقال : إِنْ فَلَانًا لِأُمَّمٍ من أن يكون فعل كذا وكذا . قال الشاعر : [من المنسرح]

طَرَقَتْهُ أَسْمَاءُ أَمْ حَلَمَا بَلْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رِحَالِنَا أُمَّمًا

أي قريبة . وقال الراجز :

كَلَّفَهَا عَمْرُو نِقَالَ الضَّبْعَانِ مَا كَلَّفْتُ مِنْ أُمَّمٍ وَلَا دَانَ²

وقال آخر :

إِنَّكَ إِنْ سَأَلْتَ شَيْئاً أُمَّمًا جَاءَ بِهِ الْكَرِيُّ أَوْ تَجَشَّمًا³

والصَقَبُ : الملاصقة . تقول : واللّهِ ما صَاقَبْتُ فَلَانًا وَلَا صَاقِبِنِي ، ودَارُ فَلَانٍ مَصَاقِبَةٌ لِدَارِ فَلَانٍ ؛ وفي الحديث : «الجارُ أَحَقُّ بِصَقَبِهِ» أي بما لاصقه ، أي إنه أَحَقُّ بِشَفْعَتِهِ . والسَّوْرَةُ : شِدَّةُ الأَمْرِ ، ومنه يُقال : سَاورَ فَلَانٌ فَلَانًا ، وَتَسَاوَرَ الرَّجُلَانِ إِذَا تَغَالَبَا وَتَشَادَا ؛ وَقِيلَ إِنَّ السَّوْرَةَ : البَقِيَّةُ أَيْضًا .

ومنها :

صوت

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ فَمَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

غَنَّتْ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ حَبَابَةٌ ، وَهُمَا مِنَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرْبُ

قال الأصمعي : كَثِيرَةُ هَذِهِ امْرَأَةٌ نَزَلَ بِهَا بِالْكُوفَةِ فَأَوْتَهُ . قال ابنُ قيس : فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا سَنَةً تَرَوْحُ وَتَغْدُو عَلَيَّ بِمَا أُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ حَالِي وَلَا نَسْبِي ؛ فَبَيْنَا أَنَا بَعْدَ سَنَةٍ مُشْرِفٌ مِنْ

1 مرّ هذا البيت برواية أخرى .

2 الضبعان : ذكر الضبع .

3 الكري : الذي يكري الدواب .

جَنَاحٌ¹ إِلَى الطَّرِيقِ ، إِذَا أَنَا بِمُنَادِي عَبْدِ الْمَلِكِ يُنَادِي بِبِرَاءَةِ الذِّمَّةِ مِمَّنْ أُصِيبَتْ عِنْدَهُ ؛ فَأَعْلَمْتُ الْمَرْأَةَ أَنِّي رَاحِلٌ ؛ فَقَالَتْ : لَا يَزُودُكَ مَا سَمِعْتَ ، فَإِنَّ هَذَا نِدَاءٌ شَائِعٌ مِنْذُ نَزَلْتُ بَنَّا ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْمَقَامَ فَفِي الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْإِنْصِرَافَ أَعْلَمْتَنِي ؛ فَقُلْتُ لَهَا : لَا بَدَّ لِي مِنَ الْإِنْصِرَافِ ؛ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ، قَدَّمْتُ إِلَيَّ رَاحِلَةً عَلَيْهَا جَمِيعُ مَا أُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِي ؛ فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ أَنْتِ جُعِلْتُ فِدَاكَ لِأُكَافِفَكَ ؟ قَالَتْ : مَا فَعَلْتُ هَذَا لَتُكَافِفَنِي ؛ فَانصرفتُ وَلَا وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهَا إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا تُدْعَى بِاسْمِهَا « كَثِيرَةٌ » ، فَذَكَرْتُهَا فِي شِعْرِي .

[فَكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بَنِي أُمَيَّةَ]

وَذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ مُصْعَبٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ صَاحِبَ بَنِي أُمَيَّةَ بَنِي هَاشِمٍ أَتَى فُطْرُسَ ، إِنَّمَا بَعَثَهُ عَلَى قَتْلِهِمْ أَنَّهُ أَتَشَدُّهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ذَاتَ يَوْمٍ مَدِيحاً مَدَحَ بِهِ بَنِي هَاشِمٍ ؛ فَقَالَ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ هَذَا مِمَّا كُنْتُمْ تُمَدِّحُونَ بِهِ ؛ فَقَالَ : هِيَ هَاتِ أَنْ يُمَدِّحَ أَحَدٌ بِمِثْلِ قَوْلِ ابْنِ قَيْسٍ فِينَا :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

الْبَيْتَيْنِ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ : أَلَا أَرَى الْمُطْمَعُ فِي الْمُلْكِ فِي نَفْسِكَ بَعْدُ يَا مَاصٍّ كَذَا مِنْ أُمَةٍ ! ثُمَّ أَوْقَعَ بِهِمْ .

[غَنَّتْ قَيْنَةُ الرَّشِيدِ بِشِعْرِهِ فَحَرَفَتْهُ]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَ : اعْتَرَضَ هَارُونُ الرَّشِيدُ قَيْنَةَ فَغَنَّتْ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

فَلَمَّا ابْتَدَأَتْ بِهِ تَغْيِيرَ وَجْهِ الرَّشِيدِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّهَا قَدْ غَلِطَتْ وَأَنَّهَا إِنْ مَرَّتْ فِيهِ قُتِلَتْ ، فَغَنَّتْ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ إِنْ غَضِبُوا

وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ النِّفَاقِ فَمَا تَفْسُدُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

فَقَالَ الرَّشِيدُ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : أَسَمِعْتَ يَا أَبَا عَلِيٍّ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَبْتَاعُ وَتُسَنِّي لَهَا الْجَائِزَةَ وَيُعَجِّلُ لَهَا الْإِذْنَ لِيَسْكُنَ قَلْبُهَا ؛ قَالَ : ذَلِكَ جَزَاؤُهَا ، قَوْمِي فَأَنْتِ مَنِي بِمِحْثِ تَحِيَّيْنِ .

قَالَ : فَأَغْمِي عَلَى الْجَارِيَةِ . فَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ :

[مِنْ الطَّوِيلِ]

جُرِيتَ أميرَ المؤمنين بأمنها من الله جناتٍ تفوز بعَدْنِها

ومنها : [من الطويل]

صوت

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
تَزُورُ أَمْرَاءَ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجَوَّدَ لَهُ كَفٌّ بَطِيءٌ غِرَارُهَا
وَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ تَزُورُ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا
عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . غَنَاهُ مَعْبُودٌ ثَانِيٌّ ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ . قوله : «تَقَدَّتْ» أي سارت سيراً ليس
بِعَجَلٍ وَلَا مُبْطِئٍ ، فيقال : تَقَدَّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لَا يَخَافُ فُوتَ مَقْصِدِهِ فَلَمْ يَعَجَلْ .
وقوله : «بطيء غرارها» يعني أَنَّ مَنَعَهَا المَعْرُوفَ بَطِيءٌ . وَأَصْلُ الْغِرَارِ : أَنْ تَمْنَعَ النَّاقَةَ دِرَّتَهَا ،
ثُمَّ يُسْتَعَارُ فِي كُلِّ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ :

إِنَّ لِكُلِّ نَهَلَاتٍ شِرَّةً ثُمَّ غِرَاراً كَغِرَارِ الدَّرَّةِ
وقال جَمِيلٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

لَا حَتَّ لَعَيْنِكَ مِنْ بُيُوتِ نَارٍ فَدَمَوْعُ عَيْنِكَ دِرَّةٌ وَغِرَارُ

[ما عيب عليه في شعره]

قال الزَّيْبِيُّ : وَهَذَا الْبَيْتُ مِمَّا عَيْبَ عَلَى ابْنِ قَيْسٍ ، لِأَنَّهُ نَقَضَ صَدْرَهُ بِعَجْزِهِ ، فَقَالَ فِي أَوَّلِهِ : إِنَّهُ
سَارَ سِيراً بِغَيْرِ عَجَلٍ ، ثُمَّ قَالَ :

سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
وهذا غَايَةُ الدُّأْبِ فِي السَّيْرِ ، فَنَاقَضَ مَعْنَاهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ .
وَمِمَّا عَيْبَ عَلَى ابْنِ قَيْسٍ الرِّقَايَاتُ قَوْلُهُ وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ غَنَاءٌ¹ :

[من المنسرح]

صوت

تُرْضِعُ شَيْلَيْنِ وَسَطَ غَيْلِهَا قَدْ نَاهَزَا لِلْفِطَامِ أَوْ فُطْمَا²
مَا مَرَّ يَوْمٌ إِلَّا وَعِنْدَهُمَا لَحْمُ رَجَالٍ أَوْ يَوْلُغَانِ دَمَا³
غَنَاهُ الْغَرِيضُ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ
وهي قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان ، وفيها يقول :

[من المنسرح]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 151-155 .

2 الديوان : «يقوت شبلين عند مطرقة . . .» .

3 الديوان : «لم يأت يوم . . .» .

أَعْنَى ابْنَ لَيْلَى عَبْدَ الْعَزِيزِ بِنَا يَلُيُونَ تَعْدُو جِفَانَهُ رُدْمًا¹
 الْوَاهِبَ التُّجْبَ وَالْوَلَائِدَ كَالْ غِزْلَانِ وَالْخَيْلَ تَعْلُكَ اللَّجْمَا²
 وَكَانَ قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ : «أَوْ يَالْغَانِ دَمَا» بِالْأَلْفِ ، وَكَذَلِكَ رُوي عَنْهُ ، ثُمَّ غَيَّرَتْهُ
 الرُّوَاةُ .

[يونس يصفه بأنه غير فصيح ولا ثقة]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ
 الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ : سَأَلَ يُونُسَ عَنْ قَوْلِ ابْنِ قَيْسِ الرِّقْيَاتِ : [مَنْ الْمُنْسَرَحُ]

مَا مَرَّ يَوْمَ إِلَّا وَعِنْدَهُمَا لَحْمُ رَجَالٍ أَوْ يُولُغَانِ دَمَا
 فَقَالَ يُونُسُ : يَجُوزُ يُولُغَانِ وَلَا يَجُوزُ يَالْغَانِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : فَقَدْ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ قَيْسِ الرِّقْيَاتِ
 وَهُوَ حِجَازِيٌّ فَصِيحٌ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ بِفَصِيحٍ وَلَا ثَقِيٍّ ، شَغَلَ نَفْسَهُ بِالشَّرْبِ بِتَكْرِيثٍ .
 [انتقد ابن أبي عتيق شعراً له]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ حَمَّادٌ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي : أَوْ بَلَعَكَ أَنَّ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ أَنَشَدَ
 قَوْلَ ابْنِ قَيْسٍ :

سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

فَقَالَ : كَانَتْ هَذِهِ يَا ابْنَ أُمٍّ فِيمَا أَرَى عَمِيَاءَ .

أَخْبَرَنِي الْحَرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنْ
 جَدِّي عَنْ هِشَامِ بْنِ سَلِيمَانَ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ : قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ وَقَدْ مَرَّ
 بِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا فَارِسَ الْعَمِيَاءِ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْاسْمُ الْحَادِثُ يَا
 أَبَا مُحَمَّدٍ ! بَابِي أَنْتَ ! قَالَ : أَنْتَ سَمَّيْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ تَقُولُ : [مَنْ الطَّوِيلُ]

سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

فَمَا يَسْتَوِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ إِلَّا عَلَى عَمِيَاءَ ؛ قَالَ : إِنَّمَا عَنَيْتُ التَّعَبَ ، قَالَ : فَبَيْتُكَ هَذَا
 يَحْتَاجُ إِلَى تَرْجُومَانَ يَتَرَجِّمُ عَنْهُ .
 وَمِنْهَا :

صَوْتُ

ذَكَرْتُكَ أَنَّ فَاضَ الْفَرَاتُ بِأَرْضِنَا وَفَاضَتْ بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ بِحَارُهَا

1 رِذْمٌ : مَمْتَلِئَةٌ .

2 الدِّيَوَانُ : «مَنْ يَهَبُ الْبَحْتَ . . .» .

وَحَوْلِي مِمَّا خَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَةً عَطَاؤُكَ مِنْهَا شَوْلَهَا وَعِشَارُهَا
فَجَنَّتْكَ نُشِّي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتْنَى عَلَى الرُّوضِ جَارُهَا
إِذَا مِتَّ لَمْ يُوصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تَقُمْ طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا

الشول: الثوب التي شالت بأذنانها وكرهت الفحل ، وذلك حين تلقح ، واحدتها شائل ، غناه حكّم الوادي ثقيلًا أوّل بالوسطى .

[حكم الوادي ودنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي : قال حكم الوادي : دخلت يوماً على يحيى بن خالد فقال لي : يا أبا يحيى ، ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت ؟ قلت : ومن لي بها ؟ قال : تلقي لحنك في : [من الطويل]

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا

على دنائير فيها هي ذه ، وهذا سلام واقف معك ومخرجها إليك ، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين ، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر ، فكُذِّها فيه ، فإذا أحكمته فلك خمسمائة ؛ فقالت دنائير : يا سيدي ، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أقاسيك عمري كله ! فقال لها : إن حِفْظِيهِ فلك ألف دينار ، وقام فمضى ؛ فقلت لها : يا سيدي اشغلي نفسك بهذا ، فإنك أنت تهين لي الخمسمائة الدينار بحفظك إياه وتفوزين بالألف الدينار ، وإلا بطل هذا ، فلم أزل معها أكُذِّها ونفسي وتغنييني حتى انصرف يحيى ، فدعا بماء وطست ، ثم قال : يا أبا يحيى ، غن الصوت كما كنت تغنيه ، فقلت : هلكت ؛ يسمعه مني ، وليس هو بمن يخفي عليه ، ثم يسمعه منها فلا يرضاه ، فلم أجِدْ بُدًّا من الغناء ؛ ثم قال : غنيه أنت الآن ؛ فغنت ؛ فقال : والله ما أرى إلا خيراً ؛ فقلت : جُعِلْتُ فداءك ؛ أنا أمضُغ هذا منذ أكثر من خمسين سنة كما أمضُغ الخبز ، وهذه أخذته الساعة وهو يذلُّ لها بعدي وتجترى عليه ويزداد حسناً في صوتها ؛ فقال : صدقت ، هاتِ يا سلام خمسمائة دينار ولها ألف دينار ، ففعل ؛ فقالت له : وحياتك يا سيدي لأشاطرن أستاذي الألف الدينار ؛ قال : ذلك إليك ، ففعلت ؛ فانصرفت وقد أخذت بهذا الصوت ألف دينار .

رجع الحديث إلى عبید الله بن قیس الرقیات

[شعر ابن قيس الرقيات في كثيرة]

قال الزبير بن بكار حدثني عبد الله بن النضير عن أبيه : أن ابن قيس الرقيات قال في

الكوفية التي نزل عليها¹ :

بانت لِتَحْزُنَنَا كَثِيرَةً ولقد تكون لنا أَمِيرَةً
حَلَّتْ فَلَالِيَجَ السَّوَا د وحلَّ أَهْلِي بِالْجَزِيرَةِ²

قال : ولقد رَحَلَ من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضاً ، وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكيّ :

صوت³

لَجِجْتَ بِحَبِّكَ أَهْلَ الْعِرَاق ولولا كَثِيرَةٌ لَمْ تَلْجِجْ
فليتَ كَثِيرَةٌ لَمْ تَلْقَنِي كثيرةٌ أُحِتَ بَنِي الْخَزَرْجِ

[سعيد بن المسيّب وابن قيس الرقيات]

أخبرنا الحِرْمِيُّ قال حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطَانِيُّ قال حدّثني أَبِي عن عبد الرحيم بن حَرْمَلَةَ قال : كنتُ عند سعيد بن المسيّب ، فجاء ابنُ قيس الرقيات ، فهشَّ وقال : مَرْحَباً بِظَفَرٍ من أَظْفَارِ الْعَشِيرَةِ ، ما أَحدَثَ بعدي ؟ قال : قد قلتُ أُمَيَّاتاً وَأَسْتَفْتِيكَ في بيت منها فاسمعهما ؛ قال : هات ؛ فأنشده⁴ :

هل للديار بأهلها عِلْمُ أم هل تُبَيِّنُ فينطقُ الرِّسْمُ
قالت رُقِيَّةٌ فيمَ تَصْرِمُنَا أَرْقِي لَيْسَ لَوْجِهْكَ الصَّرْمُ⁵
تَخْطُو بِخَلْخَالَيْنِ حَشْوُهُمَا ساقانِ مار عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أَبْكَاكُ مَوْقِفُنَا أم هل علينا في البُكَاءِ إِثْمُ

فقال سعيد : لا والله ما أَبْكَاني ؛ قال ابنُ قيس الرقيات :

بل ما بكاؤك منزلاً خَلَقاً قَفْراً يُلُوحُ كَأَنَّهُ الْوَشْمُ

فقال سعيد : اعتذر الرجل . ثم أنشد⁶ :

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 43-44 .

2 فلاليج السواد : قرى سواد العراق .

3 ديوانه : 61 .

4 ديوانه : 55 .

5 الديوان «قالت سكيئة . . . أسكين . . .» .

6 ديوان ابن قيس الرقيات : 69 .

أَتَلَبْتُ فِي تَكْرِيْتٍ لَا فِي عَشِيرَةٍ شُهُودٍ وَلَا السُّلْطَانُ مِنْكَ قَرِيبُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ لِلْحَزْمِ عِنْدَكَ مَنْزِلٌ وَلِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مِنْكَ نَصِيبُ
فَقَالَ سَعِيدٌ : لَا مُقَامَ عَلَى ذَلِكَ ، فَاخْرُجْ مِنْهَا ؛ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ؛ قَالَ قَدْ أَصَبْتَ أَصَابَ
اللَّهُ بَكَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

قَامَتْ بِخُلْخَالَيْنِ حَشَوُهُمَا سَاقَانِ مَارَ عَلَيْهِمَا اللَّحْمُ
يَا صَاحِ هَلْ أَبْكَاكُ مَوْقِفُنَا أَمْ هَلْ عَلَيْنَا فِي الْبَكَاءِ إِثْمُ
غَنَى فِيهِمَا ابْنُ سُرَيْجٍ رَمْلًا بِالْبَنْصَرِ .

[ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْرِيُّ
وَهَارُونُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ سَعِيدِ الْمُسَاحِقِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ وَهَبٍ
مَوْلَى بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ¹ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ وَإِنَّهُ
لَمُعْتَمِدٌ عَلَى يَدَيَّ إِذْ مَرَرْنَا بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي مَجْلِسِهِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَرَدَّ سَلَامَنَا ؛ ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلٍ :
يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ أَشْعَرُ ، أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ يَعْنِي : عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ أَوْ عَمْرُ بْنُ أَبِي
رَبِيعَةَ ؛ فَقَالَ نَوْفَلٌ : حِينَ يَقُولَانِ مَاذَا ؟ فَقَالَ : حِينَ يَقُولُ صَاحِبُنَا : [من الطويل]

خَلِيلِي مَا بِالْمَطِيِّ كَأَنَّمَا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ
وَقَدْ أَبْعَدَ الْحَادِي سُرَاهَنَ وَاتَّحَى بِهِنَّ فَمَا يَأْلُو عَجُولٌ مُقْلَصُ
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَنْفُسُنَا مِمَّا تُكَلِّفُ شَخْصُ
يَزِدُّنَ بِنَا قُرْبًا فِيزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا زَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ وَالْبَعْدُ يَنْقُصُ

وَيَقُولُ صَاحِبُكُمْ مَا شِئْتَ ؛ قَالَ : فَقَالَ لَهُ نَوْفَلٌ : صَاحِبُكُمْ أَشْهَرُ بِالْقَوْلِ فِي الْغَزْلِ أَمْ تَعَالَى اللَّهُ
بَكَ ، وَصَاحِبُنَا أَكْثَرُ أَفَانِينَ شَعْرٍ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ؛ فَلَمَّا أَنْقَضَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ ذِكْرِ الشَّعْرِ ، جَعَلَ
سَعِيدٌ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَعْقِدُ بِيَدِهِ وَيَعُدُّهُ بِالْخَمْسِ كُلِّهَا حَتَّى وَفَى مَائَةً .

قَالَ الْبَكْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ : فَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ وَهَبٍ : فَلَمَّا فَارَقْنَاهُ قُلْتُ لِنَوْفَلٍ :
أَتَرَاهُ آسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ إِنْشَادِهِ الشَّعْرَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : كَلَّا ؛ هُوَ كَثِيرُ الْإِنْشَادِ

والاستنشاد للشعر ، ولكنني أحسبه للفخر بصاحبه .

[وفوده على حمزة بن الزبير]

أخبرني الحرثي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال : استأذن عبيد الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير ؛ فقالت له الجارية : ليس عليه إذن الآن ؛ فقال : أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عني ! قال : فدخلت الجارية على حمزة فأخبرته ، فقال : ينبغي أن يكون هذا ابن قيس الرقيات ، إئذني له ، فأذنت له ؛ فقال : مرحباً بك يا ابن قيس ، هل من حاجة نزعك بك ؟ قال : نعم ، زوجتُ بنين لي ثلاثة بنات أخ لي ثلاث ، وزوجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاث بنات لي ؛ قال : فلبنك الثلاثة أربعمئة دينار أربعمئة دينار ، ولبنني أخيك الثلاثة أربعمئة دينار أربعمئة دينار ، ولبناتك الثلاث ثلثمئة دينار ثلثمئة دينار ، ولبنات أخيك الثلاث ثلثمئة دينار ثلثمئة دينار ، هل بقيت لك من حاجة يا ابن قيس ؟ قال : لا والله إلا مؤونة السفر ؛ فأمر له بما يصلحه لسفره حتى رفاع أخفاف الإبل .

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغني فيه

صوت

[من الكامل]

أَمَسَتْ رُقِيَّةٌ دُونَهَا الْبِشْرُ فَالرَّقَّةُ السَّوْدَاءُ فَالْعَمْرُ¹
غَنَاهُ يُونُسٌ ثَقِيلاً أَوَّلَ بِالْوَسْطَى ، وَفِيهِ لَعَزَّةُ الْمَيْلَاءِ ثَانِي ثَقِيلٍ .

[من الوافر]

ومنها :

صوت²

رُقَيِّ بَعِيشِكُمْ لَا تَهْجُرِينَا وَمَنْبِنَا الْمُنَى ثُمَّ امْطَلِينَا
عَدِينَا فِي غَدٍ مَا شِئْتَ إِنَّا نُحِبُّ وَإِنْ مَطَلْتَ الْوَاعِدِينَا
أَغْرَكُ أَنْتَنِي لَا صَبْرَ عِنْدِي عَلَى هَجْرٍ وَأَنْتِ تَصْبِرِينَا
وَيَوْمَ تَبْعُتُكُمْ وَتَرَكْتُ أَهْلِي حَيْنَ الْعَوْدِ يَتَّبِعُ الْقَرِينَا³

1 السَّوْدَاءُ فِي ل : الْبَيْضَاءُ . وَالْبِشْرُ : جَبَل . الرَّقَّةُ السَّوْدَاءُ : قَرْيَةٌ ذَاتُ بَسَاتِينَ كَثِيرَةٍ ، وَالرَّقَّةُ الْبَيْضَاءُ : مَدِينَةٌ عَلَى الْفُرَاتِ . الْعَمْرُ : عِلْمٌ عَلَى مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ وَالْبَيْتُ فِي دِيوَانِ ابْنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ : 182 .

2 ديوانه : 137 .

3 العود : الْجَمَلُ الْمَسْنُونُ .

عروضه من الوافر . غناه ابن مُحَرَّر ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى . ومنها¹ :

صوت

[من مجزوء الوافر]

رُقِيَّةٌ تَيَّمَّتْ قَلْبِي فَوَاكِدِي مِنَ الْحَبِّ
نَهَانِي إِخْوَتِي عَنْهَا وَمَا بِالْقَلْبِ مِنْ عَتَبِ²

غناه مالكٌ ثاني ثقیلٍ أَوَّلَ بالبصرة على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه . وقد ذكرتُ بَذْلُ أَنْ فِيهِ لابن المكي لحناً .

[فضل ابن أبي عتيق شعره على شعر كثير]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن عمرو بن الزبير قال حدثني إبراهيم بن عبد الله قال : أنشد كثيرُ ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها : [من الطويل]

ولستُ بِراضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليلٍ
فقال له : هذا كلامٌ مكافئٌ ليس بعاشقٍ ، القرشيان أقنعُ وأصدقُ منك : ابنُ أبي ربيعة
حيث يقول :

لَيْتَ حَظِّي كَلَحَظَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهْنَا
وقوله أيضاً³ :

فِعْدِي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِ إِنَّهُ يُقْنَعُ الْحَبُّ الرَّجَاءُ
وابنُ قيس الرقيات حيث يقول :

رُقِيَّ بَعِيشِكُمْ لَا تَهْجُرِينَا وَمَنْيْنَا الْمُنَى ثُمَّ امْطَلِينَا
عِدِينَا فِي غَدٍ مَا شئتُ إِنَّا نُحِبُّ وَإِنْ مَطَلَتِ الْوَاعِدِينَا
فَأَمَّا تُنَجِرِي عِدَّتِي وَأَمَّا نَعِيشُ بِمَا نُؤْمَلُ مِنْكَ حِينَا
قال : فذكرتُ ذلك لأبي السائب المخزومي ومعه ابنُ المولى ، فقال : صدق ابنُ أبي عتيق
وفقه الله ، ألا قال المديون كثيرٌ كما قال هذا حيث يقول :

[من الطويل]

1 ديوانه : 169 .

2 الديوان : «وما للقلب من ذنب» .

3 ديوان عمر : 15 .

وأبكي فلا ليلى بَكَتْ من صبايَ ليالكِ ولا ليلى لذي الودِّ تَبَذَّلُ
وأخضعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنباً وإن أذنبْتُ كنتُ الذي أتنصَّلُ

[يشب بركة بنت عبد الواحد في الطواف]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال سمعت عبدة بن أشعب بن جبّير قال حدّثني أبي قال حدّثني فنّد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قال : حجّت رُقَيَّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد العامريّة ، فكنّت آتيها وأحدّثها فتستظرف حديثي وتضحك مني ؛ فطافت ليلةً بالبيت ثم أهوت لتستلم الركن الأسود وقبلته ، وقد طفت مع عبيد الله بن قيس الرقيات ، فصادف فراغاً فراغها ولم أشعر بها ، فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود ويُقبله ، فصادفها قد سبقت إليه ، فنفضته برُدْنِها فارتدّع¹ ؛ وقال لي : من هذه ؟ فقلت : أو لا تعرفها ! هذه رُقَيَّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد ؛ فعند ذلك قال² :

مَنْ عَذِيرِي مَمَّنْ يَصْنُ بِمَبْذُو لٍ لغيري عليّ عند الطّوافِ
يريد أنها تُقبل الحجر الأسود وتضنّ عنه بقبلتها . وقال في ذلك³ :

حدّثوني هل على رجلٍ عاشقٍ في قُبْلَةٍ حَرَجُ
وفيه غناء يُنسب بعد هذا الخبر . قال : ولما نفّخته برُدْنِها فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ في المسجد ، وكأنّما فُتحت بين أهل المسجد لطيمةُ عَطَارٍ ، فسبح مَنْ حول البيت . قال : وقال فنّد : فقلتُ بعد انصرافها لابن قيس : هل وجدت رائحةَ رُدْنِها لشيء طيباً ؟ فعند ذلك قال أبياته التي يقول فيها⁴ :

صوت

سائلاً فنّداً خليلي كيف أردانُ رُقَيَّة⁵
إنني علّقت خوداً ذات دَلْ بخترية⁶
غناه فنّد ، ولحنه ثقیلٌ أوّل بالبنصر عن حبّش .

1 نفخته : أصابته . وارتدّع : أصبح به أثر الطيب .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 36 .

3 ديوانه : 163 .

4 ديوانه : 170 .

5 أردان في الديوان : أرواح .

6 علّقت في الديوان : بدلت . بخترية : متبخرة في مشيها .

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدم وخبره
وهو أيضاً مما قاله ابن قيس في رقية

صوت

[من المديد]

حَبَّ ذَاكَ الدَّلُّ والغَنجُ والتي في عينها دَعَجُ
والتي إن حَدَّثْتُ كَذِبْتُ والتي في وعدّها خَلَجُ¹
وَتَرَى فِي الْبَيْتِ صَوْرَتَهَا مثْلَمَا فِي الْبَيْعَةِ السُّرُجُ²
خَبِّرُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عاشقٍ فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ

الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في رقية بنت عبد الواحد . والغناء لمالكٍ خفيفٌ ثقيلٌ أولُ
مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه خفيفٌ ثقيلٌ آخر لابن مُخَرِّزٍ من رواية عمرو بن بانه ، وقيل : بل
هو هذا .

[ابن أبي عتيق يفضلُه على كثير مرّة أخرى]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان
ابن عيَّاش السَّعْدِيُّ قال حدّثني سائبٌ راويةٌ كثيرٌ قال : كان كثيرٌ مديوناً ، فقال لي يوماً
ونحن بالمدينة : اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدّث عنده ؛ قال : فذهبت إليه معه ؛
فاستنشدَه ابنُ أبي عتيق ، فأنشده قوله :

[من الطويل]

أَبَائَتُهُ سَعْدَى نَعَمَ سَتَيْنُ

[من الطويل]

حتى بلغ إلى قوله :

وَأَخْلَفَنَ مِيعَادِي وَخُنَّ أَمَانَتِي وليس لمن خان الأمانة دينُ
فقال له ابن أبي عتيق : أَعْلَى الْأَمَانَةِ تَبِعَتْهَا ! فأنكفَّ واستغضب نفسه وصاح
وقال :

[من الطويل]

كَذِبْنَ صَفَاءَ الْوَدِّ يَوْمَ مَجَلِّهِ وَأُنْكَدْنَنِي مِنْ وَعْدِهِنَّ دِيُونُ³
فقال له ابن أبي عتيق : وَيْلَكَ ! هَذَا أَمْلَحُ لَهْنٍ وَأَدْعَى لِلْقُلُوبِ إِلَهِنَ ، سَيِّدُكَ ابْنُ قَيْسٍ
الرَّقِيَّاتِ كَانَ أَعْلَمَ مِنْكَ وَأَوْضَعَ لِلصَّوَابِ مَوْضِعَهُ فِيهِنَّ ؛ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ :

[من المديد]

1 وعدها في الديوان : وصلها . والخلاج : عدم الثبات .

2 صورتها في الديوان : سنتها .

3 وأنكدنني في ل : وأدركني .

حَبَّ ذَاكَ الدُّلَّ وَالْغُنْجُ والتي في عينها دَعَجُ
والتي إِنْ حَدَّثْتُ كَذِبْتُ والتي في وعدّها خَلَجُ
وَتَرَى فِي الْبَيْتِ صَوْرَتَهَا مثلما فِي الْبَيْعَةِ السُّرْجُ
خَيْرُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عاشقٍ فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كثير واستحلى ذلك ، وقال : لا ! إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ فضحك ابن أبي عتيق حتى ذهبَ به .

[ثناء أبي السائب على شعره]

أخبرنا الجرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الرحمن بن غرير الزهري قال : أنشدتُ أبا السائب المخزومي قولَ ابن قيس الرقيات¹ :

[من الخفيف]

صوت

قَدْ أَتَانَا مِنْ آلِ سَعْدَى رَسُولُ حَبَّذَا مَا يَقُولُ لِي وَأَقُولُ
مِنْ فِتَاةٍ كَأَنَّهَا قَرْنُ شَمْسٍ ضَاقَ عَنْهَا دَمَالَجٌ وَحُجُولُ
حَبَّذَا لَيْلَتِي بِمِزَّةٍ كَلْبٍ غَالَ عَنِّي بِهَا الْكَوَانِينُ غُولُ²

فقال لي : يا ابن الأمير ما تراه كان يقول وتقول ؟ فقلت :

حديثاً كما يسري الندى لو سمعته شفاك مِنْ ادْوَاءٍ كَثِيرٍ وَأَسْقَمَا
فَطَرِبَ وَقَالَ : بَأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي ! مَا زِلْتُ أُحِبُّكَ ، وَلَقَدْ أَضْعَفَ حُبِّي إِيَّاكَ حِينَ تَفْهَمُ عَنِّي
هَذَا الْفَهْمُ .

غنى في هذه الأبيات ابن سريج ثقيلاً أولَ بالوسطى . ولما لِكِ فِيهَا ثَانِي ثَقِيلٍ ، كَلَاهُمَا عَنْ
الهِشَامِيِّ .

[علم أشعب بالشعر]

أخبرني محمد بن جعفر الصبيداني النحوي صهرُ المبرد قال حدثني طلحة بن عبد الله
أبو إسحاق الطلحي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن
عمرو بن عثمان بن عفان قال : أنشد أشعبُ بن جُبَيْرِ أَبِي أَيْبَاتِ عُبَيْدَ اللَّهِ بن قيس الرقيات
التي يقول فيها :

[من الخفيف]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 144 .

2 المزة : في غوطة دمشق .

قد أتاننا من آل سُعدى رسولُ حَبْذا ما يقول لي وأقولُ
فقال أبى : وَيَحْكُ يا أشعب ؛ ما تُراه قال وقالت له ؟ فقال : [من الطويل]
حديثاً لو أَنَّ اللحمَ يَصْلَى بَحْرَهُ غَرِيضاً أتى أَصحابه وهو مُنْضَجُ
ذَكَرَ شَوْقاً ووصفَ تَوْقاً ، ووعدَ ووفى ، والتقىا بِمِرَّةٍ كَلْبَ فشفى واشتفى ، فذلك
قوله :

حَبْذا ليلتي بِمِرَّةٍ كَلْبٍ غال عَنِّي بها الكَوَينَ غُولُ
فقال له : إِنَّكَ لَعَلَّامَةٌ بهذه الأحوال ؛ قال أَجَلُ ؛ بآبِي أَنْتَ ! فاسأَلْ عالِماً عن علمه .
ومَّا في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيات¹

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا قلبُ وَيَحْكُ لا تذهبْ بك الحُرْقُ إِنَّ الألى كُنْتَ تهواهم قد انطلقوا
وذكرُ أَنَّهُ لَوْضَّاح ، وقد أُخرج في موضع آخر .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 187 وديوان وضاح اليمن (صادر) : 65 .

[66] - ذكر مالك بن أبي السَّمَح

وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن أبي السَّمَح . واسم أبي السَّمَح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل ثم أحد بني عمرو بن ذرماء . ويكنى أبا الوليد . وأمه قرشية من بني مخزوم ، وقيل : بل أم أبيه منهم ، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبي : هو مالك بن أبي السَّمَح بن سليمان بن أوس بن سيماك بن سعد بن أوس بن عمرو بن ذرماء أحد بني ثعل . وأم أبيه بنت مُذَرِك بن عوف بن عبيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ویتيماً في حجره أوصى به أبوه إليه ، فكان ابن جعفر يكفله ويؤمونه ، وأدخله وسائر إخوته في دعوة بني هاشم ، فهم معهم إلى اليوم . وكان أحول طويلاً أحنى . قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في قوله فيه :

أبيضُ كالبدْر أو كما يَلْمَعُ الـ سبارقُ في حالِكٍ من الظُّلَمِ
فقال له الوليد : بل أنت .

أحولُ كالقَرْدِ أو كما يَرْقُبُ الـ سارقُ في حالِكٍ من الظُّلَمِ
[أسأذته في الغناء]

وأخذ الغناء عن جميلة ومَعْبِد وعُمَر حتى أدرك الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .
[كان أبوه منقطعاً إلى ابن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد : قرأت على أبي : أن السبب في انقطاع أبي السَّمَح إلى ابن جعفر أن السنة أقحمت طيماً ، فكان ثعلبة جد مالك أحدهم ، فولد أبو السَّمَح بالمدينة ؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشمي ، وكان سبب ذلك مودة كانت بينه وبين آل شعيب السهميين ؛ فلما تزوج حسين عابدة بنت شعيب السهمية خاصمهم بسببها ؛ وكان جد مالك معه وعوناً له مع من عاونوه ، فنشيت بذلك حال بينه وبين بني هاشم ، حتى ولد مالك في دورهم ، فصارت دعوتهم فيهم .

[أدرك الدولة العباسية]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد : قرأت على أبي : وعُمَرُ مالك حتى أدرك دولة بني العباس ، وقَدِمَ على سليمان بن عليّ بالبصرة ، فَمَتَّ إليه بخُوُلُوته في قريش ، ودَعَوته لبني هاشم ، وانقِطاعِهِ إلى ابن جعفر ، فعَجَّلَ له سليمان صلَّته وكساه وكتب له بأوساقٍ من تمر . [لازم باب حمزة بن الزبير وأخذ الغناء عن معبد]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدَّثني مَيْمون بن هارون قال حدَّثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الوَرْداني قال : كان مالك بن أبي السَّمْح المغني من طييء ، فأصابتهُم حَظْمَةٌ¹ في بلادهم بالجبيلين ، فَقَدِمَتْ به أُمُّه وبِإِخْوَةٍ له وأَخَوَاتٍ أيتامٍ لا شيء لهم ؛ فكان يسأل الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبَيْر ، وكان معبُدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كلِّ يوم يغنيهِ ؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه ، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يَرِيْمُ موضِعَهُ ، فينصرف إلى أُمِّه ولم يكتسب شيئاً ، فتضربه ، وهو مع ذلك يترنم بالحنان معبد ويؤدِّيها دَوْرًا دَوْرًا في مواضع صَيِّحاته وإسجالاته ونَبْرَاتِهِ نَعْمًا بغير لفظ ولا رواية² شيء من الشعر ؛ وجعل حمزة كلما غدا وراح رآه ملازمًا لبابه ؛ فقال لغلامه يوماً : أدخل هذا الغلام الأعرابي إليّ ؛ فأدخله ؛ فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا غلام من طييء أصابتنا حَظْمَةٌ بالجبيلين فحطَّتنا إليكم ومعِي أُمُّ لي وإِخْوَةٌ ، وإني لزمْتُ بابك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني ، فلزمْتُ بابك من أَجله ؛ قال : فهل تعرف منه شيئاً ؟ قال : أعرف لحنه كلّه ولا أعرف الشعر ؛ فقال : إن كنت صادقاً إنك لفهم . ودعا بمَعْبُد فأمره أن يغني صوتاً فغناه ، ثم قال للمالك . هل تستطيع أن تقوله ؟ قال نعم ؛ قال : هاته ؛ فاندفع فغناه فأدَّى نَعْمَهُ بغير شعر ، يؤدِّي مَدَّاتِهِ وَلَيَّاتِهِ وَعَطَفَاتِهِ وَنَبْرَاتِهِ وتعليقاتِهِ لا يَحْرِمُ حرفاً ؛ فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرِّجه ، فليكوننَّ له شأن ؛ قال معبد : ولم أَفْعَلْ ذلك ؟ قال : لتكون محاسنه منسوبة إليك ، وإلاَّ عدل إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة إليه ؛ فقال : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتني به . ثم قال حمزة للمالك : كيف وجدت ملازمتك لبابنا ؟ قال : رأيت لو قلتُ فيك غير الذي أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنت ترضى بذلك ؟ قال لا ؛ قال : وكذلك لا يسرك أن تُحمدَ بما لم تفعل ؛ قال نعم ؛ قال : فوالله ما شَبِعْتُ على بابك شَبْعَةً قطُّ ، ولا انقلبتُ منه إلى أهلي بخير ؛ فأمر له ولأُمُّه ولإخوته بمنزل ، وأجرى لهم رزقاً وكسوة ، وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبدٍ يسقيهم الماء ، وأجلس مالكا معه في مجالسه ، وأمر معبداً أن يطارحه ، فلم

1 الخطمة : السنة المجذبة .

2 ل : ولا روى شيئاً .

يَنْشَبُ أَنْ مَهْرٌ وَحَذَقٌ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِعَقْبِ مُقْتَلِ هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ ؛ فَخَرَجَ مَالِكٌ يَوْمًا فَسَمِعَ
امْرَأَةً تَنُوحُ عَلَى زِيَادَةَ الَّذِي قَتَلَهُ هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ بِشَعْرٍ أَخِي زِيَادَةَ : [مِن الطويل]

أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفٍ كَوَيْكِبٍ رَهِينَةً رَمَسَ ذِي تَرَابٍ وَجَنْدَلٍ¹
أَذْكَرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدٌ غَيْرُ مَوْتَلِي
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِزَيْدِ بْنِ مَالِكٍ لَكِنْ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجَلْ
وَالَا أَنْلُ ثَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ بَنِي عَمْنًا فَالْدَهْرُ ذُو مُتَطَوَّلٍ
أَنْخَتُمْ عَلَيْنَا كُلَّكَالِ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّكَالٍ

فَغَنَى فِي هَذَا الشَّعْرِ لَحْنَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا نَحَا فِيهِ نَحْوُ الْمَرْأَةِ فِي نَوْحِهَا وَرَقَّقَهُ وَأَصْلَحَهُ وَزَادَ فِيهِ ، وَالْآخَرُ نَحَا فِيهِ نَحْوُ مَعْبَدٍ فِي غَنَائِهِ ؛ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حَمْزَةٍ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ غَنَاءً فِي شَعْرٍ سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُنْشِدُهُ وَقَدْ أَعْجَبَنِي ، فَإِنْ أَذِنَ الْأَمِيرُ غَنَيْتُهُ فِيهِ ؛ قَالَ : هَاتِهِ ، فَغَنَاهُ اللَّحْنَ الَّذِي نَحَا فِيهِ نَحْوُ مَعْبَدٍ ؛ فَطَرِبَ حَمْزَةٌ وَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا غَلَامَ ، هَذَا الْغَنَاءُ غَنَاءُ مَعْبَدٍ وَطَرِيقَتُهُ ؛ فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ واسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا لَيْسَ مِنْ غَنَاءِ مَعْبَدٍ وَلَا طَرِيقَتِهِ ؛ قَالَ : هَاتِ ، فَغَنَاهُ اللَّحْنَ الَّذِي تَشَبَّهَ فِيهِ بَنُوحُ الْمَرْأَةِ ، فَطَرِبَ حَمْزَةٌ حَتَّى أَلْقَى عَلَيْهِ حُلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ قِيمَتُهَا مِائَتًا دِينَارًا ؛ وَدَخَلَ مَعْبَدٌ فَرَأَى حُلَّةَ حَمْزَةٍ عَلَيْهِ فَأَنْكَرَهَا ؛ وَعَلِمَ حَمْزَةٌ بِذَلِكَ فَأَخْبَرَ مَعْبَدًا بِالسَّبَبِ ، وَأَمَرَ مَالِكًا فَغَنَاهُ الصَّوْتَيْنِ ؛ فغَضِبَ مَعْبَدٌ لَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ الْأَوَّلَ وَقَالَ : قَدْ كَرِهْتُ أَنْ آخِذَ هَذَا الْغَلَامَ فَيَتَعَلَّمَ غَنَائِي فَيَدَّعِيَهُ لِنَفْسِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ حَمْزَةٌ : لَا تَعْجَلْ واسْمَعْ غَنَاءَ صَنْعِهِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَلَا غَنَائِكَ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَغْنَى الصَّوْتَ الْآخَرَ فَغَنَاهُ ؛ فَاطْرَقَ مَعْبَدٌ ؛ فَقَالَ لَهُ حَمْزَةٌ : وَاللَّهِ لَوْ انْفَرَدَ بِهَذَا لَضَاهَاكَ ثُمَّ يَتَزَايِدُ عَلَى الْأَيَّامِ ، وَكَلَّمَا كَبِرَ وَزَادَ شَيْخَتْ أَنْتَ وَنَقَصَتْ ، فَلَأَنْ يَكُونَ مَنْسُوبًا إِلَيْكَ أَجْمَلُ ؛ فَقَالَ لَهُ مَعْبَدٌ وَهُوَ مِنْكَسِرٌ : صَدَقَ الْأَمِيرُ . فَأَمَرَ حَمْزَةٌ لِمَعْبَدٍ بِخِلْعَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ وَجَائِزَةٍ حَتَّى سَكَنَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ ؛ فَقَامَ مَالِكٌ عَلَى رِجْلِهِ فَقَبَّلَ رَأْسَ مَعْبَدٍ ، وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبَّادِ أَسَاءَكَ مَا سَمِعْتَ مِنِّي ؟ وَاللَّهِ لَا أَغْنَى لِنَفْسِي شَيْئًا أَبَدًا مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَإِنْ غَلِبَتْنِي نَفْسِي فَغَنَيْتُ فِي شَعْرٍ اسْتَحْسَنْتُهُ لَا نَسْبَتُهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَطَبَّ نَفْسًا وَارْضَ عَنِّي ؛ فَقَالَ لَهُ مَعْبَدٌ : أَوْ تَفْعَلْ هَذَا وَتَقِي بِهِ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ وَأَزِيدُ ؛ فَكَانَ مَالِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا غَنَى صَوْتًا وَسُئِلَ عَنْهُ قَالَ : هَذَا لِمَعْبَدٍ ، مَا غَنَيْتُ لِنَفْسِي شَيْئًا قَطَّ ، وَإِنَّمَا آخِذُ غَنَاءَ مَعْبَدٍ فَأَنْقُلُهُ إِلَى الْأَشْعَارِ وَأَحْسِنُهُ وَأَزِيدُ فِيهِ وَأَنْقُصُ مِنْهُ .

1 النعف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل .

[كان يغني ليلة الجمعة]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُثْبَةَ اللَّهْبِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ : خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ أُرِيدُ الْعِرَاقَ ، فَحَمَلْتُ مَعِيَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ عَشِيَّةُ الْخَمِيسِ قَالَ لَنَا : يَا مَعْشَرَ الرُّفُقَةِ إِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَسْأَلُونِي الْغَنَاءَ ، وَعَلَيَّ وَعَلَيَّ إِنْ غَنَيْتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ شَيْئًا فَالْسَّاعَةَ اقْتَرَحُوا مَا أَحْبَبْتُمْ ؛ فَنَسَأَلُهُ فَيَغْنِيْنَا ، حَتَّى إِذَا كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغِيبَ¹ طَرِبَ ثُمَّ صَاحَ : الْحَرِيقُ فِي دَارِ سَلْمَعَانَ ، ثُمَّ يَمُرُّ فِي الْغَنَاءِ فَمَا يَكُونُ فِي لَيْلَةٍ أَكْثَرَ غَنَاءٍ مِنْهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الْمَغْلُظَةِ .

[مالك بن أبي السَّمْح وسليمان بن علي]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ يَسْمَعُ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ بِالسَّرَّاءِ ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ الشَّامَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، عَدَلَ إِلَيْهِمْ فِي بَدَائِهِ وَعَوْدَتِهِ لَانْقِطَاعِهِ إِلَيْهِمْ ، فَيَرُونَهُ وَيَصِلُونَهُ ؛ فَلَمَّا أَفْضَى إِلَيْهِمُ الْأَمْرُ رَأَى سُلَيْمَانُ مَالِكًا عَلَى بَابِ ابْنِهِ جَعْفَرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا بَنِيَّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ بِبَابِكَ أَشْبَهَ النَّاسَ بِمَالِكٍ ؛ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : وَمَنْ مَالِكُ ؟ ، يُوْهِمُهُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ ، فَتَغَافَلَ عَنْهُ سُلَيْمَانُ لثَلَاثَ يَنَاهٍ عَلَيْهِ فَيَطْلُبُهُ ، وَتَوَهَّمُ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ وَلَا سَمِعَ غَنَاءَهُ .

قَالَ حَمَادُ : وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى مَالِكًا بِالْبَصْرَةِ عَلَى بَابِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، أَوْ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ ، فَسَأَلَ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَرَفَهُ وَقَدْ كَانَ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ ؛ قَالَ : فَمَالِي حَسْرَةً مِثْلَ حَسْرَتِي بَأَنِّي مَا سَمِعْتُ غَنَاءَهُ .

أخبرني إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : كَانَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ يَتِيمًا فِي حِجْرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَبُو السَّمْحِ صَارَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا احْتَضَرَ أَوْصَى بِمَالِكٍ إِلَيْهِ ، فَكَفَلَهُ وَعَالَهُ وَرَبَّاهُ ، وَأَدْخَلَهُ فِي دَعْوَةِ بَنِي هَاشِمٍ ، فَهُوَ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ . ثُمَّ خَطَبَ حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْعَابِدَةَ بِنْتَ شُعَيْبِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَمَنَعَهُ بَعْضُ أَهْلِهَا مِنْهَا وَخَطَبَهَا لِنَفْسِهِ ، فَعَاوَنَ مَالِكُ حُسَيْنًا ، وَكَانَتِ الْعَابِدَةُ تَسْتَنْصِحُهُ ، وَكَانَتْ بَيْنَ أَبِيهَا شُعَيْبٍ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ، فَأَجَابَتْ حُسَيْنًا وَتَزَوَّجَتْهُ ، فَاِنْقَطَعَ مَالِكُ إِلَى حُسَيْنٍ ؛ فَلَمَّا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ قَدِمَ الْبَصْرَةَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ مَتَّ بِصَحْبَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَدَعْوَتِهِ فِي بَنِي هَاشِمٍ

وانقطاعه إلى حسين ؛ فقال له سليمان : أنا عارفٌ بكلِّ ما قلته يا مالك ، ولكنك كما تعلم ، وأخاف أن تُفسد عليَّ أولادي ، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعلُ لك شيئاً أبعث به إليك ما دمتَ حيّاً في كلِّ عام ، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك ؛ قال : أفعَلُ جعلني الله فداك ؛ فأمر له بجائزة وكُسوة وحمله وزوّده إلى المدينة .

[مالك بن أبي السّمح في كبره]

أخبرني عمّي الحسن بن محمّد قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون بن جناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكوفيّ عمّن أخبره قال : دخلتُ المدينة حاجّاً فدخلت الحمام ، فبينما أنا فيه إذ دخل صاحبُ الحمام فغسله ونظّفه ، ثم دخل شيخٌ أعمى له هيئةٌ ، مؤتزراً بمنديلٍ أبيض ؛ فلما جلس خرجتُ إلى صاحب الحمام فقلت له : من هذا الشيخ ؟ قال : هذا مالك بن أبي السّمح المغنّي ، فدخلتُ عليه فقلت له : يا عمّاه ، مَنْ أحسنُ الناسِ غناءً ؟ فقال : يا ابن أخي ، «على الخبير سقطت»¹ ، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنهم صوتاً .

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني أبو يحيى العباديّ عن إسحاق قال : كان فتيةً من قریش جلوساً في مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبي السّمح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألنا مالكا فغنّانا صوتاً ! فقام إليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم ، فعدّل إليهم ؛ فسألوه أن يغنيهم ؛ فقال : نعم والله بالحُبِّ والكرامة ، ثم اندفع يغني ، وأوقع بالمقرعة على قُرْبوس سرّجه ، فرفع صوته فلم يقدر ، ثم خفّضه فلم يقدر ، فجعل ييكّي ويقول : واشباباه .

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد عن الزبير بن بكار عن عمّه عن جدّه أنّه كان في هؤلاء الفتيّة الذين كانوا سألوه الغناء ؛ وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق .

[مالك بن أبي السّمح وعجاجة المخنث]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال حدّثني صالح بن أبي الصمقر قال : قديم مالك بن أبي السّمح المغنّي البصرة ، فلقبه عجاجةُ المخنث ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنثين ، وقال له : فدَيْتُكَ يا أبا الوليد ، إنّي كنتُ أحبُّ أن ألقاك وأن أعرض عليك صوتاً من غنائك أخذته عن بعض المخنثين ، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندي فعلتَ ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنثُ جرداً² قطيفة كانت عنده فجلس ، ثم أخذ عجاجة الدفّ فغنّى :

[من الخفيف]

1 مجمع الأمثال للميداني 2 : 24 وجمهرة العسكري 2 : 32 والمستقصى للزمخشري 2 : 164 .

2 الجرد : الخلق .

حَبَّ إِنَّ الْخَمَارَ كَانَ عَلَيْهَا شَاهِدًا يَوْمَ زَارَتِ الْجَوْشَنِيَّةَ¹
 قَدْ سَبَّهَ بِذَلِكَهَا حِينَ جَاءَتْ تَهَادَى فِي مِشْيَةِ بَخْتَرِيَّةَ

فجعل مالك يقول له : وَيْلَكَ ! مَنْ قَالَ هَذَا ؟ لعنه الله ؛ وَيْحَكَ مَنْ غَنَى هَذَا ؟ قَبِّحَهُ اللهُ ، وَيْحَكَ مَنْ رَوَى عَنِّي هَذَا ؟ أَخْزَاهُ اللهُ ، ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عَجَاجَةِ .
 [مالك ومعبد وابن عائشة عند يزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن جَنَاح قال حدّثني مصعب بن عثمان قال حدّثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عُرْوَةَ بن الزبير قال حدّثني مالك بن أبي السَّمْح قال : قَدِمْنَا عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوَّلَ قُدُومِنَا عَلَيْهِ مَعَ مَعْبَدِ بْنِ عَائِشَةَ ، فغَنَيْنَاهُ لَيْلَةً فَأَطْرَبْنَاهُ ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكُتِبَ لَنَا بِهَا إِلَى كَاتِبِهِ ، فَغَدُونَا عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَنْكَرَهُ وَقَالَ : أَيُؤْمَرُ لِمِثْلِكُمْ بِأَلْفِ دِينَارٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ ؟ لَا وَاللَّهِ وَلَا حُبًّا وَلَا كِرَامَةً ! . فَرَجَعْنَا إِلَى يَزِيدَ فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَقَالَتِهِ وَكَّرَرْنَا عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : كَأَنَّهُ اسْتَنَكَرَ² ذَلِكَ ؟ فَقُلْنَا : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : مِثْلُهُ وَاللَّهِ يَسْتَنَكِرُهُ³ وَدَعَاهُ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ وَرَأَانَا عِنْدَهُ اسْتَأْمَرَهُ فِيهَا ، فَأَطْرَقَ مُسْتَحْيِيًّا ؛ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ قُلْتُهَا لَهُمْ وَلَا يَجْمَلُ أَنْ أَرْجِعَ عَمَّا قُلْتَ ، وَلَكِنْ قَطَعْتُهَا عَلَيْهِمْ . قَالَ مَالِكُ : فَمَاتَ وَاللَّهِ يَزِيدُ ، وَقَدْ بَقِيَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ .
 [سليمان بن علي يلوم ولديه على استماعهما للغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أبي ، وحدّثنا الحسن بن محمد قال : لَمَّا انْهَزَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ أَبِي مُسْلِمٍ قَدِيمِ الْبَصَرَةِ ، وَكَانَ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ يَوْمَئِذٍ بِهَا ، فَاسْتَزَارَهُ جَعْفَرُ وَمُحَمَّدُ فَزَارَهُمَا ، وَغَنَاهُمَا مَالِكُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فِي دَارِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ سُلَيْمَانَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَعَدَّلَ جَعْفَرًا وَمُحَمَّدًا ، وَقَالَ : نَحْنُ نَتَوَقَّعُ الطَّامَةَ الْكِبْرَى وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ الْغَنَاءَ ! فَقَالَا : أَلَا تَجْلِسُ وَتَسْمَعُ ! ففعل ، فغَنَاهُمْ مَالِكُ :

صوت

ما كنتُ أَوَّلَ مَنْ خَاسَ الزَّمَانُ بِهِ قَدْ كُنْتُ ذَا نَجْدَةٍ أُخْشَى وَذَا بَاسٍ
 أُبْلِغُ أَبَا مَعْبَدٍ عَنِّي وَإِخْوَتَهُ شَوْقِي إِلَيْهِمْ وَأَحْزَانِي وَوَسْوَاسِي
 فخرج وتركهم ولم يُنكر عليهم شيئاً .

1 الجوشنية : نسبة إلى جوشن بطن من غطفان .

2 ل : استنكر .

3 ل : يستنكره .

[مدحه الحسين بن عبد الله]

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس : [من المنسرح]

صوت

لا عيشَ إلا بمالك بن أبي السَّ مح فلا تلحني ولا تلم
أبيضُ كالبدْرِ أو كما يلمع ال بارقُ في حالِك من الظلم
منَ ليس يعصيك إن رَشَدْتَ ولا يهتِكُ حقَّ الإسلام والحرم
يُصيبُ من لَذَّةِ الكريم ولا يجهلُ آيَ الترخيص في اللِّم
يا رَبَّ ليلٍ لنا كحاشية ال بُردٍ ويومٍ كذاك لم يَدُم
نعمتُ فيه ومالك بن أبي الس مح الكريم الأخلاقِ والشِّم

غناه مالك في الأول والثاني والثالث رملاً بالنصر في مجراها ، فيقال : إن مالكا قال له : لا والله ولا إن غويت أيضاً أعصيك ؛ ذكر ذلك الزبير عن عمه مصعب . ويقال : إنه قال هذه المقالة للوليد بن يزيد ، فسّر بذلك وأجرل صلته .

[غنى الوليد بن يزيد حتى طرب]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال حدثني أبي قال قال ابن الكلبي : قال الوليد بن يزيد لمبعد قد أدتني ولولتك هذه ، وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلالك هذا ، فانظروا لي رجلاً يكون مذهبه متوسطاً بين مذهبيكما ؛ فقالا له : مالك بن أبي السمح ؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائر مُغني الحجاز المذكورين ؛ فلما قدِم مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنين نزل على الغمر بن يزيد ، فأدخله على الوليد فغناه فلم يُعجبه ؛ فلما انصرف الغمر قال له : إن أمير المؤمنين لم يُعجبه شيء من غنائك ؛ فقال له : جعلني الله فداك ! اطلب لي الإذن عليه مرة واحدة ، فإن أعجبه شيء مما أغنيه وإلا انصرفتُ إلى بلادي . فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره الغمر وطلب له الإذن ، وقال له : إنه هابك فحصر ؛ قال : فأذن له ، فبعث إليه ؛ فأمر مالك الغلام فسقاه ثلاث صراحيات صرّفا ؛ فخرج حتى دخل عليه يخطر في مشيته . وقال غير ابن الكلبي : إنه قال لفرّاش للوليد : اسقني عُساً من شراب ولك دينار ، فسقاه إياه وأعطاه الدينار ؛ ثم قال له : زدني آخر فازيدك آخر ، ففعل حتى شرب ثلاثة ، ثم دخل على الوليد يخطر في مشيته ؛ فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يسلم ، وأخذ بخلقة الباب ففققعها ، ثم رفع صوته فغنى :

لا عيشَ إلا بمالك بن أبي الس منح فلا تلحني ولا تلم

فطَرِبَ الوليد ، ورفع يديه ، حتى بدا إبطاه إليه مادّاً لهما ، وقام فاعتنقه قائماً ، وقال له :
ادنُ يا ابن أخي ، فدنا حتى اعتنقه ؛ ثم أخذ في صوته ذلك ، فلم يزلوا فيه أياماً ، وأَجَزَل
صلته حين أراد الانصراف . قال : ولما أتى مالك على قوله : [من المنسرح]

أَبْيَضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الـ بَارِقُ في حالِكٍ من الظُّلَمِ

قال له الوليد : [من المنسرح]

أَحْوَلُ كالقِرْدٍ أو كما يَرْقُبُ السـ بَارِقُ في حالِكٍ من الظُّلَمِ

[كان يأخذ أغاني غيره وبغيرها]

وكان مالك طويلاً أَجْنَى¹ فيه حَوْلٌ . وقد قال قومٌ : إنَّ مالكا لم يصنع لحناً قطُّ غيرَ هذا ،
أعني : « لا عيشَ إلَّا بمالك بن أبي السَّمْح » ، وإنَّه كان يأخذ غناءَ الناسِ فيزيدهُ فيه وينقصُ
منه وينسبُه الناسِ إليه ، وكان إسحاق يُنكر ذلك غايةَ الإنكار ، ويقول : غناءُ مالكٍ كلُّه
مَذْهَبٌ واحد لا تَبَاقٍ فيه ، ولو كان كما يقول الناس لاختلفَ غِنَاؤُهُ ، وإنَّما كان إذا غَنَى الحانَ
مَعْبُودٍ الطَّوَالَ خَفَّفَهَا وحَذَفَ بعضَ نغمها ، وقال : أطالهُ مَعْبُودٌ ومَطَّطُهُ ، وحذفتُهُ أنا وحسنتُهُ ،
فأَمَّا إلَّا يكونَ صنعٌ شيئاً فلا .

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حماد : قرأتُ على أبي وذكر بكّار بن
النبال : أنَّ الوليد قال لمالك : هل تصنع الغناء ؟ قال : لا ، ولكنني أزيدُ فيه وأُنقصُ منه ؛ فقال له :
فأنت المَحَلِّي إذا .

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتْبَةَ اللَّهَبِيِّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشمي
الحارثي الذي يقال له سَنَابِل ، وفيه يقول الشاعر :

فإن هي ضنَّتْ عنكَ أو حِيلَ دونها فدعها وقُلْ في ابن الكرامِ سَنَابِل

قال : خرجتُ من مكَّةُ أريدُ أبا العباسَ أميرَ المؤمنين ، فمررت على المدينة فحملت معي
مالك بن أبي السَّمْح ، فسألته يوماً عن بعض ما يُنسَبُ إليه من الغناء ؛ فقال : يا أبا الفضل ،
عليه وعليه إن كان غنى صوتاً قطُّ ، ولكنني آخذُهُ وأحسنُهُ وأهينُهُ وأطيبُهُ ، فأصيب ويخطئون
فَيُنسَبُ إليّ . قال إسحاق : وليس الأمرُ هكذا ، للمالكِ صنعةٌ كثيرةٌ حسنة ، وصنعتُهُ تَجْرِي في
أُسْلُوبٍ واحد ، ويُشَبِّه بعضها بعضاً ، ولو كان كما قيل لاختلفَ غِنَاؤُهُ . وقد قيل : إنَّ مالكا
كان يَتَنَفَّى من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكرون عليه ، فكان يَتَبَدَّلُ به عند مَنْ
يراه ، ويُنكره عند مَنْ يذُمَّه ، لحلَّهُ في بني هاشم .

1 الأجنى : الأجنأ وهو الذي أشرف كاهله على صدره . والأحنى : الأحدب .

وأخبرني بخبر سنابل هذا محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللّهي عن سنابل ، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن بن عتبة حدّثه وحكاها عن حمزة بن عتبة أخيه .

[أخذ صوتاً من حمار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي ؛ عن أبيه عن محمد بن يزيد اللّيثي قال : سئل مالك بن أبي السّمح عن صناعته في : [من الخفيف]

لاَحَ بالدَّيْرِ من أُمَامَةِ نارُ

فقال : أخذته والله من خربنده¹ بالشام يسوق أحمرّة ، فكان يترنّم بهذا اللّحن بلا كلام ، فأخذته فكسوته هذا الشعر .

[أخذ صوتاً من حائك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : نزل مالك بن أبي السّمح عند رجل بمكة مخزومي ، وكان له غلامٌ حائك ، فأناه آتٍ فقال : أَمَا سَمِعْتَ غناء غلامك الحائك ؟ قال : لا ! أَوْ يُغَنِّي ؟ قال : نعم بشعر لأبي ذَهَبٍ الجُمَحِيّ ؛ فبعث إليه فأناه ، فقال : تَغَنّ ؛ فقال : ما أَحْسِنُ ذاك إِلَّا على حَفِيّ ؛ فخرج مولاه ومعه مالكُ إلى بيته ، فلمّا جلس على حَفّ تَغَنّى : [من الطويل]

تَطَاوَلَ هذا اللَّيْلُ ما يَتَبَلَّجُ

فأخذه مالكُ عنه وغناه فَنَسَبَهُ الناسُ إليه ؛ وكان يقول : والله ما غَنَيْتَهُ قطّ ولا غَنَاهُ إِلَّا الحائِكُ .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الخفيف]

لاَحَ بالدَّيْرِ من أُمَامَةِ نارُ لِحَبِّ له يَشْرِبَ دارُ

قد تَراها ولو تشاء من القُرْ ب لأغناكَ عن نَداها السَّرا

الشعر للأحوص² ، ويقال : إنّه لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت . والغناء لمالك بن أبي السّمح ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

1 خربنده : كلمة فارسية تعني المكاري .

2 شعر الأحوص : 96 عن الأغاني .

صوت

[من الطويل]

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ مَا يَتَبَلَّجُ وَأُعِيتَ غَوَاشِي سَكْرَتِي مَا تَفَرَّجُ
أُبَيْتُ بِهِمْ مَا أَنَامُ كَأَنَّمَا خِلَالَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَهَّجُ
فَطَوَّرًا أُمْنِي النَّفْسَ مِنْ تُكْتَمِ الْمُنَى وَطَوَّرًا إِذَا مَا لَجَّ بِي الْحُبُّ أَنْشِجُ¹
عروضه من الطويل ، الشعر لأبي ذَهَبٍ ، والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ
على مذهب إِسْحَاقَ مِنْ رَوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ .

[هرب يوم مقتل الوليد]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : حَضَرْتُ الْوَلِيدَ بْنَ
يَزِيدَ يَوْمَ قُتِلَ ، وَكَانَ مَعَنَا مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ وَكَانَ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْوَلِيدُ قَالَ :
أَهْرُبْ بَنَّا ؛ فَقُلْتُ : وَمَا يَرِيدُونَ مِنَّا ؟ قَالَ : وَمَا يَوْمُنْكَ أَنْ يَأْخُذُوا رَأْسَيْنَا فَيَجْعَلُوا رَأْسَهُ بَيْنَهُمَا
لِيُحْسِنُوا أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ ! قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : فَمَا رَأَيْتَ مِنْهُ عَقْلًا قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .
[عَلَّمَ ابْنَهُ الْغَنَاءَ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ قَالَ الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي طَبِيبَةٌ قَالَتْ : رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ
أَبِي السَّمْحِ وَهُوَ عَلَى مَنَامَتِهِ يُلْقِي عَلَى ابْنِهِ وَقَدْ كَبِرَ وَانْقَطَعَ² :
[مِنْ السَّرِيعِ]

صوت

اعْتَادَ هَذَا الْقَلْبَ بَلْبَالُهُ إِذْ قُرِبَتْ لِلْبَيْنِ أَجْمَالُهُ
خَوْذٌ إِذَا قَامَتْ إِلَى خِدْرِهَا قَامَتْ قَطُوفُ الْمَشْيِ مِكَسَالُهُ
تَفَتَّرَ عَنْ ذِي أَشْرٍ بَارِدٍ عَذَبَ إِذَا مَا ذِيقَ سَلْسَالُهُ
الشعرُ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَلِمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَلْحَانٍ : خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي
مَجْرَى الْوَسْطَى ، وَثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا جَمِيعًا عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى
عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِابْنِ سُرَيْجٍ . وَفِيهِ رَمَلٌ يُنْسَبُ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ وَابْنِ سُرَيْجٍ .
[شَعْرُ فِي رِثَائِهِ]

أَخْبَرَنِي وَكَعْبٌ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتُ مُشِيدًا
يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ يَرِثِي مَالِكًا بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
[مِنْ الْبَسِيطِ]

1 تكتم : اسم المرأة التي يشب بها .

2 ديوان عمر : 338 .

يا مالُ إِنِّي قَضَتُ نَفْسِي عَلَيْكَ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ
إِلَّا الَّذِي لَكَ فِي قَلْبِي خُصِصْتَ بِهِ مِنْ الْمَوَدَّةِ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ
قال إسحاق قال أبو عُبَيْدَة : هو مالك بن أبي السَّمْح . انقضت أخباره .

صوت

من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سهل وابن المَكِّي وأبي العَنَس وَمَنْ رَوَى جَحْظَةً
عنه :

فَالَا تَجَلَّلْهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تَوَقَّى ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ
هَمْ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَايِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ وَلَا تَنْهَهُوهُ لَا تَحِلُّ مَنَايِبُهُ

عروضه من الطويل . البيت الأول من الشعر لرجلٍ من بني نَهْدٍ جاهليٍّ ، وباقي الأبيات
للوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط . والغناء لابن مُحَرِّز ، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في
مجرى البنصر عن يونس وإسحاق ، وهو اللحن المختار . وفيه للغريض ثَقِيلُ أَوَّلُ بالسبابة في
مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لَمَعْدُ ثَقِيلُ أَوَّلُ آخِرُ مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو
وعن الهشامي . وفيه لَسَلْسَلُ في الثاني والثالث ثَقِيلُ أَوَّلُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لَعَطَرْدُ
خفيف ثَقِيل .

[67] - النَّهْدِي فِي هَذَا الشَّعْرِ

وخبر الوليد بن عُقْبَةَ وقد مضى نسبه في أوَّل الكتاب

[الحارث بن مارية وزهير بن جناب]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرني عَمِّي عن ابن الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن المدائني ، وكان عالماً بأخبار قومه ، قال وحدثني أبو مسكين أيضاً ، قال : كان الحارث بن مارية الغساني الجفني مكرماً لزُهير بن جناب الكلبي يُنادمه ويحادثه . فقدم على الملك رجлан من بني نَهْد بن زيد يقال لهما حَزَنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزاح ، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب ، فاجتباهما الملك ونزلا بالمكان الأثير منه ، فحسدهما زهير بن جناب ، فقال : أيها الملك ، هما والله عَيْنٌ لذي القرنين عليك (يعني المنذر الأكبر جد النعمان بن المنذر) ، وهما يكتبان إليه بعورتك وخلل ما يريان منك ؛ قال : كلا ! فلم يزل به زهير حتى أوغر صدره ، وكان إذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه ، فبعث إليهما بناقة واحدة ؛ فعرفا الشر فلم يركب أحدهما وتوقف ؛ فقال له الآخر :

فَالَا تَجَلَّلْهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وكيف تَوَقَّى ظَهْرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ

فركبها مع أخيه ، ومضى بهما فقتلا ، ثم بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فشتَمَ زُهيراً وطرده ، فانصرف إلى بلاد قومه ؛ وقدم رِزاحُ أبو الغلامين إلى الملك ، وكان شيخاً عالماً مُجرباً ، فأكرمه الملك وأعطاه ديةَ ابنه ؛ وبلغ زهيراً مكانه ، فدعا ابناً له يقال له عامر ، وكان من فتيان العرب لساناً وبياناً ، فقال له : إن رِزاحاً قد قدم على الملك ، فالحق به واحتل في أن تكفينيه ، وقال له : اذممني عند الملك ونل مني ، وأثر به آثاراً ؛ فخرج الغلام حتى قدم الشام . فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه ؛ فأعجبه ما رأى منه ؛ فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا عامرُ بنُ زُهير بن جناب ؛ قال : فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعي ! فقال الغلام : نعم ، فلا حيّاك الله ؛ أنظر أيها الملك ما صنع بظهري ! وأراه آثارَ الضرب ؛ فقيل ذلك منه وأدخله في ندمائه ؛ فبينما هو يحدثه يوماً إذ قال له : أيها الملك ، إن أبي وإن كان مُسيئاً فلست أدعُ أن أقولَ الحق ، قد والله نصحك أبي ، ثم أنشأ يقول :

فِيَالِكَ نَصْحَةٌ لَّمَّا نَذَقُهَا أَرَاهَا نَصْحَةٌ ذَهَبَتْ ضَلَالَا

ثم تركه أياماً ، وقال له بعد ذلك : أيها الملك ، ما تقول في حية قد قطع ذنبها وبقي رأسها ؟ قال : ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع ؛ قال : أبيت اللعن ! والله ما قديم رزاح إلا ليثاً بهما ؛ فقال له : وما آية ذلك ؟ قال : اسقيه الخمر ثم ابعث إليه غنياً يأتك بخبره ؛ فلما انتشى صرفه إلى قبته ومعه بنت له ، وبعث عليه عيوناً ؛ فلما دخل قبته قامت إليه ابنته تُسائده فقال :

دَعِينِي مِنْ سِنَادِكِ إِنْ حَزَنَّا وَسَهْلًا لَيْسَ بَعْدَهُمَا رُقُودُ
أَلَا تَسْلِينِ عَنْ شَيْلِي مَاذَا أَصَابَهُمَا إِذَا اهْتَرَشَ الْأُسُودُ¹
فَإِنِّي لَوْ ثَارَتُ الْمَرْءَ حَزَنًا وَسَهْلًا قَدْ بَدَأَ لَكَ مَا أُرِيدُ

فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا ، فأمر بقتل النّهدي رزاح ، وردّ زهيراً إلى موضعه .

[شعر الوليد بن عقبة]

وقد أنشدني محمد بن العباس اليزيدي قال : أنشدنا محمد بن حبيب أبيات الوليد هذه على الولاء ، وهي :

أَلَا مَنْ لِلَّيْلِ لَا تَغُورُ كَوَاكِبُهُ إِذَا لَاحَ نَجْمٌ لَاحَ نَجْمٌ يَرِاقِبُهُ²
بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أَخْتَكُم وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَجِلُّ مَنَاهِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ لَا تَعْجَلُوا بِإِقَادَةٍ سَوَاءٍ عَلَيْنَا قَاتِلُوهُ وَسَالِبُهُ³
فَقَدْ يُجْبِرُ الْعَظُمُ الْكَسِيرَ وَيُنْبِرِي لَذِي الْحَقِّ يَوْمًا حَقُّهُ فَيَطْلُبُهُ
وَأَنَا وَإِيَّاكُمْ وَمَا كَانَ مِنْكُمْ كَصَدْعِ الصِّفَا لَا يَرَأُبُ الصَّدْعَ شَاعِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّعَاقُدُ بَيْنَنَا وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَحَرَابَتُهُ⁴
لَعَمْرُكَ لَا أُنْسَى ابْنَ أَرُوى وَقَتْلَهُ وَهَلْ يَنْسِيَنَّ الْمَاءُ مَا عَاشَ شَارِبُهُ
هُمْ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَايِبُهُ
وَأَنِّي لِمَجْتَابٍ إِلَيْكُمْ بِجَحْفَلٍ يُصِمُّ السَّمِيعَ جَرَسُهُ وَجَلَابَتُهُ

1 شيلي في ل : شليك .

2 كلمة لآح الثانية في ل : غار .

3 المثل : سواء علينا قاتلاه وسالبه في مجمع المياني 1 : 335 والمستقصى 2 : 123 والجمهرة 1 : 515 .

4 الحرائب : المال أو ما يسلب منه .

وقد أجاب الفضلُ بن عَبَّاس بن عُتْبَةَ بن أَبِي لَهَبٍ الوليدَ عن هذه الأبيات ، وقيل : بل أبوه العباس بن عُتْبَةَ المجيبُ له أيضاً . والجواب :

[من الطويل]

صوت

فلا تسألونا بالسلاح فَإِنَّهُ أَضْيَعُ وَالْقَاهُ لَدَى الرَّوْعِ صَاحِبُهُ¹
 وَشَبَّهَتْهُ كَسْرَى وَقَدْ كَانَ مِثْلُهُ شَبَّهْتُ بِكَسْرَى هَدْيُهُ وَعَصَائِبُهُ
 ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَكِّيِّ أَنَّ لَابْنَ مَسْجَحٍ فِيهِ لَحْنٌ وَأَنَّ لَحْنَهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
 الْوَسْطَى ، وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّهُ مِنْ مَنْحُولِ أَبِيهِ يَحْيَى إِلَى ابْنِ مَسْجَحٍ .

[68] - ذكر باقي خبر الوليد بن عُقبة ونسبه

[نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة]

الوليدُ بنُ عقبة بن أبي مُعيط ، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قَطيفة . ويكنى الوليدُ أبا وَهَب . وهو أخو عثمان بن عفان لأمه . أمهما أروى بنت كُرَيْز ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب . وكان من فتيان قريش وشجعانهم وأجوادهم ، وكان فاسقاً ؛ ووَلِيَ لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، فشرب الخمر وشهد عليه بذلك ، فحدّه وعزله .

[نحره من معاوية على الأخذ بثار عثمان]

وهو الذي يقول يرثي عثمان رضي الله عنه ويُحرّض معاوية : [من الطويل]

والله ما هندُ بأُمِّك إن مضى النهـ أر ولم يثأر بعثمان نائـ
أَيَقْتُلُ عبدُ القوم سيّدَ أهله ولم تقتلوه ليت أمك عاقـ
وإنّا متى نقتلهم لا يُقَدُّ بهم مُقَيَّدٌ فقد دارت عليك الدوائـ

[كان يجالس عثمان على سريره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال : لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلاّ العباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عُقبة ، فأقبل الوليدُ يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم ، فلما رآه عثمان زَحَلَ له عن مجلسه ، فلما قام الحكم قال له الوليد : والله يا أمير المؤمنين ، لقد تَلَجَّلَج في صدري بيتان قَلَّتْهُما حين رأيتك أثرت عمك على ابن أمك ؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه : إنّه شيخ قريش ، فما البيتان اللذان قَلَّتْهُما ؟ قال قلت :

رَأَيْتُ لعم المرء زُلفى قرابة دُوِّنَ أخيه حادثاً لم يكن قدماً
فأمَلْتُ عمراً أن يَشِيبَ وخالداً لكي يدعواني يوم مَرْحمةَ عمّا

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان . قال : فرّق له عثمان ، وقال له : قد وَلَّيتك العراق (يعني الكوفة) .

[ولايته على الكوفة وخيره مع سعد بن أبي وقاص]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا عن ابن ذاب قال : لما ولي عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة الكوفة قديمها وعليها سعد بن أبي وقاص ، فأخبر بقدمه ؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف في السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا نكر شيئاً من شأنه ؛ فلم يلبث أن جاءه نصف النهار ، فاستأذن على سعد فأذن له ، فسلم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببت زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئت بريداً ؟ قال : أنا أرزؤ من ذلك ، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه ، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة ؛ فمكث طويلاً ثم قال : لا والله ما أدري أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ؟ ثم قال :

خذيني فجرّيني ضياعاً وأبشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره
فقال : أما والله لأنّا أقول للشعر وأروى له منك ، ولو شئت لأجبتك ، ولكني أدع ذلك لما تعلم ؛ نعم والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك ؛ ثم بعث إلى عماله فحبسهم وضيق عليهم ؛ فكتبوا إلى سعد يستغيثون ، فكلمهم فيهم ؛ فقال له : أو للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله ؛ فخلّى سبيلهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر قال حدثنا جناد بن بشر قال : حدثني جرير عن مغيرة بنحوه . قال أبو زيد عمر بن شبة أخبرنا أبو بكر الباهلي قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب : أنه لما قدم على سعد قال له سعد : ما أدري أكسبت بعدنا أم خمقنا بعدك ؟ فقال : لا تجزعن أبا إسحاق ، فإنما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون ؛ فقال له سعد : أراكم والله ستجعلونه ملكاً .

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : قدم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وكان سعد قد أخذ مالا ، فقال الوليد لعبد الله : خذه بالمال ، فكلمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك ؛ فقال سعد : آتي أمير المؤمنين ، فإن أخذني به أدبته . فغمر الوليد عبد الله ، ونظر إليهما سعد فنهض وقال : فلعنهما ؛ ودعا الله أن يغري بينهما وأدى المال .

[صلى بالناس الصبح أربع ركعات]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شاذب قال : صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم .

[شعر الخطيئة فيه]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير
عن الأجلح عن الشَّعْبِيِّ في حديث الوليد بن عُقْبَةَ حين شهدوا عليه قال : قال
الخطيئة¹ :

شهد الخطيئةُ يوم يلقى ربَّه أن الوليدَ أحمقُ بالعُذرِ
نادى وقد تمَّتْ صلاتُهم أزيدكم سُكرًا وما يدري
فأَبَوْا أبا وَهْبَ ولو أَذِنُوا لقرَّنتَ بين الشفع والوترِ
كفُّوا عِنانَكَ إذ جريتَ ولو تركوا عِنانَكَ لم تزل تجري

وقال الخطيئةُ أيضًا² :

تكلَّم في الصلاة وزاد فيها علانيةً وجاهر بالنفاقِ
ومجَّ الخمرَ في سنن المصلِّي ونادى والجميعُ إلى افتراقِ
أزيدكم على أن تحمدوني وما لكم وما لي من خلاقِ

[شرب الخمر فضرب الحد]

أخبرني محمد بن محمد بن خُفَيْع قال قال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال ذكر أبو عُبَيْدَةَ
وهشام بن الكلبي والأصمعي قالوا : كان الوليد بن عقبة زانياً شريب خمر ، فشرب الخمر
بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع ، فصلَّى بهم أربع ركعات ، ثم التفت إليهم
وقال لهم : أزيدكم ؟ وتقياً في المحراب ، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته : [من مجزوء الرمل]

عَلِقَ الْقَلْبُ الرِّبَابَا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان ، فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر ، فأتى به ، فأمر
رجلاً بضربه الحد ؛ فلما دنا منه قال له : نشدتك الله وقرأتي من أمير المؤمنين فتركه ؛ فخاف
علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يعطل الحد ، فقام إليه فحده فقال له الوليد نشدتك بالله
وبالقربة فقال له علي : اسكت أبا وهب فاتما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود ، فضربه
وقال : لتدعوني قريش بعد هذا جلادها . قال إسحاق : فأخبرني مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ قال : قال
الوليد بن عُقْبَةَ بعد ما جُلِدَ : اللهم إني شهدوا علي بزور ، فلا تُرضهم عن أمير ولا تُرض عنهم
أميراً . فقال الخطيئة يكذب عنه :

[من الكامل]

1 ديوان الخطيئة (صادر) : 180 .

2 ديوان الخطيئة : 181 .

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعدر
خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري
ورأوا شمائل ماجد أنف يُعطي على الميسور والعسر
فنزعت مكذوباً عليك ولم تنزع إلى طمع ولا فقر¹

فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة :

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم ثملاً وما يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
فأبوا أبا وهب ولو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر

وروى العباس بن ميمون طائع عن ابن عائشة قال حدثني أبي قال : لما أحضر عثمان رضي الله عنه الوليد لأهل الكوفة في شرب الخمر ، حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية متوافرون ، فطمعوا أن يأتي الوليد بعذر ، فقال :

[من الكامل]

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعدر
خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري
ورأوا شمائل ماجد أنف يُعطي على الميسور والعسر
فنزعت مكذوباً عليك ولم تنزع إلى طمع ولا فقر

قال : فسروا بذلك وظنوا أن قد قام بعذره ؛ فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة :

[من الكامل]

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم ثملاً وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر

فوجم القوم وأطرقوا ، فأمر به عثمان رضي الله تعالى عنه فحدّ .

[قصة رجل معيط شهد عليه عند الأمير]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي² قال حدثني محمد بن الفضل من حفظه قال حدثنا عمر بن شبة من حفظه ، ونسخت من كتاب هارون ابن الزيات بخطه عن عمر بن شبة ، وروايته أتم ، فحكيت لفظه ، قال : شهد رجل عند أبي العجاج ، وكان على البصرة ، على رجل من المعيطين

1 طمع في ل : طمع .

2 ل : المكّي .

شهادة ، وكان الرجل الشاهد سكراناً ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعْطِيّ : أعزَّكَ اللهُ إنَّه لا يُحسنُ أن يقرأ من السكر ؛ فقال الشاهد : بلى إنِّي لأُحسن ؛ فقال : اقرأ ؛ فقال : [من مجزوء الرمل]

عَلِقَ القلبُ الرُّبابا بعد ما شابت وشابا

قال : وإنما تماجَنَ بذلك على المُعْطِيّ ، ليحكى به ما صنع الوليدُ بن عُقبة في مِحْراب الكوفة وقد تقدَّم للصلاة وهو سكران ، فأُشيد في صلاته هذا الشعر ؛ وكان أبو العجاج مُحَمِّقاً فظنَّ أنَّ هذا قرآن ، فقال : صدق الله ورسوله ، ويَلْكم ؛ فلم تعلمون ولا تعملون ؟ ولقد روي أيضاً في الشهادة على الوليد في السكر غيرُ ما ذُكر من زيادته في الصلاة .

[رواية أخرى لحكاية سكره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال عرضت على المدائني عن مبارك بن سلام عن فطر بن خليفة عن أبي الضُّحى قال : كان أبو زَيْنَب الأزديّ وأبو مُورَّع يطلبان عُثرة الوليد بن عُقبة ، فجاءا يوماً فلم يحضِر الصلاة ، فسألا عنه وتلطَّفا حتى علما أنه يشرب ، فاقترحا عليه الدارَ فوجداه يقيء ، فاحتملاه وهو سكران فوضعا على سريره وأخذوا خاتمته من يده ، فأفاق فاقتد خاتمته فسأل عنه ؛ فقالوا : لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك ؛ فقال : صِفُوهُمَا لي ؛ فقالوا : أحدهما آدمٌ طويلٌ¹ حسنُ الوجه ، والآخرُ عريضُ مربع عليه خميص² ؛ فقال : هذا أبو زَيْنَب وأبو مُورَّع . ولقي أبو زَيْنَب وصاحبه عبد الله بن حُبَيْش³ الأسديّ وعَلَقمة بن يزيد البكريّ وغيرهما فأخبراهم ، فقالوا : اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه ؛ فقال بعضهم : لا يقبل قولنا في أخيه ؛ فشخصوا إليه وقالوا : إنا جئناك في أمرٍ ونحن مُخْرِجوه إليك من أعناقنا ، وقد قلنا : إنَّك لا تقبله ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأينا الوليد وهو سكرانٌ من خمر قد شربها وهذا خاتمته أخذناه وهو لا يعقل ؛ فأرسل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره ؛ فقال : أرى أنَّ تُشخِصه ، فإن شهدوا عليه بمحضَر منه حدثته ؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدم عليه ، فشهد عليه أبو زَيْنَب وأبو مُورَّع وجُنْدَب الأسديّ وسعد بن مالك الأشعريّ ، ولم يشهد عليه إلا يمان ؛ فقال عثمان لعليّ : قم فاضربه ؛ فقال عليّ للحسن : قم فاضربه ؛ فقال الحسن : ما لك ولهذا ؛ يكفيك غيرُك ؛ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه ، فاضربه بمحضرة فيها سيرٌ له رأسان ، فلمّا بلغ أربعين قال له عليّ : حَسْبُكَ .

1 ل : طوال .

2 الخميصة : كساء أسود مربع .

3 ل : خنيس .

[عائشة تندخل لإقامة الحد على الوليد]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن الواقصي عن الزهري قال : خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد ، فقال : أكلما غضب رجلٌ منكم على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لكم لأنكُلنَّ بكم ؛ فاستجاروا بعائشة ؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغلظة ، فقال : أما يجدُ مَراقَ أهلِ العراقِ وفُسَّاقَهُم مَلجأً إلَّا بيتَ عائشة ؟ فسمعتُ فرفعتُ نعلَ رسولِ الله ﷺ وقالت : تركتُ سنةَ رسولِ الله ﷺ صاحبِ هذه النعل ؛ فتسامعَ الناسُ فجاءوا حتى ملؤوا المسجدَ ، فمن قائل : أحسنتُ ، ومن قائل : ما للنساءِ ولهذا ! حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال ؛ ودخل رهطٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ على عثمان ؛ فقالوا له : اتقِ الله ولا تُعطلِ الحدَّ ؛ واعزِلْ أخاك عنهم ؛ فعزله عنهم .

[ضرب عثمان رجلاً شهد عليه]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن أبي محمد الناجي عن مطر الوراق قال : قديم رجل المدينة فقال لعثمان رضي الله عنه : إنني صليتُ الغداةَ خلفَ الوليد بن عُقبة ، فالتفتُ إلينا فقال : أزيدكم ؟ إنني أجِدُ اليومَ نشاطاً ، وأنا أشمُّ منه رائحةَ الخمر ؛ فضرب عثمانُ الرجلَ ؛ فقال الناسُ : عَطَلَتِ الحدودُ وضُرِبَتِ الشهودُ .

[الوليد بن عقبة وعدي بن حاتم]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثنا أبو بكر الباهلي عن بعض من حدثه قال : لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص ، فخرج وخرج معه قومٌ يعذرونه ، فيهم عدي بن حاتم ، فنزل الوليدُ يوماً يسوقُ بهم ، فقال يرتجز : [من الرجز]

لا تحسبنا قد نسينا الإيجاف والنشوات من عتيق أو صاف¹

وعرفَ قيناتِ علينا عُرُافَ

فقال عديّ : إلى أين تذهب بنا ؟ أَقِمْ

[أخبار تتعلق بجلد الوليد]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عَرَضْتُ على المدائني عن قيس بن الربيع عن الأجلح عن الشعبي عن جندب قال : كنتُ فيمن شهد على الوليد ، فلما استتممتنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان ، ثم ذكر باقي خبره وضربَ عليّ عليه السلام إياه ، وقول الحسن : «ما لكَ ولهذا !» ، فزاد فيه : فقال له عليّ : لستَ إِذًا مسلماً ، أو من المسلمين .

حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومي قال حدَّثنا سعيد بن محمد المخزومي قال حدَّثنا ابنُ عُلَيَّة قال حدَّثنا سَعِيد بن أَبِي عَرُوبَةَ عن عبد الله الدَّانَاج قال سمعت الحُضَيْن بن المُنْذِرَ أبا ساسانَ يحدِّث ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا محمد بن حاتم قال حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيَّة قال حدَّثنا سعيد بن أَبِي عَرُوبَةَ قال حدَّثنا عبد الله الدَّانَاج عن حُضَيْن أَبِي ساسانَ قال : لما جيء بالوليد بن عُقْبَةَ إلى عثمان بن عفَّان وقد شهدوا عليه بشرب الخمر ، قال لعلي : دونك ابنَ عمِّك فأقيم عليه الحدَّ ؛ فأمر به فجلد أربعين . ثم ذكر نحو هذا الحديث وقال فيه : فقال عليّ للحسن : بل ضَعُفْتَ وَوَهَنْتَ وَعَجَزْتَ ، قُمْ يَا عبدَ اللَّهِ بنَ جعفر ، فقام فجلده وعليّ يَعدُّ حتى بلغ أربعين ، فقال عليّ : أمسِك ، جلد رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وأتمَّها عمرُ ثمانين ، وكُلُّ سُنَّة .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمرُ قال حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حَكِيم عن خالد بن سَعِيد قال : لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال : إنَّكَ لتضربني اليومَ بشهادة قومٍ لَيَقْتُلَنَّكَ عامًّا قَابلًا .

[أبو زيد من ندمائه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمِّه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حَبِيب عن ابن الأعرابي قال ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حَكِيم عن خالد بن سَعِيد ، وأخبرني إبراهيم ابن محمد بن أيوب قال حدَّثنا عبد الله بن مُسْلِم ، قالوا جميعاً : كان أبو زَيْد الطائي نديماً للوليد بن عُقْبَةَ أَيَّامَ ولايته الكوفةَ ، فلما شَهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زَيْد¹ واللفظ في القصيدة لليزيدي لأنها في روايته أتم : [من الخفيف]

مَنْ يَرَى الْعَيْرَ لَا بِنَ أَرَوَى عَلَى ظَهْرِهِ	— الْمَرْوَرَى حَدَاتُهَا عِجَالُ
مُصْعِدَاتٍ وَالْبَيْتُ بَيْتُ أَبِي وَهُدَى	بِ خَلَاءٍ تَجَنُّ فِيهِ الشَّمَالُ
يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّهْرَ	— فِيهِ التَّكْرَارُ وَالزَّلْزَالُ
لَيْتَ شِعْرِي كَذَاكَ الْعَهْدِ أَمْ كَا	نَوَا أَنَا سَأُكْمِنُ يَزُولُ فَرَالُوا
بَعْدَ مَا تَعَلَّمِينَ يَا أُمَّ زَيْدٍ	كَانَ فِيهِمْ عِزٌّ لَنَا وَجَمَالُ
وَوَجُوهٌ بُوَدُّنَا مَشْرِقَاتُ	وَنَوَالُ إِذَا أُرِيدَ النَّوَالُ

1 سترد ترجمة لأبي زيد الطائي فيما بعد . وهذه الأبيات في مجموع شعره (بغداد) : 127-131 .

أَصْبَحَ الْبَيْتُ قَدْ تَبَدَّلَ بِالْحَيِّ
كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرِّجَالُ
وَلَعَمْرُ الْإِلَهِ لَوْ كَانَ لِلْسَّيِّ
مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّفَاءُ وَلَا الْوَدَّ
وَلَحَرَّمْتُ لَحْمَكَ الْمُتَعَصَّى
قَوْلَهُمْ شَرُّكَ الْحَرَامَ وَقَدْ كَا
وَأَبَى الظَّاهِرُ الْعَدَاوَةَ إِلَّا
مَنْ رَجَالَ تَقَارَضُوا مُنْكَرَاتِ
غَيْرَ مَا طَالِبِينَ ذَحْلًا وَلَكِنْ
مَنْ يَخُنُكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَتَبَدَّلُ
فَاعْلَمْ أَنَّي أَخُوكَ أَخُو الْوَدِّ
لَيْسَ بِخَلَاءٍ عَلَيْكَ عِنْدِي بِمَالٍ
وَلَكِ النَّصْرُ بِاللِّسَانِ وَبِالْكَفِّ
وَجَوْهًا كَأَنَّهُمَا الْأَقْتَالُ
غَيْرُ أَنْ لَيْسَ لِلْمَنِيَا احْتِيَالُ
فَ مَصَالُ أَوْ لِلْسَّانِ مَقَالُ
وَلَا حَالُ دُونِكَ الْأَشْغَالُ
ضَلَّةٌ ضَلَّ جِلْمُهُمْ مَا اغْتَالُوا¹
نَ شَرَابٌ سِوَى الْحَرَامِ خَلَالُ
شَنَانًا وَقَوْلُ مَا لَا يُقَالُ
لَيَنَالُوا الَّذِي أَرَادُوا فَنَالُوا
مَالٌ دَهْرًا عَلَى أَنْسَ فَمَالُوا
أَوْ يَزُلْ مِثْلَ مَا تَزُولُ الظَّلَالُ
حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
أَبَدًا مَا أَقْلُ نَعْلًا قِبَالُ²
إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء صوت

[من الخفيف]

مَنْ يَرَى الْعَيْرَ لَابَنَ أَرَوْى عَلَى ظَهْرِ
مُصْعِدَاتٍ وَالْبَيْتُ بَيْتُ أَبِي وَهْ
سَرِ الْمَرْوَرَى حُدَاتُهُنَّ عِجَالُ
بِ خَلَاءٍ تَجِنُّ فِيهِ الشَّمَالُ

عروضه من الخفيف . المَرْوَرَى : جمع مَرْوَرَةٍ وهي الصحراء . غَنَى الدَّلَالُ فِيهِ خَفِيفَ
ثَقِيلَ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ .

[لوم الوليد لانتزاله أبا زبيد بدار على باب المسجد]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ الْكُوفَةَ
قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو زُبَيْدَ ، فَأَنْزَلَهُ دَارَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَهِيَ دَارُ الْقَبْطِيِّ ، فَكَانَ
مِمَّا احْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّ أَبَا زُبَيْدَ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ دَارِهِ يَخْتَرِقُ الْمَسْجِدَ وَهُوَ نَصْرَانِيٌّ

1 المتعصى : المتقطع والمتفرق .

2 أقل : حمل . القبال : سير النعل بين الأصبعين .

فيجعلهُ طريقاً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن أبي حبيب بن جبلة عن ابن الأعرابي : أن أبا زيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله الوليد داراً لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة ؛ لأن أبا زيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع إلى الوليد ، فيسمرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران ، فذلك نبههم عليه .
[ولاه عمر صدقات بني تغلب]

قال : وقد كان عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولّى الوليد بن عُقبة صدقات بني تغلب ، فبلغه عنه بيتُ قاله وهو :

إذا ما شدّدتُ الرأسَ مِنِّي بِمِشْوَذٍ فغَيْكَ مِنِّي تَغْلِبَ ابْنَةَ وائِل¹
فَعَزَلَهُ .

[مدح أبي زيد للوليد]

وكان أبو زيد قد استودع بني كنانة بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب إبلاً فلم يردوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أحوال أبي زيد ، فوجد الوليدُ بني تغلب ظالمين لأبي زيد ، فأخذ له الوليدُ بحقه ؛ فقال يمدح الوليد² :

يا ليت شعري بأنباء أنبؤها قد كان يعيا بها صدري وتقديري
عن امرئ ما يزدّه الله من شرفٍ أفرح به ومُريٍّ غيرُ مسرورٍ
(يعني مُريّ بن أوس بن حارثة بن لأم) . وهي طويلة يقول فيها : [من البسيط]

إنّ الوليدَ له عندي وحقّ له وُدّ الخليل ونصح غيرُ مذخورٍ
لقد رعاني وأدنانِي وأظهرني على الأعادي بنصرٍ غيرِ تعذيرٍ³
فشذّب القومَ عني غيرَ مكترثٍ حتى تناهوا على رغمٍ وتصغيرٍ⁴
نفسي فداءً أبي وهبٍ وقَلَّ له يا أمَّ عمرو فحلّي اليوم أو سيري
وفي رواية ابن حبيب : «يا أم زيد» ، يعني : يا أم أبي زيد .

1 المشوذ : العمامة .

2 شعر أبي زيد (بغداد) : 78-79 .

3 وأظهرني في ل : وآثرتني .

4 شذب : طرد ودفع .

[أقطع أبا زيد أرضاً واسعة]

أخبرني محمد بن العباس عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجذبت الجزيرة ، وكان أبو زيد في تغلب ، فخرج بهم ليرعيهم ؛ فأبى عليه الأوسي وقال : إن شئت أن أركبك وحدك فعلت وإلا فلا ؛ فأتى أبو زيد الوليد بن عقبة ، فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى ، وأخذها من الآخر . هكذا روى ابن حبيب . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : كانت الجنيبة في يد مري بن أوس ، فلما قدم الوليد بن عقبة الكوفة انتزعها منه ودفعها إلى أبي زيد . والقول الأول أصح ، وشعر أبي زيد يدل عليه في قوله في الوليد بن عقبة يمدحه¹ :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ يَا ابْنَ أَبِي مُرَيٍّ لَغَيْرِكَ مَنْ أَبَاحَ لَهَا الدَّيَارَا
أَبَاحَ لَهَا أَبَارِقَ ذَاتِ نَوْرٍ تَرَعَّى الْقَفَّ مِنْهَا وَالْعَارَا²
بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ فَتَى قَرِيشٍ أَبِي وَهَبٍ غَدَتْ بَطْنًا غَزَارَا³
أَبَاحَ لَهَا وَلَا يُحْمَى عَلَيْهَا إِذَا مَا كُنْتُمْ سَنَةً جَزَارَا
يريد جزرا من الجذب والشدة .

فَتَى طَالَتْ يَدَاهُ إِلَى الْمَعَالِي وَطَحَّطَحَتَا الْمُقَطَّعَةِ الْقِصَارَا
وهي أبيات .

[شعر أبي زيد عندما نزع منه سعيد بن العاص هذه الأرض]

قال عمر بن شبة في خبره خاصة : فلما غزل الوليد ووليتها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده ؛ فقال :

وَلَقَدْ مُتَّ غَيْرَ أَنِّي حَيٌّ يَوْمَ بَانَتْ بَوْدَهَا خَنَسَاءُ⁴
مَنْ بَنِي عَامِرٍ لَهَا شَقٌّ نَفْسِي قَسَمَةٌ مِثْلَ مَا يُشَقُّ الرِّدَاءُ

1 شعر أبي زيد 76-77 .

2 الأبارق : جمع الأبرق وهو الأرض الغليظة الواسعة تنبت البقل والشجر . القف : ما يس من البقول . العارار : نبت أصفر طيب الرائحة .

3 غزارا : إبل كثيرة اللبن .

4 شعر أبي زيد : 23-26 .

أَشْرَبْتُ لَوْنَ صُفْرَةٍ فِي بِياضٍ وَهِيَ فِي ذَاكَ لَدَنَّةٌ غَيْدَاءُ
 كُلُّ عَيْنٍ مِمَّنْ يَرَاهَا مِنَ النَّا سَ إِلَيْهَا مُدِيمَةً حَوْلَاءُ
 فَاتَهُمْوَا إِنِّ لِلشَّدَائِدِ أَهْلًا وَذَرُّوْا مَا تُرَيِّنُ الْأَهْوَاءُ
 لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتَ إِنِّ لَيْتًا وَإِنِّ لَوًّا عَنَاءُ
 أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجَوَازُ
 وَاسْتَظَلَّ الْعَصْفُورُ كَرَّهَا مَعَ الضَّبِّ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْحِرْبَاءُ
 وَنَفَى الْجُنْدُبُ الْحَصَى بِكَرَاعِهِ هِ وَأَذَكْتَ نِيرَانَهَا الْمُعْزَاءُ¹
 مِنْ سَمُومٍ كَأَنَّهَا حَرُّ نَارٍ سَفَعَتْهَا ظَهْمِيرَةٌ غَرَاءُ
 وَإِذَا أَهْلُ بَلَدَةٍ أَنْكَرُونِي عَرَفْتَنِي الدَّوْيَةَ الْمَلْسَاءُ²
 عَرَفْتُ نَاقَتِي الشَّمَائِلَ مِنِّي فَهِيَ إِلَّا بُغَامَهَا خَرَسَاءُ³
 عَرَفْتُ لَيْلَهَا الطَّوِيلَ وَلَيْلِي إِنِّ ذَا اللَّيْلِ لِلْعَيُونِ غِطَاءُ

نسبة ما يغنى فيه من هذا الشعر
صوت

[من الخفيف]

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجَوَازُ
 وَاسْتَكَنَّ الْعَصْفُورُ كَرَّهَا مَعَ الضِّبِّ بَّ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْحِرْبَاءُ
 وَإِذَا الدَّارُ أَهْلُهَا أَنْكَرُونِي عَرَفْتَنِي الدَّوْيَةَ الْمَلْسَاءُ
 عَرَفْتُ نَاقَتِي الشَّمَائِلَ مِنِّي فَهِيَ إِلَّا بُغَامَهَا خَرَسَاءُ
 عَرَفْتُ لَيْلَهَا الطَّوِيلَ وَلَيْلِي إِنِّ ذَا اللَّيْلِ لِلْعَيُونِ غِطَاءُ

عروضه من الخفيف . غناه ابنُ سُرَيْجٍ خفيفَ رملٍ مطلقٍ في مجرى البنصر عن إسحاق ،
 وغنَّى داود بن العباس الهاشمي في الخامس ثم الثالث خفيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بالوسطى عن عمرو .
 [تشوَّق أبي زيد للكوفة]

قال ابن حبيب في خبره : وقال أبو زُبَيْدٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَلِيدِ لَمَّا خَرَجَ عَنِ الْكُوفَةِ⁴ : [من الطويل]

1 المعزاء : الأرض الغليظة ذات الحجارة .

2 الدوية : الفلاة .

3 بغام الناقة : صوتها دون مدّ .

4 شعر أبي زيد : 72-73 .

لَعَمْرِي لئن أُمِسَى الوليدُ ببلدَةٍ سواي لقد أُمِسيتُ للذهَرِ مُعَوَّرًا¹
 [قال ابن حبيب : «ويروى سويّ لقد . . .» وهي لغة طييء].
 خلا أَن رزقَ الله غادٍ ورائحُ وأني له راجٍ وإن سِرتُ أشهرا
 وكان هو الحصنَ الذي ليس مُسلمي إذا أنا بالنُّكراءِ هيَّجتُ معشرا
 إذا صادفوا دوني الوليدَ كأنما يرون بوادي ذي حَماسٍ مُزَعَفَرًا²
 خضيبَ بنان ما يزال يراكب يَحُبُّ وضاحي جلده قد تقشَّرًا³
 وهي طويلة .

[الوليد يفاخر علي بن أبي طالب]

حدَّثني إسحاق بن بنان الأنماطي قال حدَّثنا حُبَيْش بن مُبَشَّر قال حدَّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدَّثنا ابن أبي ليلى عن الحَكَم عن سَعِيد بن جُبَيْر عن ابن عَبَّاس قال : قال الوليد بن عُقْبَةَ لعلِّي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنا أَحَدُ مَنْكَ سِنَانًا ، وَأَبْسطُ مَنْكَ لِسَانًا ، وَأَمْلَأُ لِلْكُتَيْبَةِ طِعَانًا ؛ فقال له علي رضي الله تعالى عنه : اسكُتْ ! فَإِنَّمَا أَنْتَ فَاسِقٌ ؛ فَتَزَلَّ الْقُرْآنُ : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ 18/32 .

[أرسله النبي ﷺ ، على صدقات بني المصطلق فاتهمهم بالردة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عُمر بن شَبَّة قال حدَّثني محمد بن حاتم قال حدَّثنا يونس بن محمد قال حدَّثنا شَيْبَانُ عن قَتَادَةَ في قوله تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ قال : هذا ابنُ أَبِي مُعَيْطٍ الْوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ ، بعثه النبي ﷺ إلى بني الْمُصْطَلِقِ مُصَدِّقًا ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ فَهَابَهُمْ ؛ فَرجَعَ إلى النبي ﷺ فَأخبره أَنَّهُمْ قد ارتدَّوا عن الإسلام ؛ فبعث النبي ﷺ خالدا بن الوليد وأمره أن يثبَّت ولا يعجل ؛ فانطلق حتَّى أَتَاهُمْ لَيْلًا فبعث عيونَه ؛ فَلَمَّا جَاوَوْهُ أَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ متمسكون بالإسلام وسمعوا أَذَانَهُمْ وصلاتهم ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خالدا فرأى ما يُعْجِبُه ، فرجع إلى النبي ﷺ فَأخبره .

[شكته زوجه إلى النبي]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدَّثنا نُعَيْم بن حَكِيم عن أَبِي مَرْيَم عن علي : أَنَّ أَمْرَأَةَ الْوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ جَاءَتْ إلى النبي ﷺ ، تَشْتَكِي الْوَلِيدَ وَقَالَتْ : إِنَّهُ يَضْرِبُهَا ؛ فقال لها : «ارجعي وقولي إنَّ رسولَ ﷺ ، قد

1 المعور : الذي لا حافظ له . والمعور في ل : مثارًا : أي محلاً للثأر .

2 ذو حماس : موضع وقيل مأسدة . المزعفر : الأسد الورد .

3 ل : خضيب لبان .

أجاري» ، فانطلقت فمكثت ساعة ، ثم رجعت فقالت : ما أقْلَع عني ؛ فقطع رسول الله ﷺ هُدْبَةً من ثوبه ثم قال : «امضي بهذا ثم قولي إن رسول الله ﷺ ، أجاري» ؛ فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله ما زادني إلا ضَرْباً ؛ فرفع يديه وقال : «اللهم عليك الوليد» مرتين أو ثلاثاً .

[لم يمسح النبي على رأسه يوم الفتح]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة ، وحدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثني الفضل بن الحسن البصري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أيوب بن عمر قال حدثنا عمر بن أيوب قال حدثنا جعفر بن بُرقان عن ثابت بن الحجاج عن أبي موسى عبد الله الهمداني : أن الوليد بن عُقبة قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة ، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم ، فجيء بي إليه وأنا مُخلَقٌ فلم يمسسني ، وما منعه إلا أن أمي خلقتني بخلوق فلم يمسسني من أجل الخلق .

[قتل جندب بن كعب ساحره خشية الفتنة]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن : أن الوليد بن عُقبة كان عنده ساحر يُريه كَيْسِيَّتين تَقْتِيلان ، فتحمل إحداهما على الأخرى فتَهْزِمُها ؛ فقال له الساحر : أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتَهْزِمُها ؟ قال : نعم ؛ وأخير جُنْدَبٌ بذلك ، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال : أفرجوا ، فضربه حتى قتله ، ففرع الناس وخرجوا ؛ فقال : يا أيها الناس لا عليكم ، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يَفْتِنَكُمْ في دينكم ؛ فحبسه قليلاً ثم تركه .

[قتل دينار بن دينار لإطلاعه رجلاً أمر بحبسه]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي ، وحدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري : أن رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يستعين بالسحر ، فقال : أو إن السحر ليعلن به في دين محمد ؟ فقتله ؛ فأتي به الوليد بن عُقبة فحبسه ؛ فقال له دينار بن دينار : فيم حبست ؟ فأخبره فخلّى سبيله ؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله .

[سيرة جندب بن كعب الأسدي]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا أبو عمران الجوني : أن ساحراً كان عند الوليد بن عُقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه ؛ فرآه جُنْدَبٌ ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف ، فلما دخل الساحر في جوف

البقرة ، قال : أَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة ففقطعها وقطع الساحر في البقرة فاندعر الناسُ ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه ؛ وكان السجنان يفتح له الباب بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجن .

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا حجاج بن نصير قال حدثنا قرة عن محمد بن سيرين قال : انطلق بجندب بن كعب إلى سجن خارج الكوفة وعلى السجن رجل نصراني ، فلما رأى جندب بن كعب يصوم النهار ويقوم الليل ، قال النصراني : والله إن قوماً هذا شرهم لقوم صدق ؛ فوكل بالسجن رجلاً ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ؛ فاستضافه ، فجعل يرى أبا محمد ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه ؛ فخرج من عنده فسأل : أي أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ؛ فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه ، فاستقبل القبلة ثم قال : ربي رب جندب وديني على دين جندب ، وأسلم .

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهري وغيره ، قالوا : لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ، نزل رجل فساق بالقوم ورجز ، ثم نزل آخر فساق بالقوم ورجز ، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يواسي أصحابه ، فنزل فجعل يقول : «جندب وما جندب والأقطع الخير زيد» ؛ فدنا منه أصحابه وقالوا : يا رسول الله ما ينفعنا مشيك مخافة أن تلسعك دابة الأرض أو تصيبك نكبة ؛ فركب ودنوا منه فقالوا : لقد قلت قولاً ما ندري ما هو ؟ قال : «وما ذاك» ؟ ؛ قالوا : قولك «جندب وما جندب والأقطع الخير زيد» ؛ فقال : «رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل وتقطع يد الآخر في سبيل الله فينبع الله آخر جسده بأوله» ؛ فكان زيد بن صوحان ، قطعت يده يوم جلولاء وقُتل يوم الجمل مع علي . وأما جندب فإنه رجل دخل على الوليد بن عقبة وعنده ساحر يكنى أبا شيان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يعيدها فيه ؛ فجاء من خلفه فقتله ، وقال : [من الرجز]

الْعَنَ وَلِيداً وَأَبَا شَيَّانَ وَابْنَ حُبَيْشٍ رَاكِبَ الشَّيْطَانِ

رسول فرعون إلى هامان

[سعيد بن العاص يخلف الوليد على الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : نزع عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص . قال أبو زيد : فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا سعيد بن جامع الهجيمي قال : لما أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد ما خرج والياً لعثمان جعل

يرتجز في طريقه : [من الرجز]

وَيْلَ نُسَيَّاتِ الْعِرَاقِ مَنِّي كَأَنَّنِي سَمَعْتُ مِنْ جِنٍّ¹
أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن أبي علقمة عن سعيد بن أشوع قال
قال عدي بن حاتم : قديم سعيد بن العاص الكوفة فقال : اغسلوا هذا المنبر ، فإن الوليد كان
رجساً نجساً ؛ فلم يصعده حتى غسل ، عيباً على الوليد . وكان الوليد أسن منه وأسخى نفساً
والين جانباً وأرضى عندهم ، فقال بعض شعرائهم : [من الرجز]

يَا وَيْلَنَا قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ وجاءنا من بعده سعيد
ينقص في الصّاع ولا يزيد

وقال آخر : [من الوافر]

فَرَرْتُ مِنَ الْوَلِيدِ إِلَى سَعِيدٍ كَأَهْلِ الْحِجْرِ إِذْ جَزَعُوا فَبَارُوا
يَلِينَا مِنْ قَرِيشٍ كُلِّ عَامٍ أَمِيرٌ مُحَدَّثٌ أَوْ مُسْتَشَارٌ
لَنَا نَارٌ تُحَرِّقُنَا فَنَخْشَى وليس لهم فلا يخشون نارٌ

[زيارة الوليد الكوفة بعد عزله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني قال : قديم الوليد بن
عقبة الكوفة زائراً للمغيرة بن شعبة ، فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون عليه ، فقالوا :
والله ما رأينا بعدك مثلك ؛ فقال أخيراً أم شراً ؟ فقالوا : بل خيراً ؛ قال : ولكنني والله ما
رأيت بعدكم شراً منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال : بعض ما تثنون به ، فوالله إن بغضكم
لتلف ، وإن حبكم لصلف .

[قبيصة بن جابر يثني عليه بحضرة معاوية]

قال أبو زيد : وذكروا أن قبيصة بن جابر كان ممن كثر على الوليد ؛ فقال معاوية يوماً
والوليد وقبيصة عنده : يا قبيصة ، ما كان شأنك وشأن الوليد ؟ فقال : خيراً يا أمير المؤمنين ،
في أول وصل الرّجيم وأحسن الكلام فلا تسألن عن الشكر وحسن الثناء ، ثم غضب على
الناس وغضبوا عليه وكنا منهم ، فإما ظالمون فنستغفر الله ، وإما مظلومون فغفر الله له ، وخذ
في غير هذا يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث ينسب القديم ؛ قال : ولم ؟ فوالله لقد أحسن السيرة
وبسط الخير وكف الشر ؛ قال : فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ؛ قال :

1 نسيات في ل : ويل لشبان . سمع : سريع أو خبيث لبق .

اسكُتْ لَا سَكَّتْ ، فَسَكَّتْ وَسَكَّتَ الْقَوْمُ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ لَا تَتَحَدَّثُ ؟ قَالَ : نَهَيْتَنِي عَمَّا كُنْتُ أَحِبُّ فَسَكَّتْ عَمَّا أَكْرَهُ .

[دفن هو وأبو زيد في موضع واحد]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني قال : مات الوليد بن عقبة فَوَيْقَ الرَّقَّةَ ، ومات أبو زيد ، فدفنا جميعاً في موضع واحد . فقال في ذلك أشجع السلمي¹ وقد مرَّ بقبريهما :

مررتُ على عظامِ أبي زُبيدٍ وقد لاحتْ بِلَقَعَةٍ صَلُودٍ
وكان له الوليدُ نديمٌ صِدْقٍ فنادمَ قبرُهُ قبرَ الوليدِ
وما أدري بمن تَبَدُّا المنايا بأحمدٍ أو بأشجعٍ أو يزيدِ

[خرج غازياً للروم وقال شعراً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال : خرج الوليد بن عقبة غازياً للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد ، فلقيه الروم فقاتلوه ؛ فقال له رجلٌ من العرب نصراني : لستُ على دينكم ولكنني أنصحكم للنسب ، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف النهار ، فإن رأوكم ضعفاءً أفنؤكم وإن صبرتم هربوا وتركوكم ؛ فقال سلمان بن ربيعة : يا معشر المسلمين ، ما عذركم عند الله غداً إن أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه ولم يُعْنهم أحدٌ منكم ! ؛ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون² الخيل ، فلحقوا عتبة وأصحابه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الروم . فقال الوليد بن عقبة :

أتاني من الفجّ الذي كنتُ آمناً بقيّةُ شذاذٍ من الخيلِ ظُلِعَ³
عليها العبيدُ يضربون جنوبها ونازلَ منّا كُلُّ خَرَقٍ سَمِيذَعٍ
فإنّي زعيمٌ أن تصيحَ نساؤهم صياحَ دجاجِ القريةِ المتوزّع⁴

[مدحه الخطيئة وكذبه الخليس النهدي]

وقال الخطيئة يمدح الوليدَ بذلك ، وكان قد وصله وكان الوليد جواداً⁵ : [من الطويل]

1 سترجم أبو الفرج لأشجع السلمي فيما بعد .

2 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

3 الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين . الشذاذ : القلال المتفرقون . ظلع : جمع ظالغ وهو الذي في مشيته عرج خفيف .

4 المتوزّع : المتفرّق .

5 ديوان الخطيئة (صادر) : 77-80 .

أرى لابن أروى خلّتين اصطفاهما قتالٌ إذا يلقى العدوَّ وناثلهُ
فتى يملأ الشيزى ويروى بكفه سينان الرذنيّ الأصمِّ وعامله¹
يومُ العدوِّ حيث كان بجحفلٍ يُصمُّ السميعَ جرسه وصواهلُه
إذا حان منه منزلُ الليل أوقدت لأخراه في أعلى اليفاع أوائلُه
نفيت الجعادَ البيضَ عن حرِّ دارهم فلم يبقَ إلّا حيّةٌ أنت قاتلُه

فقال الحليس بن نعيم النهديّ يكذب الحطيئة :

وأبلغ أبا وهب إذا ما لقيته فقد حاربتك الرومُ فيمن تحاربُ
وفي الأرض حياتٌ وأسدٌ كثيرةٌ عدوٌّ ولكن الحطيئة كاذبُ

[شعره في مقتل عثمان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن أبي
مخنف عن خالد بن قطن عن أبيه قال : لما قُتل عثمان أرسل عليّ فأخذ كل ما كان في داره من
السلاح وإبلًا من إبل الصدقة ، فلذلك قال الوليد بن عقبة² :

بني هاشم ردّوا سلاح ابنِ أختكم ولا تنهبوه لا تحلُّ مناهيه
ويروى : ولا تهبوه لا تحلُّ مواهبه
بني هاشم كيف المودة بيننا وعند عليّ سيفه ونجائبه
قتلتُم أخي كيما تكونوا مكانه كما فعلتُ يوماً بكسرى مرائبه
هكذا في الخبر : ولا تهبوه لا تحلُّ مواهبه

أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إسحاق الجعفري :
أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقي بجاداً مولى عثمان ، فأخبره أن عثمان قد قُتل ؛
فقال :

ليت أني هلكْتُ قبلَ حديثِ سلّ جسمي وريعَ منه فوادي
يوم لاقيتُ بالبلاطِ بجاداً ليت أني هلكْتُ قبلَ بجادٍ³
وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونقص منه آخرُ مكانه وغني فيه ، وهو :

1 الشيزى : الجفان . الأصم : الصلب . عامل الرمح : صدره .

2 تقدّمت هذه الأبيات بروايات مختلفة ، ص 78 .

3 البلاط : موضع بالمدينة .

صوت

طال ليلي وملئني غُوادي وتَجافى عن الضلوع مِهادي
 من حديثٍ نُمي إليّ فما يَرُ قَاْ دمعِي ولا أَحِسَّ رُقادي
 يوم لاقيتُ بالبَلاطِ بِجَاداً ليت أني هَلَكْتُ قبلِ بِجادِ
 وبنفسي التي أُحِبُّ وأهلي وبمالي وطارفي وتِلادي
 قلتُ لا تَغْضبي فذلك قولي بلساني وما يُجِنُّ فُوادي

غَنَّى فيه ابن عَبَّاد ثاني ثَقِيل مُطَلَّق في مجرى البَنْصَر في الأوَّل والرابع من الأبيات ، وذكر عمرو بن بَانَة أَنه لابن مُحَرِّز ، ومن الناس من يَنْسُبُه إلى ابن سُرَيْج في هذه الطريقة في الأوَّل والثاني ، وذكر ابن المَكِّي أَنه للغَرِيض ثاني ثَقِيل بالخنصر في مجرى البَنْصَر ، ووافقه يونس . وذكر أَنَّ في هذا الشعر لابن سُرَيْج والغَرِيض لَحْنين في الخمسة الأبيات . وذكر حَبَش أَنَّ فيها لَمَعْد ثَقِيلاً أوَّل بالوُسْطى ، ولَعبد الله بن العَبَّاس الرِّبْعِيّ ثاني ثَقِيل بالوُسْطى ، ولَلغَرِيض خَفِيف رَمَلٍ بالوُسْطى ، وَلسَلِّيم ثَقِيلٌ أوَّل بالوُسْطى . وذكر أَحْمَد بن عُبَيْد أَنَّ فيه رَمَلاً لابن جَامِع في البيت الأوَّل وحده ، وَأَنَّ فيه هَزَجاً لا يُعرَف صانعه .

[تطير الأيمن من الغناء بشعره]

أخبرني أَحْمَد بن جَعْفَر جَحْظَة قال حَدَّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حَدَّثني أَبِي قال : أَرْسَل إليّ مُحَمَّد بن زُبَيْدة في لَيْلَةٍ من ليالي الصَّيف مُقَمَّرَة : يا عَمَّ إِنَّ الحَرْبَ بَيْنِي وَبَيْن طَاهِر بن الحَسَنِ قد سَكَنْت ، فَصُرَّ إِلَيّ ، فَإِنِّي إِلَيْكَ مُشْتاقٌ ، فَجِئْتُهُ وَقَدْ بَسِطَ لَهُ عَلَى سَطْح زُبَيْدة ، وَعِنْدَهُ سَلِيمَان بن جَعْفَر عَلَيْهِ كِسَاءٌ رُودْبَارِي¹ وَقَلَنْسُوءَةٌ طَوِيلَة ، وَجَوَارِيه بَيْن يَدَيْهِ ، «وَضَعْفُ» جَارِيَتُهُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهَا : غَنِّينِي فَقَدْ سُرِرْتُ بِعَمُومَتِي ؛ فَاَنْدَفَعَتْ تَغْنِيهِ : [من الطويل]

هُمُ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا فَعَلَتْ يَوْماً بِكَسْرَى مَرَارِيَهُ
 بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّوَاصَلُ بَيْنَنَا وَعِنْدَ أَخِيهِ سَيْفُهُ وَنَجَائِبُهُ
 هَكَذَا غَنَّتْ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ :

وعند عليّ سيفه ونجائبه

فَغَضِبَ وَتَطَيَّرَ وَقَالَ لَهَا : مَا قِصَّتْكَ وَيَحْكُ ! ائْتِنِي وَانْتَهِي وَغَنِّينِي مَا يَسُرُّنِي !

فَاَنْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ : [من مجزوء الكامل]

1 نسبة إلى رودبار وهو علم على مواضع مختلفة .

هَذَا مَقَامُ مُطَرِّدٍ هُدِمَتْ مَنَازِلُهُ وَدَوْرُهُ

فازداد تَطَيُّراً ، ثم قال لها : وَيَحَلِّكِ ! انتهى ، غَنِّيني غير هذا ؛ فغَنَّتْ : [من الطويل]

كَلِيبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ؛ فوثبتُ وكان بين يديه قَدْحُ بَلُورٍ وكان لَحَبُهُ إِيَّاهُ سَمَاءَ بِاسْمِهِ مُحَمَّدًا ، فَأَصَابَهُ طَرْفُ ذَيْلِهَا¹ فَسَقَطَ عَلَى بَعْضِ الصَّوَانِي فَانْكَسَرَ وَتَفَتَّتْ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : أَرَى وَاللَّهِ يَا عَمَّ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَيَّامِنَا ؛ فَقُلْتُ : كَلَّا ، بَلْ يُثْقِلُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْرُكَ ؛ قَالَ : وَدِجْلَةٌ وَاللَّهِ يَا بَنِي هَادِثَةٍ مَا فِيهَا صَوْتُ مُجْدَافٍ وَلَا أَحَدٌ يَتَحَرَّكُ وَهِيَ كَالطَّسْتِ هَادِثَةٍ ، فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتَفُ : «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» . قَالَ : فَقَالَ لِي : أَسَمِعْتَ مَا سَمِعْتُ يَا عَمَّ ؟ فَقُلْتُ : وَمَا هُوَ ؟ وَقَدْ وَاللَّهِ سَمِعْتُهُ فَقَالَ : الصَّوْتُ الَّذِي جَاءَ السَّاعَةَ مِنْ دِجْلَةٍ ؛ فَقُلْتُ : مَا سَمِعْتُ شَيْئًا ، وَمَا هَذَا إِلَّا تَوَهُّمٌ ؛ فَإِذَا الصَّوْتُ قَدْ عَادَ يَقُولُ : «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» . فَقَالَ : انصرفتُ يَا عَمَّ يَبْتَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، فَمَحَالٌ أَلَّا تَكُونَ الْآنَ قَدْ سَمِعْتَ مَا سَمِعْتُ ؛ فَانصرفتُ ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

[معاوية يأخذ ماله ويوبخه على الطلب]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ ، قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَا الْغَلَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ مُحَمَّدٌ : وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَمِيعًا عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى بْنِ يَزِيدٍ ، قَالَ : وَقَدْ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ ، وَكَانَ جَوَادًا ، عَلَى مُعَاوِيَةَ ؛ فَقِيلَ لَهُ : هَذَا الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بِالْبَابِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ مُعْطِيًا² غَيْرَ مُعْطَى ، فَإِنَّهُ الْآنَ قَدْ أَتَانَا يَقُولُ : عَلِيٌّ دَيْنٌ وَعَلِيٌّ كَذَا وَكَذَا ؛ يَا غَلَامُ ائْذَنْ لَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ؛ فَسَأَلَهُ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أُمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنُحِبُّ إِثَارَ³ مَالِكَ بِالْوَادِي وَقَدْ أَعْجَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَهَبُهُ لِيَزِيدَ فَعَلْتَ ؛ فَقَالَ الْوَلِيدُ : هُوَ لِيَزِيدَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَيَّامًا ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : أَنْظِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَأْنِي ، فَإِنَّ عَلِيَّ مَوْوَنَةٌ وَقَدْ أَرَهَقَنِي دَيْنٌ ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَلَا تَسْتَحْيِي لِحَسْبِكَ وَنَسْبِكَ ! تَأْخُذُ مَا تَأْخُذُ فَتَبْذُرُهُ ثُمَّ لَا تَتَفَكَّرُ تَشْكُو دَيْنًا ؟ ؛ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَفْعَلْ ، ثُمَّ انْطَلَقَ مَكَانَهُ فَضَارَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَقَالَ : [من مجزوء الكامل]

1 ل : ردائها .

2 ل : مغيظًا .

3 ل : إتيان .

فإذا سئلتَ تقول لا وإذا سألتَ تقول هاتِ
تأبى فعال الخير لا تروى وأنت على الفراتِ
أفلا تَميل إلى نَعَم أو تترك لا حتى المماتِ

قال : فبلغ معاويةَ مقدّمه الجزيرة ، فخافه وكتب إليه : أن أقبل إلي ؛ فكتب إليه : [من الطويل]

أُعِفُّ وأستحيي كما قد أمرتني فأعطِ سواي ما بدا لك وانحل¹
سأخذو ركابي عنك إن عزيمتي إذا نابني أمر كسلّة مُنْصَل
وإني امرؤ للرأي مني تطرّف وليس شبا قفلي عليّ بمُقفل

ورحل إلى الحجاز ، فبعث إليه معاوية بجائزة .

[انقضت أخبار الوليد بن عقبة]

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

ربّما نبهني الإخـ سوان والليل بهيم
حين غارت وتدلت في مهاويها النجوم
ونعاسُ الليل في عيـ ني كالشّاوي مقيم
للتّي تُعَصّر لما أينعت منها الكروم
أنا بالرّيّ مقيم في قُرى الرّيّ أهيم
ما أراني عن قُرى الرّيّ مدى دهري أريم

الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي . ولحنه المختار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وإبراهيم أيضاً فيه خفيف ثقيل ، وقيل : إنه لابنه إسحاق . وفيه لأحمد بن يحيى المكّي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبّيد .

[69] - نسب إبراهيم الموصلي وأخباره¹

[نسب إبراهيم الموصلي ونشأته]

هو فيما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى المنجّم عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرني به عبد الله ابن الربيع عن وسّاسة ، وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي عن أبيه عن جدّه وعن حمّاد عن أبيه ، إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان بن بهمن بن نسل ، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنّه كتب إلى صديق له فعنّون كتابه : من إبراهيم بن ماهان ؛ فقال له بعض فتيان الكوفة : أما تستحي من هذا الاسم ! فقال : هو اسم أبي ؛ فقال : غيره ؛ فقال : وكيف غيره ! فأخذ الكتاب فمحا ماهان وكتب ميمون ، فبقي إبراهيم بن ميمون .

قال إسحاق عن أبيه : وأصلنا من فارس ، ولنا بيت شريف في العجم ، وكان جدنا ميمون هرب من جور بعض عمّال بني أمية ، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم ، فكان بين إبراهيم وبين ولد نضلة بن نعيم رضاع . وأم إبراهيم امرأة من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب ميمون أبو إبراهيم ، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارم ، فتزوجها ماهان بالكوفة فولدت إبراهيم ومات في الطاعون الجارف² ، وخلف إبراهيم طفلاً . وكان مولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة ، وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائة ، وله ثلاث وستون سنة .

[كفله بعد موت أبيه آل خزيمة بن خازم]

قال أحمد³ بن أحمد بن إسماعيل وسّاسة في خبره : ومات ماهان وخلف إبراهيم طفلاً ، فكفّله آل خزيمة بن خازم .

وقال يحيى بن علي في خبره : إنّه كان لإبراهيم لما مات أبوه سستان أو ثلاث ، وخلف معه أخوين له من غير أمّه أكبر منه ، فأقام إبراهيم مع أمّه وأحواله حتى ترعرع ، فكان مع ولد خزيمة بن خازم في الكتاب ، فبهذا السبب صار ولأوه لبني تميم . وسأله الرشيد فقال : ما السبب بينك وبين بني تميم ؟ فاقتصّ عليه قصّته ، وقال : ربّونا يا أمير المؤمنين فأحسنوا

1 لإبراهيم الموصلي النديم ترجمة موجزة في وفيات الأعيان 1 : 42-43 وتاريخ بغداد 6 : 175 وفي الجزء التاسع من التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلًا عن الأغاني .

2 في وفيات الأعيان 1 : 43 أنّه مات بداء القولنج .

3 ورد فيما تقدّم أنّه أحمد بن محمد بن إسماعيل .

تربيتنا ، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رِضاغٌ ، فتولّونا بهذا السبب ؛ فقال له الرشيد : وَيَحْكُ فما أراك إذن إلّا مولاي ؛ فقال : فهذه والله قصتي يا أمير المؤمنين .
[سبب نسبه إلى الموصل]

قال يحيى بن عليّ في خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيم الموصليّ أنّه لما نشأ واشتدَّ وأدرك ، صَحِبَ الفتَيانَ واشتهى الغناء فطلبه ، واشتدَّ أحواله عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهربَ منهم إلى المَوْصِلِ ، فأقام بها نحواً من سنة ، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتَيان : مرحباً بالفتى المَوْصِلِيّ ، فَلَقِبَ به . وقال أحمدُ في خبره : إنّ سبب طلبه الغناء أنّه خرج إلى الموصل ، فصَحِبَ جماعةً من الصعاليك كانوا يُصَيِّبون الطريق ويُصيبه معهم ، ويجمعون ما يُفِيدونه فيَقْصِفُون ويشربون ويغنون ، فتعلّم منهم شيئاً من الغناء وشدا ، فكان أطيّهم وأحذقهم ، فلما أحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر ابنُ خُرْداذبِه ، وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمّنه كتبه¹ ، أنّ سببَ نَسَبِهِ إلى الموصل أنّه كان إذا سكر ، كثيراً ما يغني على سبيل الوَلَع² :

أنا جيتُ مِنْ طُرُقِ مَوْصِلٍ أحمِلُ قِلِيلَ خَمْرِيَا³
مَنْ شاربَ الملوك فلا بدّ مِنْ سُكْرِيَا

قال الأصفهاني : وما سمعتُ بهذه الحكاية إلّا عنه ؛ وإنّما ذكرتها على غثائتها لشهرتها عند الناس ، وإنّما عندهم كالصحيح من الرواية في نَسَبِهِ إبراهيم إلى الموصل ، فذكرته دالّاً على عوّاره . أخبرني الحسين بن يحيى المِرْدَاسِيّ وابنُ أَبِي الأَزهَر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أُسْلِمَ أَبِي إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئاً ، ولا يزال يُضرب ويُجَسّ ولا يَنْجَعُ ذلك فيه ، فهرب إلى المَوْصِلِ وهناك تعلّم الغناء ، ثم صار إلى الرّي وتعلّم بها أيضاً ، ومهر وتزوَّج هناك امرأته دُوشار وتفسير هذا الاسم أسدان ، وطال مُقامه هناك ، وأخذ الغناء الفارسيّ والعربيّ ، وتزوَّج بها أيضاً شاهك أمّ إسحاق ابنه وسائر ولده . قال : وفي دُوشار هذه يقول إبراهيم ، وله فيه غِناءٌ من الهَزَج ، :

[من الرجز]

1 ربّما كان في طعن أبي الفرج على ابن خرداذبه شيء من الافتئات . فقد اعتمد باقوت على كتابه «المسالك والممالك» في النقل في «معجم البلدان» وقرظه المسعودي في «التنبيه والاشراف» . وانظر «معجم الأدباء» (تحقيق إحسان عباس) : 1575 .

2 ل : الولوع .

3 هذا شعر عامي ينبغي أن يقرأ كذلك .

دُوشَارُ يَا سَيِّدَتِي يَا غَايَتِي وَمُنِيَّتِي
وَيَا سُرُورِي مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ رُدِّي سَيِّتِي

[أنفق أول مال وصله في تعلّم صنعة الغناء]

قال إسحاقُ وحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : أَوَّلُ شَيْءٍ أُعْطِيْتُهُ بِالْغِنَاءِ أَنِّي كُنْتُ بِالرَّيِّ أَنَادِمُ أَهْلَهَا بِالسَّوِيَّةِ لَا أَرَزُّوهُمْ شَيْئاً ، وَلَا أَنْفِقُ إِلَّا مِنْ بَقِيَّةِ مَالٍ كَانَ مَعِيَ انصرفتُ بِهِ مِنَ الْمَوْصِلِ ؛ فَمَرَّ بِنَا خَادِمٌ أَنْفَذَهُ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ إِلَى بَعْضِ عَمَّالِهِ بِرِسَالَةٍ ، فَسَمِعَنِي عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، فَشَغِفَ بِي وَخَلَعَ عَلَيَّ دُؤَاجَ سَمُورٍ¹ ، لَهُ قِيَمَةٌ ، وَمَضَى بِالرِّسَالَةِ وَرَجَعَ وَقَدْ وَصَلَهُ الْعَامِلُ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكَسَاهُ كُسُوةً كَثِيرَةً ، فَجَاءَنِي إِلَى مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ أَسْكُنُهُ فَأَقَامَ عِنْدِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَوَهَبَ لِي نِصْفَ الْكُسُوةِ الَّتِي مَعَهُ وَالْفَيَّ دِرْهَمٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا اكْتَسَبْتُهُ بِالْغِنَاءِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ هَذِهِ الدِّرَاهِمَ إِلَّا عَلَى الصَّنَاعَةِ الَّتِي أَفَادَتْنِيهَا ، وَوُصِفَ لِي رَجُلٌ بِالْأُبَلَّةِ يُقَالُ لَهُ جُؤَانُويَةٌ² كَانَ حَازِقاً ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَصَحِيتُ فِتْيَانَهَا ، فَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَغَنَيْتُهُمْ فَشَغِفُوا بِي .

[اتصاله بالمهدي]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : لَمَّا أَتَيْتُ جُؤَانُويَةً لَمْ أَصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى جَاءَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ احْتَشَمَنِي وَكَانَ مَجُوسِيّاً ، فَأَخْبَرْتُهُ بِصَنَاعَتِي وَالْحَالِ الَّتِي قَصَدْتُ فِيهَا ؛ فَحَرَّبَ بِي وَأَفْرَدَ لِي جَنَاحاً فِي دَارِهِ ، وَوَكَّلَ بِي أُخْتَهُ ، فَقَدِمَتْ إِلَيَّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسِ مِمَّنْ يُغَنِّي ، فَتَزَلَّتْ إِلَيْهِ ، فَجَلَسْنَا فِي مَجْلِسٍ قَدْ صُفِّيَ لَنَا فِيهِ نَبِيذٌ وَأُعِدَّتْ لَنَا فَاكِهَةٌ وَرِيَّاحِينُ ، فَجَلَسْنَا وَأَخَذُوا فِي شَأْنِهِمْ وَضَرَبُوا وَغَنَوْا ، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَائِدَةً ؛ وَبَلَغَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ ، فَضَرَبْتُ وَغَنَيْتُ ، فَقَامُوا كُلُّهُمْ إِلَيَّ وَقَبَلُوا رَأْسِي ، وَقَالُوا : سَخِرْتَ مِنَّا ، نَحْنُ إِلَى تَعْلِيمِكَ لَنَا أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَيْنَا ؛ فَأَقَمْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَيَّاماً ، حَتَّى بَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنُ عَلِيٍّ خَبْرِي ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ فَأَحْضَرَنِي وَأَمَرَنِي بِمِلَازِمَتِهِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي لَسْتُ أَتَكَسَّبُ بِالْغِنَاءِ وَإِنَّمَا أَلْتَذُّهُ فَلِذَلِكَ تَعَلَّمْتُهُ ، وَأُرِيدُ الْعَوْدَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِذَلِكَ عِنْدَهُ وَأَخَذَنِي بِمِلَازِمَتِهِ ، وَسَأَلَنِي : مَنْ أَنَا ؟ فَانْتَسَبْتُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَلَزِمْتَنِي وَعُرِفْتُ بِهَا ؛ وَلَمْ أَزَلْ عِنْدَهُ أَثِيراً مَكْرَماً حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ الْمَهْدِيِّ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ عِنْدَهُ قَالَ لَهُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْوَجُ إِلَيَّ هَذَا مِنْكَ ، فَدَافَعَهُ عَنِّي ؛ فَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ عَلَى الْمَهْدِيِّ سَأَلَهُ عَمَّا رَأَى فِي طَرِيقِهِ وَمَقْصِدِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذِكْرِي فَوْصَفَنِي لَهُ ؛ فَأَمَرَهُ الْمَهْدِيُّ بِالرَّجُوعِ إِلَى مُحَمَّدٍ وَاشْخَاصِي إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ

1 دواج سمور : نوع من الفراء الثمين .

2 ل : خوالويه .

وجاء فأشخصني إلى المهديّ ، فحطّيتُ عنده وقَدَمَني .

[أول هاشميّ صحبه وأول خليفة سمعه]

قال وسّواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال : كان أول هاشميّ صَحيته عليّ بن سليمان بن عليّ أخو جعفر ومحمّد ، وكان فتاهم ظرفاً¹ ولهاً وسماحةً ، ووصفني له جُوانويّه ومضى بي إليه ، فوقعتُ من قلبه كلّ مَوْقع . وأول خليفة سمعني المهديّ ، وُصِفْتُ له فأخذني من عليّ بن سليمان ، وما سمع قبلي من المغنين أحداً سوى فُلَيْح بن أبي العوّاء وسيّاط ، فإنّ الفضل بن الرّبيع وصلهما به .

[نهاه المهديّ عن الشرب ومصاحبة ابنه موسى وهارون]

قال إسحاق : فحدّثني أبي قال : كان المهديّ² لا يشرب فأرادني على مُلازمته وترك الشرب فأبَيْتُ عليه ، وكنتُ أغيّبُ عنه الأيّام ، فإذا جئته جئتُه مُنتشياً ، فغاظه ذلك مِنّي فضربني وحَبَسَني ، فحدّثتُ الكتابة والقراءة في الحبس ، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذُّل معهم ؛ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنّما تعلّمتُ هذه الصنّاعة للذّتي وعِشرتي لإخواني ، ولو أمكنني تركها لتركها وجميع ما أنا فيه لله جلّ وعزّ ؛ فغضب غضباً شديداً وقال : لا تدّخل على موسى وهارون البتّة ، فوالله لئن دخلتُ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ ؛ فقلتُ : نعم ؛ ثم بلغه أنّي دخلتُ عليهما وشربتُ معهما ، وكانا مُستهترّين بالنبيذ ، فضربني ثلاثمائة سوط ، وقيدني وحَبَسَني .

قال أحمدُ بن إسماعيل في خبره قال عمّي إسحاق فحدّثني أبي : أنّه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبانُ الخادم ، فسعى بهما وبني إلى المهديّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعاني فسألني فأنكرتُ ، فأمر بي فجُرّدتُ فضربتُ ثلاثمائة وستين سوطاً ؛ فقلتُ له وهو يضربني : إنّ جُرْمي ليس من الأجرام التي يحلّ لك بها سفكُ دمي ، والله لو كان سرُّ ابنك تحت قدمي ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أبان السّاعي العبد ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضربني بالسيف في جفّنه³ فشجّني به ، وسقطتُ مغشياً عليّ ساعة ، ثم فتحتُ عيني فوقعتا على عيني المهديّ ، فرأيتُهما عينيّ نادِمٍ ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خذْه إليك . قال : وقبّل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوطَ من يد سَلام الأبرش فضربني ، فكان ضربُ عبد الله عندي بعد ضرب سَلام عافيةً ، ثم أخرجني عبدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراء

1 ل : أكثرهم طرباً .

2 قارن بالذاكرة الحمدونية 9 : 32-33 (رقم 52أ) ونهاية الأرب 4 : 330-331 .

3 جفن السيف : غمده .

وخضرَاء وحمرَاء من حرِّ السَّوْطِ ، وأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَبِيهًا بِالْقَبْرِ فَيَصِيرُنِي فِيهِ ؛ فدعا عبدُ اللَّهِ بِكَبْشٍ فذُبِحَ وسُلِّخَ وألْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيَسْكُنَ الضَّرْبُ ، ودَفَعَنِي إِلَى خَادِمٍ لَهُ يَقَالُ لَهُ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ التَّرَكِّيِّ فَيَصِيرُنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ ، ووَكَّلَ بِي جَارِيَةً لَهُ يَقَالُ لَهَا جَشَّةٌ ؛ فَتَأْذِيْتُ بَنَزًّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ وَبَالِقًا ، وَكَانَ فِيهِ حَلِيٌّ¹ أُسْتَرِجَ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَجَشَّةَ : اطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا فَحَمَّ وَكُنْدُرًا² يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقُّ ، فَأَتَتْنِي بِذَلِكَ ، فَلَمَّا دَخَنْتُ أَظْلَمَ الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْغَمِّ ، فَاسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى النَّزِّ فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ ، فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ اسْتَرَحْتُ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ ، إِذَا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شَقِّ الْقَبْرِ تَدَوَّرَانِ حَوْلِي بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ ، فَهَمَمْتُ أَنْ آخِذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى بِيَدِي الْيَسْرَى فِيمَا عَلَيَّ وَإِمَّا لِي ، ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا ، فَدَخَلْنَا مِنَ الثَّقَبِ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْهُ ، فَمَكَّثْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أُخْرِجْتُ مِنْهُ ؛ وَوَجَّهْتُ إِلَى أَبِي عَثْمَانَ الْخَادِمِ أَسْأَلُهُ أَنْ يَبِيعَنِي جَشَّةَ لِأُكَافِئَهَا عَمَّا أَوْلَتْني³ فَفَعَلَ ، فَزَوَّجْتُهُ مِنْ حَاجِبٍ لِي ، وَلَمْ تَزَلْ عِنْدَنَا . قَالَ إِسْحَاقُ : مَكَّثْتُ عِنْدَنَا حَتَّى مَاتَتْ ، وَبَقِيَتْ بَنَتْ لَهَا يَقَالُ لَهَا جُمُعَةُ ، فَزَوَّجْتُهُ مِنْ مَوْلَى لِي فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ .

قال إبراهيم : وقلتُ في الحبس وأنا مقيدٌ :

أعالج في السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا	ألا طال ليلي أراعي النجوم
أسامُ بها الخسفَ صبرًا جميلًا	بدارِ المَوانِ وشَرِّ الدِّيارِ
فلَمَّا حُسِبْتُ أراهم قليلًا	كثيرَ الأَخْلَاءِ عِنْدَ الرِّخاءِ
فلا يَأْمَنَنَّ خَلِيلٌ خَلِيلًا	لَطُولِ بِلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ

[صنع وهو في الحبس لحنًا في شعر أبي العتاهية]

قال : ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمَهْدِيَّ وَأَحْلَفَنِي بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ وَكُلِّ يَمِينٍ لَا فُسْحَةَ لِي فِيهَا إِلَّا أُدْخَلَ عَلَى ابْنِهِ مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُغْنِيَهُمَا ، وَخَلَّى سَبِيلِي . قَالَ : وَصَنَعْتُ فِي الْحَبْسِ لَحْنًا فِي شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لَمَّا حَبَسَهُ الْمَهْدِيَّ بِسَبَبِ عُبَّةَ ، وَهُوَ⁴ :

[من الطويل]

صوت

أَيَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ نَجْيِ الْبَلَابِلِ وَيَا وَيْحَ سَاقِي مِنْ قُرُوحِ السَّلَاسِلِ

1 ل : خلاء . والخلي : كلاً يابس .

2 الكندر : اللبان الذكر .

3 ل : فعلت .

4 ديوان أبي العتاهية : 625-626 .

ويا ويح نفسي وَيَحَهَا ثم ويحها
ويا ويح عيني قد أضرب بها البكا
ذريني أغلّ نفسي اليوم إنها
ذريني أغلّ بالشراب فقد أرى
الشعر لأبي العتاهية ، وذكر حمّاد أنه لجده إبراهيم . والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في
الثلاثة الأبيات الأول ، وله في البيتين الأخيرين ثقبُلٌ أول بالوسطى .
[استتر من الهادي لما ولي الخلافة وكان للمهدي]

قال حمّاد : فلمّا ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدّي منه ولم يظهر له بسبب الأيمان
التي حلّفه بها المهدي ، فكانت منازلنا تُكبّس في كلّ وقت وأهلنا يُروّعون بطلبه حتى أصابوه
فمضوا به إليه ، فلمّا عاينه قال : يا سيدي ، فارقت أمّ ولدي وأعزّ خلق الله عليّ ، ثم غناه لحنه
في شعره :

صوت

يا ابن خير الملوك لا تتركني غرضاً للعدوّ يرمي حيالي
فلقد في هواك فارقت أهلي ثم عرّضت مهجتي للزوال
ولقد عفّت في هواك حياتي وتغرّبت بين أهلي ومالي
الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رَمَلٌ بالوسطى . قال إسحاق : فمؤله والله الهادي وخوّه ،
وبحسبك أنّه أخذ منه في يوم واحد مائة وخمسين ألف دينار ، ولو عاش لنا لبنينا حيطاناً دورنا
بالذهب والفضة¹ .

[ما وصل إليه من الأموال وما تركه]

قال حمّاد قال لي أبي² : نظرتُ إلى ما صار إلى جدّك من الأموال والغلات³ وثن من ما باع
من جواريه ، فوجدته أربعة وعشرين ألف ألف درهم سوى أرزاقه الجارية ، وهي عشرة
آلاف درهم في كلّ شهر ، وسوى غلات ضياعه ، وسوى الصلّات النّزرة التي لم يحفظها ؛
ولا والله ما رأيتُ أكمل مروءة منه ، كان له طعامٌ مُعدّ في كلّ وقت ؛ فقلت لأبي : أكان
يُمكنه ذلك ؟ فقال : كان له في كلّ يوم ثلاث شياه : واحدة مقطّعة في القدور ، وأخرى
مسلوخة ومعلّقة ، وأخرى حيّة ، فإذا أتاه قوم طعموا ما في القدور ، فإذا فرغت قطّعت الشاة

1 ل : ذهباً وفضة .

2 التذكرة الحمدونية 9 : 33 (رقم 52ب) ونهاية الأرب 4 : 331-332 .

3 ل : والصلّات .

المعلّقة ونُصبت القدور وذُبِحت الحية فعَلَقَتْ وَأَتَيْ بِأُخْرَى فَجُعَلَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ فِي الْمَطْبَخِ ؛
وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يُتخذ له في كلِّ شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرى
وسوى كُسوته ؛ ولقد اتَّفَقَ عندنا مرّةً من الجوّاري الودائع لإخوانه ثمانون جارية ، ما منهنّ
واحدة إلّا ويُجرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يُجرى لأخصّ جواريه ، فإذا
رُدَّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصلها وكساها ، ومات وما في ملكه إلّا ثلاثة آلاف دينار ،
وعليه من الدّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

[محاطة في ثمن جارية بينه وبين الرشيد]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ ويحيى بن عليّ بن يحيى وابن المرزبان قالوا أخبرنا حمّاد بن
إسحاق قال : كان أبي يحدث أن الرشيد اشترى من جدّي جاريةً بستّة وثلاثين ألف دينار ،
فأقامت عنده ليلةً ، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع : إنّنا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحن
نحسب أنّها من بابتنا¹ وليست كما ظننتها ، وما قرّبتها ، وقد ثقل عليّ الثمن وبينك وبينه ما
بينكما ، فاذهب إليه فسلّه أن يحطّنا من ثمنها ستّة آلاف دينار ؛ قال : فصار الفضلُ إليه
فاستأذن عليه فخرج جدّي فتلقاه ؛ فقال : دعني من هذه الكرامة التي لا مؤنة بيننا فيها ،
لستُ ممن يُخدع ، وقد جئتُك في أمرٍ أصدّقك عنه ، ثم أخبره الخبر كلّهُ ؛ فقال له إبراهيم :
إنّه أراد أن يلوّ قَدْرَكَ عندي ؛ قال : ذاك أراد ! قال : فمالي كلّهُ صدقةً في المساكين إن لم
أضعفه لك ، قد حَطَطْتُكَ اثني عشر ألف دينار ؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر ؛ فقال : وتلك ؛
ادفع إلى هذا ماله ، فما رأيتُ سوقةً قطُّ أنبلَ نفساً منه . قال أبي : وكنتُ قد أتيتُ جدّكَ
فقلتُ : ما كان لحطيطة هذا المال معنىً وما هو بقليل ، فتغافل عني وقال : أنت أحمق ، أنا
أعرّفُ الناسَ به ، والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلًا² ما أخذته إلّا وهو كاره ، ويحقّد ذلك عليّ
وكنتُ أكون عنده صغيرَ القَدَر ، وقد منّنتُ عليه وعلى الفضل ، وانبسطتُ نفسهُ ونشيط
وعظُم قَدْرِي عنده ، وإنما اشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم ، وقد أخذتُ بها أربعة
وعشرين ألف دينار ، فلمّا حُمِلَ المالُ إليه بلا حطيطة دعاني فقال لي : كيف رأيتَ يا
إسحاق ! من البصيرُ أنا أم أنت ؟ فقلتُ : بل أنت جعلني الله فداك .

[وفاءه للفضل بن يحيى والفضل بن الربيع]

حدّثني وكيعٌ قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أبي قال³ : لقي الفضل بن يحيى أبي وهو خارج

1 من بابتنا : ممن يصلح لنا .

2 كملًا : كاملاً .

3 التذكرة الحمدونية 3 : 21 .

من عند الفضل بن الربيع ، وكانا متجاورين في الشَّمَّاسِيَّة¹ ، فقال : من أين يا أبا إسحاق ؟ أمِن عند الفضل بن الربيع ؟ قلت : نعم ، غير معْتَذِرٍ من ذلك ؛ فقال : خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى ؟ هذان والله أمران لا يجتمعان لك ؛ فقال : والله لئن لم يكن في ما يتَّسع لكما حتى يكونَ الوفاءُ لكما جميعاً واحداً ما في خيرٍ ، والله لا أترك واحداً منكما لصاحبه ، فمن قِبلني على هذا قِبلني ، ومن لم يقبلني فهو أعلم ؛ فقال له الفضل بن يحيى : أنت عندي غير متَّهم ، والأمرُ كما قلت ، وقد قِبلتُك على ذلك .

[من الحبس إلى مجلس الرشيد]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني إسحاق قال حدثني أبي : أنَّ الرشيد غضِب عليه فقيده وحبسه بالرَّقَّة ، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زينه وحسنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلستنا عيبٌ ؟ قال : نعم ، غِيبةُ إبراهيم الموصلي عنه ؛ فأمر بإحضاري فأحضرت في قيودي ، ففُكَّت عني بين يديه ، وأمرهم فناولوني عُوداً وقال : غنَّي يا إبراهيم ؛ فغنَّيته :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتٍ²
فاستعاده وشرب وطرب ، وقال : هَنَأَتْنِي يَوْمِي وَسَاهَيْتُكَ بِالصَّلَةِ ، وقد وهبتُ لك
الهنىءَ والمريءَ ؛ فانصرفتُ ، فلَمَّا أَصْبَحْتُ عَوَّضْتُ مِنْهُمَا مَائَتِي أَلْفَ دِرْهَمٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتٍ
مَرَرْنَ بِفَخٍّ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتٍ
يُخَمِّرْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَاطِ مُقْتَدِرَاتٍ³
وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ التُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
الشعر للتُمَيْرِيِّ التَّقَفِيِّ . والغناء لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيلٍ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ

1 الشَّمَّاسِيَّة : محلة ببغداد .

2 بطن نعمان : واد بين مكة والطائف . ونسوة خفرات في ل : نسوة عطرات .

3 رواية هذا البيت في الكامل للمبرد (الدالي) : 771

يخفن أطراف البنان من التقى ويخرجن شطر الليل مخنمات

إسحاق ويحيى المكي وعمرو بن بانه . وذكر حبش أن فيه لعزة الميلاء لحناً من الثقيل الأول .
[أنشده يحيى بن خالد بيتاً فثناه وغنى فيه]

أخبرني محمد بن مزيد وأحمد بن جعفر جحظة قالاً حدثنا حماد بن إسحاق قال ، وأخبرني
الصولي قال حدثني عون بن محمد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال : رأيت يحيى بن خالد خارجاً
من قصره الذي عند باب الشماسية يريد قصره الذي بباب البردان¹ وهو يتمثل : [من الوافر]

صوت

هوى يتهامية وهوى بنجد فابلتني التهائم والنجود²

قال أبي : فردته عليه : [من الوافر]

أقيم بذا وأذكر عهد هذا فلي ما بين ذين هوى جديد

قال : وصنعت فيه لحناً ، قال الصولي في خبره : وهو من خفيف الثقيل ، ثم صيرت إليه
فغنيته إياه ، فأمر لي بألف دينار وبدابته التي كانت تحته يومئذ بسرجهما ولجامها ؛ فقلت له :
جزاك الله من سيد خيراً ، فإنك تأتي الأنفس وهي شوارد فتقرها ، والأهواء وهي سقيمة
فتصيحها ؛ فأمر لي بألف دينار أخرى .

قال إبراهيم : ثم ضرب الدهر من ضربه ، فبينما أنا أسير معه إذ لقيه العباس بن الأحنف ،
وكان ساخطاً عليه لشيء بلغه عنه ، فترجل له وأنشده³ : [من السريع]

صوت

بالله يا غضبان إلا رضىت أذاكر للعهد أم قد نسيت

فقال : بل ذاكر يا أبا الفضل ؛ فأضفت إلى هذا البيت : [من السريع]

لو كنت أبغي غير ما تشتهي دعوت أن تبلى كما قد بليت

وصنعت فيه لحناً ، قال الصولي في خبره : هو ثقيل أول ، قال : وغنيته به ، فأمر لي بالفي
دينار وضعك ؛ فقلت : من أي شيء تضعك يا سيدي ؟ لا زلت ضاحكاً مسروراً ! فقال :
ذكرت ما جرى في الصوت الأول وأنه كان مع الجائزة دابة بسرجه ولجامه ، ولن تنصرف
الليلة إلا على مثله ، فقممت فقبلت يده ؛ فأمر لي بالفي دينار آخرين ، وقال : تلك الكرة
شكرت على الجائزة بكلام فردناك ، والآن شكرت بفعل أوجب الزيادة ، ولولا أنني مضيق

1 البردان : من قرى بغداد آنذا .

2 فابلتني في ل : فابلتني .

3 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 87 .

في هذا الوقت لضاعفتها ، ولكن الدهر بيننا مستأنفٌ جديد .
[غنى الرشيد بشعره]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : لما نزل الرشيدُ في طريقه إلى طُوس بشبِّداز¹ جلس يشرب عنده ، فكان إبراهيمُ الموصليَّ أوَّلَ مَنْ غناه ، فابتدأ بهذا الصوت ، والشعرُ له :

صوت

رَأَيْتُ الدِّينَ والدُّنْيَا مُقِيمَيْنِ بِشِبِّدَازِ
أَقَامَا بَيْنَ حَجَّاجٍ وَغَازٍ أَيْمًا غَازٍ²

وهو من الثَّقِيلِ الأوَّل ، فأمر له بألف دينار ، ولم يَسْتَحْسِنِ الشعرَ ، وقال له : يا إبراهيم صَنَعْتُكَ فِيهِ أَحْسَنَ مِنْ شَعْرِكَ ؛ فَحَجَلٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي شَغَلْ خَاطِرِي الْغَنَاءُ فَقُلْتَ لَوْ قَتَيْتَ مَا حَضَرَنِي ؛ فَضَحَكَ الرَّشِيدُ مِنْ قَوْلِهِ وَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ .
[كثير الأصدقاء]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان جدُّكَ محبًّا للأشراف كثيرَ الأصدقاء منه ، حتى إنَّ كان الرشيدُ لَيَقُولُ كَثِيرًا : مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَكْثَرَ أَصْدِقَاءَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ .
[كاتب وشاعر وخطيب]

قال إسحاق : وما سمعتُ أَحْسَنَ غَنَاءَ مِنْ أَرْبَعَةِ : أَبِي ، وَحَكَمِ الْوَادِي ، وَفُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوْرَاءِ ، وَسَيَّاطٍ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا بَلَغَ مِنْ حَذَقِهِمْ ؟ قَالَ : كَانُوا يَصْنَعُونَ فَيُحْسِنُونَ ، وَيُؤَدُّونَ غَنَاءَ غَيْرِهِمْ فَيُحْسِنُونَ ؛ فَقُلْتُ : فَأَيُّهُمْ كَانَ أَحْذَقَ ؟ قَالَ : كَانُوا بِمَنْزِلَةِ خَطِيبٍ أَوْ كَاتِبٍ أَوْ شَاعِرٍ يُحْسِنُ صِنَاعَتَهُ ، فَإِذَا انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ مِنْ صِنَاعَتِهِ ، وَكَانَ جَدُّكَ كَرَجَلٍ مَفُوءٍ ، إِنْ خَطَبَ أُجْزِلَ ، وَإِنْ كَتَبَ رِسَالَةً أَحْسَنَ ، وَإِنْ قَالَ شِعْرًا أَحْسَنَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِثْلُهُ .

[أوَّلَ مَنْ عَلَّمَ الْجَوَارِي الْغَنَاءَ]

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حمّاد عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَازِيهِ ، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شَيْبَةَ جَمِيعًا عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ³ : لَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَعْلَمُونَ الْجَارِيَةَ الْحَسَنَاءَ الْغَنَاءَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْلَمُونَهُ الصُّفْرَ وَالسُّودَ ؛ وَأَوَّلَ مَنْ عَلَّمَ

1 طوس وشبِّداز : مدينتان في خراسان ، وفي الأولى دفن الرشيد .

2 حجاج هنا : كثير الحج .

3 أورد ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 27 (رقم 49) عن الأغاني .

الجواري المثنّات أبي ، فإنه بلغ بالقيان كلّ مبلغ ، ورفّع من أقدارهنّ . وفيه يقول أبو عيّنة بن محمد بن أبي عيّنة المهلبّي وقد كان هويّ جاريةً يقال لها أمان فأغلى بها مولاهما السّوم ، وجعل يردّها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما ، فكلّما زادت في الغناء زاد في سومه ، فقال أبو عيّنة :

قلتُ لما رأيتُ مولى أمانٍ قد طغى سومه بها طغيانا
لا جرى الله الموصليّ أبا إس حاقَ عنا خيراً ولا إحسانا
جاءنا مُرسلاً بوحيّ من الشيب طانَ أغلى به علينا القيانا
من غناء كأنه سكّرات ال حبّ يُصبي القلوب والآذانا

[مدح ابن سيابة له]

وقال فيه ابن سيابة :

[من مجزوء الرمل]

صوت

ما لإبراهيم في العذ حم بهذا الشأن ثاني
إنما عمّر أبي إس حاق زَيْنُ للزمان
جنّة الدنيا أبو إس حاق في كلّ مكان
فإذا غنى أبو إسحاق ق أجابته المثاني
منه يُجنّي ثمرُ الله و وريحان الجنان

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان : خفيفٌ ثقیل بالنصر ، وخفيفٌ رمل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ .

[شعر أبي العتاهية فيه وهو محبوس]

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامَة قال : كان سلّم الخاسر عند أبي العتاهية ، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبس إبراهيم الموصليّ في المطبق ؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال¹ :

[من الخفيف]

سلّم يا سلّم ليس دونك سترٌ حبس الموصليّ فالعيشُ مرٌ
ما استطاب اللذاتِ مُدّ سَكَن المط سبق رأسُ اللذاتِ في الناس حرٌ

ترك الموصلي مَنْ خَلَقَ الـ لَهُ جَمِيعاً وَعِيشُهُمْ مُقْشَعَرٌ
 حُبِسَ اللّهُوُ والسُرورُ فما في الـ أَرْضِ شَيْءٌ يُلْهِى بِهِ أَوْ يَسُرُّ
 وأنشدني بعضُ أصحابنا عن ابنِ المَرْزُبَانِ عن أَحْمَدَ بنِ أَبِي طَاهِرٍ عن ابنِ أَبِي فَنَنْ لَأَبِي
 العتاهية يخاطب إبراهيم الموصلي لَمَّا حُبِسَ¹ :
 [من الوافر]

أَيَا غَمِّي لَغَمُّكَ يَا خَلِيلِي وَيَا وَيْلِي عَلَيْكَ وَيَا عَوِيلِي
 يَعْزُّ عَلَيَّ أَنْتَ لَا تَرَانِي وَأَنْتِي لَا أَرَاكَ وَلَا رَسُولِي
 وَأَنْتَ فِي مَحَلٍّ أَذَى وَضْنُكَ وَلَيْسَ إِلَيَّ لِقَائُكَ مِنْ سَبِيلِ
 وَأَنْتِي لَسْتُ أَمْلِكُ عَنْكَ دَفْعاً وَقَدْ فُوجِئْتَ بِالخَطْبِ الْجَلِيلِ

[إبراهيم بن المهدي يدعي لحنا له]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن
 عمر قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن القطراني المغني عن محمد بن جبر ، وكان المهدي
 رباه ، قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال² : انصرفت ليلة من الشَّماسية فمررتُ بدار إبراهيم
 الموصلي ، وإذا هو في رَوْشَن له وقد صنع لحنه :

أَلَا رَبَّ نَدْمَانٍ عَلَيَّ دَمُوعُهُ تَفْيِضُ عَلَى الْخَدَّيْنِ سَحَاً سَجُومُهُ
 وهو يُعِيده ويلعب به بنغمه ويكرره لتستوي له أجزاؤه ، وجواريه يضربن عليه ، فوقفتُ
 تحت الروشن حتى أخذته ثم انصرفت إلى منزلي ، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغاية ،
 وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّماسية واجتمعنا عند الرشيد ، فاندفع إبراهيم فغناه أول شيء
 غنّى ، فلمّا سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه ، ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟
 قال : لي يا سيدي ، صنعتُه البارحة ؛ فقلت : كذب يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت قديم وأنا
 أغنيه ؛ فقال لي : غنّه يا حبيبي ، فغنّيته كما غناه ؛ فبهت إبراهيم وغضب الرشيد ، وقال له : يا
 ابن الفاجرة ! أتكذّبي وتدعي ما ليس لك ؟ . قال : فظلّ إبراهيم بأسوأ حال ؛ فلمّا صليتُ
 العصر قلت للرشيد : يا أمير المؤمنين ، الصوتُ وحياتك له وما كذب ، ولكنّي مررتُ به
 البارحة وهو يردده على جارية له فوقفتُ حتى دار لي واستوى فأخذته منه ؛ فدعا به الرشيد
 ورضي عنه ، وأمر له بخمسة آلاف دينار .

1 ديوان أبي العتاهية : 626 عن الأغاني .

2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 28 (رقم 50) .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

أَلَا رَبَّ نَذْمَانِ عَلَيَّ دَمُوعُهُ تَفِيضُ عَلَى الْخَدَيْنِ سَحًّا سُجُومُهَا
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْكَأْسُ دَارَتْ وَهَرَّهَا رَجَالٌ لَدَيْهَا قَدْ تَخِفَ حُلُومُهَا¹
الغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالسَّابَةِ في مجرى البصر عن إسحاق .

[بينه وبين إبراهيم بن المهدي وابن جامع]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبي عن طَيَّاب بن إبراهيم الموصلي قال : كان إبراهيم بن المهدي يُقدِّم ابنَ جامع ولا يُفضِّلُ عليه أحداً ، فأخبرني إبراهيم بن المهدي قال : كنَّا في مجلس الرشيد وقد غلبَ النبيذُ على ابن جامع ، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفت إلي إبراهيم فقال : قد خزي أستاذك فيه ! وفهمتُ صدقَه فيما قال ؛ قال : فقلت له : انتبه أيُّها الشيخ وأعدِ الصوتَ ، ففطنَ وأعاده وتحفَّظ فيه وأصاب ؛ فغضب إبراهيم وأقبل علي فقال : [من الوافر]

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي²

وتنكَّر لي وحلف ألا يكلمني ؛ فقلت للرشيد بعد أيام : إن لي حاجة ؛ قال : وما هي ؟ قلت : تأمر إبراهيم الموصلي أن يرضى عني ويعودَ إلي ما كان عليه ؛ فقال : ومَن إبراهيم حتى يُطلبَ رضاه ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الذي أريده منه لا يُنال إلا برضاه ؛ فقال : قم إليه يا إبراهيم فقبِّلْ رأسه ؛ فقام إلي ليقبِّلَ رأسي ، فلَمَّا أَكَبَّ عَلَيَّ قال : تعود ؟ قلت : لا ؛ قال : قد رضيتُ عنك رضىً صحيحاً ، وعاد إلي ما كان عليه .

[غنى الرشيد في الحيرة]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى قال : سمعتُ جدِّي علياً يحدث عن إسحاق قال : قال أبي : خرجتُ مع الرشيد إلى الحيرة ، فساعة نزل بها دعا بالغداء فتغذى ثم نام ، فاغتنمتُ قائلته فذهبتُ فركبتُ أدور في ظهر الحيرة ، فنظرتُ إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌ حسن الوجه ، فاستأذنته في الدخول فأذن لي ، فدخلتُ فإذا جَنَّةٌ من الجنان في أحسن تربة وأغزرها ماءً ، فخرجتُ فقلت له : لمن هذا البستان ؟ فقال : لبعض الأشاعنة ؛ فقلت له : أتياع ؟ فقال : نعم وهو على سَوَم ؛ فقلت : كم بلغ ؟ فقال : أربعة عشر ألفَ دينار ؛ قلت : وما يُسمَّى هذا الموضع ؟ قال : شُمَارَى ؛ فقلت :

1 هر الكأس : كرهها .

2 استدَّ : استقام . ويُروى اشتدَّ .

صوت

جَنَانُ شُمَارَى لَيْسَ مِثْلَكَ مَنْظَرٌ لَدِي رَمَدٌ أَعْيَا عَلَيْهِ طَيْبُ
تُرَابُكَ كَافُورٌ وَنُورُكَ زَهْرَةٌ لَهَا أَرْجٌ بَعْدَ الْهُدُوِّ يَطِيبُ¹

قال : وَحَضَرْتَنِي فِيهِ صَنْعَةٌ حَسَنَةٌ ؛ فَلَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ بِالْغِنَاءِ غَنَيْتُهُ إِيَّاهُ أَوَّلَ مَا غَنَيْتُ ؛ فَقَالَ : وَيْلَكَ ! وَأَيْنَ شُمَارَى ؟ فَأَخْبَرْتَهُ الْقِصَّةَ ؛ فَأَمَرَ لِي بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ وَغَمَزَنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَقَالَ : خُذْ تَوَقِّعَهُ بِهَا إِلَيَّ ؛ وَتَشَاغَلَ الرَّشِيدُ عَنِّي ، فَأَعْدَتُ الصَّوْتَ ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! أَعْطُوا هَذَا دَنَانِيرَهُ ؛ فَوُثِّبْتُ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي ، وَقَعَ لِي بِهَا إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ؛ فَقَالَ : أَفْعَلْ ، وَوَقَعَ لِي بِهَا إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا حَصَلَ التَّوَقُّعُ عِنْدَ جَعْفَرٍ أَطْلَقَ لِي الْمَالَ وَخَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ عِنْدِهِ ؛ فَلَمَّا حَصَلَ الْمَالُ عِنْدِي كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ وَأَحْسَنَ فِي عَيْنِي مِنْ شُمَارَى .

[غنى في أبيات طلب الرشيد إجازتها]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ : خَرَجَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يَوْمًا مِنْ حَضْرَةِ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ رَقْعَةٌ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ ، فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ كُلَّ مَنْ حَضَرَ مِنْهُ يَقُولَ الشَّعْرَ أَنْ يُجِيزَهَا ، وَهِيَ :

أَهْدَى الْحَبِيبُ مَعَ الْجَنُوبِ سَلَامَهُ فَارْدُدْ إِلَيْهِ مَعَ الشَّمَالِ سَلَامًا
وَاعْرِفْ بِقَلْبِكَ مَا تَضُمَّنْ قَلْبُهُ وَتَدَاوَلَا بِهِوَكَامَا الْأَيَّامَا
وَإِذَا بَكَيْتَ لَهُ فَأَيُّقِنْ أَنَّهُ سَتَجُودُ أَدْمُعُهُ عَلَيْكَ رَهَامًا²
فَاحْبِسْ دَمْعَكَ رَحْمَةً لِدَمْعِهِ إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ أَوْ تَحُوطُ ذِمَامَا

فَلَمْ يَوْجَدْ مَنْ يُجِيزُهَا ، فَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ فَعَنَى فِيهَا لَحْنًا مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ .

[تأخر عن ركب الرشيد لبقى عند خمار]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكِيعٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْبَصْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : لَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ إِلَى الرَّقَّةِ أَخْرَجَ مَعَهُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ ، وَكَانَ بِهِ مَشْغُوفًا ، فَفَقَدَهُ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ أَيَّامًا وَطَلَبَهُ فَلَمْ يُخْبِرْهُ أَحَدٌ بِقِصَّتِهِ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ؛ مَا خَبْرُكَ وَأَيْنَ كَانَتْ غَيْبَتُكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِيثِي عَجِيبٌ ، نَزَلْنَا بِمَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، فَوُصِفَ لِي خَمَارٌ ، مِنْ ظَرْفِهِ وَمِنْ نِظَافَةِ مَنْزِلِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، فَتَقَدَّمْتُ

1 ونورك في ل : ونبتك .

2 الرهام : المطر الضعيف .

أمام ثَقْلِي¹ وَأَتَيْتَهُ مُخَفًّا ، فَوَافَيْتُ أَطِيبَ مَنْزِلٍ وَأَوْسَعَ رَحْلٍ وَأَطِيبَ طَعَامٍ وَأَسْخَى نَفْسٍ ، مِنْ شَابٍّ حَسَنَ الْوَجْهِ ظَرِيفَ الْعِشْرَةِ ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ اللَّحَاقَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْسَمَ عَلَيَّ وَأَخْرَجَ لِي مِنَ الشَّرَابِ مَا هُوَ أَطِيبُ وَأَجُودُ مِمَّا رَأَيْتُ ، فَأَقَمْتُ ثَلَاثًا ، وَوَهَبْتُ لَهُ ذَنَابِيرَ كَانَتْ مَعِيَ وَكُسُوءًا ، وَقَلْتُ فِيهِ :

صوت

سَقِيًّا لِمَنْزَلِ خَمَّارٍ قَصَفْتُ بِهِ وَسَطَ الرُّصَافَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمَيْنِ
مَا زِلْتُ أَرْهَنُ أَثْوَابِي وَأَشْرِبُهَا صَفَرَاءَ قَدْ عُنُقْتُ فِي الدَّنِّ حَوْلَيْنِ
حَتَّى إِذَا نَفَدَتْ مِنِّي بِأَجْمَعِهَا عَاوَدْتُهُ بِالرَّبَا دَنًّا بِدَنَيْنِ
فَقَالَ «إِزْلُ بَشِين» حِينَ وَدَّعَنِي وَقَدْ لَعَمْرُكَ زُلْنَا عَنْهُ بِالشَّيْنِ

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبصرة . قوله : «إِزْلُ بَشِين» كلمة سريانية ، تفسيرها : إِمْضِ بِسَلَامٍ ، دَعَا لَهُ بِهَا لَمَّا وَدَّعَهُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَقَالَ لِي الرَّشِيدُ : غَنِّي هَذَا الصَّوْتُ ، فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ وَزَمَرْتُ عَلَيْهِ بِرُصُومًا ، فَوَهَبَ لِي الرَّشِيدُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَقْطَعَنِي ضَبْعَةَ ، وَبَعَثَ إِلَيَّ الْخَمَّارَ فَاحْضِرْ ، وَأَهْدَى إِلَيَّ الرَّشِيدُ مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ فَوَصَّلَهُ ؛ وَوَهَبَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ .

[رؤيا ابن جامع]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالُوا جَمِيعًا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ ابْنُ جَامِعٍ يَوْمًا لِأَبِي : رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي وَإِيَّاكَ رَاكِبَانِ فِي مَحْمَلٍ ، فَسَفَلْتُ حَتَّى كِدْتُ تَلَصَّقُ بِالْأَرْضِ ، وَعَلَا الشَّقُّ الَّذِي أَنَا فِيهِ ، فَلَا أَعْلُونَكَ فِي الْغَنَاءِ ؛ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : الرَّوْيَا حَقٌّ وَالتَّأْوِيلُ بَاطِلٌ ، إِنِّي وَإِيَّاكَ كُنَّا فِي مِيزَانٍ ، فَرَجَحْتُ بِكَ وَشَلْتُ كِفَتَكَ وَعَلَوْتُ فَلَصَبْتُ بِالْأَرْضِ ، فَلَأَبْقَيْنَ بَعْدَكَ وَلْتَمُوتَنَّ قَبْلِي : قَالَ إِسْحَاقُ : فَكَانَ كَمَا قَالَ أَبِي ، عَلَا عَلَيْهِ وَأَفَادَ أَكْثَرَ مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَمَاتَ ابْنُ جَامِعٍ قَبْلَهُ وَعَاشَ أَبِي بَعْدَهُ .

[ابن جامع يأخذ لحنا له عن جارية]

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي خَدِيجَةُ بِنْتُ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَتْ حَدَّثَنِي خَمَّارٌ جَارِيَةٌ أَبِي ، وَكَانَتْ قُنْدَهَارِيَّةً² ، اشْتَرَاهَا جَدِّي عَبْدُ اللَّهِ وَهِيَ صَبِيَّةٌ رِيضٌ³ مِنْ آلِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَتْ : أَلْقَى عَلَيَّ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ لَحْنَ فِي

1 ثقل المسافر : متاعه .

2 قندهارية : نسبة إلى قندهار مدينة في أفغانستان .

3 ريض : الدابة أول ما تراض ، يطلق على الذكر والأنثى .

هذين البيتين :

[من الطويل]

صوت

إذا سرّها أمرٌ وفيه مَسَاءَتِي قضيتُ لها فيما تريد على نفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي فيه راحةً فأذكره إلا بكيتُ على أُمسٍ

الشعر لأبي حفص الشطرنجي¹ ، والغناء لإبراهيم ثقل أول بالوسطي ، فسمعتني ابن جامع يوماً وأنا أغنيه ، فسألني : ممن أخذته ؟ فأخبرته ؛ فقال : أعيديه ، فأعدته مراراً ، وما زال ابن جامع يتنغم به معي حتى ظننت أنه قد أخذه ، ثم كان كلما جاءنا قال لي : يا صبيّة ، غني ذلك الصوت ، فكان صوته علي .

[قصته مع مخارق في أخذه دراهم من يحيى البرمكي وأولاده]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال قال مخارق : أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام ، وأعلمنا أنه مشغل فيها مع الحرم ، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم ، وأخبرني وسوسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي² بهذا الخبر فقال حدثني أبي عن أبيه عن مخارق قال : اشتغل الرشيد يوماً واصططح مع الحرم وقد أصبحت السماء متغيمة ، فانصرفنا إلى منازلنا . ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شبة مما قدمت ذكره ، واتفقا هاهنا في أكثر الحكايات ، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصلي ، قال مخارق : وأصبحت السماء متغيمة تطيش طشاً خفيفاً ، فقلت : والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود ، فأمرت من عندي أن يسووا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي ؛ فجت إلى إبراهيم الموصلي فإذا الباب مفتوح والدّهليز قد كنس والبواب قاعد ؛ فقلت : ما خبر أستاذي ؟ فقال : ادخل ، فدخلت فإذا هو جالس في رواق له وبين يديه قدور تغرغر وأباريق تزهر ، والستارة منصوبة والجواري خلفها ، وإذا قدّامه طست فيه رطليّة وكوز وكأس ، فدخلت أترنم ببعض الأصوات ، وقلت له : ما بال الستارة لست أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعد ويحك ! إنني أصبحت على الذي ظننت ؛ فأتاني خبر ضيعة تجاورني ، قد والله طلبتها زماناً وتمنيتها فلم أملكها ، وقد أعطيت بها مائة ألف درهم ؛ فقلت : وما يمنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر ؛ قال : صدقت ، ولكن لست أطيب نفساً أن أخرج هذا المال ؛ فقلت : فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم ؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد ، فكيف بمن دونه ؟ فقال : اجلس ، خذ هذا الصوت ، ونقر بقضيب معه

1 سترجم أبو الفرج لأبي حفص الشطرنجي في الأغاني فيما بعد .

2 تقدّم هذا الاسم على أنه أحمد بن أحمد وأحمد بن محمد وهذه صيغة ثالثة .

على الدواة وألقى عليّ :

[من البسيط]

صوت

نام الخَلِيُّونَ من هَمٍّ ومن سَقَمٍ وبِتُّ من كَثْرَةِ الأَحْزَانِ لم أنم
يا طالبَ الجودِ والمعروفِ مُجتهداً اعْمِدْ ليحيى حليفَ الجودِ والكرمِ

الشعر لأبي النضير¹ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبصرة . قال : فَأَخَذْتُهُ فَأَحْكَمْتُهُ ؛
ثم قال لي : امضِ السَّاعَةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد ، فَإِنَّكَ تَجِدُ النَّاسَ عَلَيْهِ وَتَجِدُ الْبَابَ قَدْ
فُتِحَ وَلَمْ يَجْلِسْ بَعْدُ ، فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَإِنَّهُ سَيُنْكِرُ عَلَيْكَ مَجِيئَكَ وَيَقُولُ :
مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَحَدِّثْهُ بِقَصْدِكَ إِيَّايَ وَمَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَبَرِ الضَّيِّعَةِ ، وَأَعْلِمْنِي
أَنِّي صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَأَعْجَبَنِي ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا فَلَانَةُ جَارِيَتِهِ ، وَأَنِّي أَلْقَيْتُهُ عَلَيْكَ
حَتَّى أَحْكَمْتُهُ لِنَظَرِخَةِ عَلَيْهَا ؛ فَسِيدَعُو بِهَا وَيَأْمُرْ بِالسَّتَارَةِ أَنْ تُنْصَبَ وَيُوضَعَ لَهُ كُرْسِيٌّ وَيَقُولُ
لَكَ : اطْرَحْهُ عَلَيْهَا بِحَضْرَتِي ، فَافْعَلْ وَأَتَيْنِي بِالْخَبَرِ بَعْدَ ذَلِكَ . قَالَ : فَجِئْتُ بَابَ يَحْيَى فَوَجَدْتُهُ كَمَا
وَصَفَ ، وَسَأَلَنِي فَأَعْلَمْتُهُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ، فَفَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ قَالَهُ لِي إِبْرَاهِيمُ ، وَاحْضَرَّ الْجَارِيَةَ فَأَلْقَيْتُهُ
عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ قَالَ لِي : تُقِيمُ عِنْدَنَا يَا أَبَا الْمُهَنَّا أَوْ تَنْصَرِفُ ؟ فَقُلْتُ : أَنْصَرِفُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ فَقَدْ
عَلِمْتُ مَا أَذِنَ لَنَا فِيهِ ، قَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ مَعَ أَبِي الْمُهَنَّا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَاحْمِلْ إِلَى أَبِي
إِسْحَاقَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ثَمَنَ هَذِهِ الضَّيِّعَةِ ، فَحُمِلَتِ الْعَشْرَةُ الْآلَافُ الدَّرْهَمِ إِلَيَّ ، وَأَتَيْتُ مَنْزِلِي
فَقُلْتُ : أُسَرُّ يَوْمِي هَذَا وَأُسَرُّ مِنْ عِنْدِي ، وَمَضَى الرَّسُولُ إِلَيْهِ بِالْمَالِ ؛ فَدَخَلْتُ مَنْزِلِي وَنَثَرْتُ عَلَى
مِنْ عِنْدِي مِنَ الْجَوَارِي دِرَاهِمَ مِنْ تِلْكَ الْبَدْرَةِ ، وَتَوَسَّدْتُهَا وَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَرِبْتُ وَسُرِرْتُ
يَوْمِي كُلَّهُ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَا تَيْنَ أُسْتَازِي وَلَا عَرِفَنَ خَبْرَهُ ، فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُ الْبَابَ
كَهَيْئَتِهِ بِالْأَمْسِ ، وَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَتَرَنَمْتُ وَطَرِبْتُ فَلَمْ يَتَلَقَّ ذَلِكَ بِمَا
يَجِبُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : مَا الْخَبَرُ ؟ أَلَمْ يَأْتِكَ الْمَالُ ؟ قَالَ : بَلَى ، فَمَا كَانَ خَيْرُكَ أَنْتَ بِالْأَمْسِ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ
بِمَا كَانَ وَهَبَ لِي وَقُلْتُ : مَا يَنْتَظَرُ مِنْ خَلْفِ السَّتَارَةِ ، فَقَالَ : ارْفَعْ السَّجْفَ فَرَفَعْتُهُ فَإِذَا عَشْرُ
بَدَرٍ ؛ فَقُلْتُ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ عَلَيْكَ فِي أَمْرِ الضَّيِّعَةِ ؟ قَالَ : وَيَحْكُ ! مَا هُوَ وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ دَخَلْتُ
مَنْزِلِي حَتَّى شَحَحْتُ عَلَيْهَا فَصَارَتْ مِثْلَ مَا حَوِيَتْ قَدِيمًا ؛ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ؛ فَتَصَنَعُ
مَاذَا ؟ قَالَ : قِمْ حَتَّى أَلْقِيَ عَلَيْكَ صَوْتًا صَنَعْتُهُ يَفُوقُ ذَلِكَ الصَّوْتَ ؛ فَقِمْتُ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
فَأَلْقَى عَلَيَّ :

[من الطويل]

صوت

وَيَفْرَحُ بِالْمُلُودِ مِنْ آلِ بَرَمَكٍ بُغَاةُ النَّدَى وَالسَّيْفُ وَالرَّيْحُ ذُو النَّصْلِ¹
وَتَبْسُطُ الْأَمَالَ فِيهِ لِفَضْلِهِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ

الشعرُ لأبي النَّضِير . والغناء لإبراهيمَ ثَقِيلٌ² أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ الْهَشَامِيِّ ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق ، وهو الصحيح . وفيه خفيف ثَقِيلٌ ، أَظُنُّهُ لِحَنِ إِبْرَاهِيمَ . أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ أَنَّ أَبَاهُ صَنَعَ هَذَا الصَّوْتَ فِي طَرِيقَةِ خَفِيفِ الثَّقِيلِ وَعَرَّضَهُ عَلَى الْفَضْلِ ، فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَ مُخَارِقًا بِالْقَائَةِ عَلَى جَوَارِيهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَرَاقِشٍ² وَقَضِيبٍ فَأَخَذَتْهُ عَنْهُ . قَالَ مُخَارِقُ : فَلَمَّا أَلْقَى عَلَى الصَّوْتِ سَمِعْتُ مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَصَغُرَ عِنْدِي الْأَوَّلُ فَأَحْكَمْتُهُ ؛ ثُمَّ قَالَ : انْهَضِ السَّاعَةَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُ لَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ بَعْدُ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْخُلُوةَ مَعَ جَوَارِيهِ الْيَوْمَ ، فَاسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِنَا أَمْسَ ، وَمَا كَانَ مِنْ أَبِيهِ إِلَيْنَا وَإِلَيْكَ ، وَأَعْلَمَهُ أَنِّي قَدْ صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَكَانَ عِنْدِي أَرْفَعُ مَنْزِلَةً مِنَ الصَّوْتِ الَّذِي صَنَعْتُهُ بِالْأَمْسَ ، وَأَتَى أَلْقَيْتُهُ عَلَيْكَ حَتَّى أَحْكَمْتُهُ وَوَجَّهْتُ بِكَ قَاصِدًا لِتَلْقِيهِ عَلَى فَلَانَةٍ جَارِيَتِهِ ؛ فَصِرْتُ إِلَى بَابِ الْفَضْلِ فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرَ ، فَاسْتَأْذَنْتُ فَوَصَلْتُ ؛ وَسَأَلَنِي : مَا الْخَبَرُ ؟ فَأَعْلَمْتُهُ بِخَبْرِي فِي الْيَوْمِ الْمَاضِي وَمَا وَصَلَ إِلَيَّ وَالِيهِ مِنَ الْمَالِ ؛ فَقَالَ : أَخْبَرَنِي اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فَمَا أَبْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ ! ؛ ثُمَّ دَعَا خَادِمًا فَقَالَ : اضْرِبِ السَّتَارَةَ فَضْرِبْهَا ، فَقَالَ لِي : أَلْقِهِ ، فَلَمَّا غَنَيْتُهُ لَمْ أَتِمَّهُ حَتَّى أَقْبَلَ يَجْرُ مِطْرَفُهُ ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى وَسَادَةٍ دُونَ السَّتَارَةِ ، وَقَالَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ أُسْتَاذُكَ وَأَحْسَنَتْ أَنْتَ يَا مُخَارِقُ ؛ فَلَمْ أَخْرَجْ حَتَّى أَخَذْتُهُ الْجَارِيَةَ وَأَحْكَمْتُهُ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ سُرُورًا شَدِيدًا ؛ وَقَالَ : أَقِمْ عِنْدِي الْيَوْمَ ؛ فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي إِنَّمَا بَقِيَ لَنَا يَوْمٌ وَاحِدٌ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُحِبُّ سُرُورَكَ لَمْ أَخْرَجْ مِنْ مَنْزِلِي ؛ فَقَالَ : يَا غُلَامُ احْمِلْ مَعَ أَبِي الْمَهْنَأَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَاحْمِلْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ مَائَتِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي بِالْمَالِ ، فَفَتَحْتُ بَدْرَةَ فَفُتِرَتْ مِنْهَا عَلَى الْجَوَارِي وَشَرِبْتُ وَسُرَرْتُ أَنَا وَمَنْ عِنْدِي يَوْمَنَا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ بَكَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَتَعَرَّفُ خَبْرَهُ وَأَعْرِفُهُ خَبْرِي ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَوَّلًا وَآخِرًا ، فَدَخَلْتُ أَتَرَنَّمُ وَأُصَفِّقُ ؛ فَقَالَ لِي : اذْنُ ؛ فَقُلْتُ : مَا بَقِيَ ؟ فَقَالَ : اجْلِسْ وَارْفَعْ سَجْفَ هَذَا الْبَابِ فَرَفَعْتُهُ فَإِذَا عَشْرُونَ بَدْرَةً مَعَ تِلْكَ الْعَشْرِ ؛ فَقُلْتُ : مَاذَا تَنْتَظِرُ الْآنَ ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ ، مَا هُوَ وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ حَصَلْتُ حَتَّى جَرَتْ مَجْرَى مَا تَقَدَّمَ ؛ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَحَدًا نَالَ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَا نَلْتُهُ ، فَلِمَ تَبْخُلُ عَلَى نَفْسِكَ بِشَيْءٍ تَمْنِيْتَهُ دَهْرًا وَقَدْ مَلَكَكَ اللَّهُ أَضْعَافَهُ ؟ ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ فَخُذْ هَذَا الصَّوْتَ ؛

1 ل : والنصل وكذا ورد في نهاية الأرب 4 : 354 وشرط البيت الثاني فيه «ولا سيَّما إن كان والده الفضل» .

2 ل : براقش .

وَأَلْقَى عَلَيَّ صَوْتًا أَنْسَانِي وَاللَّهُ صَوْتِي الْأَوَّلِينَ :

[من الطويل]

صوت

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ صَبٌّ وَلَيْلَةٍ إِلَى أُمِّ بَكْرٍ لَا تُفِيْقُ فَتُقْصِرُ
أُحِبُّ عَلَى الْهَجْرَانِ أَكْنَافَ بَيْتِهَا فَيَا لَكَ مِنْ بَيْتٍ يُحِبُّ وَيُهْجَرُ
إِلَى جَعْفَرٍ سَارَتْ بِنَا كُلُّ جَسْرَةٍ طَوَّاهَا سُرَاهَا نَحْوَهُ وَالتَّهْجَرُ
إِلَى وَاسِعٍ لِلْمُجْتَدِينَ فَنَاوَهُ تَرَوْحُ عَطَايَاهُ عَلَيْهِمْ وَتَبْكُرُ

الشعر لمروان بن أبي حفصة يمدح به جعفر بن يحيى . والغناء لإبراهيم ، ولم تقع إلينا طريقته . قال مُخَارِقُ : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ فقلت : ما سمعتُ قطُّ مثله . فلم يَزَلْ يُرَدِّدُهُ عَلَيَّ حَتَّى أَخَذْتُهُ ، ثم قال لي : امضِ إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه ؛ قال : فمضيتُ ففعلتُ مثلَ ذلك وخبرته ما كان منهما وعرضتُ عليه الصوت ، فسُرَّ به ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة وأحضَرَ الجارية وقعد على كرسيٍّ ، ثم قال : هاتِ يا مُخَارِقُ ؛ فاندفعتُ فَأَلْقَيْتُ الصَّوْتَ عَلَيْهَا حَتَّى أَخَذْتُهُ ؛ فقال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا مُخَارِقُ وَأَحْسَنُ أُسْتَاذُكَ ، فهل لك في المَقَامِ عِنْدَنَا الْيَوْمَ ؟ فقلت : يَا سَيِّدِي هَذَا آخِرُ أَيَّامِنَا ، وَإِنَّمَا جِئْتُ لِمَوْقِعِ الصَّوْتِ مِنِّي حَتَّى أَلْقِيْتَهُ عَلَى الْجَارِيَةِ ؛ فقال : يَا غَلَامُ احْمِلْ مَعَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَإِلَى الْمُوصَلِيِّ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَصُرْتُ إِلَى مَنْزِلِي بِالْمَالِ ، فَأَقَمْتُ وَمَنْ مَعِي مَسْرُورِينَ نَشَرَبُ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا وَنَنْظُرُ ، ثُمَّ بَكَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَلَقَّانِي قَائِمًا وَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ يَا مُخَارِقُ ؛ فقلت : مَا الْخَبَرُ ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، فقال لِمَنْ خَلْفَ السِتَارَةِ : خذُوا فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ ، ثُمَّ رَفَعَ السَّجْفَ فَإِذَا الْمَالُ ؛ فقلت : مَا خَبَرُ الضَّيْعَةِ ؟ فَأَدْخَلَ يَدَهُ تَحْتَ مِسُورَةٍ هُوَ مُتَكَيِّئٌ عَلَيْهَا فَقَالَ : هَذَا صَكُّ الضَّيْعَةِ ، سَأَلَ عَنْ صَاحِبِهَا فَوُجِدَ بِبَغْدَادَ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ، وَكُتِبَ إِلَيَّ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَسْخُو نَفْسًا بِشِرَاءِ الضَّيْعَةِ مِنْ مَالٍ يَحْصُلُ لَكَ وَلَوْ حَيِيزَتْ لَكَ الدُّنْيَا كُلُّهَا ، وَقَدْ ابْتَعْتُهَا لَكَ مِنْ مَالِي وَوَجَّهْتُ لَكَ بِصَكِّهَا ؛ وَوَجَّهَ إِلَيَّ بِصَكِّهَا وَهَذَا الْمَالُ كَمَا تَرَى ؛ ثُمَّ بَكَى وَقَالَ لِي : يَا مُخَارِقُ إِذَا عَاشَرْتَ فَعَاشِرَ مِثْلِ هَؤُلَاءِ ، وَإِذَا خَنَكَرْتَ فَخَنَكَرٌ¹ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ ؛ هَذِهِ سِتْمِائَةُ أَلْفٍ وَضَيْعَةٌ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتُّونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لَكَ ، حَصَلْنَا ذَلِكَ أَجْمَعُ وَأَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسِي لَمْ أُبْرَحْ مِنْهُ ، فَمَتَى يُدْرِكُ مِثْلُ هَؤُلَاءِ ! .

[طلب إليه موسى الهادي أن يغنيه وله حكمه]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : كَانَ مُوسَى الْهَادِي شَكِيسَ

1 أي إذا غَنَيْتَ فغَنِّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ (أصل الكلمة فارسي) ، المغني المضحك .

الأخلاق صَعَبَ المِزَاج ، مَنْ تَوَقَّاه وَعَرَفَ أَخْلَاقَهُ أَعْطَاهُ مَا أُمِّلَ ، وَمَنْ فَتَحَ فَاهُ فَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ يَفْتَحَهُ
بِغَيْرِ مَا يَهْوَاهُ أَقْصَاهُ وَأَطْرَحَهُ ، فَكَانَ لَا يَحْتَجِبُ عَنْ نُدَمَائِهِ وَلَا عَنِ الْمَغْنِيِّينَ ، وَكَانَ يُكْثِرُ جَوَائِزَهُمْ
وَصِلَاتِهِمْ وَيُؤَاتِيهِمْ ؛ فَتَغْنَى أَبِي عِنْدَهُ يَوْمًا ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا إِبْرَاهِيمَ غَنَّنِي جِنْسًا مِنَ الْغَنَاءِ أَلَدَّهُ
وَأَطْرَبَ لَهُ وَلَكَ حُكْمُكَ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ لَمْ يَقْبَلْنِي زُحْلُ بَرْدِهِ رَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ مَا
فِي نَفْسِكَ . قَالَ : وَكُنْتُ لَا أَرَاهُ يُصْغِي إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَغَانِي إِصْغَاءَهُ إِلَى النَّسِيبِ وَالرَّقِيقِ مِنْهُ ،
وَكَانَ مَذْهَبُ ابْنِ سُرَيْجٍ عِنْدَهُ أَحْمَدَ مِنْ مَذْهَبِ مَعْبَدٍ ، فَغَنَّيْتَهُ : [من الطويل]

وَأَنِّي لَتَعْرُونِي لِلذِّكْرَاكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطَرُ¹

فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى جَيْبِ دُرَاعَتِهِ فَحَطَّهَا ذِرَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ؛ زِدْنِي ،
فَغَنَّيْتُ :

فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى دُرَاعَتِهِ فَحَطَّهَا ذِرَاعًا آخَرَ أَوْ نَحْوَهُ ، وَقَالَ : زِدْنِي وَلَيْلِكَ ! أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ،
وَوَجِبَ حُكْمُكَ يَا إِبْرَاهِيمَ ؛ فَغَنَّيْتُ :

هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، اللَّهُ أَبُوكَ ؛ هَاتِ مَا تَرِيدُ ؛ قُلْتُ : يَا سَيِّدِي ، عَيْنُ
مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ ؛ فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتَا كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ ، وَقَالَ : يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ
أَرَدْتَ أَنْ تَشْهَرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ فَيَقُولَ النَّاسُ : أَطْرَبَهُ فَحَكَّمَهُ ، فَتَجْعَلَنِي سَمَرًا وَحَدِيثًا ! يَا
إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِي : خُذْ بِيَدِ هَذَا الْجَاهِلِ إِذَا قَمْتُ ، فَأَدْخِلْهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ ، فَإِنْ أَخَذَ
كُلَّ مَا فِيهِ فَخَلَّهِ وَإِيَّاهُ ؛ فَدَخَلْتُ فَأَخَذْتُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت²

[من الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا	فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ	وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ
وَيَا هَجَرَ لَيْلِي قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى	وَزِدْتَ عَلَى مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الْهَجْرُ

1 هزة في ل : فترة ، أي ضعف .

2 قارن بما جاء في شرح أشعار الهذليين ص 956-959 ، فهناك اختلاف شديد في الرواية والترتيب ، وبما
جاء في أمالي القالي 1 : 148 والرواية فيها أقرب إلى ما في الأغاني . وانظر ديوان مجنون ليلى (فراج) :

وَأَنِّي لَتَعْرِوْنِي لَذَكَرَاكِ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطَرُ
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
أَمَّا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكُ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَّرَهُ أَمْرُ
لَقَدْ تَرَكْنِي أَحْسَدُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى الْيَفْنَ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ¹

الشعر لأبي صخر الهذلي . والغناء لمعبد ، وأول لحنه «ويا هجر ليل» وبعده الثاني ثم الأول من الأبيات ثاني ثقليل بالنصر عن عمرو . ولابن سريج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقليل أول عن الهشامي . ولعريب في السادس والسابع والرابع والخامس ثقليل أول أيضاً ، وللوائق فيها رمل ، وهو مما صنعه اللوائق قبلها فعارضته بلحنها . وقد نسب قوم لحن معبد إلى ابن سريج ولحن ابن سريج إلى معبد .

[استكثر جعفر بن يحيى ثمن جارية اشتراها له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : اشترى جدك إبراهيم لجعفر بن يحيى جارية مغنية بمال عظيم ، فقال جعفر : أي شيء تحسن هذه الجارية حتى بلغت بها هذا المال كله ؟ قال : لو لم تحسن شيئاً إلا أنها تحكي قولي :

لِمَنْ الدِّيارُ بِرُقَّةِ الرُّوحَانِ²

لكانت تساويه وزيادة ؛ فضحك جعفر وقال : أفرطت !

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لِمَنْ الدِّيارُ بِرُقَّةِ الرُّوحَانِ إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانِنَا بِزَمَانٍ
صَدَعَ الْغَوَانِي إِذْ رَمَيْنَ فَوَادَهُ صَدَعَ الزُّجَاجَةُ مَا لَذَاكَ تَدَانٍ
إِنْ زَرْتُ أَهْلَكَ لَمْ أُنَوَّلْ حَاجَةً وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هِجْرَانِي

الغناء لمعبد ، فيما ذكره الهشامي وأحمد بن المكي ، ثقليل أول بالوسطى ، ونسبه غيرهما إلى حنين ، وقال آخرون : إنه للغريض ، وذكر حبش أنه ليزيد حوراء . وفيه لإبراهيم خفيف رمل بالنصر .

1 لا يروعهما الذعر في ل : لم يفزعهما دعر .

2 برقة الروحان : روضة باليمامة .

[عدد أصواته]

أخبرني الحسين عن حمّاد قال قال لي أبي : صنع جدك تسعمائة صوت ، منها دينارية ، ومنها درهمية ، ومنهما فلسية ، وما رأيت أكثر من صنعته ؛ فأما ثلثمائة منها فإنه تقدّم الناس جميعاً فيها ، وأما ثلثمائة ، فشاركوه وشاركهم فيها ، وأما الثلثمائة الباقية ، فلعب وطرب ؛ قال : ثم أسقط أبي الثلثمائة الآخرة بعد ذلك من غناء أبيه ، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال : هي ستمائة صوت .

وقال أحمد بن حمدون قال لي إسحاق : من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوته في شعر العباس بن الأحنف :

[من البسيط]

أبكي ومثلي بكى من حُبِّ جارية

فما أعلم له فيه معنى إلا استحسانه للشعر ، فإنّ العباس أحسن فيه جداً .

نسبة هذا الصوت

صوت¹

[من البسيط]

أبكي ومثلي بكى من حُبِّ جارية لم يخلق الله لي في قلبها ليلاً
هل تذكرين وقوفي عند بابكم نصفَ النهار وأهل الدار لأهونا

الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى .

[تعرّض لابن عائشة]

أخبرني جحظة قال أخبرني حمّاد بن إسحاق قال : قال رجل لأبي : أخبرني عنك ، لم طعنت على أبيك في صنعته :

[من المديد]

قال لي فيها عتيق مقالاً فجرت بما يقول الدموع

قال : لأنّه تعرّض لابن عائشة وله في هذا الشعر صنعة ، وابن عائشة ممّن لا يعارض فلم يقاربه ، وعلى أنّ صنعة أبي من جيّد الغناء لو كان صنعها في غير هذا الشعر ، ولكنها اقترنت بصنعة ابن عائشة فلم تقاربها ، فسقط عندي لذلك .

1 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 285-286 ورواية البيت الثاني فيه :

هل تنكرون وقوفي عند داركم نصف النهار وأهل البيت هادونا

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المديد]

قال لي فيها عَتِيقٌ مقالاً فَجَرْتُ مَما يقول الدموعُ

قال لي ودَّعْ سُلَيْمى ودَّعْها فأجاب القلبُ لا أُستطيعُ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمُعبد ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنَّه لابن عائشة . وفيه ثاني ثَقِيلٌ يُنسَبُ إلى الهذلي . وفيه خفيفٌ ثَقِيلٌ يُنسَبُ إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم . [لقاؤه جارية من تلميذاته في الري]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ الرِّيَّ فكنْتُ أَلْفُ فِتْيَاناً من أهل النعم بها وهم لا يعرفونني ، فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلةً إلى منزله فَبِتُ عنده ، فأخرج جاريةً له ومدَّ لها ستارةً فتغنَّتْ خَلْفَها ، فرأيتها صالحةً الأداء كثيرةً الرواية ، فشوقتني إلى العراق وذكَّرتني أيامي بها ، فدعوتُ بَعُود ، فلما جيء به اندفعتُ فغنيتُ صوتي في شعري : [من مجزوء الرمل]

أنا بالرِّيِّ مُقيِمٌ في قُرى الرِّيِّ أَهيمُ

وقد كنْتُ صنعتُ هذا اللحن قديماً بالرِّيِّ ؛ فخرجت الجارية من وراء الستارة مُبادِرةً إليّ ، فأكبَّتْ على رأسي وقالت : أستاذي والله ؛ فقال لها مولاه : أيُّ أستاذيك هذا ؟ قالت : إبراهيم الموصلي ؛ فإذا هي إحدى الجوارى اللاتي أخذن عني وطال العهدُ بها ؛ فأكرمني مولاه وبرَّني وخلع عليّ ، فأقامت مدةً بعد ذلك بالرِّيِّ وانتشر خبري بها ، ثم كتب بحملي إلى والي البلد فاشْخِصْتُ .

[أطلقه المهدي لما سمع شعره]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حدَّثني أبو تَوْبَةَ صالحُ بن محمد قال حدَّثني القَطْراني عن محمد بن جَبْرِ عن يحيى المكيّ قال : كنَّا يوماً بين يدي المهدي وقد حبَس إبراهيم الموصلي وضرَّبه وأمر بأن يُلبَسَ جُبَّةَ صُوفٍ ، وكان يخرج على تلك الحال فيطرح على الجوارى ؛ فكتب إلينا ذات يوم ، ونحن مُصْطَبِحُونَ وقد جادت السماء بمطرٍ صَيْفٍ¹ ، وبحضرتنا شيء من ورد مُبَكَّرٍ :

ألا مَنْ مُبلِّغٌ قوماً من اخواني وجيراني

هنيئاً لكم الشُّربُ على وَرْدٍ وَتَهْتَانٍ¹
وَأَتِي مُفَرَّدٌ وَحْدِي بأَشْجَانِي وَأَحْزَانِي
فَمَنْ جَفَّ لَهُ جَفَنٌ فَجَفَّنَايَ يَسِيلَانِ

قال : فوقف المهديُّ على رُقعته وقرأها فَرَقَّ له وأمر بطلبه في الوقت ، ثم أطلقه بعدُ أَيَّام .

[شغفه بجارية عليّ اليماني]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدَّثني ابن المكيّ عن أبيه قال :
كانت لعلّيّ اليمانيّ جاريةٌ مغنّيةٌ ، فَهَوِيَها إبراهيمُ واستُهِيمَ بها زماناً ، وقال فيها : [من الخفيف]

صوت

كُنْتُ حُرّاً فَصَرْتُ عَبْدَ اليماني من هوى شادِنِ هَوَاهُ بَرَانِي
وهو نَصْفَانِ مِنْ قَضِيبٍ وَدِعْصٍ² زَانَ صَدَرَ الْقَضِيبِ رُمَاتَانِ²
اللحنُ لإبراهيمَ في هذين البيتين ثاني ثَقِيلٍ بالبِصْرِ عن عمرو . وقد زَعَمَ قومٌ أَنَّ الشعرَ
للحسين بن الضحّاك .

[أعجبه أدب النهيكي فعلمه الغناء]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّه عن إسحاق قال : كان بعضُ أَهْلِ نَهْيَكٍ
قد تعاطى الغناء ، فلمّا ظَنَّ أَنَّهُ قد أَحْكَمَهُ شاورني وأبي حاضرٌ ، فقلتُ له : إِنْ قَبِلْتَ مِنِّي فلا
تُغَنَّ فَلَسْتَ فِيهِ كَمَا أَرْضِي ؛ فصاح أبي عليّ صيحةً شديدةً ثم قال لي : وما يُدْرِيكَ يا صبيّ ! ثم
أقبل على الرجل فقال : أَنْتَ يا حبيبي بضدٍّ ما قال ، وَإِنْ لَزِمْتَ الصَّنَاعَةَ برعتَ فيها ؛ فلمّا خلا
بي قال لي : يا أحمق ! ما عليك أَنْ يُخْزِي اللهَ مائة ألف مثل هذا ؟ هؤلاءُ أَغْنِيَاءُ ملوك ، وهم
يُعَيِّرُونَنَا بالغناء ، فدعهم يتَهَتَّكُوا به وَيُعَيِّرُوا وَيَقْتَضِحُوا ويحتاجوا إلينا فننتفع بهم ، ويبين فضلنا
لدى الناس بأمثالهم . قال : وَلَزِمَهُ النَّهْيَكِيُّ يأخذ عنه وَيَبْرُهُ فيُجْزَلُ ، فكان إذا غَنَّى فَأَحْسَنَ قال
له : بَارَكَ اللهُ فِيكَ ، وإذا أَسَاءَ قال : بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ ؛ وكثر ذلك منه حتّى عَرَفَ النَّهْيَكِيُّ معناه
فيه ، فغَنَّى يوماً وأبي سَاهٍ عنه فسكّت ولم يقل له شيئاً ؛ فقال له : جُعِلَتْ فداك ، يا أستاذي ، أَهَذَا
الصوت من أَصْوَاتِ «فِيكَ» أم «عَلَيْكَ» ؟ فضحك أبي ولم يكن علم أَنَّهُ قد فَطِنَ لقوله ، ثم
قال له : والله لَا قِبْلَنَ عَلَيْكَ حتّى تصيرَ كما تشتهي ، فَإِنَّكَ ظَرِيفٌ أَدِيبٌ ؛ وعُني به حتّى حَسُنَ
غناؤه وتقدّم . وفيه يقول أبي :

1 تهتان السماء : انصباب المطر .

2 الدِعْص : كتيب الرمل .

أوجب الله لك الحـ حق على مثلي بظرفك
 لن تراني بعد هذا ناطقاً إلا بوصفك
 وترى القوة فيما تشتهي بعد ضعفك

[حكم لابنه إسحاق على مخارق]

أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق ، أخبرني به الصولي عن عون بن محمد عن إسحاق قال : غنى مخارق بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قيسمه ؛ فقلت له : أعد فأعاده ، وكان الخطأ خفياً ، فقلت للرشيد : يا سيدي ، قد أخطأ فيه ؛ فقال لإبراهيم بن المهدي : ما تقول فيما ذكره إسحاق ؟ قال : ليس الأمر كما قال ، ولا هاهنا خطأ ؛ فقلت له : أترضى بأبي ؟ قال : إي والله ، وكان أبي في بقايا علة ؛ فأمر الرشيد بإحضاره ولو محمولاً ، فجيء به في محفة ؛ فقال لمخارق : أعد الصوت ، فأعاده ؛ فقال : ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت ؟ فقال : قد أخطأ فيه ؛ فقال له : هكذا قال ابنك إسحاق ، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح ؛ فنظر إلي ثم قال : هاتوا دواة ، فأتي بها وكتب شيئاً لم يقف عليه أحد ثم قطعه ووضع بين يدي الرشيد ، وقال لي : اكتب بذكر الموضع الفاسد من قيسمة هذا الصوت ، فكتبته وألقيته فقرأه وسر ، وقام فألقاه بين يدي الرشيد ، فإذا الذي قلناه جميعاً متفق ؛ فضحك وعجب ، ولم يبق أحد في المجلس إلا قرظ وأثنى ووصف ، ولا أحد خالف إلا خجل وذلل وأذعن . وقال أبي في ذلك :

ليت من لا يحسن العـ لم كفانا شرَّ علمه
 فاخبر الحق ابتداء وقس العلم بفهمه
 طيب الريحان لا تعـ رفه إلا بشمه

[بين إسحاق والرشيد]

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله ، وحدثني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى أبي يوماً بحضرة الرشيد :

سلي هل قلاني من عشرين صحتي وهل ذم رجلي في الرفاق رفيق

فطرب واستعاده وأمر له بعشرين ألف درهم ، فلما كان بعد سنين ، خطر بيالي ذلك الصوت وذكرت قصته ، فغنيته إياه ؛ فطرب وشرب ، ثم قال لي : يا إسحاق ، كآتي في نفسك ذكرت حديث أبيك وأني أعطيت ألف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة ؛ فضحكت ثم قلت : والله يا سيدي ما أخطأت ؛ فقال : قد أخذ ثمنه أبوك مرة فلا تطمع ؛ فعجبت من

قوله ، ثم قلت : يا سيدي ، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألف دينار ما رأيك ذكرت منها غير هذا الألف على بختي أنا ؛ فقال : ويحك أكثر من مائتي ألف دينار ! قلت : إي والله ! ؛ فوجم وقال : أستغفر الله من ذلك ، ويحك ! فما الذي خلف منها ؟ قلت : خلف علي ديوناً مبلغها خمسة آلاف دينار قضيتها عنه ؛ فقال : ما أدري أين أشدّ تضيقاً ! والله المستعان .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

سلي هل قلاني من عَشِيرِ صَحْبَتِهِ وهل دَمَ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجْتَوِي القَوْمُ الكرامُ صَحَابَتِي إذا اغْبَرَ مَخْشِي الفجاج عَمِيقُ¹
ولو تَعْلَمِينَ الغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنِّي لَكُمْ وَالْهَدَايا المُشْعَرَاتِ صَدِيقُ²

الشعر يُنسب إلى مُضَرَّس بن قُرط³ الهِلاليّ وإلى قيس بن ذَرِيج ، وفيه بيت يقال : إنه لَجَرِير . والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين ، ونسبته تأتي في أخبار قيس بن ذَرِيج ، إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمُعَبَّد ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[سنورتان نغمان]

أخبرني عمِّي قال حدثني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدثتني نَشْوة الأَشْشَانِيَّة⁴ قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكيّ قال : تشوّق يوماً إبراهيم الموصليّ إلى سرداب له ، وكانت فيه بركة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان ، فقال : أشتهي أن أشرب يومي وأبيت ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك ، فبينما هو نائم في نصف الليل فإذا سنورتان قد نزلتا من درجة السرداب ، بيضاء وسوداء ، فقالت إحداهما : أترأه نائماً ؟ فقالت السوداء : هو نائم ؛ فاندفعت السوداء فغنت بأحسن صوت :

عفا مُزَج إلى لَصَقِ إلى الهَضْبَاتِ من هَكَرِ
إلى قاع التَّقِيرِ إلى قرار جِلَالِ ذي حَدَرِ⁵

1 عميق في ل : سحيق .

2 الهدايا : ما يُهدى إلى البيت الحرام للنحر . والمشعرات : الملعقات .

3 ل : قرظة .

4 ل : نشرة الأششانية .

5 جميع هذه مواضع .

قال : فمات إبراهيم فرحاً¹ وقال : يا ليتهما أعاده ! فأعاده مراراً حتى أخذه ، ثم تحرّك فقامت السّنُورَتانِ ، وسمع إحداهما تقول للأخرى : والله لا طَرَحَهِ على أحدٍ إلّا جُنَّ ، فطرَحَهِ من غدٍ على جارية له فجُنَّتْ .

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالكٍ ثَقِيلٌ² أوَّلُ بالوسطى عن يحيى المَكِّي وعَمْرُو بن بانه .

[الفضل بن يحيى يحتال له للحصول على المال]

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمِّي قالَا حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك قال حَدَّثَنِي أَبُو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال : أَتَيْتُ الفضلَ بن يحيى يوماً ، فقلتُ له : يا أبا العباس ، جُعِلْتُ فداك ! هَبْ لي دراهمَ فَإِنَّ الخليفةَ قد حَبَسَ يده ؛ فقال : وَيَحْكُ يا أبا إسحاق ؛ ما عندي مالٌ أرضاه لك ، ثم قال : هَاهُ ! إلّا أَن هاهنا خَصْلَةٌ³ أَتانا رسولُ صاحب اليمين فقضينا حوائجَه ، ووجَّه إلينا بخمسين ألفَ دينار يشتري لنا بها مَحَبَّتَنَا⁴ ؛ فما فعلتُ ضيائِ جاريتِكَ ؟ قلتُ : عندي ، جُعِلْتُ فداك ؛ قال : فهو ذا ، أَقولُ لهم يشترونها منك فلا تَقْصُصْها من خمسين ألفَ دينار ؛ فَقَبِلْتُ رأسَه ثم انصرفتُ فبَكَرَ عليَّ رسولُ صاحب اليمين ومعه صديقٌ لي ، فقال : جاريتُكَ فلانةٌ عندَكَ ؟ فقلتُ : عندي ؛ فقال : اعْرِضْها عليَّ ، فأخرجْتُها ؛ قال : بكم ؟ قلتُ : بخمسين ألفَ دينار ولا أنقصَ منها ديناراً واحداً ، وقد أعطاني بها الفضلُ بن يحيى أَمْسَ هذه العطيةَ ؛ فقال لي : أريدُها له ؛ فقلتُ له : أنتَ أعلم ، إذا اشتريتها فصيرها لمن شئتَ ؛ فقال لي : هل لك في ثلاثين ألفَ دينارٍ مسلمةٍ لك ؟ قال : وكان شراءَ الجارية على أربعمئة دينار ، فلمّا وقع في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألفاً أَرْتَجِعُ عليَّ وَلَحَقَنِي زَمَعٌ⁵ ، وأشار عليَّ صديقي الذي معه بالبيع ، وخِفْتُ والله أَن يحدثَ بالجارية حَدَثٌ أو بي أو بالفضلِ بن يحيى ، فسَلَمْتُها وأخذتُ المالَ ؛ ثم بَكَرْتُ عليَّ الفضلُ بن يحيى ، فإذا هو جالسٌ وحده ؛ فلمّا نظر إليَّ ضَجَّكَ ، ثم قال لي : يا ضَيْقُ الحوصلة⁶ ! حَرَمْتَ نفسك عشرين ألفَ دينار ؛ فقلتُ له : جُعِلْتُ فداك ، دَعُ ذا عنك ، فوالله لقد دخلني شيء أعجزَ عن وصفه وخِفْتُ أَن تحدثَ بي حادثةٌ أو بالجارية أو بالمشتري أو بك ، أعاذكَ الله من كلِّ سوء ، فبادرتُ بقبولِ الثلاثين ألفَ دينار ؛ فقال : لا ضَيْرَ ، يا

1 ل : فرعاً ، وهو أوَّلُ بمن يسمع هرتين تغنيان .

2 أي ما نَحَبَ .

3 زمع : رعدة .

4 ضيق الحوصلة : المتسرّع الحريص .

غلام جيء بالجارية ، فجاء بجاريتي بعينها ؛ فقال : خذها مباركاً لك فيها ، فإنما أردنا منفعتك ولم نريد الجارية ؛ فلما نهضت ، قال لي : مكانك ، إن صاحب إرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه ونفذنا كُتبه ، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نحب ، فاعرض عليه جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فانصرفت بالجارية ، وبكرت إلي رسول صاحب إرمينية ومعه صديق لي آخر ، فقاؤلني بالجارية ، فقلت : لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لي : معي على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مسلمة ، بارك الله لك فيها ؛ فدخلني والله مثل الذي دخلني في المرة الأولى وخفت مثل خوفي الأول ، فسلمتها وأخذت المال ؛ وبكرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده ؛ فلما رأي ضحك وضرب برجله الأرض وقال : ويحك ! حرمت نفسك عشرة آلاف دينار ؛ فقلت : أصلحك الله ، خفت والله ما خفت في المرة الأولى ؛ قال : لا ضير ، أخرج يا غلام جاريتك ؛ فجاء بجاريتي بعينها ، فقال : خذها ، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك ؛ فلما ولت الجارية صبحت بها : ارجعي فرجعت ؛ فقلت : أشهدك ، جعلت فداك ، أنها حرة لوجه الله وأني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم ، كسبت لي في يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلا هذا ؛ فقال : وفقت إن شاء الله .

[خمار يبهره الغناء]

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال قال لي أبي : كنت في شبابي أأزِم أصحاب قَطْرُبِل وباري وبنى¹ وما أشبه هذه المنازل² ، فأتخذ فيهم الخمار اللطيف ، يحسبوني بالشراب الجيد ويخونوه لي ، فجئت إلى باري يوماً فلقيني خماري ، فقال لي : يا أبا إسحاق عندي شيء من بلاتك ، وقد كنت عملت لحنى هذا :

صوت

اشربِ الرَّاحَ وَكُنْ فِي شُرْبِكَ الرَّاحَ وَقُوراً
فاشربِ الرَّاحَ رَوَاحاً وَظَلاماً وَبُكُوراً

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لمنصور زلزل الضارب خفيف رمل عن حبش . قال : فدخلت بيته وبزلت³ دته وجعلت أرجع الصوت ؛

1 قطربل وباري وبنى : قرى كانت قرية من بغداد .

2 ل : المواضع .

3 بزل الدن : ثقبه ليسيل منه الخمر .

فُبْهت ينظر إليّ والنبذُ يجري حتى امتلأ الإناء وفاض ؛ فقلت له : وَيَحَكَ ! شرأبك قد فاض ؛ فقال : دَعْنِي من شرابي ، بالله مات لك إنسان في هذه الأيام ؟ فقلت : لا ؛ قال : فما بالُ حَلَقِكَ هذا حزينا ؟ .

[أخذ مخارق عنه صوتاً فبكى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حمّاد بن إسحاق عن عمّه طيّاب بن إبراهيم قال : دخلتُ على أبي يوماً وعنده مُخَارِقُ وأبي يُلقِي عليه هذا الصوت¹ :

طَرِستَ وأنتَ مَعْنِي كَتِيبُ وقد يَشْتاق ذو الحَزَنِ الغَرِيبُ
وشاقَكَ بالمَوْقَرِ أَهْلُ خَاخِ فلا أَمَمَ هُناكَ ولا قَرِيبُ²
وَكَمْ لَكَ دُونِها مِنْ غُرُضِ أَرْضِ كَأَنَّ سَرابِها الجاري سَيِّبُ
لَعَمْرُكَ إِنَّني بِرَقِيمِ قَيْسِ وجارة أَهلِها لأنا الحَرِيبُ³

الشعر للأحوص ، والغناء لإبراهيم ماحوريّ بالبصرة عن عمرو ، قال : فلمّا أخذهُ مخارق جعل أبي يكي ، ثم قال له : يا مخارق ، نِعَمَ وسيلة إيليس أنت في الأرض ، أنت والله بعدي صاحب اللّواء في هذا الشّان .

[تفاخر الأب وابنه في الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالّا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : لما صنع أبي لحنه في :

لَيْتَ هَنداً أَنْجَزْتَنَا ما تَعِدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمّا تَجِدُ
خاصَمْتُهُ وَعَيْتُهُ في صِنْعَتِهِ ، وقلت له : أَمَا يَازائِكَ مَنْ يَنْتَقِدُ أَنْفاسَكَ وَيَعِيبُ مُحاسِنَكَ وَأَنْتَ لا تَفَكِّرُ ؟ تَجِيءُ إلى صوت قد عمل فيه ابنُ سُرَيْجٍ لَحْناً فَتُعَارِضُهُ بلحن لا يقاربه والشعرُ أَوْسَعُ من ذلك ! فَدَعُ ما قد اعْتَوَرْتَهُ⁴ صناعة القدماء وَخُذْ في غيره ؛ فغَضِبَ ، وكنت لا أزالُ أَفَاخِرُهُ بصِنْعَتِي وَأَعِيبُ ما يُعَاب من صِنْعَتِهِ ، فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي فَذلِكَ ، وَإِنْ غَضِبَ دَارِيئُهُ وَتَرْضِيئُهُ ؛ فقال لي : ما يعلم الله أنّي أدعك أو تفاخرنِي بخير صوتٍ صِنْعَتُهُ في التّقييل الثاني في طريقة هذا الصوت ؛ فلمّا رَأَيْتُ الجَدَّ منه اخترت صِنْعَتِي في هذا اللّحن :

[من مجزوء الخفيف]

1 ديوان الأحوص : طبعة دار صادر ، ص 25 .

2 الموقر : في البلقاء بالأردن . وخاخ : موضع بالحجاز .

3 رقيم قيس : موضع قرب البلقاء .

4 اعتورته : تداولته .

قل لمن صدّ عاتياً ونأى عنك جانباً
قد بلغت الذي أُرِدُّ ت وإن كنت لاعباً

وكان ما تجاريتاه ونحن تتساير خارجين إلى الصحراء نقطع فضلة خمار كان بنا ؛ فقال :
مَنْ تُحِبُّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؟ فقلت : مَنْ تُرَى أَنْ يَحْكُمَ هَاهُنَا ؟ قال : أَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْنَا
أُغْنِيهِ لِحْنِي وَتُغْنِيَهُ لِحْنُكَ ؛ فطمعتُ فيه وقلت نعم ؛ فأقبلَ شيخٌ نبطيٌّ يحملُ شوكاً على حمار له ،
فأقبل عليه أبي فقال : إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء ؛ قال : وأي شيء هو ؟ فقلنا :
زَعَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مَّا أَنَّهُ أَحْسَنُ غَنَاءٍ مِنْ صَاحِبِهِ ، فَتَسْمَعُ مِنِّي وَمِنْهُ وَتَحْكُمُ ؛ فقال : على اسم الله ؛
فبدأ أبي فغنى لحنه ، وتبعته فغنى لحني ، فلما فرغتُ أقبل عليّ فقال لي : قد حكمتُ عليك
عافاك الله ومضى ؛ فلطممني أبي لطمّة ما مرّ بي مثلاً منه قط ، وسكتُ فما أعدتُ عليه حرفاً
ولا راجعته بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الرمل]

ليت هنداً أنجزتنا ما تعدّ	وشفت أنفسنا مما تجدّ
واستبدت مرةً واحدةً	إنما العاجز من لا يستبدّ
زعموها سألت جاراتها	ذات يومٍ وتعرّت تبتدّ
أكما ينعتني تبصيرني	عمركن الله أم لا يقتصدّ
فتضاحكن وقد قلن لها	حسنٌ في كل عينٍ من تودّ
حسداً حُمِلنّه من أجلها	وقديماً كان في الناس الحسدّ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . ولحن إبراهيم فيه ثاني ثقلٍ بالوسطى . وفيه لابن سريج رملٌ
بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه للمالك خفيفٌ ثقلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المكي ،
 وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وقال الهشامي : أدلُّ شيء على أنه للمالك
شبهه للحنه :

اسلمني يا دارُ من هندٍ

وفيه لُتيمٌ ثقلٌ أول . وأمّا لحن إسحاق الذي فاخر به صنعة أبيه ، فقد كتب شعره والصنعة
فيه ، وهما جميعاً لإسحاق ، ولحنه ثاني ثقلٍ بالوسطى عن عمرو ، في أخبار إسحاق .

[يخرج زلزل من الحبس]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه قال : كان الرشيد قد وجد على منصور زلزل لشيء بلغه عنه ، فحبسه عشر سنين أو نحوها ؛ فقام الرشيد يوماً لحاجته ، فجعل إبراهيم يغني صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زلزل ، وهو :

هل دهرنا بك راجع يا زلزلُ أيامَ يبعينا العدو المبطِلُ
أيامَ أنتَ من المكاره آمِنُ والخيرُ متسعٌ علينا مُقبِلُ
يا بؤسَ مَنْ فقدَ الإمامَ وقُربَه ماذا به من ذلةٍ لو يعقِلُ
ما زلتُ بعدك في الهموم مُردداً أبكي بأربعةٍ كأنني مُثْكِلُ

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . قال : ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه ، ثم قال : يا إبراهيم ، أي شيء كنت تقول ؟ فقال : خيراً يا سيدي ؛ فقال : هاته فتلكاً ، فغضب الرشيد وقال : هاته فلا مكروه عليك ، فرد الغناء ؛ فقال له : أتجب أن تراه ؟ فقال : وهل ينشر أهل القبور ؟ فقال : هاتوا زلزلاً ، فجاءوا به وقد ابيض رأسه ولحيته فسر به إبراهيم ؛ وأمره فجلس ، وأمر إبراهيم فغنى وضرب عليه فزلزلا الدنيا ، وشرب الرشيد على ذلك رطلاً ، وأمر بإطلاق زلزل وأسنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله . قال : وزلزل أول من أحدث هذه العيدان الشبايط¹ ، وكانت قديماً على عمل عيدان الفرس ، فجاءت عجباً من العجب . قال : وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم ، وقد ولدت منه .

[أول أستاذ له في الغناء]

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : أول من تعلمت منه الغناء مجنون ، كان إذا صبح به : يا مُضر ، يصيح ويهيج ويرجم ؛ فبلغني أنه يغني أصواتاً فيجدها ، أخذها عن قدماء أهل الحجاز ، فكنت أدخله إلي فاطعمه وأسقيه وأخذعه حتى أخذ عنه ، وكان حاذقاً ؛ فأول صوت أخذته عنه² :

أرسلي بالسلام يا سلم إنني منذ علقتكم غني فقيرُ
فالغني إن ملكتُ أمرك والفق رُب باني أزورُ مَنْ لا يزورُ
ويح نفسي تسلو النفوسُ ونفسي في هوى الرِّيم ذكرها ما يحورُ

1 العيدان الشبايط : العيدان الشبيهة بالشبوط وهو سمك يعيش في نهر دجلة .

2 شعر الوليد بن يزيد : 44 .

مَنْ لِنَفْسٍ تَتُوقُ أَنْتَ هَوَاهَا وفؤادٍ يكاد فيك يطيرُ
ثم مكثتُ زماناً أخذ عنه ، وكان إذا عاد إليه عقله من أهدقِ الناس وأقومهم على ما يؤدّيه ؛
ثم غاب عني فما أعرف خبره .

وهذا الشعر للوليد بن يزيد . والغناء ليونس خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن
إسحاق . وذكر غيره أنه لعمر الوادي ، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش .
[إحسان الرشيد إليه في الشام]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : خرجتُ مع
الرشيد إلى الشام لما غزا ، فدعاني يوماً فدخلتُ إليه إلى مجلس لم أر أحسن منه مفروشٍ
بأنواع الرُخام ، فأكل وأمرني فأكلتُ معه ، وجعلتُ أتوكلي خدمته إلى العصر ، ثم دعا بالنبيذ
فشرب وسقاني معه ، ثم خلع عليّ خِلعةً وشي من ثيابه وأمر لي بألف دينار ، ثم قال : انظر يا
إبراهيم ، كم من يدٍ أوليتك إياها اليوم ! نادمتني مفرداً ، وآكلتني ، وخلعتُ عليك ثيابي من
بدني ، ووصلتُك ، وأجلستُك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي ؛ فقلت : يا
سيدي ، ما ذهب عليّ شيء من تفضلك ، وإن نعمك عندي لأكثرُ من أن تحصى ، وقبّلتُ
رجله والأرض بين يديه .
[أول من غنى الرشيد في خلافته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال قال دِغِيل بن عليّ : لما ولي الرشيدُ
الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنون ، كان أول من غناه
إبراهيم الموصلي بشعره فيه ، وهو :

صوت

إذا ظَلَمُ البلادِ تَجَلَّلَتْنا فهارونُ الإمامُ لها ضياءُ
بهارونَ استقام العدلُ فينا وغاض الجورُ وانفسح الرجاءُ
رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه كما سكنتُ إلى الحرَمِ الطِّباءُ
تَبِعَتْ من الرسولِ سبيلَ حقٍّ فشأنك في الأمورِ به اقتداءُ

فقال له الخادم من خلف الستارة : أحسنت يا إبراهيم في شعرك وغنائك ، وأمر له
يومئذٍ بعشرين ألف درهم . لحن إبراهيم في هذا الصوت ثقيلٌ أولٌ بالسبابة والوسطى عن
أحمد بن المكي .

[دخل على قوم يقصفون في بستان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني يزيد بن محمد المهلب قال حدثني أبي قال : كنتُ أنا وأبو

سعيد النهدي وهاشم بن سليمان المغني يوماً مجتمعين في بستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغني؛ فلما توسطنا أمرنا إذا نحن برجل قد دخل علينا البستان جميل الهيئة حسن الزِّي، فلما بصرنا به من بعيد، وثب هاشم يعدو حتى لقيه، فقبل يده وعانقه، ولم يعرفه أحد منا، فجاء وسلم سلام الصديق على صديقه، ثم قال: خذوا في شأنكم، فأني اجتزت بكم فسمعتُ غناء أبي القاسم فاستخفني وأطربني، فدخلت إليكم واثقاً بأنه لا يُعاشِر إلا فتىً ظريفاً يستحسن هذا الفعل ويسره، ولي في هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال: إنما أدخلني عليكم مغنيكم لما غنى: [من المنسرح]

قُلْ لكرامٍ بياينا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرجُ
وأنا أعلم أن نفوسكم متعلقة بمعرفتي، فمن عرفني فقد اكتفى، ومن جهلني فانا إبراهيم الموصلي؛ فقمنا فقبلنا رأسه وسررنا به أتم سرور، وانهقدت بيننا وبينه يومئذ مودة، ثم غاب عنا غيبةً طويلة، وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رُقعةً فيها: [من الطويل]

أهاشم هل لي من سبيل إلى التي تفرق هم النفس في كل مذهب
معتقة صرفاً كأن شعاعها تضرم ناراً أو توقد كوكب
ألا رب يومٍ قد لوت ليلة بها والفتى النهدي وابن المهلب
ندير مداماً بيننا بتحية وتفدية بالنفس والأب

[عقق يسرق خاتمه]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان لي وأنا صبي عقق قد رببته وكان يتكلم بكل شيء سمعه، فسرق خاتم ياقوت كان لأبي قد وضعه على تكاته¹ ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده، فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفاً، فلم يقف له على خبر؛ فبينما أنا ذات يوم في دارنا إذ أبصرت العقق قد نبش تراباً فأخرج الخاتم منه ولعب به طويلاً، ثم رده فيه ودفنه، فأخذته وجئت به إلى أبي، فسرد بذلك وقال يهجو العقق: [من المتقارب]

إذا بارك الله في طائر فلا بارك الله في العقق
طويل الذناب قصير الجناح متى ما يجد غفلة يسرق
يقلب عينين في رأسه كأنهما قطرتا زئبق

[بينه وبين ابن جامع بين يدي الرشيد]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن المكي، قال أبو

الفرج : وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظَةً بهذا الخبر فقال حدثني به محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل عن أبيه عن جده ، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل فجمعت الروايات كلها¹ : أن الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها فهل أقاسمك إياها وأخايرك ، فاقسما المغنين ، على أن جعلاً بإزاء كل رجل نظيره ، وكان ابن جامع في حيز الرشيد وإبراهيم في حيز جعفر بن يحيى ، وحضر الندماء لمحنة المغنين ، وأمر الرشيد ابن جامع فغنى صوتاً أحسن فيه كل الإحسان وطرب الرشيد غاية الطرب ، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوت فغنى ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، وظهر الانكسار فيه ؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد ، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غن يا إسماعيل ، فغنى صوتاً ثانياً أحسن من الأول وأرضى في كل حال ، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ؛ فقال : هذان اثنان ، غن يا إسماعيل ، فغنى ثالثاً يتقدم الصوتين الأولين ويفضلهما ، فلما أتى على آخره ، قال : هات يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضاً ؛ فقال له جعفر : أخزيتنا أخزاك الله . قال : وأتم ابن جامع يومه والرشيد مسرور به ، وأجازته بجوائز كثيرة وخلع عليه خلعاً فاخراً ، ولم يزل إبراهيم منخذاً منكسراً حتى انصرف . قال : فمضى إلى منزله ، فلم يستقر فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزف ، وكان محمد من المغنين المحسنين ، وكان أسرع من عرف في أيامه في أخذ صوت يريد أخذه ، وكان الرشيد قد وجد عليه في بعض ما يجده المملوك على أمثاله فالزمه بيته وتناساه ؛ فقال إبراهيم للزف : إني اخترتك على من هو أحب إلي منك ، لأمر لا يصلح له غيرك ، فانظر كيف تكون ! قال : أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله تعالى ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع ، فتعلمه أنك صيرت إليه مهنتاً بما تهياً له علي ، وتنفقني وتثليبي وتشتمني ، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه ، ولك ما تحبه من جهتي من عرض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال : فمضى من عنده واستأذن على ابن جامع فأذن له ، فدخل وسلم عليه وقال : جئتكم مهنتاً بما بلغني من خبرك ، والحمد لله الذي أخزى ابن الجرُمقانيّة² على يدك ، وكشف الفضل في محلك من صناعتك ؛ قال : وهل بلغك خبرنا ؟ قال : هو أشهر من أن يخفى علي مثلي ؛ قال : ويحك ! إنه يقصر عن العيان ؛ قال : أيها الأستاذ ، سُرّني بأن أسمع من فيك حتى أرويه عنك ، وأسقط بيني وبينك الأسانيد ؛ قال : أقم عندي حتى أفعل ؛ قال : السمع والطاعة ؛ فدعا له ابن جامع بالطعام

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 59 (رقم 51) .

2 الجرُمقانية : نسبة إلى الجرماقة ، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام .

فأكلا ودعا بالشراب ، ثم ابتدأ فحدثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأول ؛ فقال له الزّرف : وما هو أيّها الأستاذ ؟ فغناه ابن جامع إياه ، فجعل محمد يُصَفِّق ويَنعَر ويشرب وابن جامع مجتهدٌ في شأنه حتى أخذه عنه . ثم سألَه عن الصوت الثاني ، فغناه إياه ، وفعلَ مثلَ فعله في الصوت الأول ، ثم كذلك في الصوت الثالث ؛ فلمّا أخذ الأصوات الثلاثة كلّها وأحكمها قال له : يا أستاذ ، قد بلغتُ ما أحبّ ، فتأذن لي في الانصراف ؟ قال : إذا شئتَ ؛ فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم ؛ فلمّا طلع من باب داره قال له : ما وراءك ؟ قال : كلّ ما تحبّ ، أدع لي بعود ، فدعا له به ، فضرب وغناه الأصوات ؛ قال إبراهيم : وأبيك هي بصورها وأعيانها ، ردّدها عليّ الآن ، فلم يزل يُردّدها حتى صحّت لإبراهيم ، وانصرف الزّرف إلى منزله ، وغدا إبراهيم إلى الرشيد ، فلمّا دعا بالمغنين دخلَ فيهم ، فلمّا بصر به قال له : أو قد حضرت ؟ أمّا كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقيتَ من ابن جامع ؟ قال : ولم ذلك يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءك ! والله لئن أذنت لي أن أقول لأقولن ؛ قال : وما عساك أن تقول ؟ قل ؛ فقال : إنّه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نسيطاً لشيء فيُعَارِضَكَ ، ولا أن تكون مُعَصِّباً لحيزٍ وجَنَبَةٍ¹ فيغالبك ، وإلاّ فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه ، قال : دَعْ ذا عنك ، قد أقررتُ أمس بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا ، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليوم ، فليس هاهنا عصبية ولا تمييز ، فاندفع فأمر الأصوات كلّها ، وابن جامع مُضْغٍ يسمع منه ، حتى أتى على آخرها ؛ فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المُخرِجة أنّه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هي إلّا من صَنَعته ، ولم تخرج إلى أحد غيره ؛ فقال له : وَيَحَكَ ؛ فما أحدثتَ بعدي ؟ قال : ما أحدثتُ حدثاً ؛ فقال : يا إبراهيم بجياتي اصدّقني ! فقال : وحياتك لأصدّقنك ، رميته بحجره² ، فبعثت له بمحمد الزّرف وضمّنتُ له ضماناتٍ ، أوّلها رضاك عنه ، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليّ ، وقد سقط الآن اللوم عني بإقراره ، لأنّه ليس عليّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس ، وهذا بابٌ من الغيب ، وإنّما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا ، وإلاّ فلو لزمني أن أرويَ صنّعه للزمه أن يرويَ صنّعتي ، ولزم كلّ واحدٍ منّا لسائر طبّقته ونظرائه مثلُ ذلك ، فمن قصّر عنه كان مذموماً ساقطاً ؛ فقال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم ، ونَضَحْتُ³ عن نفسك ، وقمتَ بحجّتكَ ؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له : يا

1 جنبية : جانب .

2 المثل رمي فلان بحجره (أي بقرنه الذي هو مثله في الصلابة) مجمع الميداني 1 : 287 (رقم 1525) وجمهرة العسكري 1 : 480 ومستقصى الزمخشري 2 : 103 .

3 نضحت : دفعت بالحجة .

إسماعيل ، أُتَيْتَ أُتَيْتَ ! دُهِيتَ دُهِيتَ ! أَبْطَلَ عَلَيْكَ الموصلي ما فعلته به أَمْسَ وانتصف اليوم منك ؛ ثم دعا بالزَّفَ فرضي عنه .

[الأصوات التي غنى بها ابن جامع]

قال علي بن محمد : سألت خالي أبا عبد الله بن حمدون وقد تجارنا هذا الخبر : هل تعرف أصوات ابن جامع هذه ؟ فأخبرني أنه سمع إسحاق يحكي هذه القصة ، وذكر أن الصوت الأول منها :

صوت

بكيْتُ نعم بكيتُ وكلَّ ألفٍ إذا بانَتْ قريته بكاها
وما فارقتُ بُني عن تقالٍ ولكن شِقْوَةٌ بلغتْ مداها¹

الشعر لقيس بن ذريح . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل آخر بالخنصر والبصر من كتابه . وفيه لإبراهيم ثقيل أول عن الهشامي .

قال : والثاني منها :

[من المتقارب]

صوت

عفت دار سلمى بمفضي الرغام رياح تعاقبها كل عام
خلاف الحلول بتلك الطلول وسحب الذبول بذاك المقام²
وأنس الديار وقرب الجوار وطيب المزار ورد السلام³
ودهر غريير وعيش السرور ونأي الغيور وحسن الكلام

الشعر لحماد الراوية . والغناء لابن جامع ثقيل أول بالبصر ؛ ذكر ذلك الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو . قال ابن حمدون : وهذا الصوت عجيب الصنعة ، كثير النغم ، مُحَكَّم العمل ، من صدور أغاني ابن جامع ومتقدم صنعته ، وكان المعتصم مُعجِباً به ، وكثيراً ما كان يُسَكِّت المغنين إذا غنى بحضرته فلا يسمع سائر يومه غيره .

قال : والثالث منها⁴ :

[من الكامل]

1 التقالي : التباض .

2 خلاف في ل : أحب .

3 وأنس الديار وقرب الجوار في ل : وأنس الجوار وقرب الديار .

4 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 138-139 .

صوت

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِيرَ عَيْناً لغيرِكَ دُمْعُهَا مِذْرَارُ
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْناً لِلْبُكَاءِ تُعَارُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى ؛ وقال ابن حمدون :
وعارَضَه إبراهيم بعد ذلك في هذا الشعر ، فصنع فيه لحناً من الرَّمَلِ بالبنصر في مجراها ، فلم
يَلْحَقْه ولا قاربه . قال : وقد صُنِعَ أيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدثٌ ليس
ينبغي أن يُذكر هاهنا .

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوِّيُّ قال حدّثني أبو عبد الله الحَزَنِيُّ قال حدّثني أحمد بن
إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال : أنشد بشارٌ قولَ العبّاس بن الأحنف : [من الكامل]

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِيرَ عَيْناً لغيرِكَ دُمْعُهَا مِذْرَارُ

فقال بشار : لحق والله هذا الفتى بالمحسنين ، وما زال يُدخل نفسه معنا ونحن نُخرجه حتى
قال هذا الشعر .

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال : أنشد الرشيدُ قولَ
العبّاس : [من الكامل]

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْناً لِلْبُكَاءِ تُعَارُ

فقال : يُعِيرُهُ مَنْ لَا حَاطَهُ اللَّهُ وَلَا حَفِظَهُ .

ومما يُغْنَى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائية التي هذا الصوت الأخير منها
قوله : [من الكامل]

صوت

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لَجَاجَةً تَأْتِي بِهِ وَتَسْوَقه الْأَقْدَارُ

حتى إذا سَلَكَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

غناه ابن جامع ثانيٌ ثقیلٌ بالبنصر . وفيه لِشَاطِرَةٌ امرأةٌ منصورٌ زَلْزَلٌ ثقیلٌ أوّلٌ
بالوسطى عن الهشامي . وذكر ابن المكيّ المرتجلُ أن هذه الأصوات الثلاثة المسروقة من
ابن جامع :

يا قَبْرُ بَيْنَ بِيوتِ آلِ مُحَرَّقٍ¹

1 آل محرق : هم ملوك الحيرة اللخمين . ومحرق لقب يطلق على امرئ القيس بن عمرو بن عدي (المحرق الأكبر)
وعمر بن هند (المحرق الثاني) من ملوكهم ويطلق أيضاً على الحارث بن عمرو بن أبي شمر من الغساسنة -
اللسان (حرق) .

و :

[من الوافر]

عفا طَرْفُ الْقُرْبَى فالكثيب¹

وَأَسْقَطَ مِنْهَا قَوْلَهُ :

[من الكامل]

نَزَفَ الْبَكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرَ

و :

[من الوافر]

بَكَيْتُ نَعَمَ بَكَيْتُ وَكُلُّ الْإِفْرِ

نسبة هذين الصوتين
صوت

[من الكامل]

يَا قَبْرُ بَيْنَ بَيوتِ آلِ مُحَرَّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدٌ وَبُرُوقٌ
أَمَّا الْبَكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَقِنْ بَكَيْتُ فَالْبَكَاءُ حَقِيقُ

الشعر لرجل من بني أسد يرثي خالد بن نضلة² ورجلاً آخر³ من بني أسد كانا نديمين
للمنذر بن ماء السماء ، فقتلهما في سُخْطِهِ عليهما ؛ وخبرُ ذلك مشهور في أخبار ابن⁴ جامع .
والغناء لابن جامع ، وله فيه لحنان : ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى ، وَرَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ ، وَقِيلَ : إِنَّ الرَّمْلَ لَابْنُ
سُرَيْجٍ . وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ لِحْمَدَ صَاحِبِ الْبِرَامِ فِيهِ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوَسْطَى .
ومنها⁵ :

[من الوافر]

صوت

عفا رَسْمُ الْقُرْبَى فالكثيبُ إِلَى مَلْحَاءٍ لَيْسَ بِهَا غَرِيبُ⁶
تَأَبَّدَ رَسْمُهَا وَجَرَى عَلَيْهَا سَفْيَى الرِّيحِ وَالتُّرْبُ الْغَرِيبُ

- 1 القرية : تطلق على عدة مواضع ، ولعل المقصودة هنا قرية اليمامة .
- 2 هكذا في الشعر والشعراء وسيرة ابن هشام ومعجم البلدان لياقوت : (الغريان) . وفي ديوان عبيد : خالد بن نضلة الفقعسي . وسيورد أبو الفرج في ترجمة عبيد بن الأبرص روايتين لمقتل عبيد ، وفيهما «خالد بن المضلل» .
- 3 هو عمرو بن مسعود . وفي سيرة ابن هشام أن التي رثتهما هي هند بنت معبد بن نضلة ، فيكون خالد بن نضلة عمها ، مما يقوّي الرواية هنا .
- 4 هذا سهو من أبي الفرج . فقصة النديمين والمنذر بن ماء السماء سترد في ترجمة عبيد بن الأبرص ولم ترد في أخبار ابن جامع .
- 5 ديوان ابن هرمة : 58-59 .
- 6 ملحاء : واد في اليمامة . غريب : أحد .

فإنك واطراحك وصل سُدَى لأخرى في مودتها نُكوبُ
كثاقبة حَلِيٍّ مستعار بأذنيها فشانهما الثُقوبُ
فردت حَلِيٍّ جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها نُدوبُ

الشعر لابن هرمة . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . عن إسحاق . وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحن للهذلي ، ولم يُجنسه .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني عيسى بن أيوب القرشي قال حدثني غيث بن عبد الكريم عن فُلَيْح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حرب عن أبيه قال : مررتُ بابن هرمة وهو جالسٌ على دُكَّانٍ¹ في بني زُرَيْق ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، ما يُجلسك² هاهنا ؟ قال : بيت كنت قلته ثم انقطع عليّ الروي فيه وتعدّر عليّ ما أشتهيه ، فأبغضته وتركته ؛ قلت : ما هو ؟ قال : [من الوافر]

فإنك واطراحك وصل سُدَى لأخرى في مودتها نُكوبُ

قال : قلته ثم انقطع بي فيه ؛ فمررتُ بي جُوبَرِيَّة صفراء مليحة كنتُ أَسْتَحْسِنُهَا أَبَدًا وأكَلَمُهَا إِذَا مَرَّتْ بي ، فمررتُ اليوم فرأيتها وقد ورم وجهها وتغيّر خلقها ، عمّا أعرف ، فسألتها عن خبرها فقالت : كان في بني فلان عُرْسٌ أردتُ حضوره فاستعار لي أهلي حَلِيًّا وثَقَبُوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى ، فردّوه ولم أشهد العُرْس ؛ قال ابن هرمة : فاطرّد لي الشعرُ فقلت :

كثاقبة حَلِيٍّ مستعار بأذنيها فشانهما الثُقوبُ
فردت حَلِيٍّ جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها نُدوبُ

[سرق إبراهيم بن المهدي شعره ولحنه]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني العباس بن الفضل قال حدثني أبي قال : قال الرشيد لإبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابن جامع وابن أبي الكَنَات : باكروني غداً ، وليكن كلّ واحد قد قال شعراً إن كان يقدر أن يقولهُ ، وغنى فيه لحناً ، وإن لم يكن شاعراً غنّى في شعر غيره . قال إبراهيم بن المهدي : فقمْتُ في السَّحَرُ وجهدتُ أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي ، فلما خَفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلماي وقلت لهم : إنني أريد أن أمضي

1 دكان : دكة تبنى للجلوس عليها .

2 ل : يحبسك .

إلى موضع ولا يشعرُ بي أحد حتى أصير إليه ، وكانوا في زبديات لي يبيتون فيها على باب داري ، فقامت فركبت في إحداها وقصدت دار إبراهيم الموصلي ، وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم يتم حتى يُدبر ما يحتاج إليه ، وإذا قام لحاجته في السحر اعتمد على خشبة له في المستراح ، فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه ، فجئت حتى وقفت تحت مُستراحه ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

إذا سَكَبْتُ في الكأسِ قبل مزاجها ترى لونها في جِلْدَةِ الكأسِ مُذهبا
وإن مُزِجْتُ راعتِ بلون تخاله إذا ضُمَّنتَهُ الكأسُ في الكأسِ كوكبا
أبوها نِجاءُ المُزْنِ والكَرْمِ أُمُّها فلم أرَ زَوْجاً منه أَشهى وأَطيباً¹
فجاءتكَ صَفْراً أَشبهت غير جنسها وما أَشبهت في اللون أُمَّ ولا أَباً

قال : فما زِلْتُ واقفاً أستمع منه الصوتَ حتى أَخَذْتُهُ ؛ ثم غَدَوْنَا إلى الرشيد ، فلما جلسنا للشرب خرج الخادمُ إليّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : يا ابنَ أُمِّ غَنِي ؛ فاندفعتُ فغَنَيْتُ هذا الصوتَ والموصلي في الموت حتى فرَغْتُ منه ، فشرب عليه وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم ؛ فوثب إبراهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشَّعرَ له قاله البارحة وغَنَى فيه ، ما سبقه إليه أحدٌ ؛ فقال إبراهيم : يا سيدي ، فمن أين هو لي أنا لولا كذبه وبُهْتُهُ ! وإبراهيم يضطرب ويضج ؛ فلما قضيتُ أرباباً من العبث به قلتُ للرشيد : الحقُّ أحقُّ أن يُتبع ، وصدَّقته ؛ فقال للموصلي : أُمّا أخِي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى ردّه ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما جرى عليه ، فلو بدأتِ أنتَ بالصوت لكان هذا حظك ؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه .

[عند محمد بن يحيى في يوم مهرجان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن مُخارق قال : أتى إبراهيم الموصليَ محمد بن يحيى بن خالد في يوم مهرجان ، فسأله محمد أن يقيمَ عنده ؛ فقال : ليس يمكنني لأنَّ رسولَ أمير المؤمنين قد أتاني ؛ قال : فتمرّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندي كلُّ ما يُهدى إليّ اليوم ؟ فقال : نعم ، وترك في المجلس صديقاً له يُحصي ما يُبعث به إليه ؛ قال : فجاءت هدايا عجيبة من كلِّ ضَرْب ؛ قال : وأهدي إليّ تمثالَ فيلٍ من ذهب عَيْنَاه ياقوتتان ؛ فقال محمد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل ؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال : أحضِرْني ما أُهدي لك ، فأحضره ذلك كله إلّا التمثالَ ، وقال : لا بدّ من صدقك ، كان من الأمر كذا وكذا ؛

فقال : لا ! إلا على الشريطة وكما ضمنت ، فجيء بالتمثال ؛ فقال إبراهيم : أليس الهدية لي فأعمل فيها ما أريد ؟ قال : بلى ، قال : فرد التمثال على الجارية ؛ وجعل يفرق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً ، وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلماؤه ، وعلى من في دور الحرم من جواريه حتى لم يبق منها شيء ، ثم أخذ من المجلس تَفَاحَتَيْنِ لما أراد الانصراف وقال : هذا لي ، وانصرف ؛ فجعل محمد يعجب من كبر نفسه ونبله .

[زاره الرشيد ليلاً وغنته جواريه]

وقال أحمد بن المرزبان حدثني بعض كتاب السلطان¹ : أن الرشيد هب ليلة من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض فركبه ، وخرج في دُرَاعَةٍ وشي متلثماً بعمامة وشي ملتحفاً بإزارٍ وشي ، بين يديه أربعمئة خادم أبيض سوى الفُراشين ، وكان مسروراً الفَرغاني جريئاً عليه لمكانه عنده ، فلما خرج من باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردت منزل الموصل . قال مسروراً : فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ؛ فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له : يا أمير المؤمنين ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ! قال : نعم ، شوق طرقت لك بي ؛ ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم ؛ فقال له إبراهيم : يا سيدي أنتشط لشيء تأكله ؟ فقال : نعم ، خاميز² طبي ، فأتي به كأنما كان معداً له ، فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشراب حُمِلَ معه ؛ فقال الموصل : يا سيدي ، أوغنيك أم تغنيك إماؤك ؟ فقال : بل الجواري ؛ فخرج جواري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانيبه ؛ فقال : أضرين كلهن أم واحدة ؟ فقال : بل تضرب اثنتان اثنتان وتغني واحدة فواحدة ، ففعلن ذلك حتى مر صدر الإيوان وأحد جانيبه والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهن ، إلى أن غنت صبيّة من حاشيته :

يا مُوريَ الزند قد أعيت قوادحُه أقبس إذا شئت من قلبي بمقباس
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم إذا نظرت فلم أبصر في الناس

قال : فطرب لغنائها واستعاد الصوت مراراً وشرب أرطالاً ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت ، فاستدناها فتعاعست ، فأمر بها فأقيمت حتى وقفت بين يديه ، فأخبرته بشيء أسرته إليه ؛ فدعا بحماره فركبه وانصرف ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضرك ألا تكون خليفة ! ؛ فكادت نفسه تخرج ، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك . قال : وكان الذي خبرته به أن

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 31-32 (رقم 52) .

2 خاميز : اسم أعجمي لطعام من اللحم بجلده .

الصنعة في الصوت لأخته عُلَيَّة بنت المهديّ ، وكانت الجارية لها وجّهتُ بها إلى إبراهيم يُطارحها فغار الرشيد . ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل .
[شعره في ابنة خمارة]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان أبي يَألف خَمَّارة بالرقّة يقال لها بِشرة تنزل الهنيء والمريء ، وكانت لها بنت من أحسن الناس وجهاً فكان أبي يتحلّاهما ، ثم رحل الرشيد عن الرّقّة إلى بلاد الروم في بعض غزواته ، فقال أبي فيها : [من المتقارب]

أيا بنتَ بِشرة ما عاقبني عن العهدِ بَعْدُكَ من عائقٍ
نَفْسِي النَّوْمَ عَنِّي سنا بارق وأشهقني في ذُرَى شاهقٍ¹
قال : وفيها يقول أيضاً من أبيات له ، وله فيها صنعة من الرَّمَل الأوّل : [من الكامل]

صوت

وزعمتُ أنِّي ظالمٌ فهجرتني ورَمَيْتُ في قلبي بسهمٍ نافذٍ
ونعمَ ظلمتُك فَاغْفِرِي وتجاوزِي هذا مَقَامُ المستجير العائدِ
ذكر حمّاد في هذا الخبر أنَّ لحن جدّه من الرَّمَل . ووجدتُ في كتاب أحمد بن المكيّ أنَّ له فيهما لحنين : أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثاني ثقيل .
[أغانيه في السجن]

حدّثني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : حبس الرشيدُ إبراهيم الموصليّ عند أبي العبّاس (يعني أباه عبد الله بن مالك) فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرّره حتى يستوي له :
[من الخفيف]

يا أخِلاءَ قد مَلِلْتُ مكاني وتذكّرتُ ما مضى من زماني
شُرْبِي الرّاحَ إذ تقوم علينا ذاتُ دَلٍّ كأنّها غصنُ بانٍ
قال : وغنّى في الحبس أيضاً : [من المتقارب]

ألا طال ليلى أراعي النّجوم أعالج في السّاق كَبَلًا ثَقِيلاً²

[يترنّم أثناء مرضه الذي مات به]

حدّثني عيسى قال حدّثني عبد الله قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني

1 أشهقني في ل : أسهدي .

2 الكيل : القيد .

عَلَّوْهِ الْأَعْسَرُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا وَهُوَ فِي الْأَبْزَنِ¹ وَبِهِ الْقَوْلُنَج² الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَهُوَ يَتَرْتَمُ بِهَذَا الصَّوْتِ : [من الطويل]

صوت

تَغْيَرُ مَنِّي كُلُّ حُسْنٍ وَجِدَّةٍ وَعَادَ عَلَى ثَغْرِي فَأَصْبَحَ أَثَرَمَا
وَمَحَلَّ أَطْرَافِي فَزَالَتْ فَصُوصُهَا وَحَنَى عِظَامِي عُوجَهَا وَالْمُقُومَا
قَالَ مُحَمَّدٌ : فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيَّ ، فَقَالَ : كَذَبَ ابْنُ الزَّانِيَةِ ! وَاللَّهِ مَا
كَانَ يَجْتَرِيءُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ وَهُوَ جَالِسٌ لِلنَّاسِ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ ، فَكَيْفَ يَدْخُلُ إِلَى
أَبِي إِسْحَاقَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْأَبْزَنِ .

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان ماخوِريّ بالوسطى عن عمرو ، وثاني ثقيلٍ عن ابن
المكّي .

[غَنَتِ الْمُقْتَدِرُ إِحْدَى جَوَارِيهِ لَحْنًا لَهُ]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ : كَانَ الْمُقْتَدِرُ يَدْعُونَا فِي الْأَحْيَانِ ، فَكَانَ يَحْضُرُ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
أَبِي الْعَبَّاسِ وَكُنَيْزُ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ قَاسِمٍ وَأَنَا وَوَصِيفُ الزَّامِرِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا نُدْعَى لَهُ أَنْ جَوَارِيَهُ
كَانَ يَطَالِبْنَهُ بِإِحْضَارِنَا لِأَخِذْنَ مِنْ أَصْوَاتِنَا قَدْ عَرَفْنَاهَا وَيَسْمَعُنَا ، فَتُغْنِي فَيَأْخِذْنَ مَا يَسْتَحْسِنُهُ ،
فَإِذَا انْصَرَفْنَا أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَكُنَيْزِ دُبَّةٍ وَإِبْرَاهِيمَ بَثْلَاثُمَائَةِ دِينَارٍ ، وَلِي بِمَائَتِي دِينَارٍ ،
وَلِوَصِيفِ بِمَائَتِي دِينَارٍ ، وَلِسَائِرِ مَنْ لَعَلَّهُ أَنْ يَحْضُرَ مَعَنَا بِمَائَتَيْنِ إِلَى الْمَائَةِ الدِّينَارِ إِلَى الْأَلْفِ
الدَّرْهَمِ ، فَيَكُونُ إِذَا حَضَرْنَا مِنْ وَرَاءِ سِتَارَةٍ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ الْجَوَارِيِ ، فَإِذَا أَرَادَ اقْتِرَاحَ شَيْءٍ
جَاءَنَا الْخَدَمُ فَأَمَرُونَا أَنْ نَغْنِيَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ وَاحِدٍ مَنَّا قَيْنَةٌ فِيهَا خَمْسَةُ أَرْطَالِ نَبِيذٍ وَقَدْحٌ
وَمَغْسِيلٌ وَكَوْزُ مَاءٍ ؛ فَغَنَنْتُ يَوْمًا صِلْفَةً جَارِيَةً زُرْيَابَ بِصُنْعَةِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ : [من الطويل]

تَغْيَرُ مَنِّي كُلُّ حُسْنٍ وَجِدَّةٍ وَعَادَ عَلَى ثَغْرِي فَأَصْبَحَ أَثَرَمَا
فَشَرِبْتُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَعَادَهُ الْمُقْتَدِرُ مَرَارًا وَأَنَا أَشْرَبُ عَلَيْهِ ؛ فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ بِكَفِّي
وَقَالَ : يَا مَجْنُونُ ! إِنَّمَا دُعِيتَ لَتُغْنِيَ لَا لَتُغْنَى وَتَطْرَبُ وَتَشْرَبُ ، فَلَعَلَّكَ تَسْكُرُ ، حَسْبُكَ ! ؛
فَأَمْسَكْتُ طَمَعًا أَنْ تَرُدَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَمَا فَعَلْتُ وَلَا اجْتَمَعْنَا بَعْدَهَا ، وَمَا سَمِعْتُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ
أَحَدًا غَنَى هَذَا الصَّوْتِ أَحْسَنَ مِمَّا غَنَّنَهُ . قَالَ : وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ ابْتِاعَهَا مِنْ زُرْيَابَ .

1 الأبزن : حوض مستطيل يعالج فيه المريض بالماء الحار والأدوية الساخنة .

2 القولنج : التهاب القولون .

[ردّ زوجاً إلى زوجته]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي قال حدثني إسحاق الموصلي عن أبيه قال : بينا أنا بمكة أجول في سبيلها إذا أنا بسوداء قائمة ساهية باكية ، فأنكرت حالها وأدمنت النظر إليها ؛ فبكت وقالت : [من المتقارب]

أعمرُو عَلامَ تَجَنَّبَنِي أخذت فؤادي وعذبتني
فلو كنت يا عمرُو خَبرَتي أخذت حِذاري فما نلتني

فقلتُ لها : يا هذه ، مَنْ عمرُو ؟ قالت : زوجي ؛ قلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنه يَهْوانِي وما زال يطلُبني حتّى تزوّجته ، فلبث معي قليلاً ثم مضى إلى جُدَّة وتركني ؛ فقلتُ لها : صِفْه لي ؛ قالت : أحسنُ مَنْ أنتِ رائِيه سُمرَةٌ وأحلامٌ حلاوةٌ وقَدَأ ؛ قال : فركبتُ رواحلي مع غِلْمانِي وصرتُ إلى جُدَّة ، فوقفتُ في موضع المَرْفَأُ أَبْصَرُ مَنْ يحمل من السفن ، وأمرتُ مَنْ يُصَوِّتُ : يا عمرُو يا عمرُو ، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنْ¹ فيه طعامٌ ، فعرفتهُ بصفتِها ونعتِها إِيَّاه ، فقلتُ :

أعمرُو عَلامَ تَجَنَّبَنِي أخذت فؤادي وعذبتني

فقال : هيه ! أَرَأَيْتَها وسمعتَ منها ؟ فقلتُ : نعم ، فأطرق هُنيئَةً ييكِي ، ثم اندفع فغَنَّى به أَمْلَحَ غناء سمعته ، وردّده عليّ حتّى أخذته منه ، وإذا هو أحسنُ الناسِ غناءً ؛ فقلتُ له : ألا ترجع إليّها ؟ فقال : طلبُ المعاشِ يَمْنَعُنِي ؛ فقلتُ : كم يكفيكَ معها في كلِّ سَنَةٍ ؟ فقال : ثلثمائة درهم قال إسحاقُ : قال لي أبي : فوالله يا بُنَيَّ لو قال ثلثمائة دينار لطابتُ نفسي بها فدعوتُ به فأعطيته ثلاثة آلاف درهم ، وقلتُ له : هذا لعشر سنين على أن تُقِيمَ معها ، فلا تَطْلُبِ المعاشَ إلّا حيثُ هي مقيمةٌ معك ، ويكون ذلك فضلاً ؛ وردّده معي إليها .

[يغني الرشيد على افراد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثنا صالح بن علي (يعني الأضجَم) عن إبراهيم الموصلي ، قال : وكان صالح جاره ، قال : بينا أنا عَشِيَّةً في منزلي إذ أتاني خادم من خَدَم الرشيد فاستحثني بالركوب إليه فخرجتُ شبيهاً بالراكِض ، فلما صرتُ إلى الدَّارِ عُدِلَ بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها ، فانتَهَيْ بي إلى دارٍ حديثِ البناء ، فدخلتُ صَحْنًا واسعاً ، وكان الرشيد يشتهي الصَّحُونَ الواسعة ، فإذا هو جالسٌ على كرسيٍّ في وسط ذلك الصَّحْن ، ليس عنده أحد إلّا خادماً يسقيه ، وإذا هو في لِبْسَتِهِ التي كان يلبسُها في الصيف : غِلالةٌ

1 الصن : وعاء يشبه السلّة يوضع فيه الخبز والطعام .

رقيقة مُتَوَشَّح عليها بإزار رَشِيدِي عَرِيض العَلَم مُضَرَّج ؛ فَلَمَّا رَأَى هَشَّ لِي وَسُرَّ ، وقال : يا مَوْصِلِي ، إِنِّي اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ فِي هَذَا الصَّحْنِ فَلَمْ يَتَّفَقْ لِي إِلَّا الْيَوْمَ ، وَأَحْبَبْتُ أَلَّا يَكُونَ مَعِيَ وَمَعَكَ أَحَدٌ ، ثُمَّ صَاحَ بِالْخَدَّامِ ، فَوَافَاهُ مَائَةٌ وَصَيْفٍ ، وَإِذَا هُمْ بِالْأُرُوقةِ مُسْتَتِرُونَ بِالْأَسَاطِينِ حَتَّى لَا يَرَاهُمْ ، فَلَمَّا نَادَاهُمْ جَاءُوا جَمِيعاً ، فَقَالَ : مُقَطَّعةٌ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ الْمُصَلَّيَاتِ ، فَأَتَيْتُ بِمَقْعَدٍ فَأَلْقَيْ لِي تُجَاهَ وَجْهِهِ بِالْقَرَبِ مِنْهُ ؛ وَدَعَا بَعُودَ فَقَالَ : بِحَيَاتِي أَطْرِبُنِي بِمَا قَدَّرْتَ ؛ قَالَ : فَفَعَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ فِي ذَلِكَ وَنَشَطْتُ وَرَجَوْتُ الْجَائِزَةَ فِي عَشِيَّتِي ؛ فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ مَسْرُورٌ الْكَبِيرُ ، فَقَامَ مَقَامَهُ الَّذِي كَانَ إِذَا قَامَهُ عَلِيمُ الرَّشِيدِ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُسَارَهُ بِشَيْءٍ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِالْأُذُنِ ، فَدَنَا فَأَلْقَى فِي أُذُنِهِ كَلِمَةً خَفِيفَةً ثُمَّ تَنَحَّى ، فَاسْتَشَاطَ غَضَباً وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، ثُمَّ قَالَ : حَتَّامٌ أَصْبِرُ عَلَى آلِ بَنِي أَبِي طَالِبٍ ! وَاللَّهِ لَأُقْتَلَنَّهُمْ وَلَأُقْتَلَنَّ شَيْعَتَهُمْ وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ ! ؛ فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ ؛ لَيْسَ عِنْدَ هَذَا أَحَدٌ يُخْرِجُ غَضَبَهُ عَلَيْهِ ، أَحْسِبُهُ وَاللَّهِ سَيُوقِعُ بِي ، فَاَنْدَفَعْتُ أَغْنِي :

[من الخفيف]

صوت

نَعَمْ عَوْنًا عَلَى الْهَمُومِ ثَلَاثُ مُتْرَعَاتٌ مِنْ بَعْدَهُنَّ ثَلَاثُ
بَعْدَهَا أَرْبَعٌ تَتِمَّةٌ عَشْرُ لَا بِطَاءٍ لَكِنَّهِنَّ جِثَاثُ
فَإِذَا نَاوَلْتَكُهُنَّ جَوَارِ عَطِرَاتٌ بِيضُ الْوُجُوهِ خِيَاثُ
تَمَّ فِيهَا لَكَ السَّرُورُ وَمَا طَيَّ سَبَّ عَيْشًا إِلَّا الْخِيَاثُ الْإِنَاثُ

قال : وَيْلَكَ ! اسْقِنِي ثَلَاثًا لَا أُمَّتَ هُمَا ؛ فَشَرِبَ ثَلَاثًا مُتَابَعَةً ، ثُمَّ قَالَ : غَنَّ فَغَنَيْتُ ، فَلَمَّا قُلْتُ :

[من الخفيف]

ثَلَاثُ * مُتْرَعَاتٌ مِنْ بَعْدَهُنَّ ثَلَاثُ

قال : هَاتِ وَيْلَكَ ثَلَاثًا ! ، ثُمَّ قَالَ لِي : غَنَّ ، فَلَمَّا غَنَيْتُهُ قَالَ : حُثَّ عَلَيَّ بِأَرْبَعِ تَتِمَّةِ الْعَشْرِ ، فَفَعَلْتُ ؛ فَوَاللَّهِ مَا اسْتَوْفَى آخِرَهُنَّ حَتَّى سَكِرَ ، فَنَهَضَ لِيَدْخُلَ ، ثُمَّ قَالَ : قُمْ يَا مَوْصِلِي فَانْصَرِفْ ؛ يَا مَسْرُورُ ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي إِلَّا سَبَقْتَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، لَا أُسْتَأْمَرُ فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا ؛ فَخَرَجْتُ وَاللَّهِ وَقَدْ أَمِنْتُ خَوْفِي وَأَدْرَكْتُ مَا أَمَلْتُ ، وَوَأَفَيْتُ مَنْزِلِي وَقَدْ سَبَقْتَنِي الْمِائَةُ الْأَلْفُ الدَّرْهَمِ إِلَيْهِ .

[يَأْخُذُ صَوْتًا عَنْ ابْنِ جَامِعٍ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ الْخَالِقِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ الرَّشِيدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَى

المغنين فقال : غنوا¹ :

[من الخفيف]

يا خليلي قد مللت ثوائي بالمصلى وقد سئمت البقيعا²
بلغاني ديار هندي وسعدى وارجعاني فقد هويت الرجوعا³

قال : فغنّاه ابن جامع ، فلما فرغ منه طرب الرشيد وشرب ؛ فقال له إبراهيم الموصلي : يا سيدي ، فاسمعه من نبيطيك فغنّاه ، فجعل ابن جامع يزحف من أول البيت إلى آخره ، وطرب هارون فقال : ارفعوا الستارة ؛ فقال له ابن جامع : مني والله أخذه يا أمير المؤمنين ؛ فأقبل على إبراهيم فقال : بحياتي صدق ؟ قال : صدق وحياتك يا سيدي ؛ قال : وكيف أخذته وهو أبخل الناس إذا سئل شيئا ؟ قال : تركته يغنيه وكان إذا سكر يسترسل فيه فيغنيه مستويا ولا يتحرز مني ، فأخذته على هذا منه حتى وفيت به .

[حدث الرشيد عن جارية زلزل فاشتراها وأعتقها]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال⁴ : كان برصوما الزامر وزلزل الضارب من سواد أهل الكوفة من أهل الخشنة والبذاذة⁵ والدناءة ، فقدم بهما أبي معه سنة حج ، ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوه النعم وثقفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكنا أطبع أهل دهرهما في صناعتهما ؛ فحدثني أبي قال : كان لزلزل جارية قد ربّاهَا وعلمها الضرب وسألني مطارحتها فطارحتها ، وكانت مطبوعة حاذقة ؛ قال : فكان يصونها أن يسمعها أحد ؛ فلما مات بلغني أنها تعرض في ميراثه للبيع ، فصرت إليها لأعتريها ؛ فغنّت :

[من السريع]

أقفر من أوتاره العود فالعود للأوتار معمود
وأوحش المزمار من صوته فما له بعدك تغريد
من للمزامير وعيدانها وعامر اللذات مفقود
الخمير تبكي في أباريقها والقينة الخمصانة الرود

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقّة⁶ ؛ قال : فأبكت والله عيني وأوجعت قلبي .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 249 .

2 سئمت في ل : شئيت .

3 وارجعاني في الديوان : وارجعاني .

4 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 3 : 31 (رقم 52) .

5 الخشنة : الخشونة . ورجل ذو خشنة : لا يطاق . البذاذة : رثاءة الهيمة .

6 ل : يالقه .

فدخلتُ على الرشيد فحدثته بحدثها ، فأمر بإحضارها فحضرت ؛ فقال لها : غني الصوت الذي حدثني إبراهيم عنك أنك غنيته ، فغنته وهي تبكي ؛ فرق الرشيدُ لها وتغرَّرت عيناه ، وقال لها : أتحيين أن أشتريك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لقد عرضت علي ما يقصرُ عنه الأملُ ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدي فينتفع بي ؛ فازداد رقةً عليها ، وقال : غني صوتاً آخر ، فغنت :

العينُ تظهرُ كتمانِي وتُبدِيهِ والقلبُ يكتُم ما ضَمَّنْهُ فِيهِ
فكيف ينكتم المكتومُ بينهما والعينُ تُظهره والقلبُ يُخفيه
فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَقَ ، ولم يزل يُجري عليها إلى أن ماتت .

[غضب عليه الرشيد لتعريضه بجارية له]

أخبرنا محمد قال حدثنا حماد عن أبيه عن جدّه قال : قال لي الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بكّر عليّ غداً حتى نصطبح ؛ فقلتُ له : أنا والصبحُ كفرسي رهان ؛ فبكّرتُ فإذا أنا به خالياً ، وبين يديه جاريةٌ كأنها خوطُ بان أو جدلُ عنان ، حلوةُ المنظر ، دميثةُ الشمائل ، وفي يدها عودٌ ؛ فقال لها : غني ، فغنتُ في شعر أبي نواس وهو¹ :

تَوَهَّمْهُ قَلْبِي فَأَصْبَحَ خَدُّهُ وفيه مكان الوهم من نظري أثر²
ومرّ بفكري خاطراً فجرحتُهُ ولم أرَ جسماً قطُّ يجرحُهُ الفكرُ
وصافحه قَلْبِي فَالَمَ كَفَّهُ فَمِنْ غَمْرِ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عَقْرُ³
قال إبراهيم : فذهبتُ والله بعقلي حتى كِدْتُ أن أفتضح ، فقلتُ : مَنْ هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التي يقول فيها الشاعر :

لها قَلْبِي الغداةَ وَقَلْبُهَا لي فنحن كذاك في جَسَدَيْنِ رُوحُ
ثم قال لها : غني ، فغنتُ :

صوت

تقول غداةَ البين إحدى نسائهم لي الكبدُ الحرَّى فسرِّ ولك الصبرُ
وقد خنقتها عبرةٌ فدموعُها على خدّها بيضٌ وفي نحرها صُفرُ

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 730 عن الأغاني .

2 أثر : أثر الجرح بعدما يبرأ .

3 قلبي في ل : كفي .

الشعرُ لأبي الشَّيْص . والغناء لعمرِو بن بانه ، خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى من كتابه . وفيه لُتَيْمٌ ثاني ثَقِيلٌ وخفيفُ رَمَلٍ آخر قال : فشرب وسقاني ثم سقاها ، ثم قال : غنَّ يا إبراهيم ؛ فغنَّيتُ حسبَ ما في قلبي غيرَ مُتَحَفِّظٍ من شيء : [من الطويل]

تَشَرَّبَ قلبي حَبَّها ومشي به تَمَشَّى حُمَيَّ الكأس في جسم شارِبِ
ودبَّ هواها في عِظامي فشفَّها كما دبَّ في المَلْسُوع سُمُّ العقاربِ

قال : ففَطِنَ بتعريضِي ، وكانت جهالةً مِنِّي ؛ قال : فأمرني بالانصراف ، ولم يدعني شهراً ولا حضرتُ مجلسه ؛ فلَمَّا كان بعد شهر¹ دَسَّ إليَّ خادماً معه رُقعةً ، فيها مكتوب : [من الخفيف]

قد تخَوَّفْتُ أنْ أَمُوتَ من الوجْدِ يد وَلَمْ يَدْرِ مَنْ هَوَيْتُ بما بي
يا كتابي فافَرَّ السَّلَامَ على مَنْ لا أُسَمِّي وقل له يا كتابي
إنَّ كَفْأَ إِلَيْكَ قد بعثني في شَقَاءٍ مُوَاصِلٍ وعذابٍ²

فأتاني الخادمُ بالرقعة ؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين ؛ فأحسستُ القصَّةَ فشتمتُ الخادمَ ووثبتُ عليه وضربته ضرباً شَقِيتُ به نفسي وغِيطِي ، وركبتُ إلى الرشيد من فَوْرِي فأخبرته القصَّةَ وأعطيته الرقعة ؛ فضحك حتى كاد يستلقي ، ثم قال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأمتحنَ مذهبَكَ وطريقَتَكَ ، ثم دعا بالخادم ؛ فلَمَّا خرج رآني فقال لي : قطع الله يديك ورجليك ، وَنَحَكَ ! قتلتنِي ؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حَقِّكَ لِمَا وردت به عليّ ، ولكن رَحِمْتُكَ فأبقيتُ عليك ، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقُّه . فأمر لي الرشيدُ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ ؛ والله يعلم أَنِّي ما فعلتُ الذي فعلتُ عَفَافاً ولكن خوفاً .

[كَيْفِيَّةُ صَنَعِهِ الْأَلْحَانَ]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدَّثني حَمَاد بن إِسْحَاق قال : أخبرني أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ الرشيدَ وقد سَأَلَ جَدِّي إبراهيم كيف يصنع إذا أَرَادَ أَنْ يصوغَ الْأَلْحَانَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخرجُ الهمَّ من فكري وأُمَثِّلُ الطربَ بين عيني ، فتسوغ لي مسالكُ الْأَلْحَانِ التي أريدُ فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مُصَيِّباً ظافراً بما أريد ؛ فقال : يَحِقُّ لَكَ يا إبراهيم أَنْ تُصَيَّبَ وتظفرَ ، وإنَّ حُسْنَ وصفك لُمُشَاكِلٌ حُسْنُ صنعتك وغنائك .

1 ل : شهرين .

2 بعثني في ل : كتبني .

[فراصة يونس الكاتب فيه]

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني حماد عن أبيه عن جده قال : أدركت يونس الكاتب وهو شيخ كبير فعرضت عليه غنائي ؛ فقال : إن عشت كنت مغني دهرك .

[تصرفه في مذاهب الغناء]

قال حماد قال لي محمد بن الحسن : كان لكل واحد من المغنين مذهب في الخفيف والثقيل ، وكان معبد ينفرد بالثقل ، وابن سريج بالرمل ، وحكم بالهزج ، ولم يكن في المغنين أحد يتصرف في كل مذهب من الأغاني إلا ابن سريج وإبراهيم جدك وأبوك إسحاق .

[ثمامة بن أشرس يُعجب بغناؤه مع يزيد حوراء]

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثني أحمد بن ثابت العبدي عن أبي الهذيل العلاف رأس المعتزلة عن ثمامة بن أشرس قال : مررت بإبراهيم الموصلي ويزيد حوراء وهما مصطبحيان ، وقد أخذوا بينهما صوتاً يغنيانه : هذا بيتاً وهذا بيتاً ، وهو : [من الطويل]

صوت

أيا جبلي نَعْمَان بالله خَلِيَا سبيل الصبَا يَخْلُص إليّ نَسِيمُهَا
فإن الصبَا رَجَّحَ إذا ما تَنَسَّمْتُ على نفس مهموم تجلّت همومُهَا

قال ثمامة : فوالله ما خِلْتُ أن شيئاً بقي من لذات الدنيا بعدما كانا فيه .

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم قال : سألت الرشيد أن يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب ، لأخلو فيه بجواري وإخواني ، فأذن لي في يوم السبت ، وقال لي : هو يوم أستثقله ، فآله فيه بما شئت ؛ فأقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجت إليه ، وأمرت بوابي فأغلق الأبواب وتقدمت إليه ألا يأذن عليّ لأحد ؛ فبينما أنا في مجلسي والخدم قد حَفُوا بي وجواري يترددن بين يدي ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه خُفان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة¹ ، وبيده عكازة مُقَمَّعة بفضة ، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار ؛ فدخلني بدخوله عليّ مع ما تقدمت فيه غيظاً ما تداخلني قط مثله ، وهمت بطرد بوابي ومن حجبني لأجله ؛ فسلم عليّ أحسن سلام فرددت عليه ، وأمرت بالجلوس فجلس ، ثم أخذ بي في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سَلَى ما بي من الغضب ، وظننت أن غلماني تحروا مسرتي بإدخالهم مثله عليّ لأدبه وظرفه ؛ فقلت : هل لك في الطعام ؟ فقال : لا

1 لاطئة : لاصقة بالرأس .

حاجة لي فيه ؟ فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك إليك ، فشربت رطلاً وسقيته مثله ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق ، هل لك أن تُغني لنا شيئاً من صنعتك وما قد نفقت به عند الملوك والخاص والعام ؟ فغاضني قوله ، ثم سهلت على نفسي أمره فأخذت العود فجسسته ثم ضربت فغنيته ؛ فقال : أحسنت يا إبراهيم ؛ فارداد غيظي وقلت : ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أغنيه حتى سماني ولم يُكنني ولم يُجمل مخاطبتي ! . ثم قال : هل لك أن تزيدنا ؟ فتذممت فأخذت العود فغنيته ؛ فقال : أجدت يا أبا إسحاق ! فأتيت [هزازك]¹ حتى نكأك ونغنيك ؛ فأخذت العود وتغيت وتحفظت وقمت بما غنيته إياه قياماً تاماً ما تحفظت مثله ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قط ولا غيره ، لقوله لي : أكافك ؛ فطرب وقال : أحسنت يا سيدي ويا أوثق عُددي ، ثم قال : أتأذن لعبدك بالغناء ؟ فقلت : شأنك ، واستضعفت عقله في أن يغنيني بحضرتي بعد ما سمعته مني ؛ فأخذ العود وجسه وجبسه ، فوالله لخلته ينطق بلسان عربيّ لحسن ما سمعته من صوته ، ثم تغنى² : [من الطويل]

صوت

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبعني بها كبداً ليست بذات قروح
أباها عليّ الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علةٍ بصحيح³
أئن من الشوق الذي في جوانبي أنين غصيص بالشراب جريح⁴

قال إبراهيم : فوالله لقد ظننت الحيطان والأبواب وكلّ ما في البيت يجيبه ويُغنيّ معه من حسن غنائه ، حتى خلت والله أنني أسمع أعضائي وعظامي وثيابي تجاوبه ، وبقيت مبهوراً لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي ؛ ثم غنى⁵ : [من الطويل]

صوت

ألا يا حمامات اللوى عُدنَ عودٌ فإني إلى أصواتكنّ حزينُ
فعدنَ فلماً عُدنَ كِدُنَ يُمتنني وكدتُ بأسراري لهنّ أبينُ
دَعُونْ بترداد الهدير كأنما سقين حميماً أو بهنّ جنونُ

1 زيادة من ل . وهي كلمة فارسية ومعناها الأنشودة .

2 تنسب هذه الأبيات لابن الدمينية ومجنون ليلي ويزيد بن الطثرية وغيرهم (انظر ديوان المجنون : 95) .

3 علة في ل : عورة .

4 جوانبي في ل : جوانحي .

5 تنسب هذه الأبيات لكثير وابن الدمينية ومجنون ليلي . (انظر ديوان المجنون : 263) .

فلم تَرَ عيني مثلهنَّ حمائمًا بكينَ ولم تَدْمَعْ لهنَّ عيونُ
لم أعرف في هذه الأبيات لحنًا يُنسب إلى إبراهيم ، والذي عرفته لعمد بن
الحارث بن بُسْخَرٍ خفيفُ رمل ، فكاد ، والله أعلم ، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما
سمعتُ ؛ ثم غنى¹ : [من الطويل]

صوت

ألا يا صبا نجدٍ متى هِجَّت من نجدٍ لقد زادني مسراكِ وجداً على وجدٍ
أأن هتفت ورفاء في روثق الضحى على فنني غصنُ النَّبات من الرُّندِ
بكيت كما يبكي الحزينُ صباةً وذُبت من الحزن المبرح والجهد²
وقد زعموا أنَّ الحبَّ إذا دنا يملُّ وأنَّ النَّأيَ يشفي من الوجدِ
بكلِّ تداوينا فلم يُشَفَّ ما بنا على أنَّ قرب الدَّار خيرٌ من البعدِ

ثم قال : يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخوريّ فخذهُ وانحُ نحوهُ في غنائك وعلمهُ جواريك ؛
فقلتُ : أعدهُ عليّ ، فقال : لست تحتاج ، قد أخذته وفرغت منه ، ثم غاب من بين يدي ؛
فارتعتُ وقمتُ إلى السيف فجرّدته ، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتها مُغلقةً ، فقلتُ
للجواني : أي شيء سمعتنَّ عندي ؟ فقلن : سمعنا أحسنَ غناء سُمِعَ قطّ ؛ فخرجتُ متحيراً
إلى باب الدار فوجدته مُغلقةً ، فسألتُ البوابَ عن الشيخ ؛ فقال لي : أيّ شيخ هو ؟ والله ما
دخل إليك اليوم أحد ؛ فرجعتُ لأتأملُ أمري ، فإذا هو قد هتَف بي من بعض جوانب
البيت : لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق ، أنا إيليس وأنا كنت جليساك ونديمك اليوم ، فلا
تُرع . فركبتُ إلى الرشيد وقلت : لا أطرفه أبداً بطرفة مثل هذه ، فدخلتُ إليه فحدّثته
بالحديث ؛ فقال : ويحك ! تأملُ هذه الأصوات³ ، هل أخذتها ؟ فأخذتُ العود أمتحنها ،
فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تنزل ؛ فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم
على الشراب ، وأمر لي بصلية وحملان⁴ وقال : الشيخ كان أعلمَ بما قال لك من أنك أخذتها
وفرغت منها ، فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك .

1 تنسب هذه الأبيات إلى ابن الدمينه ويزيد بن الطثرية والمجنون (انظر ديوان المجنون : 112) .

2 رواية شرح الحماسة لهذا البيت :

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

3 ل : الأبيات .

4 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

نسبة هذه الأصوات

أما الصوت الأول فالذي أعرفه فيه خفيف رمل لحمد بن الحارث بن بسننر ، ولم يقع إليّ فيه صنعة لإبراهيم . والصوت الثاني الذي أوله : [من الطويل]

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

فشعره ليزيد بن الطثريّة ، والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالنصر عن عمرو . وفيه لحمد بن الحسن بن مصعب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو . وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لدحمان ولحناً لابنه الزبير ، ولم يذكر في أيّ طريقة هما .

[إرشاد إلى شعر ذي الرمة في المنام]

هكذا حدثنا ابن أبي الأزر بهذا الخبر ؛ وما أدري ما أقول فيه ، ولعلّ إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتنفق بها ، أو صنعت وحكيته عنه . إلا أن للخبر أصلاً الأشبه بالحق منه ما حدثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال : صنعت لحناً فأعجبني ، وجعلت أطلب له شعراً ففسر ذلك عليّ ، ورأيت في المنام كأن رجلاً لقيني فقال : يا إبراهيم ، أعيك شعر لغنائك هذا الذي تعجب به ؟ قلت نعم ؛ قال : فأين أنت من قول ذي الرمة حيث قال ¹ :

ألا يا اسلمي يا دار مّي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر²

وإن لم تكني غير شام بقفرة تجرّ بها الأذيال صيفيّة كدر³

قال : فانتبهت وأنا فرح بالشعر ، فدعوت من ضرب عليّ وغنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله ، فلما علمت ذلك ، وعملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة ، تنبّهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحاناً مأخوذة ، منها ⁴ :

صوت

أمنزلتي مّي سلام عليكما هل الأزمن اللائي مررن راجع

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافي أو رسوم بلاقع⁵

1 ديوان ذي الرمة : 206 - 207 .

2 الجراء : الرملة المستوية لا نبات فيها .

3 شام : جمع شامة . الصيفية : رياح الصيف . الكدر : جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة .

4 ديوان ذي الرمة : 332 .

5 أو رسوم بلاقع في ل والديوان : والرسوم البلاقع .

صنعة إبراهيم في هذين الشعرين جميعاً من الماخوريّ بالوسطي ، وهو خفيف الثقل الثاني . وأخباره كلّها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرّمة مشروحة .

[اختصاصه بالغناء في شعر ذي الرّمة]

حدثني محمد بن مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال قال لي أبي : قال لي جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أنّ الرشيد أذن لي وللمغنين في الانصراف يومئذ : صرّ إليّ حتى أهبّ لك شيئاً حسناً ؛ فصرتُ إليه فقال لي : أيّما أحبُّ إليك : أهبُّ لك الشيء الحسن الذي وعدتُك به ، أم أُرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم ؟ فقلت : بل يرشدني الوزير ، أعزه الله ، إلى هذا الوجه فإنّه يقوم مقام إعطائه إياي هذا الحسن ؛ فقال : إنّ أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرّمة حفظ الصّبا ويُعجبه ويؤثره ، فإذا سمع فيه غناء ، أطربه أكثر ممّا يُطربه غيره ممّا لا يحفظ شعره ؛ فإذا غنّيته فأطربته وأمر لك بجائزة ، فقم على رجليلك قائماً وقبّل الأرض بين يديه وقُلْ له : لي حاجة غير هذه الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين ، وهي حاجة تقوم عندي مقام كلّ فائدة ولا تُضرّه ولا تَرزؤه ؛ فإنّه سيقول لك : أيّ شيء حاجتك ؟ فقل : قِطِيعَةٌ تُقَطِّعُهَا سهلةٌ عليك لا قيمة لها ولا منفعة فيها لأحد ؛ فإذا أجابك إلى ذلك ، فقلْ له : تُقَطِّعُني شعرَ ذي الرّمة أُغنيّ فيه ما أختاره وتحظر على المغنين جميعاً أن يُدخلوني فيه ، فإنّي أحبّ شعره وأستحسنه فلا أحبّ أن يُنغّصه عليّ أحدٌ منهم ، وتوثّق منه في ذلك ؛ فقبلتُ ذلك القول منه ، وما انصرف من عنده بعد ذلك إلّا بجائزة ؛ وتوحيّت وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدته ، فقمّت فسألت كما قال لي ، وتبيّنت السرور في وجهه ، وقال : ما سألت شططاً ، قد أقطعتك سُؤلتك ؛ فاجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون : لقد استضخمت القطيعة وهو ساكت ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في التوثّق ؟ قال : توثّق كيف شئت ؛ فقلت : بالله وبحقّ رسوله وبتربة أمير المؤمنين المهديّ إلّا جعلتني على ثقة من ذلك بأنك تحلف لي أنك لا تُعطي أحداً من المغنين جائزة على شيء يُغنيّه في شعر ذي الرّمة فإنّ ذلك وثيقتي ؛ فحلف مجتهداً لهم لأن غناه أحدٌ منهم في شعر ذي الرّمة لا أثابه بشيء ولا برّه ولا سمع غناؤه ؛ فشكرتُ فعله وقبلتُ الأرض بين يديه وانصرفنا . فغنّيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرّمة ، فكان إذا سمع منها صوتاً طرب وزاد طربه ووصلني فأجزل ، ولم يتنفع به أحدٌ منهم غيري ؛ فأخذتُ منه والله بها ألف ألف درهم وألف ألف درهم .

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو خالد الأسلميّ قال حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال : قال إبراهيم الموصليّ : أرتج عليّ فلم أجد شعراً أصوغ فيه غناءً أغنيّ فيه الرشيد ، فدخلتُ إلى بعض حجر داري

مغموماً ، فأسبَلْتُ السُّتُورَ عَلَيَّ وَغَلَبْتَنِي عَيْنِي ، فتمَثَّلَ لِي فِي الْبَيْتِ شَيْخٌ أَشَوهُ الْخِلْقَةَ ، فَقَالَ لِي :
يا موصلي ، مالي أراك مغموماً ؟ قلت : لم أَصِبْ شَيْعراً أَغْنِي فِيهِ الرَّشِيدَ اللَّيْلَةَ ؛ قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ
قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلاً بِجَرَاعِكَ الْقَطْرُ
وَأَنْ لَمْ تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ بِقَفْرَةٍ تَجَرَّ بِهَا الْأَذْيَالُ صَيْفِيَّةً كُذْرُ
أَقَامَتْ بِهَا حَتَّى ذَوَى الْعُودِ فِي الثَّرَى وَسَاقَ الثَّرِيَّا فِي مُلَاعَتِهِ الْفَجْرُ¹
وَحَتَّى اعْتَلَى الْبُهِمَى مِنَ الصَّيْفِ نَافِضُ² كَمَا نَفَضَتْ خَيْلٌ نَوَاصِيهَا شُقْرُ³

قال : وَغَنَانِي فِيهِ بَلَحْنٌ وَكَرَّرَهُ حَتَّى عَلِقَتْهُ³ فَانْتَبَهَتْ وَأَنَا أُدِيرُهُ ، فَنَادَيْتُ جَارِيَةً لِي
وَأَمَرْتُهَا بِإِحْضَارِ عُودٍ ، وَمَا زِلْتُ أَتَرْتَمُ بِالصَّوْتِ وَهِيَ تَضْرِبُ حَتَّى اسْتَوَى لِي ؛ ثُمَّ صَرْتُ إِلَى
هَارُونَ فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَأَسْكَتَ الْمَغْنَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : أَعِدْ فَأَعِدْتُ ، فَمَا زَالَ لَيْلَتَهُ يَسْتَعِيدُنِيهِ ، فَلَمَّا
أَصْبَحَ أَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَبَفَرَشِ الْبَيْتِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ . وَقَالَ : عَلَيْكَ بِشَعْرِ ذِي الرُّمَّةِ
فَغَنِّ فِيهِ ؛ فَصَنَعْتُ فِيهِ غَنَاءً كَثِيراً ، فَكُنْتُ أَغْنِيهِ بِهِ فَيُعْجِبُهُ وَيُجْزِلُ صِلَاتِي .
[غَنَى الرَّشِيدُ مَعَهُ زَلْزُلٌ وَبَرْصُومَا فَاظْبُوه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَابْنُ الْمَرْزُبَانِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَانِمٍ مَوْلَى جَبَلَةَ بْنِ يَزِيدِ السُّلَمِيِّ قَالَ :
اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ وَزَلْزُلٌ وَبَرْصُومَا بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ، فَضَرَبَ زَلْزُلٌ وَزَمَرَ بَرْصُومَا
وَوَغْنَى إِبْرَاهِيمُ⁴ :

صوت

صَحَا قَلْبِي وَرَاعَ إِلَيَّ عَقْلِي وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسِيتُ جَهْلِي⁵
رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ وَكُنَّ صُورَا إِلَيَّ صَرَمُنْسِي وَقَطْعَنَ حَبْلِي⁶

فَطَرِبَ هَارُونَ حَتَّى وَثَبَ عَلَى رَجْلَيْهِ وَصَاحَ : يَا آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ مَنْ يَحْضُرُنِي مِنْ وَلَدِكَ
الْيَوْمَ لَسَرَكُ ! ، ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ : اسْتَغْفَرَ اللَّهُ .

1 الثرى في ديوان ذي الرمة : والنوى . ملاءة الفجر : بياضه .

2 اعتلى في الديوان ول : واعتلى . البهمى : نبات تحبه الغنم وهو أخضر . والنافض : يبس ينفض هذا النبات .

3 ل : عقلته .

4 ديوان أبي العتاهية : 617 .

5 راع : هنا بمعنى رجع .

6 وكن صورا : أي يملن أعناقهن إليه .

الشعر الذي غنّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية . والغناء لإبراهيم خفيفٌ ثقيلٌ بالبنصر .
[الرشيد يرضى جارية غاضبها]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني حَمَاد بن إِسْحاق عن أبيه قال¹ : كان الرشيد يَجِدُ بِمَارِدَةَ
وَجَدًا شديدًا ؛ فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما الهجرُ أَيامًا ؛ فأمر جعفرُ بن يحيى
العبّاس بن الأحنف فقال² :

راجعٌ أَحْبَبْتُكَ الذين هَجَرْتَهُمْ إِنَّ الْمُتَيْمِمَ قَلَمًا يَتَجَنَّبُ
إِنَّ التَّجَنُّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكُمْ دَبَّ السُّلُوكُ لَهُ فَعَزَّ الْمَطْلَبُ³

وأمر إبراهيم الموصلي فغنّى فيه الرشيد ؛ فلمّا سمعه بادر إلى ماردة فترضاها ؛ فسألت عن
السبب في ذلك فعرفته ، فأمرت لكل واحد من العبّاس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألت
الرشيد أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

[نال أول جائزة لشاعر من الرشيد]

أخبرني جعفر بن قدامة عن حَمَاد عن أبيه قال : أولُ جائزة خرجت لشاعر من الرشيد لما
ولّى الخلافةَ جائزةً لإبراهيم ، فإنّه قال يمدحه لما ولي :

صوت

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ مَرِيضَةً فَلَمَّا وَلِيَ هَارُونُ أَشْرَقَ نُورُهَا
فَأَلْبَسَتْ الدُّنْيَا جَمَالًا بِوَجْهِهِ فَهَارُونُ وَالْبُيْهَى وَبَحْثَى وَزِيرُهَا
وَعَنَى فِيهِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[قام الرشيد بالترد]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن
مالك قال حدثني إِسْحاق الموصليّ : أَنَّ أَبَاهُ لَعِبَ يَوْمًا مَعَ الرَّشِيدِ بِالنُّرْدِ فِي الْخُلْعَةِ الَّتِي كَانَتْ
عَلَى الرَّشِيدِ وَالْخُلْعَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ هُوَ ، فَتَقَامَرَ لِلرَّشِيدِ ، فَلَمَّا قَمَرَهُ قَامَ إِبْرَاهِيمُ فَفَزَعَ ثِيَابَهُ ،
ثُمَّ قَالَ لِلرَّشِيدِ : حُكِّمِ النُّرْدَ الْوَفَاءُ بِهِ ، وَقَدْ قُمِرْتُ وَوَفِّيتُ لَكَ ، فَالْبَسَ مَا كَانَ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ لَهُ
الرَّشِيدُ : وَيْلَكَ ! أَنَا أَلْبَسُ ثِيَابَكَ ! ؛ فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ إِذَا أَنْصَفْتَ ، وَإِذَا لَمْ تُنْصَفْ قَدَرْتُ
وَأَمْكُنْكَ ؛ قَالَ : وَيْلَكَ ! أَوْ أَفْتَدِي مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : وَمَا الْفِدَاءُ ؟ قَالَ : قُلْ أَنْتَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْقَوْلِ ؛ فَقَالَ : أُعْطِيكَ كُلَّ مَا عَلَيَّ ؛ قَالَ : فَمُرْ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا

1 وردت هذه الحكاية في التذكرة الحمدونية 6 : 209 (رقم 548) .

2 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 44 .

3 ل : دب السلوك فعز منك المطلب .

أَسْتَخِيرَ اللَّهَ فِي ذَلِكَ ؛ فِدْعَا بغير ما عليه فليسه ونَزَعَ ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم .
[فطنة ابن جامع وإبراهيم في صناعة الموسيقى]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عُمَرُ بن شَبَّةَ قال حدثني علي بن عبد الكريم قال¹ :
زار ابن جامع إبراهيم الموصلي ؛ فأخرج إليه ثلاثين جاريةً فُضِرْنَ جميعاً طريقةً واحدةً وُغْنَيْن ؛
فقال ابن جامع : في الأوتار وترٌ غير مستو ؛ فقال إبراهيم : يا فلانة شُدِّي مَثَاكِ ، فشُدَّتْهُ
فاستوى ؛ فعجبتُ أولاً من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وترّاً غير مستو ، ثم ازداد
عَجَبِي من فطنة إبراهيم له بعينه .
[غناؤه عند خمار بالرقّة]

أخبرني إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المَهْلَبِي قالَا حدثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدثني
إسحاق بن إبراهيم قال حدثني أبي قال² : كنّا مع الرشيد بالرقّة وكان هناك خَمَارٌ أَقْصَدُهُ
أَشْتَرِي منه شِراباً حسناً طيباً ؛ وربّما شربت في حانته ، فَأَتَيْتُهُ يوماً فَبَزَلَ لي دَنّاً في باطِيئة له ،
فَرَأَيْتُ لونه حسناً صافياً ، فاندفعتُ أَغْنِي :
[من مجزوء الرمل]

صوت

اسْقِنِي صَهْبَاءَ صِرْفاً لم تُدَنَّسْ بِمِزَاجِ
اسْقِنِي وَاللَّيْلُ دَاجٍ قَبْلَ أَصْوَاتِ الدَّجَاجِ
يَا أَبَا وَهْبٍ خَلِيلِي كُلُّ هَمٍّ لَانْفِرَاجِ
حِينَ تَوَهَّتَ بَقْلِي فِي أَعَاصِيرِ الْفِجَاجِ

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسِيَاظُ ثاني ثَقِيلٍ بِالْخِنْصَرِ
في مجرى الْخِنْصَرِ عن إسحاق ، قال : فَدَهَشَ الْخَمَارُ يَسْمَعُ صَوْتِي ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيَحْكُ ! قد
فاض النِّبِيدُ مِنَ الْبَاطِيَةِ ؛ فَقَالَ : دَعْنِي مِنَ النَّبِيدِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، مَا لِي أَرَى صَوْتَكَ حَزِيناً حَرِيْقاً ،
مَاتَ لَكَ بِاللَّهِ إِنْسَانٌ ؟ فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى الرَّشِيدِ حَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ فَجَعَلَ يَضْحَكُ .
[قَصَّتْهُ مَعَ الْجَوَارِي اللَّاتِي عَقْدَهُ عَنْ مَوْعِدِ الرَّشِيدِ]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أَنَّ الْمَدَائِنِيَّ حَدَّثَ قَالَ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ لِي الرَّشِيدُ
يَوْمًا : يَا إِبْرَاهِيمَ ، إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ غَدًا لِلْحَرِيمِ ، وَجَعَلْتُ لَيْلَتَهُ لِلشَّرْبِ مَعَ الرِّجَالِ ، وَأَنَا
مُقْتَصِرٌ عَلَيْكَ مِنَ الْمَغْنَيْنِ ، فَلَا تَشْتَغِلْ غَدًا بِشَيْءٍ ، وَلَا تَشْرَبْ نَبِيدًا ، وَكُنْ بِحَضْرَتِي فِي وَقْتِ
الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ؛ فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : وَحَقُّ أَبِي لَكُنْ تَأَخَّرْتُ أَوْ

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 21 (رقم 41) .

2 قد تقدّم مثل هذا الخبر في هذه الترجمة عن شربه وغناؤه عند خمار في باري .

اعتَلَّتْ بشيء لأضربنَّ عنقك ، أفهمتَ ؟ فقلت : نعم ، وخرجتُ فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأحد ، حتى إذا صُلِّيت المغرب ركبْتُ قاصداً إليه ، فلما قُربت من فناء داره مررت بفناء قصر ، وإذا زَنْبِيلٌ كبير مُستَوْتٌ منه بحبال وأربع غُرَى أدم وقد دُلِّيَ من القصر ، وجارية قائمة تنتظر إنساناً قد وُعد ليجلس فيه ، فنازعني نفسي إلى الجلوس فيه ، ثم قلت : هذا خطأ ، ولعلَّه أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك ، فلم أزل أنزع نفسي وتنازعني حتى غلبتني ، فنزلت فجلست فيه ، ومُدَّ الزنبيل حتى صار في إلى القصر ، ثم خرجت فنزلت ، فإذا جوارٍ كأنهنَّ المَهَا جلوسٌ ، فضحكَنَ وطَرَبْنَ ، وقلن : قد جاء والله من أردناه ؛ فلما رأينني من قريب تبادرنَّ إلى الحجاب وقلن : يا عدو الله ، ما أدخلك إلينا ؟ فقلت : يا عدوات الله ، ومن الذي أردتنَّ إدخاله ؟ ولم صار أولى بهذا مني ؟ فلم يزل هذا دأبنا وهنَّ يضحكن وأضحكن معهنَّ ؛ ثم قالت إحداهنَّ : أما من أردناه فقد فات ، وما هذا إلا ظريف ، فهلمْ نعاشره عشرة جميلة ؛ فأخرج إلي طعام ودُعيت إلى أكله ، فلم يكن في فضلٍ إلا أنني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة ، فأصبتُ منه إصابة مُعَذَّر ، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب ، وأخرجنَّ إلي ثلاث جوارٍ لهنَّ فغنينَّ غناءً مليحاً ، فغنتُ إحداهنَّ صوتاً لمُعَبَد ، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر : أحسن إبراهيم ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبْتَ ليس هذا له ، هذا لمُعَبَد ؛ فقالت : يا فاسق ، وما يُدريك الغناء ما هو ؛ ثم غنت الأخرى صوتاً للغريض ، فقالت تلك : أحسن إبراهيم ، هذا له أيضاً ؛ فقلت : كَذَبْتَ يا خبيثة ، هذا للغريض ؛ فقالت : اللهمَّ أخْزِه ، ويلك ! وما يُدريك ؟ ثم غنت الجارية صوتاً لي ، فقالت تلك : أحسن ابنُ سُرَيْج ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبْتَ هذا لإبراهيم ، وأنتِ تَسْبِيْن غناء الناس إليه وغناؤه إليهم ؛ فقالت : وَيْحَكَ وما يُدريك ! ؛ فقلت : أنا إبراهيم ، فتباشرنَّ بذلك جميعاً وطَرَبْنَ كلُّهنَّ وظهرنَّ كلُّهنَّ لي وقلنَّ : كتمتْنا نفسك وقد سررتنا ؛ فقلت : أنا الآن أستودعكنَّ الله ؛ فقلن : وما السبب ؟ فأخبرتهنَّ بقصتي مع الرشيد ؛ فضحكَنَ وقلن : الآن والله طاب حبسك ، علينا وعلينا إن خرجت أسبوعاً ؛ فقلت : هو والله القتل ؛ قلن : إلى لعنة الله . فأقامت والله عندهنَّ أسبوعاً لا أزل ، فلما كان بعد الأسبوع ودَّعَنني وقلن : إن سلمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا ، قلت نعم ؛ فأجلستني في الزنبيل وسُرَّحتُ ؛ فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد ، وإذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأنَّ من أحضرني فقد سُوِّغ ملكي وأقْطِع مالي ؛ فاستأذنتُ فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد ؛ فلما رأيته شتمني وقال : السيف والنَّطْع ! إياه يا إبراهيم ، تهاونت بأمرى وتشاغلْتَ بالعوامِّ عما أمرك به وجلستَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت عليَّ لذتي ! ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا

بين يديك ، وما أمرت به غير فائت ، ولي حديث عجيب ما سُمع بمثله قط ، وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختياراً ، فاسمعه ، فإن كان عذراً فأقبله وإلا فأنت أعلم ؛ قال : هاتِه فليس يُنجيك ؛ فحدثته ، فوجم ساعة ثم قال : إن هذا لعجب ، أفتُخْضِرني معك هذا الموضع ؟ قلت : نعم ، وأجلسك معهنَّ إن شئتَ قلبي حتى تحصل عندهنَّ ، وإن شئتَ فعلى موعد ؛ قال : بل على موعد ؛ قلت : أفعل ؛ فقال : انظر ؛ قلت : ذلك حاصلٌ إليك متى شئتَ ؛ فعدل عن رأيه في وأجلسني وشرب وطرب ؛ فلما أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنَّ ؛ فمضيت إليهنَّ في وقت الوعد ، فلما وافيتُ الموضع إذا الزنبل معلق ، فجلست فيه ومدته الجواري فصعدت ، فلما رأيتهنَّ تباشرنَّ وحمدنَّ الله على سلامتي ، وأقمتُ ليلتي¹ ، فلما أردت الانصراف قلت لهنَّ : إن لي أختاً هو عدلُ نفسي عندي ، وقد أحبَّ معاشرتكنَّ ووعدته بذلك ؛ فقلنَّ : إن كنتَ ترضاه فمرحباً به ؛ فوعدتهنَّ ليلة غدٍ وانصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته ؛ فلما كان الوقتُ خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع ، فصعدت وصعد بعدي ونزلنا جميعاً ، وقد كان الله وفقني لأن قلتُ لهنَّ : إذا جاء صديقي فاستترنَّ عني وعنه ولا يسمع لكنَّ نطقه ، وليكن ما تخترنه من غناء أو تقلنه من قولٍ مُراسلة ؛ فلم يتعدَيْن ذلك وأقمنَّ على أتم سترٍ وخفر ، وشربنا شرباً كثيراً ، وقد كان أمرني ألا أخاطبه بأمير المؤمنين ، فلما أخذ مني النبيذ قلت سهواً : يا أمير المؤمنين ، فتواثبنَّ من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهنَّ ؛ فقال لي : يا إبراهيم لقد أفلت من أمر عظيم ، والله لو برزت إليك واحدة منهنَّ لضربت عنقك ، قم بنا ، فانصرفنا ؛ وإذا هنَّ له ، قد كان غضب عليهنَّ فحبسهنَّ في ذلك القصر ؛ ثم وجه من غد بخدم فردوهنَّ إلى قصره ، ووهب لي مائة ألف درهم ، وكانت الهدايا والألطفات تأتيني بعد ذلك منهنَّ .

[غنى الرشيد فأجزل صلته]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبي قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : أنا اليوم كسلانٌ خائر ، فإن غنيتني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك ؛ فغنيتُه :

[من الطويل]

ولم يُرَ في الدنيا مُحَبَّان مثُلنا على ما نلاقي من ذوي الأعين الخُزُرِ
صَفِيَّانٍ لا نرضى الوُشَاةَ إذا وَشُوا عَفِيفانٍ لا نغشى من الأمر ما يُزري

فطرب ، ودعا بالطعام فأكل وشرب ، وأمر لي بخمسين ألف درهم .

[امتحانه صوتاً لدنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد : إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً أعجبنى وأعجبت أيضاً هي به ، فقلت لها : لا تعجبي به حتى أعرضه على أهلك أبي إسحاق ؛ فقلت له : والله ما في معرفة الوزير ، أعزه الله ، به ولا غيره من الصنائع مطعن ، وإنه لأصح العالم تمييزاً وأثقبه فطنةً ، وما أعجبه إلا وهو صحيح حسن ؛ فقال : إن كنت كما تقول أيضاً ، فإن أهل كل صناعة يمارسونها أفهم بها ممن يعلمها عن عرض من غير ممارسة ، ولو كنا في هذه الصناعة متساوين لكان الاستظهارُ برأيك أجود ، لأن ميلي إلى صناعة الصوت ربما حسن عندي ما ليس بالحسن ، وإنما يتم سروري به بعد سماعك إياه واستحسانك له على الحقيقة ؛ فمضيت فوجدت ستارة منصوبة وأمرأ قد تقدم فيه قبلي ؛ فجلست فسلمت على الجارية ، وقلت لها : تغنيني الصوت الذي ذكره لي الوزير أعزه الله ؛ فقالت : إن الوزير قال لي : إن استجاده فعرفني ليم سروري به ، وإلا فاطو الخبر عني لئلا تزول رتبته عندي ؛ فقلت : هاتيه حتى أسمعها ؛ فغنت تقول : [من الكامل]

نفسى أكنت عليك مدعياً أم حين أزمع بينهم خنت
إن كنت هائمة بذكرهم فعلى فراقهم ألا حمت¹

قال : فأحسنت والله وما قصرت ، فاستعدته لأطلب فيه موضعاً لأصلحه² فيكون لي فيه معنى فما وجدت ؛ قلت : أحسنت والله يا بنية ما شئت ؛ ثم عدت إلى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أن كثيراً من حذاق المغنين لا يحسنون أن يصنعوا مثله ، ولقد استعدته لأرى فيه موضعاً يكون لي فيه عمل فما وجدت ؛ فقال : وصفك لها من أجله يقوم مقام تعليمك إياها ، فقد والله سررتني وسأسرك ، فلما انصرفت أتبعني بخمسين ألف درهم . [قصته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد]

حدثني عمي وابن المَرْزبان قالا حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله السلمي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق ، ولم يقل عن أبيه ، قال : والله إني لفي منزلي ذات يوم وأنا مفكر في الركوب مرة وفي القعود مرة ، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم للرشيد يأمرني بالحضور من وقتي ، فركبت وصرت إليه ؛ فقال لي : اجلس يا إبراهيم حتى أريك عجباً ، فجلست ؛ فقال : علي بالأعرابية وابتها ؛ فأخرجت إلي أعرابية ومعها بنية لها عشر أو أرجح ؛ فقال : يا إبراهيم ، إن هذه الصبية تقول الشعر ؛ فقلت لأمرها : ما يقول أمير المؤمنين ؟ فقالت :

1 حمت في ل : مت .

2 ل : أصلحه .

هي هذه قدامك فسألها ؛ فقلت : يا حبيبة ، أتقولين الشعر ؟ فقلت نعم ؛ فقلت : أنشدني بعض ما قلت ؛ فأنشدتني :

صوت

تقول لأتراب لها وهي تَمْتَرِي دموعاً على الخدين من شدة الوجد¹
أكل فتاة لا محالة نازل بها مثل ما بي أم بليت به وحدي
براني له حب تنشب في الحشا فلم يبق من جسمي سوى العظم والجلد
وجدت الهوى حلواً لذيداً بديته وآخره مر لصاحبه مُردي²
قال الشبي³ في خبره : قال إسحاق : وكان أبي حاضراً ، فقال : والله لا تبرح يا أمير المؤمنين أو نصنع في هذه الأبيات لحناً ؛ فصعْتُ فيها أنا وأبي وجميع من حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما برحت حتى صنعتُ فيه لحناً وتغنيتُ به وهي حاضرة تسمع . قال ابن المرزبان في خبره ، ولم يذكره عمي ، : فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد أحسن رواية ما قلت ، أفأذن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه ؟ قال : افعلي ؛ فقلت⁴ : [من مجزوء الرمل]

صوت

ما لإبراهيم في العلـم بهذا الشأن ثاني
إنما عُمرُ أبي إسـحاق زين للزمان
منه يُجنى ثمرُ اللـهـ ووريجان الجنان
جنة الدنيا أبو إسـحاق في كل مكان

قال : فأمر لها الرشيد بجائزة ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، فوهبتُ لها شطرها .
اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الاعرابية ثقیلٌ أول بالوسطى . وفيه لعلويه ثاني ثقیل .
وأما الشعر الثاني فهو لابن سيابة لا يُشك فيه . وإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقیل .
[الرشيد يجيز المغنين ويغضب على علويه]

أخبرني محمد بن مزید عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كنت أخذت بالمدينة من مجنون بها هذا الصوت ، وعنيته الرشيد وقلت :

1 تمترى دموعاً : تستدرها .

2 بديء الشيء : أوله .

3 الشبي : عمر بن شبة .

4 تقدّم هذا الشعر منسوباً لابن سيابة ، ص 112 .

صوت

[من البسيط]

هما فتاتان لما تعرفا خلقي وبالشباب على شبيبي تدلان
 رأيت عرسي لما ضممتي كيري وشيخت أزمعتا صرمني وهجراني
 كلُّ الفعّال الذي يفعلنه حسنٌ يُصْبي فؤادي ويُنْدي سِرَّ أشْجاني
 بل احذرا صولةً من صول شيخكما مهلاً على الشيخ مهلاً يا فتاتان

فطرب وأمر لي بطبّية كانت مُلقاةً بين يديه ، فيها ألف دينار مسيقة¹ ؛ وكان ابن جامع حاضراً ، فقال : اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين ، وكان أشدَّ خلق الله حسداً ، فغناه :

صوت

ولقد قالت لأتراب لها كالمها يلعبن في حُجرتها
 خُذْن عني الظلَّ لا يتبعني ومضت سعيّاً إلى قبتها²
 فطرب وشرب ، وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تبعه محمد بن حمزة وجه القرعة فغنى :

صوت

يَمْشُونُ فيها بكلِّ سابغةٍ أحكم فيها القتيّر والحلق³
 يُعرفُ إنصافهم إذا شهدوا وصبرهم حين تشخص الحدق
 فاستحسنه وشرب عليه ، وأمر له بخمسمائة دينار . ثم غنى عليه :

صوت

يَجْحَدُنْ دُنْيِي بالنّهار وأقتضي دُنْيِي إذا وَقَدَ النّعاسُ الرُّقْدَا⁴
 وأرى الغواني لا يُواصلنَ امرأ فَقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلنَ الأمردَا
 فدعا به الرشيد وقال له : يا عاضَّ بظُرٍ أمّه ! أَتَغْنِي في مدح المُرْدِ وذمّ الشّيبِ وسِتارتي منصوبة وقد شَيْتُ وكأنك تعرّض بي ؟ ثم دعا مسروراً فأمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين

1 الدينار المسيف : الذي جوانبه نقيّة من النقش . والطبّية : الجراب .

2 ديوان عمر : 75 وفيه «تسعى إلى قبتها» .

3 القتيّر : رؤوس المسامير في الدرع .

4 وقده النعاس : غلبه .

دِرَّةً وَيُخْرِجُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ففعل ؛ وما انتفعنا به بقيَّة يومنا ولا انتفع بنفسه ، وجفا علويه شهراً ، ثم سألناه فيه فأذن له ؛ ولهذا الأغاني نسب قد ذكرت في موضعها .

قال أبو الفرج لإبراهيم أخباراً مع خنث المعروفة بذات الخال ، وكان يهواها ، جعلتها في موضع آخر من هذا الكتاب ، لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها في غمار أخباره . وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره ؛ وقد شرطت أن الشيء من أخبار الشعراء والمغنين إذا كانت هذه سبيله أفردته ، لئلا يقطع بين القرائن والنظائر مما تضاف إليه وتدخل فيه .

[مرضه وزيارة الرشيد له]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاق الموصلي يقول : لما دخلتُ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدَّ أمر القولنج على أبي ولزمه ، وكان يعتاده أحياناً ، فقعده في الأبرزن عن خدمة الخليفة وعن نوبته في داره ؛ فقال في ذلك :

صوت

مَلَّ والله طيبِي من مُقاساة الذي بي
سوف أنعى عن قريب لعدوٍّ وحييب

وغنى فيه لحناً من الرَّمَل ، فكان آخر شعرٍ قاله وآخر لحنٍ صنعه .

أخبرني الصُّولي عن محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق عن أبيه : أن الرشيد ركب حمراً ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأبرزن جالس ، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر :

سَقِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ وَأَسْلَمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ

فقال الرشيد : إنا لله ، وخرج ، فلم يبعد حتى سمع الواعية¹ عليه .

[وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال : مات إبراهيم الموصلي سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات في ذلك اليوم الكِسائيّ النحويّ والعبّاس بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخَمَّارة ، فرفع ذلك إلى الرشيد ، فأمر المأمون أن يصلي عليهم ، فخرج فصُفوا بين يديه ؛ فقال : مَنْ هذا الأوَّل ؟ قيل : إبراهيم ؛ فقال : أخروه وقدموا العبّاس بن الأحنف ، فقدم

فصَلَّى عليهم ؛ فلَمَّا فرغ وانصرف ، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعي فقال : يا سيدي ، كيف آثرتَ العباسَ بالتَّقدمة على مَنْ حضر ؟ قال : لقوله¹ : [من الكامل]

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها لهي التي تشقى بها وتُكابِدُ²
فجحدتهم ليكونَ غيرَكَ ظنهم إني لُيعجبي المحبَّ الجاحدُ

ثم قال : أتَحفظها ؟ قلت نعم ؛ فقال : أنشدني باقيها ؛ فأنشدته : [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ سَدَّ طَرِيقَهُ عَنِّي وَعَذَّبَنِي الظَّلامُ الرَّاكِدُ
وَالنَّجْمُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحِيرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ
نَادَيْتُ مَنْ طَرَدَ الرُّقَادَ بِصَدِّهِ عَمَّا أَعَالَجَ وَهُوَ خَلَوُ هَاجِدُ
يَا ذَا الَّذِي صَدَعَ الْفَوَادَ بِهِجْرِهِ أَنْتَ الْبَلَاءُ طَرِيفُهُ وَالتَّالِدُ
أَلْقَيْتَ بَيْنَ جَفُونِ عَيْنِي حُرْقَةً فَأَلَى مَتَى أَنَا سَاهِرٌ يَا رَاقِدُ

فقال المأمون : أليس مَنْ قال هذا الشعر حقيقةً بالتَّقدمة ؟ فقلت : بلى والله يا سيدي .

[بكاء برصوما الزامر عليه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال : قال لي برصوما الزامر : أما في حقِّي وخدمتي وميلى إليكم وشكري لكم ما أستوجبُ به أن تهَبَ لي يوماً من عُمرِكَ تَفعل فيه ما أريد ولا تخالفني في شيء ؟ فقلت : بلى ووعدته بيوم ؛ فأتاني فقال : مرُّ لي بخِلعة ، ففعلتُ وجعلتُ فيها جَبَّةً وشِي ؛ فلبسها ظاهرةً وقال : امضِ بنا إلى المجلس الذي كنتُ آتي أباك فيه ؛ فمضينا جميعاً إليه وقد خَلَقْتُهُ وَطَيْتُهُ ؛ فلَمَّا صار على باب المجلس رَمَى بنفسه إلى الأرض فتمرَّغ في التراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوحُ في زَمَرِهِ ويدور في المجلس ويقبل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويكي ويَزِمُرُ حَتَّى قَضَى من ذلك وطراً ، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقَّها ، وجعلتُ أُسْكُتَهُ وأبكي معه ، فما سَكَنَ إلَّا بعد حين ، ثم دعا بثيابه فلبسها وقال : إنَّما سألتُكَ أَنْ تَخْلَعَ عليّ لثلاً يقال : إنَّ برصوما إنَّما خرَّقَ ثيابه لِيُخْلَعَ عليه ما هو خير منها ؛ ثم قال : امضِ بنا إلى منزلك فقد اشتفيتُ ممَّا أردت ؛ فعدتُ إلى منزلي وأقام عندي يومه ، وانصرف بخِلعة مجدَّدة .

1 ديوان العباس بن الأحنف : 102 .

2 «وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها» في الديوان : «سَمَّاكَ لي قوم وقالوا إنها» .

[المراثي التي قيلت فيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني القاسم بن يزيد قال : لما مات إبراهيم الموصلي دخلت على إبراهيم بن المهدي وهو يشرب وجواريه يُغنين ، فذكرنا إبراهيم الموصلي وحذقه وتقدمه ، فأفضنا في ذلك وإبراهيم مطروق ، فلما طال كلامنا وقال كل واحد منا مثل ما قاله صاحبه ، اندفع إبراهيم بن المهدي يُغني في شعر لابن سيابة يرثي به إبراهيم ، ويقال : إن الأبيات لأبي الأسد :

تولّى الموصلي فقد تولّت	بشاشات المزاهر والقيان
وأيّ بشاشة بقيت فتبقى	حياة الموصلي على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهي	وتسعدهن عاتقه الدنان
وتبكيه الغويّة إذ تولّى	ولا تبكيه تالية القرآن ¹

قال : فأبكي من حضر ؛ وقلت أنا في نفسي : أفتراه هو إذا مات من يبكيه : المحراب أم المصحف ؟! قال : وكان كالشامت بموته .

أخبرني يحيى بن عليّ قال قال أنشدني حماد قال : أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه ، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته :

أقول له لما وقفت بقبره	عليك سلام الله يا صاحب القبر
أيّا قبر إبراهيم حبيّت حفرة	ولا زلت تُسقى الغيث من سبل القطر ²
لقد عزّني وجدي عليك فلم يدع	لقلبي نصيباً من عزاء ولا صبر ³
وقد كنت أبكي من فراقك ليلة	فكيف وقد صار الفراق إلى الحشر

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي الملقب بوسوسة قال : أنشدني حماد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصلي :

سلام على القبر الذي لا يُجيبنا	ونحن نحیی تُرّبه ونخاطبه
ستبكيه أشراف الملوك إذا رأوا	محلّ التصابي قد خلا منه جانبه
ويبكيه أهل الظرف طراً كما بكى	عليه أمير المؤمنين وحاجبه

1 القرآن : القرآن .

2 سبل القطر : ما سال من المطر .

3 عزّني : غلبني .

ولما بدا لي اليأسُ منه وأنزفت
عيونُ بواكيه وملّت نواذبهُ
وصار شفاءُ النفس من بعض ما بها
إفاضة دمع تستهلّ سواكبهُ
جعلتُ على عينيّ للصبح عبْرَةً
ولليلٍ أُخرى ما بدتُ لي كواكبهُ
قال : وأنشدني أيضاً حمّاد لأبيه يرثي أباه :

[من الطويل]

عليك سلامُ الله من قبرٍ فاجع
وجادك من نوء السّماكين وابلُ
هلَ أنتَ مُحَيّي القبرِ أم أنتَ سائلُ
وكيف تُحيّا تربةً وجنادلُ
أظُلُّ كَأَنِّي لم تُصنني مصيبةٌ
وفي الصّدْر من وجَدٍ عليك بلايلُ
وهوّنَ عندي فَقْدَهُ أَنَّ شخصه
على كلّ حال بين عينيّ مائلُ

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال أنشدني إبراهيم بن عليّ بن هشام
لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ :

[من الخفيف]

أصبح اللّهُو تحت عَفْرِ الترابِ
ثاويّاً في مَحَلّة الأَحبابِ
إذ ثوى الموصليّ فانقرض اللّهُ
و بخير الإخوان والأصحابِ
بكت المُسمِعاتُ حُزناً عليه
وبكاه الهوى وصَفُو الشرابِ
وبكتُ آلهُ المجالسِ حتّى
رحم العودُ دَمعة المضربِ

[لن تفقد من أهلك إلا شخصه]

أخبرني محمّد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال : دخلتُ إلى الرشيد بعقب وفاة أبي ،
وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلمّا جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دَمَعْتُ
عيني ، فكففتُها وتصبّرت ؛ ولحني الرشيد فدعاني إليه وأداني منه ، فقَبَلْتُ يَدَهُ ورجلَهُ والأرضَ
بين يديه ، فاستعبر ، وكان رقيقاً ؛ فوثبت قائماً ثم قلت :

[من الخفيف]

في بقاء الخليفة الميمون
خَلَفَ من مُصيبة الحزورِ
لا يَضيّر المصابَ رُزْءٌ إذا ما
كان ذا مَفْزَعٍ إلى هارونِ

فقال لي : كذاكَ واللّهُ هو ، ولن تَفْقِدَ من أهلك ما دمتُ حيّاً إلا شخصه ؛ وأمر بإضافة رزقه
إلى رزقي ؛ فقلت : بل يأمر أمير المؤمنين به إلى ولده ، ففي خدمتي إياه ما يُغنيني ؛ فقال : اجعلوا
رزق إبراهيم لولده وأضعفوا رزق إسحاق .

صوت من المائة المختارة

[من المنسرح]

يَا دَارَ سُعْدَى بِالْجِرْعِ مِنْ مَلَلٍ حُيِّتَ مِنْ دِمْنَةٍ وَمِنْ طَلَلٍ¹
إِنِّي إِذَا مَا الْبَخِيلُ أَمَّنَّهَا بَاتَتْ ضُمُوزًا مَنِّي عَلَى وَجَلٍ²
لَا أُمْتِعَ الْعُودَ بِالْفُصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

العود : الإبل التي قد نُتِجَتْ ، وأحدثتها عائد . يقول : أَنَحْرُهَا وَأَوْلَادُهَا لِلْأَضْيَافِ فَلَا أُمْتِعُهَا ، وَالضُّمُوزُ : الْمَمْسُكَةُ عَنْ أَنْ تَجْتَرَّ . ضَمَرَ الْجَمْلُ بِجَرَّتِهِ إِذَا أُمْسِكَ عَنْهَا ، وَدَسَعَ بِهَا إِذَا اسْتَعْمَلَهَا . يقول : فَهَذِهِ النَّاقَةُ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهَا عَلَى نَفْسِهَا مِمَّا رَأَتْ مِنْ نَحْرٍ نَظَائِرُهَا قَدْ امْتَنَعَتْ مِنْ جَرَّتِهَا فَهِيَ ضَامِرَةٌ .

الشعر لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لمرزوق الصراف³ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لِيَحْيَى بْنِ وَاصِلٍ . وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّ فِيهِ لِدَحْمَانَ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ ، وَأَنَّ فِيهِ لَابْنَ مُحَرِّزٍ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْبَنْصَرِ فِي الثَّالِثِ ثُمَّ الثَّانِي ، وَوَافَقَهُ ابْنُ الْمَكِيِّ . قَالَ : وَفِيهِ لِدَحْمَانَ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى فِي الْأَوَّلِ وَالثَّالِثِ ؛ وَذَكَرَ الْهَيْشَامِيُّ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ بَعَيْنُهُ لِيُونُسَ وَأَنَّ الثَّقِيلَ الثَّانِي لِإِبْرَاهِيمَ ، وَأَنَّ لِمُعْبَدٍ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى ، وَأَنَّ فِيهِ لِلْهُذَلِيِّ خَفِيفَ ثَقِيلٍ ، وَأَنَّ فِيهِ رَمَلًا يَنْسَبُ إِلَى ابْنِ مُحَرِّزٍ أَيْضًا .

1 ديوان ابن هرمة : 182-183 . ملل : منزل على طريق المدينة إلى مكة .

2 ناقة ضموز : تضمّ فاهها لا تسمع لها رغاء .

3 ل : الضراب .

[70] - شيء من ذكر ابن هرمة أيضاً¹

[جوده أفنى ماله]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهرّي ونوفل بن ميمون عن يحيى بن عروة بن أذينة قال² : خرجت في حاجة لي ، فلمّا كنت بالسّيالة³ وقفت على منزل إبراهيم بن عليّ بن هرمة ، فصاحت : يا أبا إسحاق ، فأجابني ابنته : من هذا ؟ فقلت : انظري ، فخرجت إليّ فقلت : أعلمني أبا إسحاق ؛ فقالت : خرج والله آنفاً ؛ قال : فقلت : هل من قرى ؟ فإنّي مقوم من الزاد ؛ قالت : لا والله ، ما صادفته حاضراً ؛ قلت : فأين قول أبيك :

لا أمتنع العود بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

قالت : بذاك والله أفناها ، أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية بمثل هذا الخبر سواء ، وزاد فيه : قال : فأخبرت إبراهيم بن هرمة بقولها ، فضمّها إليه وقال : يا بني أنت وأمي ! أنت والله ابنتي حقاً ، الدار والمزرعة لك .

[نهب غنمه الناس وكان بخيلاً]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني مرقع قال : كنت مع ابن هرمة في سقيفة أم أذينة ، فجاءه راع بقطعة⁴ من غنم يشاوره فيما يبيع منها ، وكان قد أمره ببيع بعضها ؛ قال مرقع : فقلت : يا أبا إسحاق ، أين عزب عنك قولك ؟

لا غنمي مدّ في الحياة لها إلا لذرك القرى ولا إيلي
وقولك فيها أيضاً :

[من المنسرح]

لا أمتنع العود بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

1 لإبراهيم بن هرمة ترجمة في الخزائن 1 : 424-426 والشعر والشعراء 639-640 والسمط : 398 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وطبقات ابن المعتز : 20 والموشح : 223 .

2 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 199 .

3 السّيالة : أوّل مرحلة للذهاب من المدينة إلى مكة .

4 ل : بقطيعة .

فقال لي : مالك أخزأك الله ؟ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئاً فَهُوَ لَهُ ؛ فَانْتَهَبْنَاهَا حَتَّى وَقَفَ الرَّاعِي وَمَا مَعَهُ مِنْهَا شَيْءٌ .

وَحَدَّثَنَا بِهَذَا الْخَبَرَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ ابْنَ هَرَمَةَ كَانَ اشْتَرَى غَنَمًا لِلرَّيْحِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَاتِلُ : [من المنسرح]

لَا غَنَمِي مُدَّ فِي الْحَيَاةِ لَهَا إِلَّا لَدَرْكِ الْقَرَى وَلَا لِإِبِلِي

قال : نعم ؛ قال : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْسَبُكَ تَدْفِعُ عَنْ هَذِهِ الْغَنَمِ الْمَكْرُوهَ بِنَفْسِكَ ، وَإِنَّكَ لَكَاذِبٌ ؛ فَأَحْفَظْهُ ذَلِكَ فَصَاحَ : مَنْ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئاً فَهُوَ لَهُ ؛ فَانْتَهَبَهَا النَّاسُ جَمِيعاً ؛ وَكَانَ ابْنُ هَرَمَةَ أَحَدَ الْبُخْلَاءِ .

[أَوَّلُ شَعْرٍ قَالَهُ ابْنُ هَرَمَةَ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي نُوْفَلُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ حَدَّثَنِي زُفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِهْرِيُّ : أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَوَّلُ شَعْرٍ قَالَهُ ابْنُ هَرَمَةَ .

[مَزِيدٌ يَسْخَرُ مِنْ كَرَمِهِ]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ قَرَأْتُ عَلَى أَبِي : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَزْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ¹ : سَمِعْتُ مَزِيدَ قَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :

[من المنسرح]

لَا أُتَمِّعُ الْعُودَ بِالْفَصَالِ وَلَا أُتْبَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

قال : صَدَقَ ابْنُ الْخَبِيثَةِ ، إِنَّمَا كَانَ يَشْتَرِي الشَّاةَ لِلأَضْحَى فَيَذْبُحُهَا مِنْ سَاعَتِهِ .

[يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ]

أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اجْتَمَعَ قَوْمٌ مِنْ قَرِيشٍ أَنَا فِيهِمْ ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَأْتِيَ ابْنَ هَرَمَةَ فَنَعْبَثَ بِهِ ، فَتَزَوَّدْنَا زَاداً كَثِيراً ثُمَّ أَتَيْنَاهُ لِنَقِيمَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقُلْنَا : سَمِعْنَا شَعْرَكَ فَدَعَانَا إِلَيْكَ لَمَّا سَمِعْنَاكَ قُلْتَ :

[من الكامل]

إِنَّ امْرَأً جَعَلَ الطَّرِيقَ لِبَيْتِهِ طُنباً وَأَنْكَرَ حَقَّهُ لِلثِّيمِ

وسمعناك تقول :

[من الكامل]

وَإِذَا تَنَوَّرَ طَارِقٌ مُسْتَنْبِحٌ نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَيَّ كِلَابِي

وَعَوَيْنَ يَسْتَعْجِلْنَهُ فَلَقَيْنَهُ يَضْرِبْنَهُ بِشَرَّاشِرِ الْأَذْنَابِ¹

وسمعناك تقول :

كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَّاتُ مَنْحَرَهَا بِمُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبِ أَوْ جَمَلٍ
لَا أُمْتَعَ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

قال : فنظر إلينا طويلاً ثم قال : ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولاً ولا أسخف ديناً منكم ؛ فقلنا له : يا عدو الله يا دعي ، أتيناك زائرين وتسمعنا هذا الكلام ؟ ؛ فقال : أما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أفخبركم الله أنني أقول ما لا أفعل وتريدون مني أن أفعل ما أقول ؟ قال فضحكنا منه وأخرجناه معنا ، فأقام عندنا في نزھتنا يشركنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة .

[إعجاب الأصمعي به]

أخبرنا عمي قال حدثني محمد بن سعيد الكُراني عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال : الحكم الخُضري ، وابن ميادة ، ورؤبة ، وابن هرمة ، وطُفيل الكِناني ، ومكين العُدري ، كانوا على ساقاة² الشعراء ، وتقدمهم ابن هرمة بقوله : [من المنسرح]

لَا أُمْتَعَ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

قال عبد الرحمن : وكان عمي مُعجَباً بهذا البيت مُستحسناً له ، وكان كثيراً ما يقول : أما تَرَوْنَ كيف قال ؟ والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً ؛ ثم يقول : ما يؤخره عن الفحول إلا قُربُ عهده . انتهى .

[تفضيل مروان بن أبي حفصة له]

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى ووَكيع عن حماد عن أبيه قال : قلت لمروان بن أبي حفصة : مَنْ أشعر المُحدثين من طبقتكم عندك ؟ لا أعنيك ؛ قال : الذي يقول : [من المنسرح]

لَا أُمْتَعَ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

[يصر على أن يؤتى بغريمه مربوطاً]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن أبي حذافة قال : لما قال ابن هرمة :

1 شراشر الأذنان : أطرافها .

2 ساقاة الشعراء : مؤخرتهم .

لا أمتع العودَ بالفِصال ولا أتباع إلا قربةً الأجل

قال ابن الكوسج مولى آل حنين يجيبه : [من المنسرح]

ما يشربُ الباردَ القراحَ ولا يذبح من جفرةٍ ولا حمل

كأنه قيردةٌ يلاعِبُها قرذٌ بأعلى الهضاب من ملل

قال : فقال ابن هرمة : لكن لم أوت به مربوطاً لأفعلنَ بآل حنين ولا أفعلنَ ؛ فوهبوا لابن الكوسج مائة درهم وربطوه وأتوا به ابن هرمة فأطلقه ؛ فقال ابن الكوسج : والله لئن عاد لمثلها لأعودن¹ .

[إبراهيم يعلم مخارقاً لحناً يتفوق به على ابن جامع]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال : كنا عند الرشيد في بعض أيامنا ومغنا ابن جامع ، فغناه ابن جامع ونحن يومئذ بالرقّة :

هاج شوقاً فراقك الأحبابا فتناسيت أو نسيّت الرّبابا

حين صاح الغرابُ بالبين منهم فتصاممت إذ سمعت الغرابا

لو علمنا أنّ الفراق وشيكٌ ما انتهينا حتى نزور القبابا

أو علمنا حين استقلت نواهم ما أقمنا حتى نزم الرّكابا

الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً ثقيلٌ أوّلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكرت دنائيرُ عن فليح أنّ فيه لابن سريج وابن مُحَرِّزَ لَحْنَيْنِ . قال : فاستحسنه الرشيد وأعجب به واستعاده مراراً وشرب عليه أرتالاً حتى سكر ، وما سمع غيره ولا أقبل على أحد ، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار ؛ فلما انصرفنا قال لي إبراهيم : لا ترم² منزلك حتى أصير إليك ؛ فصرت إلى منزلي ، فلم أغير ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته ، فتلقّيته في دهليزي ، فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي : يا مُخَارِقُ ، أنت فسيلة³ مني وحسني لك وقبيحي عليك ، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد ، وقد صنعتُ صوتاً على طريقة صوته الذي غناه أحسنَ صنعةً منه وأجود وأشجى ، وإنما يغلبني عند هذا الرجل بصوته ، ولا مطّعن على صوتك ، وإذا أطربته وغلبته

1 إلى هنا انتهى أبو الفرج من أخبار ابن هرمة وعاد إلى إبراهيم الموصلي .

2 لا ترم مكانك : لا تبرحه .

3 فسيلة : شتلة .

عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي مقام الظَّفَر ؛ وسيُصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابنَ جامع فيردّ الصوت الذي غناه ويشرب عليه رطلاً ويأمر له بجائزة ، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ رَدّته حتى تُغني ما أعلمك إياه الساعة ، فإنه يُقبل عليك ويصلك ، ولست أبالي ألا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك ؛ فقلت : السمع والطاعة ؛ فألقى عليّ لحنه :

يا دارَ سُعدى بالجِزْع من مَلَلٍ حيثِ من دمنية ومن طللٍ

وردّده حتى أخذته وانصرف ؛ ثم بكرّ عليّ فاستعاد الصوت فردّدتُه حتى رَضِيه ، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صرنا إلى دار الرشيد ؛ فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً ، وكان إبراهيم أعلم الناس به ، ثم أمر ابنَ جامع فردّ الصوت ودعا برطل فشربه ، ولما استوفاه واستوفى ابن جامع صوته لم أدعه يتنفّس حتى اندفعتُ فغنيّت صوت إبراهيم ، فلم يزل يُصغي إليه وهو باهتٌ حتى استوفيته ؛ فشرب وقال : أحسنت والله ، لمن هذا الصوت ؟ فقلت : لإبراهيم ؛ فلم يزل يستدنيني حتى صرتُ قدامَ سريره ، وجعل يستعيد الصوت فأعيده ويشرب عليه رطلاً ، فأمر لإبراهيم بجائزة سنّية وأمر لي بمثلها ؛ وجعل ابنُ جامع يشغّب ويقول : يجيء بالغناء فيُدسّه في أُستاه الصبيان ، إن كان محسناً فليُغنّه هو ، والرشيد يقول له : دع ذا عنك ، فقد والله استقاد منك وزاد عليك .

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

تَوَلَّى شَبَابُكَ إِلَّا قَلِيلاً وحلّ المَشِيبُ فصبراً جميلاً

كفى حَزْناً بِفِرَاقِ الصَّبَا وإنْ أصبح الشَّيبُ منه بديلاً

الشعر والغناء لإسحاق . ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن

عمرو .

[71] - أخبار إسحاق بن إبراهيم¹

[نسبه]

قد مضى نسبه مشروحاً في نسب أبيه ؛ ويكنى أبا محمد ، وكان الرشيد يولع به فيكنيه أبا صفوان ، وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب مَرَحاً .

[منزلته في العلوم وتقدير الخلفاء له]

وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحلّه من الرواية ، وتقدمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المحاسن ، أشهر من أن يُدَلَّ عليه فيها بوصف ؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يُوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يُحسّنه ؛ فإنه كان له في سائر أدواته نظراً وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير ؛ فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقي ، ولحب² للناس جميعاً طريقه فأوضحها ، وسهل عليهم سبيله وأثارها ؛ فهو إمام أهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ومعلمهم ؛ يعرف ذلك منه الخاص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق ؛ على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدّهم بغضاً لأن يدعى إليه أو يُسمّى به . وكان يقول : لوددت أن أضرب كلما أراد مريد مني أن أغني وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغني ، عشر مقارع ، لا أطيع أكثر من ذلك ، وأغني من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه . وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على السنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليت القضاء بحضرتي ، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة .

[شيوخه]

وقد روى الحديث ولقي أهله : مثل مالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وهشيم بن بشير ، وإبراهيم بن سعد ، وأبي معاوية الضري ، وروح بن عبادة ، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته الغناء أضنّ خلق الله وأشدّهم بخلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغلمانهم ومن يأخذ عنه منتسباً إليه متعصباً له فضلاً عن غيرهم .

1 ترجمة إسحاق الموصلي في معجم الأدباء (تحقيق إحسان عباس) : 594-616 ووفيات الأعيان 1 :

202-205 وتاريخ بغداد 6 : 338 وتهذيب ابن عساكر 2 : 414 ونزهة الألباء : 116 ونور القبس :

316 وطبقات ابن المعتز : 260 وفي التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلت عن الأغاني .

2 لحب الطريق : سلكها وأوضحها .

[صَحَّحَ أَجْنَاسَ الْغَنَاءِ بِطَبْعِهِ]

وهو الذي صَحَّحَ أَجْنَاسَ الْغَنَاءِ وَطَرَائِقَهُ وَمَيَّزَهُ تَمَيِّزاً لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا تَعَلَّقَ بِهِ أَحَدٌ بَعْدَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدِيماً مُمَيَّزاً عَلَى هَذَا الْجِنْسِ ، إِنَّمَا كَانَ يُقَالُ الثَّقِيلُ ، وَثَقِيلُ الثَّقِيلِ ، وَالْخَفِيفُ ، وَخَفِيفُ الْخَفِيفِ . وَهَذَا عَمَرُو بْنُ بَانَةَ ، وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِهِ ، يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : الرَّمْلُ الْأَوَّلُ ، وَالرَّمْلُ الثَّانِي ؛ ثُمَّ لَا يَزِيدُ فِي ذِكْرِ الْأَصَابِعِ عَلَى الْوَسْطَى وَالْبَنْصَرِ ، وَلَا يَعْرِفُ الْمَجَارِيَّ الَّتِي ذَكَرَهَا إِسْحَاقُ فِي كِتَابِهِ ، مِثْلَ مَا مَيَّزَ الْأَجْنَاسَ ، فَجَعَلَ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ أَصْنَافاً ، فَبَدَأَ فِيهِ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، ثُمَّ تَلَاهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا ، ثُمَّ بِمَا كَانَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، ثُمَّ فَعَلَ هَذَا بِمَا كَانَ مِنْهُ بِالْوَسْطَى عَلَى هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ ؛ ثُمَّ جَعَلَ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ صَنِيفَيْنِ ، الصَّنِيفَ الْأَوَّلَ مِنْهُمَا هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَالصَّنِيفَ الثَّانِي الْقَدْرَ الْأَوْسَطَ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ ، وَأَجْرَاهُ الْمَجْرَى الَّذِي تَقَدَّمَ مِنْ تَمَيِّيزِ الْأَصَابِعِ وَالْمَجَارِي ، وَالْحَقُّ جَمِيعَ الطَّرَائِقِ وَالْأَجْنَاسِ بِذَلِكَ وَأَجْرَاهَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ . ثُمَّ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِفَهْمِ ذَلِكَ أَحَدٌ بَعْدَهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ يُصَنِّفَهُ فِي كِتَابِهِ ؛ فَقَدْ أَلَّفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُغَنِّينَ كُتُباً ، مِنْهُمْ يَحْيَى الْمَكِّيُّ ، وَكَانَ شَيْخَ الْجَمَاعَةِ وَأُسْتَاذَهُمْ ، وَكُلُّهُمْ كَانَ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُ عَنْهُ غَنَاءَ الْحِجَازِ ، وَلَهُ صُنْعَةٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ ، وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ وَابْنُ جَامِعٍ يَضْطَرَّانِ إِلَى الْأَخْذِ عَنْهُ ، أَلَّفَ كِتَاباً جَمَعَ فِيهِ الْغَنَاءَ الْقَدِيمَ ، وَالْحَقُّ فِيهِ ابْنُهُ الْغَنَاءَ الْمُحَدَّثَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِهِ ، فَأَتَى فِيهِ فِي أَمْرِ الْأَصَابِعِ بِتَخْلِيْطٍ عَظِيمٍ ، حَتَّى جَعَلَ أَكْثَرَ مَا جَنَسَاهُ مِنْ ذَلِكَ مُخْتَلِطاً فَاسِداً ، وَجَعَلَ بَعْضُهُ ، فِيمَا زَعَمُوا ، تَشْتَرِكُ الْأَصَابِعُ كُلُّهَا فِيهِ ؛ وَهَذَا مُحَالٌ ؛ وَلَوْ اشْتَرَكْتَ الْأَصَابِعَ لَمَا احتِجَّ إِلَى تَمَيِّيزِ الْأَغَانِي وَتَصْيِيرِهَا مَقْسُومَةً عَلَى صَنِيفَيْنِ : الْوَسْطَى وَالْبَنْصَرِ . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا طَوِيلٌ لَيْسَ مَوْضِعُهُ هَاهُنَا ؛ وَقَدْ ذَكَرْتَهُ [فِي رِسَالَةِ عَمَلِهَا لِبَعْضِ إِخْوَانِي]¹ مِمَّنْ سَأَلَنِي شَرْحَ هَذَا ، فَأَثْبَتَهُ وَاسْتَقْصَيْتُهُ اسْتَقْصَاءً يُسْتَعْنَى بِهِ عَنْ غَيْرِهِ . وَهَذَا كُلُّهُ فَعَلَهُ إِسْحَاقُ وَاسْتَخْرَجَهُ بِتَمَيِّيزِهِ ، حَتَّى أَتَى عَلَى كُلِّ مَا رَسَمْتَهُ الْأَوَائِلُ مِثْلَ إِقْلِيدِسَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَوْسِيقَى ، وَوَأَفْقَهُمْ بِطَبْعِهِ وَذَهَنِهِ فِيمَا قَدْ أَفْنَوْا فِيهِ الدَّهَوْرَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأَ لَهُمْ كِتَاباً أَوْ يَعْرِفَهُ .

[بَيْنَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ وَإِسْحَاقَ الْمَصْعَبِيِّ]

فَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ ، فَسَأَلَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ ، أَوْ سَأَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُصْعَبٍ بِحَضْرَتِي ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ جَعَلُوا لِلْعُودِ وَتَرّاً خَامِساً لِلنَّغْمَةِ الْحَادَّةِ الَّتِي هِيَ الْعَاشِرَةُ عَلَى مَذْهَبِكَ ، أَيْنَ كُنْتَ تَخْرُجُ مِنْهُ ؟ فَبَقِيَ إِسْحَاقُ وَاجِماً سَاعَةً طَوِيلَةً مُفَكِّراً ،

واحمرت أذناه و كانتا عظيمتين ، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرتا وكثر ولوعه بهما ؛ فقال
 لمحمد بن الحسن : الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون بالضرب ، فإن كنت تضرب
 أريتك أين تخرج ! ؛ فخرج وسكت عنه مغضباً ، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا
 يحسن ، فحلم عنه . قال علي بن يحيى : فصار إليّ به وقال لي : يا أبا الحسن ، إن هذا الرجل
 سألني عما سمعت ، ولم يبلغ علمه أن يستنبط مثله بقريحته ، وإنما هو شيء قرأه من كتب
 الأوائل ، وقد بلغني أن الترجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى ، فإذا خرج إليك منها
 شيء فأعطنيه ؛ فوعده بذلك ، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها . وإنما ذكرت هذا بتمام
 أخباره كلها ومحاسنه وفضائله ، لأنه من أعجب شيء يؤثر عنه : أنه استخرج بطبعه علماً
 رسمته الأوائل لا يوصل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأول في الهندسة ثم ما بعده من
 الكتب الموضوعة في الموسيقى ، ثم تعلم ذلك وتوصل إليه واستنبطه بقريحته ، فوافق ما رسمه
 أولئك ، ولم يشذ عنه شيء يحتاج إليه منه ، وهو لم يقرأه ولا له مدخل إليه ولا عرفه ، ثم تبين
 بعد هذا ، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته ، فضله على أهلها كلهم وتميزه عنهم ،
 وكونه سماء هم أرضها ، وبحراً هم جداوله .
 [اسم أمه وجنسها]

وأم إسحاق امرأة من أهل الرّي يقال لها شاهك ؛ وذكر قوم أنها دُوشار التي كانت تُغني
 بالدُفّ ، فهويها إبراهيم وتزوجها . وهذا خطأ ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتاً ، وإسحاق
 وسائر ولد إبراهيم من شاهك هذه .
 [برنامج دراسته اليومي]

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال : بقيتُ دهرًا من دهر
 أغلس في كل يوم إلى هُشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكيسائي أو الفراء أو ابن غزالة فأقرأ عليه
 جزءاً من القرآن ، ثم آتي منصوراً زلزلاً فيضاربني طرقي¹ أو ثلاثة ، ثم آتي عاتكة بنت
 شهدة فأخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعي وأبا عبيدة فأنشدتهما وأحدتهما فاستفيد
 منهما ، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعتُ ومنّ لقيت وما أخذتُ وأتغدى معه ، فإذا كان
 العشاء رُحْتُ إلى أمير المؤمنين الرشيد .
 [تعلم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : أخذ مني
 منصور زلزل إلى أن تعلمتُ مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

[جاء إلى ابن عائشة فأكرمه]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فرحب به وقال : ها هنا يا أبا محمد إلى جنبي ، فلئن بعدت بيننا الأنساب ، لقد قربت بيننا الآداب .

[تقدير المأمون له]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال حدثنا ابن شبيب من جلساء المأمون عنه : أنه قال يوماً وإسحاق غائب عن مجلسه : لولا ما سبق على السنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لوكّيته القضاء ، فما أعرف مثله ثقةً وصدقاً وعفةً وفقهاً . هذا مع تحصيل المأمون وعقله ومعرفته .

[شهادة سفيان بن عيينة فيه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا الفضل بن العباس الوراق قال حدثنا المخرمي عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصلي يقول : صيرتُ إلى سفيان بن عيينة لأسمع منه ، فتعذر ذلك علي وصعب مرأته ، فرأيتُه عند الفضل بن الربيع ، فسألته أن يعرفه موضع من عنانيته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدم إليّ بحديثي ؛ ففعل وأوصاه بي فقال : إن أبا محمد من أهل العلم وحمّله . قال : فقلت : تفرّض لي عليه ما يحدثني به ؛ فسأله في ذلك ، ففرّض لي خمسة عشر حديثاً في كلّ مجلس ؛ فصيرتُ إليه فحدثني بما فرّض لي ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدثتني به ؟ قال : نعم ، وعقد بيده شيئاً ؛ قلت : أفأرويه عنك ؟ قال نعم وعقد بيده شيئاً آخر ، ثم قال : هذه خمسة وأربعون حديثاً ، وضحك إليّ وقال : قد سرّني ما رأيتُ من تفصّيك في الحديث وتشدّدك فيه على نفسك ، فصرّ إليّ متى شئتُ حتى أحدثك بما شئتُ .

[تقدير أبي معاوية الضرير له]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجمان وعون بن محمد الكندي قالوا : سمعنا إسحاق الموصلي يقول : جئتُ يوماً إلى أبي معاوية الضرير ومعى مائة حديث ، فوجدتُ حاجته يومئذ رجلاً ضريراً ؛ فقال لي : إن أبا معاوية قد ولّاني اليوم حجّيته لينفعني ؛ فقلت : معى مائة حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذا قرأتها ؛ فدخل واستأذن لي فدخلت ؛ فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأت ، وإنما جعلتُ لك مثل هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد وأمثاله فلا ؛ ثم أقبل عليّ يُرغّبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفه وعنايته به ؛ فقلت له : احتكم في أمره ، فقال : مائة دينار ؛ فأمرتُ بإحضارها الغلام ، وقرأتُ عليه ما أردتُ وانصرفت .

[ثناء ابن الأعرابي عليه]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد الأسدي قال حدثني أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب قال : وقف أبو عبد الله بن الأعرابي على المدائني ، فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر :

نَحْمِلُ أَشْبَاحَنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ
فقال له : وَمَنْ ذَلِكَ يا أبا عبد الله ؟ قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي . قال أبو بكر : والبيت لأبي تمام الطائي .

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثعلب محمد بن القاسم الأنباري فقال فيه : كان إسحاق يُجْري على ابن الأعرابي في كل سنة ثلثمائة دينار ، وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطه ؛ فمر ابن الأعرابي يوماً على باب دار الموصلي ومعه صديق له ؛ فقال له صديقه : هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق ؛ فقال : هذه دار الذي نأخذ من ماله ومن أدبه .

[جرير يورثه الشعر]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : رأيت في منامي كأن جريراً جالس يُنشد شعره وأنا أسمع منه ، فلما فرغ أخذ بيده كبة شعر فألقاها في فمي فابتلعها ؛ فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر . قال يزيد ابن محمد : وكذلك كان ، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه .

[تعلم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال : قال لي أبي : أعطيت منصوراً زلزلاً من مالي خاصة حتى تعلمت ضربته بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من الخلفاء ومن أبي . قال : وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوت ويفهمه بلاده أول ما يسمعه ، حتى لو ضرب هو وغلماؤه على صوت لم يعرفاه قبل لكان غلامه أقوى منه ؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق به أحد البتة .

[ثناء أبي زياد الكلابي عليه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به الأخفش عن الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق ، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب عن إسحاق قال : قال لي أبو زياد الكلابي : أولم جار لي يكنى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها ، فانتظرت رسوله حتى تصرم يومي فلم يأت ، فقلت لامرأتي :

[من الطويل]

إِنَّ أبا سفيان ليس بمولمٍ فقومي فهاتي فلقةً من حوارك¹
قال إسحاق : فقلت له : اليس غيرُ هذا ؟ فقال : لا ، إنما أرسلته يتيماً ؛ فقلت أفلا أُجيزه ؟
قال : شأنك ؛ فقلت له : [من الطويل]

فبيتك خيرٌ من بُيوتٍ كثيرةٍ وقدرك خيرٌ من وليمه جارك
قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي أنت وأُمِّي ، جئتَ والله به قبلاً² ما انتظرتَ به
القربَ ، وما ألومُ الخليفةَ أن يجعلك في سُمّاره ويتملحَ بك ، وإنك لمن طراز ما رأيتُ بالعراق
مثله ، ولو كان الشباب يُشترى لابتعته لك بإحدى عيني ويُمْنِي يدي ، وعلى أن فيك بحمد
الله ومنه بقيّةُ تسرّ الودود ، وترغِمُ الحسود . هذا لفظ يريد المهلبيّ والأخفش . وأخبرني
بهذا الخبر محمد³ بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثني عمر بن شُبّة قال حدّثني إسحاق قال قال
لي إمّا شَدّاد بن عُقبة وإمّا أبو مُجيب : قالت امرأةُ القتال الكلابيّ له : هل لك في فلقة من
حوار نطبخها لك ؟ فقال : لا والله ، نحن على وليمه أبي سُفيان ودَعَوته ، وكان أبو سفيان
رجلاً من الحيّ زُفّت إليه امرأته تلك الليلة ؛ فجعل ينظر دُخاناً فلا يراه ، فقال : [من الطويل]

إِنَّ أبا سفيان ليس بمولمٍ فقومي فهاتي فلقةً من حوارك
ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله .

[ثناء أعرابي على شعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال : أنشدتُ أعرابياً فهِمّاً
شِعراً لي ، فقال : أَقْفَرْتَ والله يا أبا محمّد ؛ قلتُ : وما أقفرت ؟ قال : رعيتَ قفرةً لم تُرغَ
قبلك . (يريد : أبدعت) .

[يتبيّن خطأ في الغناء لم يفتن إليه أحد حضر]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمّي قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض
أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول : دخلتُ على المأمون يوماً
وعقيدٌ يغنيه ارتجالاً وغيره يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مغنياً هذا ؟ فقلتُ :
هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري ؟ قال : نعم ، سألتَ عمّي إبراهيم فوصفه وقرّظه
واستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك ، إن الناس قد أكثروا

1 الحوار : ولد الناقة حتى يفصل . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر بنصّه في ترجمة القتال الكلابي ولكن دون إشارة
إلى أبي زياد الكلابي .

2 القبل : الارتجال دون استعداد للقول .

3 ل : أحمد .

في أمري حتى نَسَبْتَنِي فرقة إلى التَّزْيِد في علمي ؛ فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لَزِمَكَ ؛ فقلت لعقيد : أَرُدُّ هذا الصوت الذي غَنِيَتْه أَنْفًا ، وتحفَّظ فيه وضرب ضاربُه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهدي : كيف رأيته ؟ فقال : ما رأيْتُ شيئاً يُكره ولا سمعته ؛ فأقبلتُ على عقيد فقلت له حين استوفاه : في أيِّ طريقة هذا الصوت الذي غَنِيَتْه ؟ قال : في الرَّمْل ؛ فقلت للضارب : في أيِّ طريقة ضربتُ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عَسَيْتُ أَنْ أَقول في صوت يغني مغنيَةً رَمَلاً ويضرب ضاربُه هَزَجاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه ! . قال : وتفهمه إبراهيم بن المهدي بعدي ، فقال : صدق يا أمير المؤمنين ، الأمر فيه الآن بين ؛ فغازني ، فقلت له : بأيِّ شيء بان الآن ما لم يكن بيناً قبل ؟ أتوهم أنك استنبطت معرفة هذا ؟ وإنما قلته لما علمته من جهتي كما يقوله الغلمان العجم وسائر من حضر اتباعاً لي واقتداءً بقولي . فقال له المأمون : صدق ؛ فأمسك ؛ وجعل يتعجب من ذهاب ذلك على كل من حضر ، وكناني في ذلك اليوم مرتين .

[إعجاب الأصمعيّ ببنتين له في الفخر]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدَّثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال حدَّثني أبي : أن الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخزيمة بن خازم :

إذا كانت الأحرارُ أصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خازم
عطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتُ يدايَ الثريّا قاعداً غير قائم
قال : فجعل الأصمعيّ يعجب منهما ويستحسنهما ، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفضِّلُهما ويستجيدهما .

[سبب ولاءه لخزيمة بن خازم]

قال ابن حمدون : وكان السبب في تولي إسحاق خزيمة بن خازم ، أن مناظرة جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا ، فقال له ابن جامع : يا من إذا قلتُ له يا ابن زانية لم أخف أن يكذبني أحد ؛ فمضى إلى خزيمة بن خازم ، فتولاه وانتمى إليه ، فقبل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

[يميز صنعة النساء بالسماع]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبي قال : قال إسحاق : كانت عندي صنّاجة كنت بها مُعجَباً ؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ؛ فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذا بياي يَدَقّ دَقّاً شديداً ، فقلت : انظروا من هذا ؛ قالوا : رسول أمير المؤمنين ؛ فقلت : ذهبتُ صنّاجتي ، تجده ذكرها له ذاكر فبعث إليّ فيها ؛ فلمّا مضى بي الرسول انتهيتُ

إلى الباب وأنا مُتَخَنٌ¹ ، فدخلتُ فسَلِّمتُ ، فردَّ السلام ، ونظر إلى تَغْيَر وجهي فقال : اسْكُنْ فسكنتُ ؛ وسألني عن صوت وقال : أتدري لمن هو ؟ فقلت : أَسْمَعُهُ ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك ؛ فأمر جاريةً من وراء الستارة فغَتَّتْه وضربتُ ، فإذا هي قد شَبَّهَتْهُ بالقديم ؛ فقلت : زِدْنِي معها عوداً آخر فإنه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت مُحَدَّثٌ لامرأة ضاربة ؛ فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لما سمعته وسمعتُ لِينَهُ عرفتُ أنه من صَنْعَةِ النساء ؛ ولما رأيت جودة مَقَاطِعِهِ علمتُ أنَّ صاحِبته ضاربة ؛ فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لأنها قد حَفِظَتْ مَقَاطِعَهُ وأجزأه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكون أثبت لي فلم أَشْكُكْ ؛ فقال : صدقتُ ، الغناء لعَرِيب .

[يَمِيزُ اللحن الرومي في الشعر العربي]

نسختُ من كتاب ابن أبي سعيد : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الطَّاهِرِيُّ² قال : حدَّثني مُخَارِقُ مولانا قالت³ : كان لمولاي الذي علَّمَنِي الغناء فَرَّاشٌ رُومِيٌّ ، وكان يَغْنِي بالرومية صوتاً مليحَ اللحن ؛ فقال لي مولاي : يا مُخَارِقُ ، خُذِي هذا اللحنَ الروميَّ فانقلبيه إلى شعر من أصواتك العربية حتى أمتحنَ به إسحاق الموصليَّ فأعلمَ أين يقع من معرفته ، ففعلتُ ذلك ؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي ، فأقام وبعث إليَّ أن أدخِلِي اللحنَ الروميَّ في وسط غنائك ؛ فغَنَيْتَهُ إِيَّاهُ في دَرْجِ أصوات مرَّتْ قبله ، فأصغى إليه إسحاق ، وجعل يَتَفَهَّمُهُ وَيُقَسِّمُهُ ويتفقد أوزانه ومقاطعه ويوقع عليه بيده ، ثم أقبل على مولاي فقال : هذا صوت روميّ اللحن ، فمن أين وقع إليك ؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول : ما رأيتُ شيئاً أحسن من استخراجِهِ لحناً رومياً لا يعرفه ولا العلة فيه ، وقد نُقِلَ إلى غناء عربيٍّ وامتزجتْ نَعْمُهُ حتى عَرَفَهُ ولم يَخْفَ عليه .

[فَضَّلَ زَلْزَلاً على ملاحظ فتحده]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني مُحَمَّدُ بن موسى قال حدَّثني عبد الله بن عمرو عن مُحَمَّدِ بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني عَلَوِيهِ الْأَعْسَرُ ، ووجدتُ هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن مُحَمَّدِ بن نصر الشاميِّ عن جدِّه حَمْدُونِ بن إِسْمَاعِيلَ قال⁴ : تناظر المغنَّون يوماً عند الواثق ، فذكروا الضُّرَابَ وحِدْقُهُمْ ، فقدمَ إِسْحَاقُ زَلْزَلاً على مُلَاحِظٍ ، ولمَّا لَحِظَ في ذلك الرياسة على

1 متخن : مهموم محزون .

2 هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من قرابة طاهر بن الحسين فَنَسَبَ إليه .

3 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 22 (رقم 142) .

4 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 22-24 (رقم 47) .

جميعهم ؛ فقال له الواصل : هذا حَيْفٌ وَتَعَدُّ مِنْكَ ؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينهما وامتنحنهما ، فإنَّ الأمر سينكشف لكَ فيهما ؛ فأمرَ بهما فأحضرا ؛ فقال له إسحاق : إِنَّ لِلضُّرَابِ أَصَوَاتاً معروفةً ، أفامتنحنهما بشيءٍ منها ؟ قال : أَجَلُ ، افعلْ ؛ فسمي ثلاثة أصوات كان أولها :

عُلِقَ قلبي ظليمة السَّيْب¹

فضربا عليه ، فتقدّم زَلْزَلٌ وقصّر عنه ملاحظ ؛ فعجِب الواصل من كَشْفِهِ عَمَّا ادّعه في مجلس واحد . فقال له ملاحظ : فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ؟ ولم لا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه لم يكن أحد في زماني أُضربَ مِنِّي إلا أنكم أعفيتُموني ، فَتَقَلَّتْ مِنِّي ؛ وعلى أن معي بقية لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلاحظ ، شَوَّشُ عودك وهاته ، ففعل ذلك ملاحظ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يخلط الأوتار تخليط متعنّت فهو لا يألُو ما أفسدها ، ثم أخذ العودَ فجسّه ساعةً حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مُلاحظ ، غنّ أيّ صوت شئتَ ، فغنّي مُلاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرَةٍ واحدة ، ويده تصعد وتنحدر على الدّساتين ؛ فقال له واصل : لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به ؛ إطرَحَ هذا على الجوّاري ؛ فقال : هيهاتَ يا أمير المؤمنين ، هذا شيء لا تعرفه الجوّاري ولا يصلحُ لهنّ ، إنّما بلغني أنّ الفهليذ ضرب يوماً بين يديّ كِسرى أبرويز فأحسن ، فحسده رجل من حُدّاق أهل صنّعه ، فترقبه حتّى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعضَ أوتاره ، فرجع فضرِب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصلَح في مجالسها العيْدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتنح العودَ فعرف ما فيه ، ثم قال : «زَهْ زَهْ وزهّان زَهْ» ، ووصله بالصّلّة التي كان يصل بها من خاطبه هذه المخاطبة ؛ فلمّا تواطأت الرواية بهذا أخذتُ نفسي ورُضْتُها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا مِنِّي ، فما زلتُ أستببطه بضِعِّ عشرة سنةٍ حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي ، والمواضع التي يخرج النغم كلّها منه فيها ، من أعاليها إلى أسافلها ، وكلّ شيءٍ منها يجانس شيئاً غيره ، كما أعرف ذلك في مواضع الدّساتين ؛ وهذا شيء لا تقي به الجوّاري . قال له الواصل : صدقتَ ، ولكن متّ لتموتن هذه الصناعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

1 قلبي في ل : القلب . السيب : كورة من سواد الكوفة .

نسبة هذا الصوت صوت

[من السريع]

عُلِقَ قلبي ظبيّة السَّيْبِ جهلاً فقد أُغْرِي بتعذبي
نَمَتْ عليها حين مرّت بنا مجاسدٌ يَنْفَحْنَ بالطَّيْبِ¹
تَصَدَّها عَنَّا عَجُوزٌ لها مُنْكَرَةٌ ذاتُ أعاجيب²
فكلّما هَمْتُ بإتيانها قالت: تَوَقَّيْ عَدُوَّةَ الذَّيْبِ³

الشعر والغناء لإبراهيم ، هَزَجٌ ثَقِيلٌ بالسَّبَابَةِ في مجرى النِصْرِ .

[كان بخيال بالغناء]

حدّثني عليّ بن هارون قال حدّثني محمد بن موسى اليزيدي قال حدّثني دِمْنٌ جاريةُ إسحاق الموصلي ، وكانت من كبار جواريه وأحظي مَنْ عنده ، ولقيتها فقلت لها : أيّ شيء أخذتِ عن مولايك من الغناء ؟ فقالت : لا والله ما أخذتُ أنا عنه ولا واحدةً من جواريه صوتاً قطُّ ؛ كان أبخلَ بذلك ، وما أخذتُ منه قطُّ إلا صوتاً واحداً ، وذلك أنّه انصرف من دار الخليفة وهو مُتَخَنٌّ سكرًا ، فدخل إلى بيتٍ كان ينام فيه ، فرأى عوداً معلقاً فأخذه بيده ، وقال لخادمه : يا غلام ، صيِّحْ لي بديمن ؛ فجاءني الغلام فخرجتُ ، فلما بلغتُ البابَ إذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه والعودُ في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده ، وقد اسْحَنَفَرُ⁴ في نَعْمِهِ وتنوّق فيها حتى استقام له ، وهو :

صوت

ألا ليلُك لا يَذْهَبُ ونيطَ الطَّرْفُ بالكوكبِ
وهذا الصَّبْحُ لا يَأْتِي ولا يدنو ولا يَقْرُبُ

فلما سمعته علمتُ أنّي إن دخلتُ إليه أُمْسِكَ ، فوقفتُ أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه ؛ فلما فرغ منه وضع العودَ من يده ، وذكر أنّه قد طلبني فقال : يا غلام ، أين دِمْنٌ ؟ فقلت : هانِذي ؛ فقال : مذ كم أنتِ واقفة ؟ فقلت : منذ ابتدأتُ بالصوت وقد أخذته ؛ فنظر إليّ نظرٌ مُغْضَبٍ أَسِفٍ ، ثم قال : غَنِيهِ ، فغَنَيْتُهُ حتى استوفيتها ؛ فقال لي وقد فَرَّ وخَجِلَ : قد

1 مجاسد : قمصان .

2 منكرة : مبغضة مكروهة .

3 همت : همت حذف الميم للضرورة . وقد أجاز بعضهم ذلك . عدوة في ل : عذرة .

4 اسحنفر في الشيء : مضى فيه . وتنوّق في الشيء : جوده وتأنق فيه .

بقيت عليك فيه بقية أنا أصلحها لك ؛ فقلت : لست أحتاج إلى إصلاحك إياه ، وقد والله أخذته على رَعْمِكَ ؛ فضحك .

لحن هذا الصوت من المزج بالنصر ، والشعر والغناء لإسحاق .

[يبين خطأ إبراهيم بن المهدي في صوت لابن جامع]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال قال لي أبي قال قال لي إسحاق : كنت عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ ، فغنى إبراهيم صوتاً لابن جامع أخلّ ببعضه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ترك ابن جامع الناس يحجلون خلفه ولا يلحقونه . وفي هذا الصوت خاصة ؛ فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، ما صدق ، وما هذا الصوت بتأم الأجزاء ؛ فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين ؛ فقلت : يا سيدي ، أنا أوقفه على نقصانه ، فمرّه فليعدّ يا أمير المؤمنين ؛ فأعاد البيت الأول فأقامه وطمع في الإصابة ؛ فقلت : آفته في البيت الثاني ، فليردّه ؛ فردّه فنقص من أجزائه وقسمته ، فعرّفته فأقرّ به ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتني وصناعة آبائي وإبراهيم يكلّمني فيها ، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألة واحدة ؛ فقال : أويعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فأعفاه .

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب عن إسحاق ؛ فذكر نحوه ممّا ذكره يحيى ، وذكر أنّ القصّة كانت بين يديّ المعتصم ؛ وزاد فيها فقال : أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأوقفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقرّ بذلك أقرّ به مخارقاً وعلوياً ؛ فقال : أويعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؛ فإنه يعدل عندي البُخْتِج¹ ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، وما يفعل البُخْتِج ؟ قال : يُسلح ؛ قلت : قد والله فعل ذلك كلامي به ، ومنه هرب ؛ فضحك وغطّى فاه وقام ؛ فظنّ إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ أنّي قد أغضبته ، فضرب بيده إلى السيف ؛ فقلت له : لا تحسّب أنّي أغضبته ؛ فما كنت لأكلّم عمّه بين يديه بهزء من غير إذنه ، فأمسك ؛ وكان لا يُقدّم أحد أن يكلّم الخليفة بحضرته بما فيه الوهن إلّا بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له .

[يكشف خطأ في وترين ثمانين وترًا]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثنا أحمد بن القاسم الهاشمي عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال² : دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشرّاً عن يمينه وعشرّاً عن يساره ومعهن العيدان يضربن بها ؛ فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته ؛ فقال المأمون : يا

1 البختج : عصير مطبوخ .

2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 21 (رقم 42) .

إسحاق ، أسمع خطأ ؟ فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فقال : لا ؛ فأعاد عليّ السؤال ، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وإنه لفي الجانب الأيسر ؛ فأعاد إبراهيم سمعه إلى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ ؛ فقلت يا أمير المؤمنين : مَرَّ الجوّاريّ اللواتي على اليمين يُمَسِّكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكنَ ؛ فقلت لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما هاهنا خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمَسِّكْنَ وتضرب الثامنة . فأمسكنَ وضربت الثامنة ، فعرف إبراهيم الخطأ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم ؛ لا تُمارِ إسحاق بعدها ؛ فإن رجلاً فهم الخطأ بين ثمانين وثمانين حلقاً لجديرٍ ألاّ تماريه ؛ فقال : صدقت يا أمير المؤمنين . وقال الحسين بن يحيى في خبره : وكان في الأوتار كلّها مثنى فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرب أمير المؤمنين المأمون ، وقال : لله درك يا أبا محمد ؛ فكُنّا في يومئذٍ .

[ثناء الواثق عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني أحمد بن حَمْدُون قال : سمعتُ الواثق يقول : ما غنّاني إسحاق قط إلاّ ظننتُ أنّه قد زيدَ لي في مُلكي ، ولا سمعته يغني غناء ابن سُرَيْج إلاّ ظننتُ أنّ ابن سُرَيْج قد نُشِرَ ، وإنّه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً ، فيتقدّمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت ، حتى إذا اجتمعا عندي رأيتُ إسحاق يعلو ورأيتُ من ظننته يتقدّمه ينقص ؛ وإنّ إسحاق لنعمة من نعم الملوك لم يُحْظَ بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط ممّا يُشْتَرَى لا شتريتهنّ له بشطرٍ ملكي .

[يدخل إلى الخليفة مع العلماء والفقهاء]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال : سأل إسحاق الموصليّ المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرّواة لا مع المغنّين ، فإذا أرادَه للغناء غنّاه ؛ فأجابه إلى ذلك ؛ ثم سألَه بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ؛ فأذن له . قال : فحدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخَرٍ أنّه كان هو ومُخَارِقٌ وَعَلَوِيّ جُلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده ، إذ دخل يحيى بن أكتم وعليه سواده وطويلته ، ويده في يد إسحاق يماشيه ، حتى جلس معه بين يدي المأمون ، فكاد علّويه أن يُجنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ؟ يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة ! . ثم مضت على ذلك مدة ، فسأل إسحاق المأمون أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق ، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها .

[امتياز في مجلس الوراق]

حدثني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدثني أبو عبد الله بن حَمْدُون قال : كان المغنُون جميعاً يحضرون مجلس الوراق وعيدانهم معهم إلا إسحاق ، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمره الخليفة أن يغني أحضر له عوداً ، فإذا غنى وفرغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه . وكان الوراق كثيراً ما يكنّيه ، رَفْعاً له من أن يدعوه باسمه ؛ وكان إذا غنى وفرغ الوراق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يُعد منه حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيئمه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه في خبر ذكر إسحاق فيه ، فقال : وعارض مَعْبُداً وابن سُرَيْج فانتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهدي ينظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته ، ولم يَلْغُه ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثله .

[عابه إبراهيم بن المهدي بترك التحريك في الغناء]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمد بن راشد الخنّاق : سمعتُ علّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلي : إن إبراهيم بن المهدي يعيبك بترك تحريك الغناء ؛ فقال له إسحاق : ليتنا نقي بما علمناه ، فإننا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . ثم قال له : فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه ، وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم ، وليس يفعل ذلك ، إنما يسقط بعض عمله لعجزه عنه ، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار¹ للكتاب ، وهو حينئذ بأن يُسمّى المحذوف أشبه منه بأن يُسمّى المحرك ؛ فضحك علّويه ثم قال : فإن إبراهيم يسمي غناءكم هذا الممسك المدادي ؛ قال إسحاق : هذا من لغات الحاكّة ؛ لأنهم يسمّون الثوب الجافي² الكثير العرض والطول المدادي ؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمي غناءه المحرك الضرابي ، وهو الخفيف السخيف³ من الثياب في لغة الحاكّة ، حتى ندخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهي ؛ ثم قال لعلّويه : بحياتي عليك إلا ما أعدت عليه ما جرى ؛ فقال له : لا وحياتك لا فعلت ؛ فإنه يعلم مبلي إليكم ، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخنّاق ؛ فكلّمه إسحاق وأقسم عليه أن يؤدّيه ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره ، فجعل كلّمأ أخبره شيئاً تغيّظ وشمتم إسحاق بأقبح شتم ؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلّمأ أخبره بشيء من ذلك

1 الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد .

2 الثوب الجافي : الغليظ .

3 الثوب السخيف : القليل الغزل .

ضحك وصفق سروراً لغيط إبراهيم من قوله .

[يغايظ إبراهيم بن المهدي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال أخبرني محمد بن راشد الخنق قال : إني لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاق بن إبراهيم الموصلّي ، فسُررتُ بمكانه ؛ فقال : قد جاءت بي إليك حاجة ؛ قال قلت : قل ما شاء الله ؛ قال : دَعْنِي فِي بَيْتِكَ ، وَدَعْ غَلَامِيكَ عِنْدِي : بُدِيحاً وَسَلِيمَان - وَكَانَا خَادِمَيْنِ مَغْنَيْنِ - وَمُرْهُمَا أَنَّ يَغْنِيَانِي ، وَأَتْنِي بِفُلَانٍ لِيَغْنِيَنِي أَيْضاً ، بِحَيَاتِي عَلَيْكَ ، وَانْطَلِقْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، فَإِنَّهُ سَيُسَرُّ بِمَكَانِكَ ، فَاشْرَبْ مَعَهُ أَقْدَاحاً ، ثُمَّ قُلْ لَهُ : يَا سَيِّدِي ، أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ ، فِإِذَا قَالَ : سَلْ ، فَقُلْ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مني

أي شيء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلا أن تقول : «ذهبتو» بالواو ، فإن قلت : «ذهبتُ» ولم تَمُدّها انقطع اللحن والشعر ، وإن مددتها قُبِحَ الكلام وصار على كلام النَّبِط ؛ فقلت له : يَا أَبَا مُحَمَّدَ ، كَيْفَ أَخَاطِبُ إِبْرَاهِيمَ بِهَذَا ؟ فقال : هُوَ حَاجَتِي إِلَيْكَ وَقَدْ كَلَّفْتُكَ إِيَّاهَا ؛ فَإِنْ اسْتَحْسَنْتَ أَنْ تَرُدَّنِي فَأَنْتَ أَعْلَمُ ؛ قَالَ : أَفْعَلْ ذَلِكَ لِمَوْضِعِكَ عَلَى مَا فِيهِ عَلَيَّ ، ثُمَّ أَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ، وَجَلَسْتُ عِنْدَهُ مَلِيّاً ، وَتَجَارَيْنَا الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ خَرَجْنَا إِلَى ذِكْرِ الْغَنَاءِ ، فَخَاطَبْتُهُ بِمَا قَالَ لِي إِسْحَاقُ ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَانْكَسَرَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدَ ، لَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِكَ ، هَذَا مِنْ كَلَامِ الْجُرْمَقَانِيِّ ابْنِ الزَّانِيَةِ ؛ قُلْ لَهُ عَنِّي : أَنْتُمْ تَصْنَعُونَ هَذَا لِلصَّنَاعَةِ ، وَنَحْنُ نَصْنَعُهُ لِلَّهِو وَاللَّعِبِ وَالْعَبَثِ . قَالَ : فَخَرَجْتُ إِلَى إِسْحَاقَ فَحَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ : الْجُرْمَقَانِيُّ وَاللَّهُ مَنَّا أَشْبَهُنَا بِالْجَرَامَةِ لَغَةً وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ : «ذهبتو» ؛ وَأَقَامَ عِنْدِي يَوْمَهُ فَرِحاً بِمَا بَلَغْتُهُ إِبْرَاهِيمَ عَنْهُ مِنْ تَوْقِيفِهِ عَلَى خَطِئِهِ .

[نقل عنه محمد بن راشد حديثاً لابن المهدي ففسد ما بينهما]

قال علي بن محمد قال لي أبي : كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما ؛ فَإِنَّهُ طَابِقُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ ، وَبَلَغَهُ عَنْهُ مِنْ تَوْقِيعِهِ أَنَّهُ يَذْكُرُهُ . وَكَانَ فِي مُحَمَّدَ بْنِ رَاشِدٍ رِدَاءَةٌ وَنَقْلٌ لِلْأَحَادِيثِ ؛ فَقَالَ فِيهِ إِسْحَاقُ :

وَنَدْمَانِ صِدْقٍ لَا تُخَافُ أَذَاتُهُ	وَلَا يَلْفِظُ الْأَخْبَارَ لَفْظَ ابْنِ رَاشِدٍ
دَعَانِي إِلَى مَا يَشْتَهِي فَأَجِبْتُهُ	إِجَابَةً مَحْمُودِ الْخَلَائِقِ مَا جَدِ
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ إِلَّا بِأَهْلِهَا	وَلَا عِيشَ إِلَّا بِالْخَلِيلِ الْمُسَاعِدِ

قال : فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق ؛ فَهَجَوْهُ بِأَشْعَارٍ لَمْ تَبْلُغْ

مراده ، فلم يُظهرها . وبلغ ذلك إسحاق فقال فيه :

[من الطويل]

وأبيات شعر رائعات كأنها إذا انشدت في القوم من حُسْنها سحرُ
تحفزَ وأقلولِي لردّ جوابها أبو جعفر يغلي كما غلّت القِدْرُ¹
فلم يستطعها غيرَ أنْ قد أعانها عليها أناس كي يكون له ذكرُ
فيا ضيعةَ الأشعار إذ يقرضونها وأضيعُ منها مَنْ يرى أنها شعرُ
قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاق واستكفّه وصالحه ، فرجع إليه .

[أخذ إبراهيم بن المهدي صوتاً له فغضب]

أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر الشامي قال حدثني منصور بن محمد بن واضح : أن إبراهيم بن المهدي طرَحَ في منزل أبيه :

[من المتقارب]

صوت

أمن آل ليلٍ عرفتَ الطلولا بذى حرُضٍ ماثلاتِ مُثولا²
بليينَ وتحسبَ آياتِهـــــــــــــــــ سنَّ عن فرطِ حَوْلين رَقاً مُجِباً³

الشعر لكعب بن زهير⁴ والغناء لإسحاق ، وله فيه لحنان : ثاني ثقلٍ مطلقٍ في مجرى البنصر ، وماخوري بالوسطى . وفيه للزبير بن دَحْمَانَ خفيفٌ ثقيلٌ قال : فجاءنا إسحاق يوماً ، وأقام عند أبي ، وأخرجنا إليه جوارينا ، ومَرَّ الصوتُ الذي طرحه إبراهيم بن المهدي من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟ قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أعزّه الله تعالى ؛ فقال إسحاق : وما لأبي إسحاق أعزّه الله ولهذا الصوت ؟ هذا أنا صنعته ، وليس هو كما طرحه . قال : فسأله أبي أن يغنيه ، فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده ؛ فقال لي أبي : اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فاحتبسته ، وأنه غنّى بحضرتي الصوت الذي ألقينّه في منزلك الذي أسكنه ، فزعم أنه صنعّه ، وأنه ليس على ما أخذّه الجوّاري عنك ، فأحببت أن أعلم ما عندك ، جعلني الله فداك . قال : فكتبت الرُقعة وأنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جعلت فداك ، صدّق أبو محمد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما

1 تحفزَ وأقلولِي : تهيأً للوثوب .

2 ذو حرُضٍ : موضع . ماثلات : منتصبات .

3 فرط حَوْلين : مضي سنتين . محيل : أتى عليه حول .

4 هذان البيتان لم يردا في ديوان كعب وإنما في ديوان زهير أبيه ، وهما من قصيدة في مدح سنان بن أبي حارثة . وفي الديوان (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب) ص 193 : رواها أبو عمرو والمفضل وزعم الأصمعي أنها مولدة . وسيردان في ترجمة زهير منسوين إليه .

ذكره ، لكنني لعبت في وسطه لعباً أعجبني . قال : فقراً إسحاق الرقعة فغضب غضباً شديداً ، ثم قال لي : أكتب إليه : «إذا أردت يا هذا أن تلعب فالعب في غناء نفسك لا في غناء الناس ، وما حاجتك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنع أنت إن كنت تحسن ، والعب في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غير مشارك في جد الناس بلعبك ومفسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيذك الله ، ليس هذا الصوت مما يتهيأ لك أن تمخرق فيه وتقول : «جندرتُهُ»¹ . قال : وكان إبراهيم يقول : إنه يُجندِر صنعة القدماء ويحسنها .

[مناظرته إبراهيم بن المهدي عند المعتصم]

قال علي بن محمد حدثني جدِّي حمْدُون : أنَّ إسحاق قال لإبراهيم بن المهدي بحضرة المعتصم : ما تقول فيمن يزعم أنَّ ابن سُرَيْج وابن مُحَرِّز ومَعْبُدًا ومالكًا وابن عائشة لم يكونوا يُحسنون تمام الصنعة ولا استيفاء الغناء ، ويعجزون عما به يكمل ويتم ويحسن ، وأنه أقدر على الصنعة منهم ؟ قال : أقول : إنه جاهل أحمق ؛ قال : فأنت تزعم أنه قد كانت بقيت عليهم أشياء لم يهتدوا لها ولم يحسنوها ، فتنهت عليها أنت وتممتها وحسنتها بجندرتك ؛ قال : فضحك المعتصم وبقي إبراهيم واجماً مطرِقاً ، ولم ينتفع بنفسه بقيّة يومه ؛ وما سمعته أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبحر بغناء يصلحه من غناء المتقدمين ، حتى يُطرب في صنعته ويُشتهي استماعه منه ، كما كان يدعي قديماً . قال : وكان حمْدُون يقول : كان إبراهيم يأكل المغنين أكلاً ، حتى يحضر إسحاق ، فيداريه إبراهيم ويطلب مكافأته ، ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته ؛ وكان إسحاق أفته ، كما أنَّ لكل شيء آفة .

[غنى المأمون بشعر ذي الرمة]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجت يوماً من داري وأنا مخمورٌ أتسمم الهواء ، فمررتُ برجل يُنشد رجلاً معه لذي الرمة² : [من الطويل]

صوت

ألم تعلمي يا مَيَّ أني وبيننا مهاوٍ لطرف العين فيهنّ مطرَحُ
ذكرتك أن مرّت بنا أم شادين أمام المطايا تشرّيب وتسنح³

1 مخرق : موه . وجندر الشيء : أصلحه وصقله .

2 ديوان ذي الرمة (مكارتني) : 79-86 .

3 الشادين : ولد الظبية الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . وتشرّيب : ترفع رأسها لتنظر . وتسنع : تأتي عن الشمال .

من المؤلفات الرمل أدماء حرة¹ شعاع الضحى في مننها يتوضح¹
هي الشبه أعطافاً وجيداً ومقلة² ومية منها بعد أبهى وأملح²
كان البرى والعاج عيجت متونه³ على عشر نهى به السيل أبطح³
لئن كانت الدنيا علي كما أرى تباريح من مبي فللموت أروح
فأعجبني ، فصنعت فيه لحناً غنيت به المأمون ، فأخذت به منه مائة ألف درهم . لحن
إسحاق في هذه الأبيات أول مطلق في مجرى البصر .

[در إليه أبو أحمد غلامين ليعلمهما]

حدثني يحيى بن محمد الطاهري قال حدثني ينش⁴ مولى أبي أحمد بن الرشيد قال :
اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد ، واشترى رفيقي محموم⁵ ، فذفعنا إلى وكيل له أعجمي
خراساني ، وقال له : انحدر بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصلی ؛ ودفع إليه مائة
ألف درهم . وشهرياً⁶ بسرجه ولجامه ، وثلاثة أدرج⁷ من فضة مملوءة طيباً ، وسبعة تخوت⁸
من بز خراساني ، وعشرة أسفاط⁹ من بز مصر ، وخمسة تخوت وشي كوفي ، وخمسة
تخوت خز سوسي ، وثلاثين ألف درهم للنفقة ؛ وقال للرسول : عرف إسحاق أن هذين
الغلامين لرجل من وجوه أهل خراسان ، وجه بهما إليه ليتفضل ويعلمهما أصواتاً اختارها ،
وكتبها له في درج ، وقال له : كلما علمهما صوتاً ادفع إليه ألف درهم ، حتى يتعلما بها مائة
صوت ، فإذا علمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشهري ، ثم إذا علمهما الثلاثة التي
بعد الصوتين ، فادفع إليه بكل صوت درجاً من الأدرج ، ثم لكل صوت بهد ذلك تخناً
وسقطاً ، حتى ينفد ما بعثت به معك ؛ ففعل ، وانحدرنا إلى بغداد ، فأتينا إسحاق ، وغنينا
بحضرته ، وبلغه الوكيل الرسالة ؛ فلم يزل يلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرنا سيدنا .
ثم سيرنا إلى سر من رأى ، فدخلنا إليه وغنينا جميع ما أخذناه فسر ذلك . وقدم إسحاق سر
من رأى ، ولقيه مولانا ، فدعا بنا وأوصانا بما أراد ، وغدا بنا إلى الواثق وقال : إنكما ستران

1 أدماء : بيضاء .

2 رواية الديوان : « ومية أبهى بعد منها وأملح » .

3 البرى : الخلاخيل . العاج : أسورة من العاج . عيجت : لويت . العشر : نوع من الشجر . نهى : بلغ نهايته .
أبطح : بطن الوادي . أي أن ساقها ومعصمها كشجر العشر الذي يقيه السيل نضراً رياناً .

4 ل : ييشق .

5 ل : يحموم .

6 الشهري : ضرب من البراذين .

7 الأدرج : جمع درج وهو صندوق صغير توضع فيه الحلي والطيب .

إسحاق بين يديه ، فلا تُسلِّمًا عليه ولا تُوهِّمًا أنكما رأيتماه قطّ ، وألبسنا أقبية خُراسانية ومضينا معه ؛ فلمّا دخلنا على الوراق قال له : يا سيّدي ، هذان غلامان اشتريا لي من خُراسان يَغْنَيان بالفارسيّة ؛ فقال : غنّيا ، فضربنا ضرباً فارسياً وغنّينا غناءً فهليديّاً ؛ فطُرب الوراق وقال : أحسنتما ، فهل تغنّيان بالعربيّة ؟ قلنا : نعم ، واندفعنا نغني ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه ، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه ؛ فقام إسحاق ثم قال للوراق : وحياتك يا سيّدي وبيعتك ، وإلّا كلّ ملكٍ لي صدقة وكلّ مملوكٍ لي حرٌّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومن قصّتهما كيت وكيت ؛ فقال له أبو أحمد : ما أدري ما تقول ؛ هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراساني ؛ فقال له : بلّغ ولعك¹ إليّ ! ونخّاس خراسانيّ من أين يحسن [أن] يختار مثل تلك الأغاني ! ؛ فضحك أبو أحمد ثم قال للوراق : صدق ، أنا احتلتُ عليه ، ولو رُمْتُ أن يعلمهما ما أخذهما منه إذا عليم أنّهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيته كما فعل ؛ فقال له إسحاق : قد تمّت عليّ حيلته . وقال أبو أحمد للوراق : إن أردتهما فخذهما ؛ فقال : لا أفجعك بهما يا عمّ ، ولكن لا تمنعني حضورهما ؛ فقال له : قد بذلتُ لك الملك فلم تُؤثّرهُ ، أفتراني أمتنع الخدمة ؟ فكنا نخدّمه بنوبة .

[لم يكن يحضر عُوده ترفعاً]

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني أبو عبد الله بن حمّدون قال حدّثني ابن فيلا الطنبُوريّ وكان قد دخل على الوراق وغنّاه ، قال : قال الوراق في بعض العشايا : لا يبرح أحدٌ من المغنّين الليلة ، فقد عزمْتُ على الصُّبوح في غد ؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلّا إسحاق فإنّه قال له : لا وحياتك ما أبيت ؛ قال : فلا والله ما كان له عند الوراق معارضة أكثر من أن قال له : فبحياتي إلّا بكُرت يا أبا محمد . قال : فرأيت مخارقاً وغلّويه قد تقطّعا غيظاً ؛ وبتنا في بعض الحجر ، فقالا لي : اجلس على باب الحجرة ، فإذا جاء إسحاق فعرّفنا حتى ندخل بدخوله ؛ فلم نلبث أن جاء إسحاق مع أحمد بن أبي دُواد يماشيه في زيّه وسَوَادِهِ وطويلته مثل طويلته ، فدخلت عليهما فأعلمتهما ؛ فقامت على غلّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، خيناكر² يدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة ؟ أسمعتم بأعجب من هذا البَخت قطّ ؟ فقال له مُخارق : دَعْ هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أراد . ولم نلبث أن خرج ابن أبي دُواد ودُعِيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق جالسٌ في صفّ الندماء لا يخرج منه ، فإذا أمره الوراق أن يُغني خرج عن صفّهم قليلاً وأُتي بعود فغنى الصوت الذي يأمره به ؛ فإذا فرغ من القدح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ

1 الولع : الكذب .

2 الخيناكر : المغني .

ولم يُتِمَّه ، ورجع إلى صفّ الجلّساء .

[مع إبراهيم بن المهديّ في مجلس الرشيد]

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بوسّوسة قال حدّثني حمّاد قال : قال لي أبي : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندامؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تَغَنَّ : [من الوافر]

شَرِبْتُ مُدَامَةً وَسُقِيتُ أُخْرَى وَرَاحَ الْمُتَشَوُّونَ وَمَا انْتَشَيْتُ

فغنيته ؛ فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت ؛ فقلت له : ليس هذا ممّا تحسنه ولا تعرفه ، وإن شئت فغنه ، فإن لم أجذك أنّك تُخطيء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فذمي حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التي قرّبتنا منك واستخدمتنا لك وأوطأتنا بساطك ؛ فإذا نازعناها أحدٌ بلا علم لم نجد بُدّاً من الإيضاح والذب ؛ فقال : لا غرّ ولا لوم عليك ؛ فقام الرشيد ليقول ؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال : ويّلك يا إسحاق أتجترى عليّ وتقول ما قلت يا ابن الفاعلة ؟ لا يَكْنِي ؛ فداخلني ما لم أملك نفسي معه ؛ فقلت له : أنت تشتمني ، وأنا لا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك كنت أقول لك : يا ابن الزانية ؛ أو ترى أنّي كنت لا أحسن أن أقول لك : يا ابن الزانية ؛ ولكن قولي في ذمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأعلم¹ ، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه ، قال إسحاق : وكان يبطّراً ، قال : ثم سكت ، وعلمت أن إبراهيم يشكوني وأنّ الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه ، فتلافيت ذلك ، ثم قلت : أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدي بذلك وتعاديني كما تُعادي سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأمر ؛ فأنت تضعف عنهم وتستخفّ بأوليائهم تشقيّاً ؛ وأرجو ألاّ يخرجها الله عن يد الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك ، وبالله العياذ ، فحرام عليّ العيش يومئذ ، والموت أطيب من الحياة مذك ، فاصنع حينئذ ما بدا لك . قال : فلمّا خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ، شتمني وذكر أمّي واستخفّ بي ؛ فغضِب وقال : ما تقول ؟ ويّلك ؛ قلت : لا أعلم ، فسأل من حضر ؛ فأقبل عليّ مسروراً وحُسيناً ؛ فسألهما عن القصّة ، فجعلا يُخبرانه ووجهه يتردّد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرّي عنه ورجع لونه ، وقال لإبراهيم : ما له ذنب ، شتمته فعرفك أنّه لا يقدر على جوابك ، إرجع إلى موضعك وأمّسك

1 الأعلم : الذي بشفته العليا شق .

عن هذا . فلما انقضى المجلس وانصرف الناس ، أمر بالأبرح ، وخرج كل من حضر حتى لم يبقَ غيري ؛ فسأء ظني وأهمتني نفسي ؛ فأقبل عليّ وقال : ويلك يا إسحاق ! أتراني لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنيته¹ ثلاث مرّات ، أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت ؟ ويلك ، لا تعدّ ؛ حدّثني عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنت أقصّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل ؟! أترأك لو أمر غلماناه فقتلوك أكنت أقتله بك ؟! فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتنني بهذا الكلام ، ولكن بلغه ليقتلني ، وما أشك في أنه قد بلغه الآن ؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : عليّ بإبراهيم الساعة فأحضر ، وقال : قم فانصرف ؛ وقلت لجماعة من الخدم ، وكلّهم كان لي مُحبّاً وإليّ مائلاً ولي مُطيعاً : أخبروني بما يجري ، فأخبروني من غد أنه لما دخل وبّخه وجهله وقال له : أتستخفّ بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي ، وتقدّم عليّ وتستخفّ بمجلسي وحضرتي ؟ هاه هاه ! أتقدّم على هذا وأمثاله ! وأنت ما لك وللغناء ، وما يُدريك ما هو ؛ ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تنوهم أنك تبّلع منه مبلغ إسحاق الذي غذي به وعلمه وهو صناعته ؟ ثم تظنّ أنك تُخطئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجّة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه ؟ أليس هذا ممّا يدلّ على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تحكمه ، وادّعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى الجهل المفرط ! ألا تعلم ، ويْلُك ، أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ؟ . ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله ، وإلّا فأنّا نفى² من المهديّ ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجرٌ من السماء ، أو سقط من على دابّته ، أو سقط عليه سقفه ، أو مات فجأة ، لأقتلنك به ؛ والله ؛ ، والله ، والله ، فلا تعرض له وأنت أعلم ، قم الآن فاخرج ؛ فخرج وقد كاد أن يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده ، فأعرضتُ عن إبراهيم ؛ وجعل ينظر إليه مرّة وإليّ مرّة ويضحك ، ثم قال له : إنني لأعلم محبّتك في إسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه ، وإن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلّا بعد أن يرضى ، والرضى لا يكون بمكروه ، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف حقّه وبرّه وصِلّه ، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق ؛ ثم قال لي : قم إلى مولاك وابن مولاك فقبّل رأسه ، فقممت إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا .

1 زناه : نسبه إلى الزنا .

2 ل : بريء .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الوافر]

أَعَاذُلُ قَدْ نَهَيْتُ فَمَا انْتَهَيْتُ وَقَدْ طَالَ الْعَتَابُ فَمَا ارْعَوَيْتُ
 أَعَاذُلُ مَا كَبُرْتُ وَفِي مَلْهَى وَلَوْ أَدْرَكْتُ غَايَتَكَ انْتَهَيْتُ
 شَرِبْتُ مُدَامَةً وَسُقِيتُ أُخْرَى وَرَاحَ الْمُتَشَوُّونَ وَمَا انْتَشَيْتُ
 أَبَيْتُ مُعَذِّبًا فَلَقَاءَ كَثِيرًا لِمَا أَلْقَاهُ مِنَ أَلَمٍ وَقَوْتُ¹
 الغناء لابن مُحَرَّرٍ ثَقِيلٌ عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى .

[الرشيذ يستدعيه ليلاً للمنادمة]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدَ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أُرْسِلُ إِلَى
 الرشيذ ذات ليلة ، فدخلتُ إليه فإذا هو جالس وبين يديه جارية عليها قميص مُورَّد وسراويلُ
 مُورَّدة وقِنَاعٌ مُورَّد كأنها ياقوتة على وردة ؛ فلَمَّا رَأَى قَالَ لِي : اجلس ، فجلستُ ؛ فقال لِي :
 غَنِّ ، فغَنَّيتُ :

[من الطويل]

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ وَبَيْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا اللَّحْنُ ؟ فَقُلْتُ : لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : هَاتِ لِحْنَ ابْنِ سُرَيْجٍ ،
 فغَنَّيْتُهُ إِيَّاهُ ؛ فَطَرِبَ وَشَرِبَ رِطْلًا وَسَقَى الْجَارِيَةَ رِطْلًا وَسَقَانِي رِطْلًا ؛ ثُمَّ قَالَ : غَنِّ ،
 فغَنَّيْتُهُ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

هَاجَ شَوْقِي بَعْدَ مَا أَنَّ شَابَ أَصْدَاغِي بُرُوقُ
 مَوْهِنًا وَابَّرَقُ مِمَّا ذَا الْهَوَى قَدَمًا يَشُوقُ

فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا الصَّوْتُ ؟ فَقُلْتُ : لِي ؛ فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ سَمِعْتُ فِيهِ لِحْنَ آخَرَ ؛ فَقُلْتُ :
 نعم ، لِحْنَ ابْنِ مُحَرَّرٍ ؛ قَالَ : هَاتِهِ ، فغَنَّيْتُهُ فَطَرِبَ وَشَرِبَ رِطْلًا ، ثُمَّ سَقَى الْجَارِيَةَ رِطْلًا
 وَسَقَانِي رِطْلًا ؛ ثُمَّ قَالَ : غَنِّ ، فغَنَّيْتُهُ :

[من الطويل]

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

فَقَالَ لِي : لَيْسَ هَذَا اللَّحْنَ أُرِيدُ ، غَنِّ رَمَلٌ ابْنِ سُرَيْجٍ ؛ فغَنَّيْتُهُ وَشَرِبَ رِطْلًا وَسَقَى الْجَارِيَةَ

1 في هذا البيت إقواء .

7 . كتاب الأغاني - ج 5

رطلاً ، ثم قال : حدثني ، فجعلتُ أُحدّثه بأحاديث القيان والمغنين طَوْرًا ، وأحاديث العرب وأيامها وأخبارها تارة ، وأنشده أشعار القدماء والمحدثين في خلال ذلك ، إذ دخل الفضلُ بن الربيع ، فحدّثه حديثَ ثلاث جوارٍ ملكهنَّ ووصفهنَّ بالحُسْن والإحسان والظرف والأدب ؛ فقال له : يا عَبَّاسي ، هل تَسْخُو نفسُكُ بهنَّ ؟ وهل لك من سَلْوَةٍ عنهنَّ ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين ، إنِّي لأَسْخُو بهنَّ وبنفسي ، فيها فداك الله ؛ ثم قام فوجّه بهنَّ إليه ، فغلبن على قلبه ، وهنَّ سِحرٌ وضياءٌ وخُنث ذات الخال ؛ وفيهنَّ يقول :

إِنَّ سِحْرًا وَضِيَاءً وَخُنْثُ هُنَّ سِحْرٌ وَضِيَاءٌ وَخُنْثُ
أَخَذْتُ سِحْرًا وَلَا ذَنْبَ لَهَا ثُلْثِي قَلْبِي وَتَرَبَّاهَا الثُّلْثُ

[مع عبيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة]

حدّثني الصُّوْلِيّ قال حدّثني مَيْمُون بن هارون عن إسحاق قال : أتيتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بن محمد بن عائشة بالبصرة ، فلَمَّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ ؛ فقال لي : إِنَّ الحَصَرَ رائدُ الحياء ، والحياء عقيدُ الإيمان ، فانْبَسِطْ وَأزِلِ الوحشة ، فلئن باعدتُ بيننا الأحساب ، لقد قَرَبْتُ بيننا الآداب ؛ فقلت له : والله لقد سررتني بخطابك ، وزدّني ببرك عجزاً عن جوابك ؛ والله دَرَّ القَطاميّ حيث يقول :

أَمَّا قَرِيشٌ فَلَسَنَ تَلْقَاهُمْ أَبَدًا إِلَّا وَهْمٌ خَيْرٌ مِنْ يَحْفَى وَيَتَعَلَّ

[أهدى له أحمد بن هشام زعفراناً]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أَبُو هِفَان قال : وجّهَ أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْبٍ وكتب إليه :

إِشْرَبْ عَلَى الزَّعْفَرَانِ الرُّطْبِ مُتَكَنًّا وَانْعَمْ نَعِمْتَ بطول اللّهُو والطَّرَبِ
فَحَرَمَةُ الكَأْسِ بَيْنَ النَّاسِ وَاجِبَةٌ كَحَرَمَةِ الوُدِّ والأَرْحَامِ والأَدَبِ

قال : فكتب إليه إسحاق :

أَذْكَرُ أَبَا جَعْفَرٍ حَقًّا أُمْتُ بِهِ أَنِّي وَإِيَّاكَ مَشْغُوفَانِ بِالْأَدَبِ
وَأَنَا قَدْ رَضَعْنَا الكَأْسَ دِرَّتَهَا وَالكَأْسُ حَرَمُهَا أَوْلَى مِنَ النَّسَبِ

[وداعه الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان]

حدّثنا الصُّوْلِيّ قال حدّثني محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لَمَّا أَرَادَ الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خراسان ودّعته ، ثم أنشدته بعد التوديع :

[من المتقارب]

فراقك مثل فراق الحياة وفقدك مثل افتقاد الدائم
عليك السلام فكم من وفاء أفارق فيك وكم من كرم

قال : فضمتني إليه ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : يا أبا محمد ، لو حليت هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلح من الخارجين معنا ، لأهديت بذلك إلي أنساً وأذكرتني بنفسك ؛ ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنين فأمر لي بألف دينار ؛ فكان كتابه لا يزال يرد علي ومعه ألف دينار يصليني بذلك كلما غني بهذا الصوت . قال الصولي : وهو من طريقة الرمل .
[حمل الأصمعي من الكتب إلى الرقة]

أخبرني عمي قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق قال : قال لي الأصمعي : لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي : هل حملت معك شيئاً من كتبك ؟ فقلت : نعم ، حملت منها ما خفّ حملهُ ؛ فقال : كم ؟ فقلت : ثمانية عشر صندوقاً ؛ فقال : هذا لما خففت ، فلو ثقلت كم كنت تحمل ؟ فقلت : أضعافها ؛ فجعل يعجب .
[شعر إسحاق في المعتصم حين ولي الخلافة]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال : لما ولي المعتصم دخلت إليه في جملة الجلساء والشعراء ؛ فهناه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إلي مستنطقاً ؛ فأنشدته :

صوت

لاح بالفرق منك القتير¹ وذوى غصن الشباب النضير¹
هزئت أسماء مني وقالت أنت يا ابن الموصلي كبير²
ورأت شيئاً برأسي فصدت³ وابن سيتين بشيب جدير²
لا يروعنك شيبى فإني مع هذا الشيب خلو مزير²
قد يفلّ السيف وهو جراز³ ويصول الليث وهو عقير³
يا بني العباس أتم شفاء³ وضياء للقلوب ونور³
أتم أهل الخلافة فينا ولكم منبرها والسري³

1 القتير : الشيب أو أول ما يظهر منه .

2 مزير : ظريف .

3 يفل : يثلم . جراز : ماضٍ قاطع . عقير : مجروح أو مقطوع القوائم .

لا يزال الملك فيكم مدى الدهر سر مقيماً ما أقام ثبير¹
 وأبو إسحاق خير إمام ما له في العالمين نظير
 ما له فيما يریش ويبري غير توفيق الإله وزير
 واضح الغرة للخير فيه حين يبدو شاهداً وبشير
 زانه هدي تقي وجلال وعفاف ووقار وخير
 لو تباري جوده الرج يوماً نزعته وهي طليح² حسير

[شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة]

قال : فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة . ثم دخلت إليه يوم مقدمه من غزاته ،
 فأنشدته قولي فيه :

صوت

لأسماء رسم عفا باللوى أقام رهيناً لطول البلى
 تعاوزه الدهر في صرفه بكرّ الجديدین حتى عفا
 إذ البين لم تخش روعاته ولم يصرف الحي صرف الردى
 وإذ مئعة اللهو تجري بنا وحبل الوصال متين القوى
 فذلك دهر مضى فابكه ومن ضاق ذرعاً بأمر بكى
 وهل يشفينك من غلة بكائك في إثر ما قد مضى
 إلى ابن الرشيد إمام الهدى بعثنا المطي تجوب الفلا
 إلى ملك حلّ من هاشم ذؤابة مجدي منيف الذرى
 إذا قيل أي فنى هاشم وسيدها كان ذاك الفتى
 به نعيش الله آمالنا كما نعيش الأرض صوب الحيا
 إذا ما نوى فعل أكرومة تجاوز من جوده ما نوى
 كساه إله رداء الجمال ونور الجلال وهدي التقى

قال : فأمر لي بجائزة ، وقال : لست أحسب هذا لك إلا بعد أن تقرن صناعتك فيه
 بالأخرى يعني أن أغني فيه وفي : «هزئت أسماء منى» ؛ فصنعت في : [من المديد]

1 ثبير : من جبال مكة .

2 طليح : تعب هزيل .

هزئت أسماء مني

لحناً ، وفي : [من المتقارب]

لأسماء رسم عفا باللوى
لحناً آخر وغنيته بهما ، فأمر لي بالفني دينار .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

هزئت أسماء مني وقالت أنت يا ابن الموصلي كبير
لحن إسحاق في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقیلٌ أولٌ بالوسطى . والآخر : [من المتقارب]
لأسماء رسم عفا باللوى أقام رهيناً لطول البلى
الغناء لإسحاق ثاني ثقیلٍ بالوسطى .
[مخارق يصحح مغنياً في لحن لإسحاق]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء قال : غنيْتُ
يوماً بين يدي الواثق لحن إسحاق في : [من المديد]

هزئت أسماء مني وقالت أنت يا ابن الموصلي كبير
قال : فنظر إليّ مخارق نظراً شزراً وعرض شفته عليّ ؛ فلما خرجنا من بين يدي الواثق
قلت : يا أستاذ ، لِمَ نظرت إليّ ذلك النظر ؟ أنكرت عليّ شيئاً أم أخطأت في غنائي ؟
فقال لي : ويحك ! أتدري أيّ صوت غنيّت ! إن إسحاق جعل صيحة هذا الصوت
بمنزلة طريق ضيق وعر صعب المرتقى ، أخذ جانبي ذلك الطريق حرف الجبل ، وعن
جانبه الآخر الوادي ؛ فإن مال مُرتقيه عن مَحَجَّتِهِ إلى جانب الوادي هوى ، وإن مال إلى
الجانب الآخر نطّحه حرف الجبل فتكسر ؛ صير إليّ غداً حتى أصحّحه لك .
[لحن له على الأذان]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثت من غير وجه : أن
إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد الوهاب المؤذن أذن به على باب
المعتصم ، فأصغى إليه فأعجبه ، فأعاد المبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن ؛ فبنى عليه
لحنه : [من المديد]

هزئت أسماء مني وقالت

[غلامه يغني إبراهيم بن المهديّ عندما فصد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبيّ: أن إبراهيم بن المهديّ فُصد يوماً ، فكتب إليه إسحاق يتعرّف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى ، وكتب إليه : إني سأهدي إليك هديةً للفصد حسنةً ؛ فوجّه إليه بُديحاً غلامه ، فغنّاه لحنه في : [من المديد]

هَزَّتْ أَسمَاءُ مِنِّي وَقَالَتْ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهدية ، فإن كان إذن لك في طَرَحِه على الجوّاري فافعل ؛ فقال له : بذلك أمرني ، وقال لي : إنك ستقول لي هذا القول ، فقال : إن قاله لك فقل له : لو لم آمرك بطرحه لم يكن هديةً ؛ فضحك إبراهيم ، وألقاه بُديح على جواريه . وقد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر ، فذكر أنّه كتب إلى أبيه بهذه الهدية ؛ وهذا خطأ ، لأنّ الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة ، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد ، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت ! .

[مخارق يخرج ابن بسخر]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن أبي العلاء قال : اندفع محمد بن الحارث بن بُسخر يوماً يغني هذا الصوت ؛ فالتفت إلينا مُخارق فقال : خرج¹ ابن الزانية ! .

[لماذا استحقّ البرامكة شكره]

حدثني عميّ قال حدثني أبو جعفر محمد بن الدهقانة النديم قال حدثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : دعاني الفضل بن الربيع ودعا علّويه ومُخارقاً ، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلاّ أنّ حاله كانت ناقصة متضعضة ؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق الموصليّ يسأله أن يصير إليه ويُعَلِّمه الحال في اجتماعنا عنده ؛ فكتب إليهم : لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة ؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قُرب العصر ، ثم وافى إسحاق فجلس ، وجاء غلامه بقطرَمِيز² نبيذ فوضعه ناحيةً ، وأمر صاحب الشراب بإسقاؤه منه ، وكان علّويه يغني الفضل بن الربيع في لحن لسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه ، وهو : [من الطويل]

فإن تَعَجَّبِي أَوْ تُبْصِرِي الدَّهْرَ طَمَنِي بِأَحْدَاثِهِ طَمَّ الْمُقْصَصُ بِالْجَلَمِ³

1 خرج : نبع .

2 القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج ويطلقونها في بعض الأماكن على المرطبان .

3 الجلم : المقص الذي يجز به الشعر والصوف .

فقد أترك الأضيافَ تَدْنَى رِحَالَهُمْ وأكرمهم بِالْمَحْضِ والتَّامِكِ السِّنَمِ¹

ولحنه من الثقل الثاني ، فقال له إسحاق : أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت ، وأنا أصلحه لك ؛ فجَنَّ عَلَوِيهِ واغتَناظ وقامت قيامته ؛ ثم أقبل إسحاق على عَلَوِيهِ فقال له : يا حبيبي ، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلته لك ، وإنما أردتُ تهذيبك وتقويمك ، لأنك منسوبُ الصواب والخطأ إلى أبي وإليّ ، فإن كرهتَ ذلك تركتك وقلت لك : أحسنت وأجملت ؛ فقال له عَلَوِيهِ : والله ما هذا أردت ، ولا أردت إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ؛ أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقتَ لما دعاك الأمير وعرفك أنه قد نشِطُ للاصطباح : ما حملك على الترفع عن مُباكرته وخدمته مع صنائعه عندك ، وما كان ينبغي أن يشعلك عنه شيء إلا الخليفة ! ثم تجيئه ومعه قطرميزُ نبيذٍ ترفعاً عن شرابه كما ترفعُ عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تنشط ، كما تفعل الأكفاء ، بل تزيد على فعل الأكفاء ؛ ثم تعمد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميعُ من حضر فما عابه منهم أحد فتعيبه ليتم تغيبك إياه لذته ؛ أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير ، بل بعضُ أتباعهم ، لبادرت وبأكرت وما تأخرت ولا اعتذرت ؛ قال : فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلَوِيهِ إسحاق ؛ فقال له إسحاق : أما ما ذكرته من تأخري عنه إلى الوقت الذي حضرت فيه ، فهو يعلم أنني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع ، إن وثق بذلك مني وإلا ذكرتُ له الحجةَ سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترفعي عنه ، فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه وأستمنحه وأعيش من فضله مذ كنتُ أنا وأبي ، وهذا تضريب² لا أبالي به منك . وأما حملي النبيذَ معي ، فإن لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه ، وإن لم أجده لم أقدر على الشرب وتنغص عليّ يومئذ ، وإنما حملته ليتم نشاطي ويتفع بي . وأما طعني على ما اختاره ، فإنني لم أطعن على اختياره ، وإنما أردتُ تقويمك ، ولست والله تراني مُتبعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقوماً شيئاً من خطئك ؛ وأنا أغنيّ له ، أعزه الله ، هذا الصوتُ فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك أخطأت فيه وقصرت . وأما البرامكة وملازمتي لهم فأشهرُ من أن أجحده ، وإنني لحقيقٌ فيه بالمعذرة ، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشره ، وذلك والله أقلُّ ما يستحقونه مني . ثم أقبل على الفضل ، وقد غاظه مدحُه لهم ، فقال : اسمع مني شيئاً أخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي ؛ فإن وجدت لي عذراً وإلا فلم : كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره ، فكان لا

1 التامك : العظيم السنام من الإبل ، ومثله السنم .

2 التضريب : الإغراء بين القوم .

يزال يجري بين غلماني وغلمانہ وجواريَّ وجواريہ الخصومة ، كما تجري بين هذه الطبقات ، فيشكونهم إليه ، فَأَتَبَيَّنَ الضَّجَرَ والتَّنَكُّرَ في وجهه ؛ فاستأجرت داراً بقره وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواريَّ ، وكانت داراً واسعة ، فلم أرضَ ما معي من الآلة لها ولا لمن يدخل إليَّ من إخواني أَنْ يَرَوْا مثله عندي ؛ ففكرت في ذلك وَكَيْفَ أَصْنَعُ ، وزاد فكري حتى خَطَرَ بقلبي قُبْحُ الأُحْدُوثة من نزول مثلي في دار باجرة ، وأني لا آمَنُ في وقت أن يستأذن عليَّ صاحبُ داري ، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي ، فيقال صاحبُ دارك ، أو يُوجَّه في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي مَنْ أحتشمه ؛ فضاقت بذلك صهري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد ؛ فأمرت غلامي بأن يُسْرِجَ لي حماراً كان عندي لأَمْضِيَ إلى الصحراء أُنْفِرَجَ فيها ممَّا دخل على قلبي ، فأسرجه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفضى بي المسيرُ وأنا مفكر لا أَمَيِّزُ الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ؛ فتوالت غلمانهُ إليَّ : وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير ؛ فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ خَجَلاً ، قد وقعت في أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب ، وإن قلت له : كنت مجتازاً ولم أقصِدْك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً ؛ ثم عزمتُ فدخلت ؛ فلما رآني تبسَّم وقال : ما هذا الزِّيَّ يا أبا محمد ! إحتبسنا لك بالبرِّ والقصد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً ؛ فقلت : لا والله يا سيدي ، ولكنني أصدُقك ؛ قال : هاتِ ؛ فأخبرته القصَّة من أولها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حقٌّ مستوٍ ، أفهذا شغل قلبك ؟ قلت : إي والله ؛ وزاد فقال : لا تَشْغَلْ قلبك بهذا ، يا غلام ، ردِّوا حماره وهاتوا له خِلعة ؛ فجاءوني بخِلعة تامَّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ووَضِعَ النبيذ فشربت وشرب فغَنَيْتُهُ ، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكسب أربع رِقَاع ظننتُ بعضها توقيعاً لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا بعضَ وكلائه فدفع إليه الرِّقَاع وسارَه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العَتَمَةِ ؛ ثم اتكأ يحيى فنام ، فقامت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدِّمَ لي حماري ؛ فلما تجاوزت الدَّارَ قال لي غلامي : إلى أين تمضي ؟ قلت : إلى البيت ؛ قال : قد والله يَبِيعُ دارك ، وأشهد على صاحبها ، واتبِعِ الدَّرْبُ كُلَّهُ ووُزِنَ ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرفك ، وأظنه اشترى ذلك للسلطان ، لأنني رأيت الأمر في استعجاله واستحثائه أمراً سلطانياً ؛ فوقع من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل ؛ فلما نزلتُ على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارَه يحيى قد قام إليَّ فقال لي : ادخل ، أَيْدِكَ الله ، دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه ؛ فطابت نفسي بذلك ، ودخلتُ ودخل إليَّ فأقرأني توقيعَ يحيى : «يُطَلَقُ لأبي

محمد إسحاق مائة ألف درهم يتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها». والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يتاع له بها داره، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي». والتوقيع الثالث إلى جعفر: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنفقها على بنائها وممرتها على ما يريد، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يتاع بها فرساً لمنزله». والتوقيع الرابع إلى محمد: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخوأك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يتاعه ونفقة يُنفقها عليه وفرش يُتذله، فمر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته». وقال الوكيل: قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألف درهم، وهذه كتب الabtيعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال بُورك لك فيه فأقبضه؛ فقبضته وأصبحت أحسن حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي؛ ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي، أفألام على شكر هؤلاء؟ فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر، وقالوا: لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي غن الصوت ولا تبخل على أبي الحسن علويه بأن تقوم له؛ فقال: أفعل؛ وغناه، فتبين علويه أنه كما قال، فقام فقبل رأسه وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد؛ وردّه إسحاق مرّاتٍ حتى استوى لعلويه.

[أكان ذلك عند علي بن هشام]

ولقد روي في هذا الخبر بعينه أن هذه القصّة كانت عند علي بن هشام، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني ميمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشميّ قالا: دعا علي بن هشام إسحاق الموصليّ وسأله أن يصطبّح عنده ويُبَكِّرُ فأجابته؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخَارِقٌ وعلّويه؛ فقال له علي بن هشام: أين كنت الساعة يا أبا محمد؟ قال: عاقني أمر لم أجِد من القيام به بُدّاً؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى علويه صوتاً، الشعر فيه لابن ياسين، وهو:

صوت

إلهي مَنَحْتَ الْوَدَّ مَنِّي بِخَيْلَةٍ وَأَنْتَ عَلَى تَغْيِيرِ ذَاكَ قَدِيرٌ
شَفَاءُ الْهَوَى بَثُّ الْهَوَى وَاشْتِكَاؤُهُ وَإِنَّ امْرَأَةً أَخْفَى الْهَوَى لَصَبُورٌ

الغناء لسليمان أخي أحيحة، خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبصر عن عمرو، فقال له إسحاق: أخطأت ويْلَكَ، فوضع علويه العود وشرب رطلاً وشرب علي بن هشام؛ ثم تناول العود وغنّى:

[من المديد]

صوت

ولقد أَسْمُو إلى غُرَفٍ في طريقٍ مُوحِشٍ جُدُدُه¹
حوله الأحراسُ تحرُسُه ولديه جائماً أَسَدُه

الغناء لمُعَبَد ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن عمرو ، فقال له إسحاق : أخطأتَ وَبَلَكَ ؛ فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له : دعاك الأمير ، أعزّه الله ، لتُبَكِّرَ إليه ، فجئته ظَهْراً ، وَغَنَيْتُ صوتين يشتهيهما الأميرُ أعزّه الله عليّ فخطأتني فيهما ، وزعمتُ أنك لا تغني بين يدي الأمير ، أعزّه الله ، ولا تغني إلا بين يدي خليفة أو وليّ عهد ، ولو دعاك بعض البرامكة لكنت تُسرِعُ إليه ثم تغني مُنْذُ غُدُوَةٍ إلى الليل ؛ فقال إسحاق : إني والله ما أردت انتقاصاً منك ، ولا أقول مثله لغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد ، ولكنني أردت بك خاصّة التقويم والتأديب ؛ فإن ساءك ذلك تركتك في خطئك . ثم أقبل على عليّ بن هشام ، فقال له : أعزّك الله ، إني أحدثك عن البرامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره : دخلت على يحيى بن خالد يوماً ، ولم أكن أردت الدخولَ عليه ، وإنما ركبت متبذلاً² لهم أَهْمَنِي ، وكنت نازلاً مع أبي في داره ، فضيقتُ صدرًا بذلك وأحببت النقلة عنه ، ونظرت فإذا يدي تَقْصُرُ عَمَّا يُصْلِحُنِي ؛ ثم ذكر الخبرَ نحواً ممّا قلته . وزاد فيه : أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِحٌ ، فلما رآه نعرَ وصفقَ ، وأنه وقعَ له بمائتي ألف درهم ، ووقعَ له كلٌّ من جعفر والفضل بمائة وخمسين ألفاً ، وكلُّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألف مائة ألف . وقال فيه : فبكى عليّ بن هشام ومن حضر ، وقالوا : لا يرى والله مثله هؤلاء أبداً ؛ وأخذ إسحاق العودَ فغنى الصوتين فأثنى فيهما بالعجائب ؛ فقام علّويه فقبلَ رأسه وقال له : أنت أستاذنا وابن أستاذنا ، وما بنا عن تقويمك غنى ؛ ثم غنى بعد ذلك لحنه : « تشكّي الكميّة الجري » ، ولم يزل يغني بقيّة يومه كلّما شرب عليّ بن هشام ؛ ثم انصرف فأتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنّية .

[رأي عبد الله بن العباس الرّيعي في غنائه]

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا عَوْنُ بن محمّد قال حدّثني عبد الله بن العباس الرّيعي قال : أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فلما جلست واطمأنت ، أخرج إليّ خادمه رقعةً ، فقال : اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأميرُ أعزّه الله ؛ فقرأتها فإذا فيها قوله : [من البسيط]

صوت

يرتاح للدّجنِ قلبي وهو مقتسَمٌ بين الهموم ارتياحَ الأرض للمطر³

1 الجدد : المعالم ، جمع جدة .

2 التبذل : ارتداء الملابس التي تلبس عادة في البيت .

3 الدجن : لباس الغيم الأرض .

إِنِّي جَعَلْتُ لِيَوْمِ الدَّجَنِ نِحْلَتَهُ أَلَّا يَزُولَ وَلِي فِي اللَّهِ مِنْ وَطَرٍ¹
وتحت هذين البيتين : «تقدّم ، جُعِلَتْ فداك ، إلى مَنْ بحضرتك من المغنين بآن يُغنوا في
هذين البيتين ، وألقى جميع ما يصنعونه على فلانة ؛ فإذا أخذته فأنفذها إليّ مع رسولي» ؛
فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أعزه الله ، فهل صنع فيهما أحد قبلي ؟ فقال : نعم ،
إسحاق الموصلي ؛ فقلت : والله لو كُلف إبليس أن يصنع فيهما صنعة يفضل إسحاق فيها
بل يساويه بل يقاربه ، ما قدّر على ذلك ولا بلغ مبلغه ؛ فضحك حتى استلقى ، وقال :
صدقت والله ؛ وهكذا يقول مَنْ يعقل لا كما يقول هؤلاء الحمقى ، ولكن اصنع فيهما على
كلّ حال كما أمر ؛ فقلت : أفعل وقد برئت من العهدة ؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة
كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القُرّادين .
[بكي لظهور الشيب في رأسه]

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني ميمون قال حدّثني إسحاق الموصلي قال : قال لي المعتصم أو
قال لي الواثق : لقد ضحك الشيب في عارضيك ؛ فقلت : نعم يا سيّدي ، وبكيت ؛ ثم قلت
أبياتاً في الوقت وغنيت فيها :

تولّى شبابك إلّا قليلاً وحلّ المشيبُ فصبراً جميلاً
كفى حزنًا بفراق الصبا وإن أصبح الشيبُ منه بديلاً
ولما رأى الغانياتُ المشيبَ بَ أغضينَ دونك طرْفاً كليلًا
سأندُبُ عهداً مضى للصبا وأبكي الشبابَ بكاءً طويلاً

فبكى الواثق وحزن وقال : والله لو قدّرتُ على ردّ شبابك لفعلتُ بشطْر مُلكي ؛ فلم يكن
لكلامه عندي جواب إلّا تقبيل البساط بين يديه .

[جهد المغنون أن يأخذوا الحنا له فلم يستطيعوا]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني حمّدون بن إسماعيل قال :
لما صنع أبوك لحنه في :

قِفْ بالديار التي غفا القدمُ وغيرتها الأرواحُ والديمُ²
رأيتهم (يعني المغنين) يأخذونه عنه ويجهّدون فيه ؛ فتوفّي والله وما أخذوا منه إلّا
رسمه .

1 النحلة : المذهب ، ويعني هنا أنّه يجعل ليوم الدجن ما يناسبه من الشراب واللّهو .

2 الأرواح : جمع ريح كأرياح ورياح .

نسبة هذا الصوت صوت

[من المنسرح]

قِفْ بالديار التي عفا القِدَمُ وَغَيَّرَتْهَا الأرواحُ والِدَيْمُ
لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نَسَائِلُهَا فَاضَتْ مِنَ الْقَوْمِ أَعْيُنُ سُجُمُ
ذِكْرًا لِعَيْشٍ مَضَى إِذَا ذَكَرُوا مَا فَاتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ سَقَمُ
وَكُلَّ عَيْشٍ دَامَتْ غَضَارَتُهُ مَنْقَطِعٌ مَرَّةً وَمَنْصَرَمُ

الشعر والغناء لإسحاق ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ جَمِيعِ أَغَانِيهِ .

حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ الْيَتِيمُ قَالَ حَدَّثَنِي عُجَيْفُ بْنُ عَنَبَسَةَ قَالَ :
كَنتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ ، فَغَنَّا : [مِنْ مَجْزُوءِ الْخَفِيفِ]

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا

فَأَمَرَهُ بِإِعَادَتِهِ ، فَأَعَادَهُ ثَلَاثًا ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ؛ فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : قَدْ
اسْتَحْسَنْتَ هَذَا الصَّوْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَفَنَأْخُذُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، خُذُوهُ فَقَدْ أَعْجَبَنِي ؛ فَاجْتَمَعَ
جَمَاعَةُ الْمَغْنِيِّينَ : مُخَارِقٌ وَعَلَوِيَّةٌ وَعَمْرُو بْنُ بَانَةَ وَغَيْرُهُمْ ، فَأَمَرَهُ الْمُعْتَصِمُ أَنْ يُلْقِيَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى
يَأْخُذُوهُ ؛ فَقَالَ عُجَيْفٌ : فَعَدَدْتُ خَمْسِينَ مَرَّةً قَدْ أَعَادَهُ فِيهَا عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوهُ
وَلَمْ يَكُونُوا أَخَذُوهُ . قَالَ هَارُونُ : فَنَحْنُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ
بُسْخُنَرٍ ، فَقَالَ لَهُ عُجَيْفٌ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، كُنْتُ أُحَدِّثُ أَبَا مُوسَى بِحَدِيثِنَا الْبَارِحَةَ مَعَ إِسْحَاقَ فِي
الصَّوْتِ وَإِنِّي عَدَدْتُ خَمْسِينَ مَرَّةً ؛ فَقَالَ مُحَمَّدٌ : إِي وَاللَّهِ ؛ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، وَلَقَدْ عَدَدْتُ أَنَا أَكْثَرَ
مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَمَا فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَهُ ، وَاللَّهِ مَا أَخَذَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَأَنَا أَوْلَهُمْ مَا
قَدَّرْتُ ، عَلَّمَ اللَّهُ ، عَلَى أَخَذَهُ عَلَى الصَّحَّةِ وَأَنَا أَسْرَعُهُمْ أَخْذًا ، فَلَا أَدْرِي : أَلِكَثْرَةِ زَوَائِدِهِ فِيهِ أَمْ
لَشِدَّةِ صَعُوبَتِهِ ؛ وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ شَيْئًا ؟ . أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا
حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عُجَيْفُ بْنُ عَنَبَسَةَ بِهَذَا الْخَبَرِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ سِوَاءً .
[يَنْظُمُ شِعْرًا عَلَى وَزْنِ أَعْجَبِ الْمُعْتَصِمِ]

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَحَدَّثَنِي حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ ، فَمَرَّ شِعْرٌ عَلَى هَذَا
الْوِزْنِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا لَكَ بِهِ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ فِي أَحْسَنِ مِنْ
هَذَا الشَّعْرِ :

صوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبَا

فأعجبه ، وقال لي : قد والله أحسنت ؛ وأمر لي بالْفَمِي دينار ، والله ما كانت قيمتهما عندي دَانِقِينَ .

الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاق ، ثاني ثَقِيلٍ بالسَّبَابَةِ في مجرى الوسطى .

[غَضِبَ عليه الأمين فتشفع إليه بالفضل بن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فأطريه فأجازه]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المَدِينِي قال حدثني ابن المَكِّي عن إسحاق قال : غَضِبَ عليَّ المخلوع¹ فأقصاني وجفاني ، فاشتد ذلك عليَّ ، قال : وجفاني وهو يومئذ بالأنبار ، فحملتُ عليه بالفضل بن الربيع ، فطلب إليه فشَقَّعه المخلوع ودعاني وهو مُصْطَبِحٌ ، فلم أزل متوقفاً وقد لَيْسَتْ قَبَاءٌ وخُفٌّ احمرّ واعتصبتُ بعصاة صفراء وشدّدت وسطِي بشُقَّةٍ حمراء من حرير ؛ فلما أخذوا في الأهازج دخلتُ وفي يديَّ صَفَاقَتان وأنا أتغنى : [من المجتث]

صوت

اسمع لصوتٍ طريبٍ من صَنَعَةِ الأنباري²

صوتٍ مليحٍ خفيفٍ يطيرُ في الأوتارِ

الشعر والغناء لإسحاق ، هزجٌ بالنصر ، فسُرَّ بذلك محمد ، وكان صوتهم في يومهم ذلك ، وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم . وأخبرني جَحْظَةُ بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المَكِّي قال حدثني أبي أن إسحاق حدّثه بهذا الخبر ، وذكر مثل ما ذكره يحيى ؛ وزاد فيه قال : وكان سبب تسمية محمد لي بـ«الأنباري» أنّي دخلت عليه يوماً وقد لُثْتُ³ عمامتي على رأسي لَوْتاً غير مستحسن ، فقال لي : يا إسحاق ، كأنّ عمامتك من عمام أهل الأنبار .

[الأصمعي يغيّر رأيه في شعر أعجبه]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي : قال إسحاق : قلت في ليلة من الليالي :

صوت

هل إلى نظرة إليك سبيلُ يُرو منها الصدى ويُشفي الغليل⁴

إنّ ما قلّ منك يكثرُ عندي وكثيرٌ ممّن تحبّ القليلُ

1 المخلوع هو محمد الأمين .

2 طريب في ل : طريف .

3 لاث عمامته : لفّها وعصبها .

4 جزم الفعل لضرورة الشعر .

قال : فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ ، فقال : هذا الدياج الخسروانيّ ، هذا الوشي الإسكندرانيّ ، لمن هذا ؟ فقلت له : إنه ابن ليلته ؛ فتبيّنت الحسد في وجهه ، وقال : أفسدته ، أفسدته ، أما إن التوليد فيه لبين . في هذين البيتين لإسحاق خفيفٌ ثقيلٌ بالنصر .
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني عليّ بن يحيى قال حدثني إسحاق بهذا الخبر ، فذكر مثل ما ذكره من قُدِّمت الرواية عنه ، وزاد فيه : فقال لي عليّ بن يحيى بعقب هذا الخبر : كان إسحاق يُعجّب بهذا المعنى ويكرّره في شعره ، ويرى أنه ما سبق إليه ؛ فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرمل]

صوت

أيُّها الطَّبِيُّ الغَرِيرُ هل لنا منك مُجِيرُ
إنَّ ما نَوَلْتَنِي مِنْ كَ وَإِنْ قَلَّ كَثِيرُ

لحن إسحاق فيه خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى ، فقلت : إنك قد سُبِّحت إلى هذا المعنى ، فقال : ما علمتُ أن أحداً سبقني إليه ؛ فأنشدته لأعرابيٍّ من بني عُقَيْلٍ : [من الطويل]

قِفِّي وَدَعِينَا يَا مَلِيحُ بِنَظَرَةٍ فَقَدْ حَانَ مِنَّا يَا مَلِيحُ رَحِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ وَكَلاَّ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ
عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فَوَعْتُ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَضْئِيلُ¹

صوت

[من الطويل]

أَيَا جَنَّةَ الدُّنْيَا وَيَا غَايَةَ الْمُنَى وَيَا سُوْلَ نَفْسِي هَلْ إِلَيْكَ سَبِيلُ
أَرَا جَعَةً نَفْسِي إِلَيَّ فَأَغْتَدِي مَعَ الرَّكْبِ لَمْ يُقْتَلْ عَلَيْكَ قَتِيلُ
فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولُ

قال : فحلف أنه ما سمع بذلك قط . قال عليّ بن يحيى : وصدق ، ما سمع بها . الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيْلِيِّ .

[حوار لطيف بينه وبين إبراهيم بن المهدي]

حدثني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الدّيناريّ بمكة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : عاتبني إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء إليه ، فقال لي : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمع له مع المحبة الخالصة طاعة لازمة ؛ فقلت له : جعلني الله فداك ، إذا ثبتت الأصول في القلوب ، نطقت الألسنُ

1 «فوعث وأما خصرها فضئيل» في ل : «فدعص وأما خصرها فنحيل» . ملاث الإزار : ما يلقه الإزار دون الخصر . الوعث : اللين ، والدعص : كتيب الرمل .

بالفروع ، والله يعلم أنَّ قلبي لك شاكر ، ولساني بالثناء عليك ناثر¹ ؛ وما يظهر الودَّ المستقيم ، إلّا من القلب السليم ؛ قال : فأبرئ² ساحتك عندي بكثرة مجيئك إليّ ؛ فقلت : أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نوباً أتقظ لها كتيقظي للصلوات الخمس ، وأكون بعد ذلك مقصراً ؛ فضحك وقال : مَنْ يقدر على جواب المغنين ؟ ؛ فقلت : مَنْ اتّخذ الغناء لنفسه ولم يتّخذ لغيره ؛ فضحك أيضاً ، وأمر لي بخَلَع ودنانير وبرذون وخدام . وبلغ الخبر المعتصم ، فضاغف لإبراهيم ما أعطاني ، فرُحْتُ³ وقد رِبِحت وأربِحت .

[عتب عليه الفضل بن الربيع]

حدَّثنا الحرّميّ قال حدَّثنا الدّيناريّ قال حدَّثني إسحاق قال : عتب عليّ الفضل بن الربيع في شيء بلغه عني ؛ فكتبت إليه : «إِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ عَفْوَاً وَعَقُوبَةً ؛ فذُنُوبُ الْخَاصَّةِ عِنْدَكَ مَسْتُورَةٌ مَغْفُورَةٌ ، فَأَمَّا مِثْلِي مِنَ الْعَامَّةِ فَذَنْبُهُ لَا يُغْفَرُ ، وَكُسْرُهُ لَا يُجْبَرُ ؛ فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ مَعَايِي فَأِعْرَاضْ لَا يُوَدِّي إِلَى مَقْتٍ» .

[جواب الأعرابي للفضل بن الربيع]

حدَّثني الحرّميّ قال حدَّثنا الدّيناريّ قال حدَّثني إسحاق قال : كان يختلف إليّ رجل من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقرّبه ويستظرف كلامه ، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه ؛ فقال له الفضل : فيم كنتم ؟ قال : كنّا في قَدْرِ تَقُورٍ ، وكأس تدور ، وغناء يَصُور³ ، وحديث لا يَحُور⁴ .

[كان يصنع الشعر وينحله الأعراب]

حدَّثنا الحرّميّ قال حدَّثنا الحسين بن طالب قال : كان إسحاق يقول الشعر على السن الأعراب ، وينشدناه للأعراب ، وكان يُعَايِي بذلك أصحابه ويُغْرِب عليهم به ؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابي :

لَفْظُ الْخَدُورِ عَلَيْكَ حُوراً عَيْنَا أَنْسَيْنَ مَا جَمَعَ الْكِنَاسُ قَطِينَا⁵
فَإِذَا بَسَمْنُ فَعَنْ كَمِثْلِ عَمَامَةٍ أَوْ أَقْحُوانِ الرَّمْلِ بَاتَ مَعِينَا⁶

1 ل : ناطق .

2 ل : فرجعت .

3 يصور : يصوت .

4 لا يحور : لا يرجع أي أنّه متجدّد طلي .

5 لفظ : أخرج .

6 معين : ريان .

وَأَصْحٌ مِنْ رَأَتْ الْعَيُونُ مُحَاجِرًا وَلَهْنٌ أَمْرَضُ مَا رَأَيْتَ عَيُونَا
وَكَاثِمًا تِلْكَ الْوَجُوهُ أَهْلَةً أَقْمَرَنَ بَيْنَ الْعَشْرِ وَالْعَشْرِينَا
وَكَاثِمِينَ إِذَا نَهَضْنَ لِحَاجَةٍ يَنْهَضْنَ بِالْعَقِدَاتِ مِنْ يَرِينَا¹

قال : وأنشدني أيضاً مما كان ينسبه إلى الأعراب وهو له : [من الطويل]

وَمَكْحُولَةُ الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَيْرِ مَا كُحِلَ مُهْفَهَفَةُ الْكَشْحَيْنِ ذَاتِ شَوَى خَدَلٍ²
مُنْعَمَةٌ الْأَطْرَافُ مُنْعَمَةُ الْبُرَى رَوَادِفُهَا تَحْكِي الدَّهَاسَ مِنَ الرَّمْلِ³
صَبُودٌ لِأَلْبَابِ الرِّجَالِ ، مَتَى رَنْتُ إِلَى ذِي نُهْيٍ جَلَدَ الْقَوَى وَافِرَ الْعَقْلِ⁴
تَخَلَّى النُّهْيَ عَنْهُ وَحَالَفَهُ الصَّبَا وَأَسْلَمَهُ الرَّأْيُ الْأَصِيلَ إِلَى الْجَهْلِ
شَيْبَةً كُتْبَانٍ يَرُوقُكَ تَحْتَهَا عَنَاقِيدُ كَرَمٍ جَادَهَا غَدَقُ الْوَبْلِ
رَمْتَنِي فَحَلَلْتُ نَائِطِيٍّ وَلَمْ تُصِيبْ لَهَا نَائِطِيٍّ قَلْبٍ وَلَا مَقْتَلًا نَبِيٍّ⁵

[رأي الرشيد في شعره]

حدثني علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا محمد بن يزيد الميرد قال حدثت عن الأصمعي قال : دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد فرأيناه لقيس⁶ النفس ؛ فأنشده إسحاق يقول :

صوت

وَأَمْرَةٌ بِالْبَخْلِ قَلْتُ لَهَا أَقْصُرِي فَذَلِكَ شَيْءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
أُرَى النَّاسَ خُلَانً الْكَرَامِ وَلَا أُرَى بَخِيلًا لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ خَلِيلُ
وَرَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزِرِّي بِأَهْلِهِ فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ
وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلِمْتِهِ إِذَا نَالَ خَيْرًا أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ⁷
فَعَالِي فَعَالٍ الْمَكْثَرِينَ تَجْمُلًا وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أُحْرِمُ الْغِنَى وَرَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

1 العقيدات : جمع عقدة وهي ما تراكم من الرمل وتعقد . ويرين : جانب من الدهناء .

2 الشوى الخدل : الأطراف المثلثة .

3 البرى : السوار أو الخلخال . الدهاس : المكان اللين السهل .

4 متى رنت في ل : إذا رنت .

5 النائط : العرق المستطن الصلب تحت المتن .

6 لقست نفسه : غثت وخبثت .

7 رواية ل : ومن خير خللات الفتى لو علمته إذا نال خيراً أن يقال نبيل

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله ؛ ثم قال : لله دَرَّ آيات تأتينا بها ؛ ما أَشدَّ أصولها ، وأحسنَ فصولها ، وأقلَّ فُصولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم ؛ فقال له إسحاق : وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلامَ آخذُ الجائزة ! فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم . قال الأصمعي : فعلمتُ يومئذٍ أن إسحاقَ أَحذَقُ بصيد الدراهم مِنِّي . وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريباً ممّا ذكره الأصمعيّ والألفاظ تختلف .

[يرتجل رجزاً في حفيد الفضل]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة عن إسحاق ، وأخبرني به جعفر بن قدامة ووَكيع عن حمّاد عن أبيه قال : كنتُ عند الفضل بن الرّبيع يوماً ، فدخل إليه ابن ابنه عبدُ الله بن العباس بن الفضل وهو طفل ، وكان يرقّ عليه لأنّ أباه مات في حياته ، فأجلسه في حجره وضمّه إليه ودمعت عيناه ؛ فأنشأتُ أقول :

[من الرجز]

صوت

مَدَّ لكَ اللهُ الحِياةَ مَدّاً	حتى يكونَ ابنُكَ هذا جَدّاً
مُؤزّراً بمجده مُردّى	ثم يُفدّى مثلَ ما تُفدّى
أشبهَ منك سُنّةَ وخَدّاً	وشيماً مَرَضِيّةَ ومجداً
كانّه أنتَ إذا تَبَدّى	شمائلاً محموداً وقَدّاً

قال : فتبسّم الفضلُ وقال : أمتعني اللهُ بك يا أبا محمّد ، فقد عُوِضْتُ من الحزن سروراً وتسليتُ بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قدامة : وحدثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى ، فذكر أنّ إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حجره ابنُ له .

غنى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرّمل ، يقال : إنّه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدّ ثم غنى به . وأخبرني ذكاء وجه الرّزة عن بدعة الكبيرة : أنّ الرمل لَعَرِيبٌ ، وأنّ لحنَ أبي عيسى خفيفٌ رملٍ .

[عيادته الفضل بن الرّبيع]

حدثني عمّي قال حدثني الفضل بن محمّد اليزيديّ عن إسحاق قال : أتيتُ الفضل بن الرّبيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت في مجلسي ذلك :

[من الطويل]

إذا ما أبو العباس عِيدَ ولم يَعدْ رأيتُ مَعُوداً أَكْرَمَ الناسِ عائداً

وجاء بنو العباس يبتدرونه مراضاً لما يشكوه مثنى وواحد
يُفقدونه عند السلام وكلهم مُجِلُّ له يدعوهم عمّا ووالدا
قال : وكان الفضل مضطجعاً ، فأمر خادماً له فأجلسه ، ثم قال لي : أَعِدْ يا أبا محمد
فَأَعَدْتُ ، فأمرني فكتبتها ، وسرّ بها وجعل يردّها حتى خفيها .
[استرضاه الفضل بن الربيع]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق ، وأخبرني الحسن بن عليّ
الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :
جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً فاحتبسته ؛ فقال لي : أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛
فقلت له : [من الطويل]

أَقِمْ يا أبا العوام ويحك نشرب ونلّه مع اللاهين يوماً ونطرب¹
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره فخذ به بشكرٍ واترك الفضل يغضب
فأقام عندي وسررنا يوماً ؛ ثم صار إلى الفضل ؛ فسأله عن سبب تأخره عنه ؛ فحدثه
الحديث وأنشده البيتين ؛ فغضب² وحول وجهه عني ، وأمر عوناً حاجبه بالألا يدخلني إليه ولا
يستأذن لي عليه ولا يُوصل لي رقعة ؛ فقلت : [من الطويل]

حرامٌ عليّ الكأس ما دُمّت غضباناً وما لم يعد عني رضاك كما كانا
فأحسين فإني قد أسأت ولم تزل تعودني عند الإساءة إحساناً
قال : وأنشدته إياهما ، فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه . وقد أخبرني بهذا
الخير محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، فذكر مثله وزاد فيه : فقلت في
عون حاجبه : [من الخفيف]

عونُ يا عون ليس مثلك عونُ أنت لي عُدّة إذا كان كَوْنُ
لك عندي والله إن رضي الفضل غلامٌ يُرضيك أو يردّونُ
قال : فأتى عون الفضل بالشعرين جميعاً ؛ فقرأهما وضحك وقال : ويحك ! إنّما عرض
لك بقوله : «غلام يُرضيك» بالسوء ؛ قال : قد وعدني ما سمعت ، فإن شئت أن تحرميه
فأنت أعلم ! فأمره أن يرسل إليّ ؛ فأتاني رسوله فصيرت إليه فرضي عني ؛ ووفيت لعون .
أخبرني جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ المرتجل قال حدثني أبي قال

1 العوام في : ل : العباس .

2 ل : فعتب عليّ .

حدَّثني الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ مُسْلِمًا ؛ فَقَالَ لِي : قَدْ عَزَمْتُ غَدًا عَلَى الصَّبُوحِ ، فَصِرَ إِلَيَّ بُكْرَةً ؛ فَكُنْتُ أَنَا وَالصَّبْحُ كَفَرَسَيَّ رِهَانًا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ مِنْ غَدٍ جَعَلْتُ طَرِيقِي عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ قَالَ لِي : أَقِمِ الْيَوْمَ عِنْدِي ؛ فَعَرَفْتَهُ خَبْرِي ؛ فَقَالَ :

أَقِمِ يَا أَبَا الْعَوَّامِ وَيَحْكُ نَشْرِبِ وَنَلُهُ مَعَ اللَّاهِنِ يَوْمًا وَنَطْرِبِ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ قَدْ جَاءَ خَيْرُهُ فَخُذْهُ بِشُكْرِ وَاتْرُكِ الْفَضْلَ يَغْضِبِ

فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَمْنُ غَضَبَهُ ، وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ فَقَالَ لِي : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ صَبُوحَ الْفَضْلِ أَبَدًا فِي وَقْتِ غَبُوقِ النَّاسِ ، فَأَقِمِ وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ امْضُ إِلَيْهِ ؛ فَأَجَبْتَهُ إِلَى ذَلِكَ ؛ فَلَمَّا شَرِينَا طَابَ لِي الْمَوْضِعُ ، فَأَقَمْتُ حَتَّى سَكِرْتُ . وَذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ نَحْوًا مَّا ذَكَرَ إِسْحَاقُ . انْتَهَى .
[كَانَ يَذْكُرُ الْمَغْنُونَ]

حدَّثني جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثني مُحَمَّدُ بْنُ الْمَكِّيِّ الْمُرْتَجِلُ قَالَ : قُلْتُ لِرُزْزُورِ الْكَبِيرِ : كَيْفَ كَانَ إِسْحَاقُ يَنْفُقُ عَلَى الْخُلَفَاءِ مَعَكُمْ وَأَنْتَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ وَمُخَارِقُ أَطِيبُ أَصَوَاتًا وَأَحْسَنُ نَغْمَةً ؟ قَالَ : كُنَّا وَاللَّهِ يَا بَنِي نَحْضُرُ مَعَهُ فَتَجَهَّدَ فِي الْغِنَاءِ وَنُقِيمُ الْوَهْجَ¹ فِيهِ وَيُقْبَلُ عَلَيْنَا الْخُلَفَاءُ² ، حَتَّى نَطْمَعُ فِيهِ وَنَنْظُنُّ أَنَا قَدْ غَلَبْنَاهُ ، فَإِذَا غَنَى عَمِلَ فِي غِنَائِهِ أَشْيَاءَ مِنْ مُدْرَاتِهِ وَحِذْقِهِ وَلُطْفِهِ حَتَّى يُسْقِطُنَا كُلَّنَا وَيُقْبَلَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ دُونَنَا وَيُجِيزُهُ دُونَنَا وَيُصْغِي إِلَيْهِ ، وَنَرَى أَنْفُسَنَا اضْطَرَارًّا دُونَهُ .

[أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ التَّخْنِثَ فِي الْغِنَاءِ]

حدَّثَنَا جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثني مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَكِّيِّ قَالَ حَدَّثني أَبِي قَالَ : كَانَ الْمَغْنُونُ يَجْتَمِعُونَ مَعَ إِسْحَاقَ وَكُلَّهُمْ أَحْسَنُ صَوْتًا مِنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا صَوْتُهُ فَيَطْمَعُونَ فِيهِ ؛ فَلَا يَزَالُ بُلُطْفُهُ وَحِذْقُهُ وَمَعْرِفَتُهُ حَتَّى يَغْلِبَهُمْ وَيُذْهِمُ جَمِيعًا وَيَفْضُلُهُمْ وَيَتَقَدَّمُهُمْ . قَالَ : وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ التَّخْنِثَ لِيُوَافِقَ صَوْتَهُ وَيَشَاكِلَهُ ، فَجَاءَ مَعَهُ عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ ؛ وَكَانَ فِي خَلْقِهِ نَبُوءٌ عَنِ الْوَتْرِ . أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَنَسِ بْنِ حَمْدُونَ : أَنَّ إِسْحَاقَ أَوَّلَ مَنْ جَاءَ بِالتَّخْنِثِ فِي الْغِنَاءِ وَلَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ ، وَإِنَّمَا احْتَالَ بِحِذْقِهِ لِمُنَافَرَةِ خَلْقِهِ الْوَتْرِ ، حَتَّى صَارَ يُجِيبُهُ بَعْضُ التَّخْنِثِ فَيَكُونُ أَحْسَنَ لَهُ فِي السَّمْعِ .

[كَانَ الْمَغْنُونُ يَتَهَاوَنُونَ فِي غَيْبَتِهِ فَإِذَا حَضَرَ جَدُّو]

أَخْبَرَنَا جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثني الْهَشَامِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ الْمَغْنُونُ إِذَا حَضَرُوا وَلَيْسَ إِسْحَاقُ

1 ل : الهزج .

2 ل : الخليفة .

معهم غنوا هويناً وهم غير مفكرين ؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلا الجِدَّة .
[قصته مع نافذ حاجب جعفر بن يحيى]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال : قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد : رأيت الأمير جعفر بن يحيى يَسْتَبِطُكُ ويقول : لست أراه ولا يَغْشاني ؛ فقلت : إني لآتيه كثيراً فأحجّب عنه ويصرفني نافذٌ حاجبه ويقول : هو على شغل ؛ قال : فبلغه أبي ذلك ؛ فقال له : قل له : إنك أمة إذا فعل ؛ فأقمت أياماً ثم كتبتُ إليه : [من المتقارب]

جُعِلَتْ فداءك من كلِّ سوء إلى حُسْن رأيك أشكو أناسا
يَحُولون بيني وبين السلام فليستُ أسلم إلا اختلاسا
وأنفذتُ أمرك في نافذٍ فما زاده ذاك إلا شماسا

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزِيد عن حمّاد عن أبيه ، فذكر مثله وقال : كان خادماً يحجّبه يقال له : نافذ ، فقال : إذا حَجَبك فَنَكِه ؛ فلمّا كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني ؛ فلمّا دخلتُ إليه أحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه ، وقال لي : أفعلتها يا عدوّ الله ! فغضب نافذ حتّى كاد يبيكي ، وجعل جعفر يضحك ويصفق ؛ ولم يعد بعد ذلك للتعرّض لي .
[غضب المأمون عليه وشك أبي الفرج في ذلك]

حدّثني الحسين بن أبي طالب قال حدّثني¹ عبيد الله بن المأمون ، وأخبرنا البيهقي عن عمّه عبيد الله عن أبيه قال : غضب المأمون على إسحاق بن إبراهيم ، ثم كَلِمَ فيه فَرَضِي عنه ودعا به ؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرض بين يديه واستقاله ؛ فأجابه المأمون جواباً جميلاً ، ثم قال له في أثناء كلامه :

فلا أنتَ أعتبتَ من زَلّة ولا أنتَ بالغتَ في المَعْدِرَة
ولا أنتَ وليتني أمرها فأغفِرَ ذنبك عن مَقْدِرَة

هكذا في الخبر ؛ وأظنّه إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ لا الموصليّ .

[أنشد أبا الأشعث الأعرابي شعراً له فأعجب به]

أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن أبي طالب قال حدّثني إسحاق قال : أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيّ شعراً لي ، فقال : والذي أصوم له مخافته ورجاءه ، إنك لمن طراز ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو كان شاباً يشتري لاشرتيه لك ولو بإحدى يدي² ، وإن في كبرك كما زان الجليسَ وسره .

1 ل : حدّثني الحرّمي قال حدّثنا الديناري قال حدّثنا

2 ل : عيني .

[حديث له مع زهراء الكلابية]

أخبرنا الحرّميّ قال حدّثنا الدّيناريّ قال حدّثنا إسحاق قال : قالت لي زهراء الكلابية : ما فعل عبد الله بن خرداذبه ؟ فقلت : مات ؛ فقالت : غير ذميم ولا لئيم ، غفر الله لصدّاه ، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلت لزهرّاء : حدّثيني عن قول الشاعر : [من الطويل]
أحبّك أن أُخبرْتُ أنّك فاركٌ لزوجك إني مُولّعٌ بالفوارِكِ¹
ما أعجبه من بغضها لزوجها ؟ فقالت : عرفته أنّ في نفسها فضلةً من جمال وشمخاً بأنفها وأبْهةً ، فأعجبتّه .

[غنى المعتصم وهو لقس النفس فاطربه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثتُ عن غير واحد : أنّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوماً من الأيام فرآه لقيسَ النَّفس ، فقال له : أما ترى يا أمير المؤمنين طيبَ هذا اليوم وحُسْنَه ؟ فقال المعتصم : ما يدعوني حُسْنُه إلى شيءٍ ممّا تريد ولا أنشطُ له ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه يومٌ أَكلٍ وشُربٍ ؛ فاشرب حتى أنشطتُك ؛ قال : أو تفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : يا غلمان ، قدّموا الطعامَ والشرابَ ومُدّوا الستارةَ ، وأحضروا الندماءَ والمغنينَ ؛ فأتي بالطعام فأكل وبالشراب فشرب وحضر الندماءُ والمغنون ؛ فغناه إسحاق : [من الوافر]

صوت

سُقِيَتِ الغيثُ يا قصرَ السلامِ فَنِعْمَ مَحَلَّةُ الْمَلِكِ الْهُمامِ

لقد نَشَرَ إِلَاهُ عَلَيْكَ نُوراً وَخَصَّكَ بِالسَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ

الشعر والغناء لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ بالسَّبابةِ في مَجْرَى البَنْصرِ عن إسحاق . وذكر حبّشٌ أنّ فيه للزُّبَيْرِ بن دَحْمانَ لحناً من الرَّمَلِ بالوسطى . قال : فطرب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً ، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلا وصلّه وخلع عليه وحمله ؛ وَفَضَّلَ إسحاقُ في ذلك أجمع .

[أول جائزة نالها من الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبّاح عن إسحاق قال : أوّلُ جائزةٍ أخذتها من الرشيد ألفُ دينارٍ في أوّلِ يومٍ دخلتُ إليه فغنيته :

عَلِقَ الْقَلْبُ بِزَوْعَا

فاستحسنه واستعاده ثلاثَ مرّاتٍ وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لي بألف دينار ؛ فكان أوّلُ جائزةٍ أجازنيها .

1 لزوجك في ل : لعمرك . والفارك من النساء : هي الكارهة لزوجها .

[أبي القدح من يد غلام قبيح الوجه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال¹ : كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فلما جلسوا للشراب جعل العُلمانُ يسقون مَنْ حضر ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبي بقدحٍ نبيذٍ فلم يأخذه ؛ ورآه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟ فكتب إليه أبي :

إصْبَحْ نَدِيمَكَ أَقْداحاً يُسَلْسِلُهَا من الشَّمُولِ وَأَتَبِعْهَا بِأَقْداحِ
من كَفِّ رِيمٍ مَلِيحِ الدَّلِّ رِيْقَتُهُ بعد الهُجُوعِ كَمِسْكَ أَوْ كُتْفَاحِ
لا أَشْرَبُ الرَّاحِ إِلَّا من يَدَيِ رَشِيٍّ تقبيلُ راحَتِهِ أَشهى مِنَ الرَّاحِ
فضحك وقال : صدقتَ والله ، ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ ، تامَّةُ الحُسنِ لطيفةُ الخُصرِ
في زِيٍّ غلامٍ عليها أَقْبِيَّةٌ وَمِنْطَقَةٌ ، فقال لها : تَوَلَّيْ سَقْيَ أَبِي مُحَمَّدٍ ؛ فما زالت تَسْقِيهِ حتى
سكر ؛ ثم أمر بتوجيهها وكلَّ مالها في داره إليه ، فحُمِلَتْ معه .
[مودَّة بينه وبين زهراء الكلابية]

أخبرني عمِّي قال حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصَّبَّاح قال : كانت امرأةٌ من بني كِلاب يُقال لها زَهراءُ تحدِّثُ إسحاقَ وتناشدهُ ، وكانت تَميلُ إليه ، وتكني عنه في عشيرتها إذا ذكرته بجُمْلٍ ؛ قال : فحدثني إسحاقُ أنها كتبتُ إليه وقد غابت عنه تقول : [من البسيط]

وَجَدِي بِجُمْلٍ على أَنِّي أَجْمِجُهُ وَجَدُ السَّقِيمِ يَبْرءُ بعدِ إِذْنافٍ²
أَوْ وَجَدُ ثَكْلِي أَصابَ الموتُ واحداً أَوْ وَجَدُ مُغْتَرِبٍ من بينِ الأَافِ
قال : فأجبتها :

أَقْرِ السَّلامَ على الزَّهراءِ إِذْ شَحَطَتْ وَقُلْ لها قد أَذَقْتَ القلبَ ما خافا
أَما رَأَيْتِ لِمَن خَلَفْتَ مَكْتَباً يُدْرِى مدامَعَه سَحّاً وَتَوَكَّافاً³
فما وَجَدْتُ على إِلفٍ أَفارِقُه وَجَدِي عليك وقد فارقتُ الأَافاً⁴

[يوم الماوشان]

أخبرني عمِّي قال حدثني عبدُ الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 42 (رقم 62) .

2 أَجْمِجُهُ : أَكْبَهه وأخفيه .

3 أَمَا رَأَيْتِ في ل : أَمَا أَوَيْت . تَوَكَّاف : سيل الدمع قليلاً قليلاً .

4 أَفارقه في ل : فجعت به .

أنشدني إسحاق لنفسه : [من الطويل]

سقى الله يوم الماوشان ومجلساً به كان أحلى عندنا من جنى النحل¹
غداة اجتنيينا اللّهُوَ غَضّاً ولم نُبلْ حِجابَ أبي نصر ولا غَضَبَ الفضل²
غَدَوْنَا صِباحاً ثم رُحْنَا كأننا أطاف بنا شرٌّ شديدٌ من الخبل
فسألتُه أن يكتبها ففعل ؛ فقلت له : ما حديث الماوشان ؟ فضحك وقال : لو لم أكتبك
الآيات لما سألتَ عما لا يعنيك ؛ ولم يخبرني .
[كان ابن الأعرابي يعجب به وبشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرويه قال حدثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن
ابن الأعرابي : أنه كان يصف إسحاق الموصلي ويقرّظه ويثني عليه ويذكر أدبه وحِفْظَه وعلمَه
وصدقَه ، ويستحسن قوله : [من الخفيف]

صوت

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ إن عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عني من لا أسمى فعيني كلَّ يوم وجداً عليه تسيلُ
الشعرُ والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى ، قال : وكان إسحاق إذا غنَّاه تفيض دموعه على
لحيته ويكي أحرَّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق . وحديث ابن موسى
عن حمّاد أتم ، واللفظ له .
[أول صوت وآخر صوت صنعه]

أخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالوا حدثنا محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق قال :
أولُّ صوت صنعه أبي : [من البسيط]

إني لأكني بأجبال عن أجبلها وباسم أودية عن اسم واديه
وآخر صوت صنعه مختاراً : [من مجزوء الخفيف]

قِفْ نُحَيِّ المَغَانِيَا والطلُولَ البوالِيَا
ثم قطع الصنعة حتى أمره الواصل بأن يعارض صنعته في : [من الطويل]
لقد بَخِلْتُ حتى لو أني سألتها

[اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه]

قال حمّاد وحدثني أبي قال : كان المغنون يحسدونني مُذْ كنت غلاماً فلما مات أبي

1 الماوشان : ناحية وقرى في واد بهمدان .

2 غضة في ل : غضب .

صنعت هذا الصوت فهو أول صوت صنعته بعد وفاته وهو : [من المتقارب]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرُصٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا

فقالوا للرشيذ : هذا من صنعة أبيه فقد انتحله ؛ فقال لي الرشيذ في ذلك ؛ فقلت : هذا ومائة بعده خير منه لهم ؛ فقال : اصنع في شعر الأخطل : [من الطويل]

أَعَاذَلْتِي الْيَوْمَ وَيَحْكَمَا مَهْلَا وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي وَلَا تُكْثِرَا الْعَذْلَا

فصنعت فيه كما أمرني ؛ فلما سمعوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا ، وزال عن قلب الرشيذ ما كان ظنه بي . وقد ذكر غير حماد أن اللحن الذي اختبره به الرشيذ قوله : [من الخفيف]

كُنْتُ صَبًّا وَقَلْبِي الْيَوْمَ سَالٍ عَنْ حَبِيبٍ يُسِيءُ فِي كُلِّ حَالٍ

وذكر أن الفضل بن الربيع قال الشعر في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيذ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال : أول ما سمعه الرشيذ من غناء أبي : [من الوافر]

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الْمَغَانِي وَكَيْفَ وَهَنْ مُدَّ حَجَجٍ ثَمَانِي

بَرِئْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ غَيْرَ شَوْقٍ إِلَى الدَّارِ الَّتِي بَلَوَى أَبَانِ

دِيَارٌ لَلَّتِي لَجَلَجْتُ فِيهَا وَلَوْ أَغْرَبْتُ لَجَّ بِهَا لِسَانِي

فَكَادَ يَظُلُّ لِلْعَيْنَيْنِ غَرْبٌ بَرَبْعِي دِمْنَةً لَا يَنْطِقَانِ

قال : فحدثني أبي أن المغنين قالوا للرشيذ : هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته فقلت له : أنا أذع لهم هذا ومائة صوت بعده ؛ ثم نظروا إلى ما جاء به بعد ذلك فأذعنوا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قِفْ نَحْيِ الْمَغَانِيَا وَالطُّلُولَ الْبَوَالِيَا

وَعَلَى أَهْلِهَا فَنَحْ وَابْكُ إِنْ كُنْتَ بَاكِيَا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاق ثقل أول بالوسطى .

صوت

[من المتقارب]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرُصٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا

يَلِين وَتَحَسَبُ آيَاتُهَا — عَنْ فَرَطٍ حَوْلَيْنِ رَقًّا مُجِيلًا
الشعر لكعب بن زهير . والغناء لإسحاق ثاني ثقبيل بالبنصر .

صوت

[من الطويل]

أَعَاذِلْنِي الْيَوْمَ وَيَحْكَمَا مَهْلًا وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي وَلَا تَكْثُرَا الْعَذْلَا
دَعَانِي تَجِدْ كَفِّي بِمَالِي فَإِنِّي سَأَصْبِحُ لَا أَسْطِيعُ جُودًا وَلَا بُخْلَا
إِذَا وَضَعُوا فَوْقَ الصَّفِيحِ جَنَادِلًا عَلَيَّ وَخَلَّفْتُ الْمَطِيَّةَ وَالرَّحْلَا
فَلَا أَنَا مُجْتَازٌ إِذَا مَا نَزَلْتُهُ وَلَا أَنَا لَاقٍ مَا تَوَيْتُ بِهِ أَهْلَا
الشعر للأخطل ، والغناء لإسحاق ، ثقبيل أول بالوسطى .

صوت

[من البسيط]

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبِلِهَا وَبِأَسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ أَسْمِ وَادِيهَا
عَمْدًا لِيَحْسَبَهَا الْوَاشُونَ غَانِيَةً أُخْرَى وَتَحَسَبُ أَنِّي لَا أَبَالِيهَا
وَلَا يُغَيِّرُ وَدِّي أَنْ أَهَاجَرَهَا وَلَا فِرَاقُ نَوَى فِي الدَّارِ أَتَوِيهَا
وَلِلْقُلُوصِ وَلِي مِنْهَا إِذَا بَعْدَتْ بَوَارِحُ الشُّوقِ تُنْضِيْنِي وَأَنْضِيهَا
الشعر لأعرابي ، والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالبنصر .

[حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونٍ قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ لِلوَائِقِ يَوْمًا :
الْأَهْزَاجُ مِنْ أَمْلَحِ الْغَنَاءِ ؛ فَقَالَ الْوَائِقُ : إِذَا كَانَتْ مِثْلَ صَوْتِكَ :

[من البسيط]

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبِلِهَا وَبِأَسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ أَسْمِ وَادِيهَا
فَهِيَ كَذَلِكَ .

[غنى لطلحة بن طاهر مراراً]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الرَّازِيُّ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ : بَعَثَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ طَاهِرٍ وَقَدْ انْصَرَفَ مِنْ وَقْعَةٍ لِلشُّرَاةِ وَقَدْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ فِي وَجْهِهِ ؛ فَقَالَ لِي الْغَلَامُ : أَجِبْ ؛ فَقُلْتُ : وَمَا يَعْمَلُ ؟ قَالَ : يَشْرَبُ ؛ فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ قَدْ عَصَبَ ضَرْبَتَهُ وَتَقَلَّسَ بِقَلَنْسُوَةٍ مَكِّيَّةٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ مَا حَمَلَكَ عَلَى لُبْسِ هَذَا ؟ قَالَ : التَّبَرُّمُ بغيره ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّ :

[من البسيط]

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبِلِهَا

قال : فغنيته إياه ، فقال : أحسنت والله ! أعد ! فأعدت وهو يشرب حتى صلى العتمة وأنا أغنيته ؛ فأقبل على خادِم له بالحضرة وقال له : كم عندك ؟ قال : مقدار سبعين ألف درهم ؛ قال : تحمّل معه . فلما خرجت من عنده تبيني جماعة من الغلمان يسألوني ، فوزعت المال بينهم ؛ فرفع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجه إليّ ثلاثاً ؛ فجلست ليلاً وتناولت الدواة والقرطاس فقلت :

علمني جودك السّماح فما أبقيت شيئاً لديّ من صلتك
لم أبق شيئاً إلاّ سمحت به كأنّ لي قدرة كمقدرتك
تُلف في اليوم بالهبات وفي السّاعة ما تجتنيه في ستك
فلست أدري من أين تُنفق لو لا أنّ ربّي يَجزي على صلتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصرت إليه ودخلت عليه فسلمت ؛ فرفع بصره إليّ وقال : اسقوه رطلاً فسقيته ، وأمر لي بآخر وآخر فشربت ثلاثاً ؛ ثم قال لي : غنّ : [من البسيط]

إنّي لأكني بأجبال عن أجبلها

فغنيته ثم أتبعته بالأبيات التي قلتها ، وقد كنت غنيته فيها لحناً في طريقة الصوت ؛ فقال : أدن فدنوت ، وقال : اجلس فجلست ، فاستعاد الصوت الذي صنعتُه فأعدته . فلما فهمه وعرف معنى الشعر قال لخادِم له : أحضِرني فلاناً فأحضره ؛ فقال : كم قبلك من مال الضيّاع ؟ قال : ثمانمائة ألف درهم ؛ فقال : احضِرنيها الساعة ؛ فجيء بشمانين بدرة ؛ فقال للخادِم : جئني بشمانين غلاماً مملوكاً ، فأحضروا ؛ فقال : احملوا هذا المال ؛ ثم قال : يا أبا محمّد ، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تُعطي لأحد منهم شيئاً .

[مهاجاته محمّد بن راشد]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن محمّد بن طالب قال : كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثير الغشيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصعب والحضور لسمره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسني جوارثه ويؤاثر صلاته ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه ؛ فأصيب إسحاق ببصره قبل موته بستين ، فترك زيارة إسحاق وغيره ممّن كان يغشاهم ولزم بيته . وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قطربل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شيخ بن عَميرة ومحمّد بن راشد الخنّاق والحرائي ؛ فجري ذكر إسحاق الموصليّ ، فتوجّع له إسحاق وذكر أنسه به وتمنى حضوره ، وذكره القوم فأطنّبوا في نشر محاسنه وشيّعوا ما ذكره

به إسحاق بما حسن موقعه لهم عنده ؛ وذكره محمد بن راشد ذكراً لم يحمدّه أصحابه عليه ، وزجره إسحاق ، فأمسك عنه ؛ فلما انصرفوا من مجلسهم نُمي إلى إسحاق الموصلي ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح : [من الطويل]

ألا قل لموسى الخير موسى بن صالح
ومن لو سألت الناس عنه لأجمعوا
لعمري لئن كان الأمير تمناني
لقد زادني ما كان منه صباة
وما زال ممتناً عليّ يخصني
هو السيد القرم الذي ما يرى له
نمته روابي مضعب وبني له
يعز عليّ أن تفوزوا بقربه
فيا ليت شعري هل أروحن مرة
وهل أرين يوماً غصارة ملكه
وهل أسمعن ذاك المراح الذي به
إذا قال لي «يا مرد ممي خر» وكرها

(هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل أشرب النبيذ)

فيا لك من ملهى أتيق ومجلس
وهل يغمزن بي ذواهنات ابن راشد
وهل أرين موسى الكريم ابن صالح

(يريد الغناء في :

فلم أر كالتجمير منظر ناظر
إذا صاح بالتجمير ثم أعاده
أولئك إخواني الذين أحبهم
وما منهم إلا كريم مهذب

فأجابه محمد بن راشد :

بعثت بشعر فيه أن رسالة
أتتك لموسى عن جماعة إخوان

[من الطويل]

ولا كليالي النفر أفتن ذا هوى
بتنسين إعراب صحيح وتبيان
وأوثرهم بالود من بين إخواني
حبيب إلى إخوانه غير خوآن

[من الطويل]

بشوق وذكّر للجميل ولم يكن
ولكن نطقنا بالذي أنت أهله
وموسى كريم لم يحيط بك خبره
ولو قد بلاك قال فيك كقول من
ولم يعرفه شوق إليك ولم يجد
حميت الندامى كلهم غير إنسان
فلا تعتب الإخوان من بعدها فما

قال : فأجابه إسحاق :

عجبت لمخدول تعرض جانباً
أتانا بشعر قاله مثل وجهه
فجاء بالفاظ ضعافٍ سخيفة
دعوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه
فإنكم والشعر إذ تدعونه
صه لا تعودوا للجواب فإنما
أنا الأسد الورد الذي لا يفله
ومن قد أردتم جاهدين سقاطه
لعمري لئن قاتم بما أنا أهله
وجحدكم إياي ما تعلمونه
ألا يزجر الجهال عنا أميرنا
ولا سيما من بان للناس شره

[محمد بن عمر الجرجاني يثني عليه]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرفارة قال : قال لي
محمد بن عمر² الجرجاني وقد تذاكرنا إسحاق يوماً بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئاً
تقاربون به وصفه . كان والله إسحاق غرة في زمانه ، وواحداً في دهره علماً وفقهاً وأدباً

1 خفان : موضع كان مأسدة .

2 ل : عمران .

ووقاراً ووفاء وجودة رأي وصحة مودة . كان والله يُخْرِسُ الناطقَ إذا نطق ، ويُحَيِّرُ السامعَ إذا تحدث ، لا يَمَلُّ جليسه مَجْلِسَه ، ولا تَمُجُّ الآذانُ حديثه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدثك الهالك ، وإن ناظرَكَ أفادك ، وإن غناكَ أطربك . وما كنتَ ترى خصلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِّمُ أحدٌ على مُساجلتِه ومباراته .

[أمره المأمون أن يغني في شعر رآه مكتوباً في بساط]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : أمر المأمون يوماً بالفرش الصفيّ أن يُخرج ؛ فأخرج فيما أُخرج منه بساطاً طبريّاً أو أصبهبذانيّ ، مكتوب في حواشيه :

صوت

لَجَّ بالعين واكفُ من هوى لا يُساعِفُ
كلّما جَفَّ دمعُه هيجتُه المعارِفُ
إنما الموتُ أن تَفَا رِقَ مَنْ أَنْتَ آلفُ
لك حَبَانٌ في الفؤا دِ تليدٌ وطارفُ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّلَ به ؛ فصنع فيها المَرْجَ الذي يُغْنَى به اليوم . قال أحمد : وسمعتها أبي منه فقال : لو كان هذا المَرْجَ لِحَكَمِ الوادي لكان قد أحسن . يريد أن حكماً كان صاحبَ الأهازج .

[اعجاب يحيى المكيّ به]

أخبرني الحسن قال حدثني يزيد بن محمد قال حدثني ابن المكيّ قال : تذاكرنا يوماً عند أبي صنعة إسحاق ، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغناهُ إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ابن ياسين :

صوت

الطُّلُولُ الدُّوَارِسُ فارقتها الأوانِسُ
أوْحِشتْ بعد أهلها فهي قَفَرٌ بَسَابِسُ

الغناء لإسحاق خفيفٌ ثقيلٌ بالنصر . قال : فقال أبي : لو لم يكن من بدائع إسحاق غيرُ هذا لكفى ، «الطُّلُولُ الدُّوَارِسُ» كلمتان ، و«فارقتها الأوانِسُ» كلمتان ، وقد غنى فيهما استهلاً وبسيطاً وصاح وسَجَّحَ ورجَّع النغمة واستوفى ذلك كله في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله ؛ فَمَنْ شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربه . ثم قال : إسحاق والله في زماننا فوق ابن سُرُجٍ والغريض ومعبّد ، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعرفوا فضله واعترفوا له به . وأخبرني عمي

عن يزيد بن محمد المهلبى : أنه كان عند الواصل فغتنه شجاً هذا الصوت ؛ فقال الواصل مثل هذا القول . والمذكور أن ابن المكى قاله ؛ فلا أدري أهذا وهم من يزيد ، أو اتفق أن قال فيه الواصل كما قال يحيى ، أو اتفقت عليه قريحتاهما .

[أعجب هو والزبير بن دحمان بغناء خباز]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال : أرسل إليّ الفضل بن الربيع يوماً وإلى الزبير بن دحمان ، فوافق مجيئنا شغلاً كان له ، فصرنا إلى بعض حجره ، فنعست فبغت فإذا زبير يحررني فانتبهت فإذا خباز في مطبخ الفضل يضرب بالشوبق يُعني : [من الهرج]

صوت

بدّير القائم الأقصى غزالٌ شَفَنِي أُحْوَى
بَرَى حُبِّي له جسمي وما يدري بما ألقى
وأخفي حبه جهدي ولا والله ما يخفى

الشعر والغناء لإسحاق خفيفٌ ثقيل بالنصر . قال : فقال لي الزبير : تَضَنّ بهذا وانظر مَنْ يتذله ! ؛ فقلت : لا أَضَنّ بغناء بعد هذا .

[المأمون يستحسن أصواتاً من مغنٍ دون إسحاق]

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيّب السرخسي قال حدثنا عمر بن سُبّة قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد : كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين ، فيهم إسحاق وعُلوّيه ومُخارق وعمرو بن بانه ؛ فغنّى مخارق في الثقل الأول :

صوت

أعاذلُ لا آلوك إلا خليقتي فلا تجعلني فوقى لسانك مبرداً
ذريني أكنّ للمال ربّاً ولا يكن لي المالُ ربّاً تحمدي غيّه غداً
ذريني يكن مالي لعرضي وقايةً يقي المالُ عرضي قبل أن يتبدداً
ألم تعلمي أنّي إذا الضيفُ نابني وعزّ القرى أقري السديفَ المُسرّها¹

فقال له المأمون : لمن هذا اللحن ؟ قال : لهذا الهزبر الجالس (يعني إسحاق) ؛ فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يديّ وأعد الصوت ؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده ، وشرب المأمون عليه رطلاً ؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له : غنّ هذا الصوت ؛ فغنّاه فلم

1 السديف : السنام ، والمسرهد : المقطع أو السمين .

يستحسنه كما استحسنه من مخارق ؛ ثم دار الدور إلى علويه ، فقال له : غنّ فغنى في
الثقل الأول أيضاً : [من الوافر]

صوت

أَرَيْتُ الْيَوْمَ نَارَكَ لَمْ أَغْمَضْ بَوَاقِصَةٍ وَمَشْرُبْنَا بَرُودُ¹
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ مَوْقِدِهَا وَلَكِنْ لِأَيَّةِ نَظَرَةٍ زَهَرَ الْوَقُودُ
فَبِتُّ بَلِيلَةً لَا نَوْمَ فِيهَا أَكَابِدُهَا وَأَصْحَابِي رُقُودُ
كَأَنَّ نَجْوَمَهَا رُبُطَتْ بِصَخْرٍ وَأَمْرَاسٍ تَدُورُ وَتَسْتَرِيدُ

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت ؟ فقال : لهذا الجالس وأشار إلى إسحاق فقال لعلويه :
أعده فأعاده ، فشرب عليه رطلاً ؛ ثم قال لإسحاق : غنّه فغنّاه فلم يطرب له طربه لعلويه .
فالتفت إلى إسحاق ثم قال لي : أيها الأمير ، لولا أنه مجلس سرور وليس مجلس لجاج² وجدال
لأعلمته أنه طرب على خطأ ، وأن الذي استحسنه إنما هو تزايد³ منهما³ يُفسد قسمة³ اللحن
وتجزئته ، وأن الصوت ما غنيته لا ما زادا . ثم أقبل عليهما فقال : يا مختثان ، قد علمت أنكما
لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رفعتي ، وأنا على مكافأتكما قادر ؛ فضحك المأمون وقال له : ما
كان ما رأيته من طربي لهما إلا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك .
[غناؤه للمعتصم بعد رحلة صيد]

حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك
الخزاعي قال حدثني إسحاق قال : دخلت يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه
ظباء مذبحه⁴ وطيور ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأمرني بالجلوس والغناء ؛
فجلست وغنيته : [من الرمل]

صوت

اشْتَهَيْنَا فِي رَيْعٍ مَرَّةً زَهَمَ الْوَحْشِ عَلَى لَحْمِ الْإِبِلِ⁵
فَغْدَنَّا بِطُؤَالِ هَيْكَلٍ كَعَسِيبِ النَّخْلِ مِيَادَ خَضِيلِ⁶

1 واقصة منزل بطريق مكة ، والبرود : البارد . ومشرنا برود في ل : ومشرقنا زرود .

2 ل : حجاج .

3 تزايد وتريد : تكلف زيادة لا داعي لها .

4 ل : مذبوحه .

5 زهم : شحم الوحش دون أن تكون فيه زهومة أي كراهة ربح .

6 هيكَل : الضخم من الحيوان .

الشعر يقال : إنه لأعشى همدان ، والغناء لأحمد النَّصْبِيَّ خفيفٌ ثَقِيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، فتبسّم وقال : وأين رأيت لحم الإبل ؟ فغنيته : [من مجزوء الكامل]

صوت

ليس الفتى فيهم إذا شرب الشراب مؤنباً
لكن يروح مُرنحاً حسن الثياب مُطيباً
يسقونه صِرْفاً على لحم الطباء مُضْهِباً¹

فقال : هذا أشبه ، وشرب . ثم غنيته بشعر وضّاح اليمن ، قال : والغناء لابن مُحَرِّز ثَقِيلٌ
أول² : [من الهزج]

صوت

أبى القلبُ اليمانيّ الـ ذي تُحمَدُ أخلاقه
ويرفضُ له اللحنُ فما تُفتقُ أرتاقه
غزالٌ أدعجُ العين ربيبُ خدلجٍ ساقه³
رماني فسيّ قلبي وأرميه فأشتاقه

فطرب وقال : هذا والله أحسن صيد والله ، وشرب عليه بقيّة يومه وخلع عليّ وأمر لي بجائزة . هكذا ذُكر في هذا الخبر أنّ الثَقِيلَ الأوّلَ لابن مُحَرِّز وقد قيل ذلك . وذكر عمرو بن بانه أنّ الثَقِيلَ الأوّلَ بالبنصر لابن طُنبورة ، وأنّ لحن ابن مُحَرِّز خفيفٌ ثَقِيلٌ .

[دقّه في الوصف]

حدّثني عمّي قال حدّثني فضل اليزيديّ قال : قال لي إسحاق يوماً في عرض حديثه : دخلت على المعتصم ذات يوم وعليه قميصٌ دَبِيقِي⁴ كأنما قد من جِرم الزُهرة⁵ ؛ فضحكت ؛ فقال : ما أضحكك . فقلت : من مبالغتك في الوصف ، فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدثاً قطُّ ولا واصفاً أبْلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً .

[تبرّمه بالغناء وبالتسمية به]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال :

1 لحم مضطرب : مقطّع .

2 ديوان وضّاح اليمن (صادر) : 69 عن الأغاني .

3 خدلج في ل : مجدل . والخدلج : المتلىء .

4 الدبقي : المنسوب إلى دبيق وهي بلدة كانت بمصر .

5 الزهرة : ثاني الكواكب السيّارة في القرب من الشمس .

قال لي إسحاق : وَدِدْتُ أَنْ كُلَّ يَوْمٍ قِيلَ لِي : غَنَّ أَوْ قِيلَ لِي عِنْدَ ذِكْرِي : الْمَغْنَى ، ضَرْبُ رَأْسِي خَمْسَةَ عَشَرَ سَوْطاً ، لَا أَقْوَى عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا ، وَلَمْ يُقَلِّ لِي ذَلِكَ .
[صنع لحناً على لحن أذان سمعه]

أخبرنا يحيى قال حَدَّثَنَا حَمَادٌ قَالَ : صَنَعَ أَبِي لَحْنَهُ فِي : « تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرِّي » عَلَى لَحْنِ أَذَانِ سَمِعَهُ .
[كثرة حفظه لأهراج القدماء]

أخبرنا يحيى قال حَدَّثَنَا حَمَادٌ قَالَ : تَذَاكَرْنَا¹ يَوْمًا الْهَزَجَ عِنْدَ الْمَأْمُونِ ؛ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ : مَا أَقَلُّهُ فِي الْغَنَاءِ الْقَدِيمِ ! ؛ فَقَالَ إِسْحَاقُ : مَا أَكْثَرُهُ فِيهِ ! ثُمَّ غَنَاهُمْ ثَلَاثِينَ هَزَجًا فِي إِصْبَعٍ وَاحِدَةٍ وَمَجْرَى وَاحِدٍ ، مَا عَرَفُوا جَمِيعًا مِنْهَا إِلَّا نَحْوَ سَبْعَةِ أَصْوَاتٍ .
[تقدير زرزور لقدرته في الغناء]

حَدَّثَنِي يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي قَالَ حَدَّثَنِي عَافِيَةُ بْنُ شَيْبٍ قَالَ : قُلْتُ لِرُزْزُورٍ : مَا لَكُمْ تَذَلُّونَ لِإِسْحَاقَ هَذَا الذَّلَّ ، وَمَا فِيكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ أَطْيَبُ صَوْتًا مِنْهُ ، وَهِيَ فِي صِنَائِعِكُمْ وَصْمَةٌ ! فَقَالَ لِي : لَا تَقُلْ ذَلِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ رَأَيْنَا مَعَهُ لِرَحِمَتِنَا وَرَأَيْنَا نَذُوبَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ فِي النَّارِ ! .
[غضب عليه الفضل بن الربيع فرفضه وحاجبه]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ : لَاعَبْتُ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ بِالنَّرْدِ ، فَوَقَعَ بَيْنَنَا خِلَافٌ ، فَحَلَفَ وَحَلَفْتُ ، فَغَضِبَ عَلَيَّ وَهَجَرَنِي ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

يقول أناسٌ شامتون وقد رأوا مُقَامِي وَغِبَابِي الرِّوَاخَ إِلَى الْفَضْلِ
لقد كان هذا خُصًّا بِالْفَضْلِ مَرَّةً فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْيَوْمَ مُنْصَرِمَ الْحَبْلِ
ولو كان لي في ذاك ذَنْبٌ عَلِمْتَهُ لَقَطَعْتُ نَفْسِي بِالْمَلَامَةِ وَالْعَذْلِ

وَعَرَضْتُ الْأَبْيَاتَ عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَأَهَا ضَحِكَ وَقَالَ : أَشَدَّ مِنْ ذَنْبِكَ أَنْتَ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ ذَنْبًا ؛ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَذْبَنُكَ أَدَبَ الرَّجُلِ وَلَدَهُ ، وَأَنْ حَسَنَكَ وَقِيحَكَ مُضَافَانِ إِلَيَّ لِأَنْكَرْتَنِي ؛ فَأَصْلِحِ الْآنَ قَلْبَ عَوْنٍ ، وَكَانَ يَحْجُبُهُ ، فَخَاطَبْتَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَنِي بِمَا كَرِهَتْ ؛ فَقُلْتُ : أَتَدْخُلُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَمِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ ! ؛ وَكَانَ عَوْنٌ يُرْمَى بِالْأُبْنَةِ فَقُلْتُ فِيهِ : [من الطويل]

وذاكر أمرٍ ضاقَ ذرعاً بذكره وناسٍ لداءٍ منه مُتَسِعِ الْخَرَقِ

قال : ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ لِي رِضَى الْفَضْلِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَرْضَى عَوْنٌ ، فَقُلْتُ فِيهِ : [من الخفيف]

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلك عَوْنُ أَنْتِ لي عُدَّةٌ إِذَا كَانَ كَوْنُ
لَكَ عِنْدِي وَاللَّهِ إِنَّ رَضِيَ الْفَضْ لُ غَلَامٌ يُرْضِيكَ أَوْ يَرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضاه لي فرضي ؛ ثم قال له : ويلك يا عون ! إنه والله إنما هجأك وأنت ترى أنه قد مدحك ، ألا ترى إلى قوله : « غلام يرضيك » ؟ هذا تعريض بك ؛ قال : فكيف أصنع به مع محله عند الأمير ! .
[شكا إليه المأمون أصحابه]

أخبرني الصُّوليُّ قال حَدَّثَنِي عَوْنُ عن إِسْحَاقَ ، وأخبرني بعضُ الخِبرِ إِسْمَاعِيلُ بنُ يُونُسَ عن عَمْرِو بنِ شَبَّهٍ عن إِسْحَاقَ ، ولفظُ الخِبرِ وسياقته للصُّوليِّ ، قال : استدانني المأمون يوماً وهو مُسْتَلَقٌ على فِرَاشٍ حتى صارت ركبتني على الفراش ، ثم قال لي : يا إِسْحَاقَ ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَصْحَابِي : فَعَلْتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدَّدَ جماعةً من خواصِّه ؛ فقلتُ له : أَنْتِ يا سَيِّدِي بتفضُّلكَ عَلَيَّ وحسنِ رَأْيِكَ في ظَنَنْتُ أَنِّي مِمَّنْ يُشَاوِرُ في مثلِ هذا ، فجاوزتَ بي حَدِّي ، وهذا رَأْيِي يَجِلُّ عَنِّي ولا يبلِّغه قَدْرِي ؛ فقال : وَلِمَ وَأَنْتِ عِنْدِي عالمٌ عاقلٌ ناصحٌ ؟ فقلتُ : هذه المنزلةُ عِنْدَ سَيِّدِي علَّمتني أَلَّا أَقُولَ إِلَّا ما أَعْرِفُ ولا أَطْلُبُ إِلَّا ما أُنَالُ ؛ فَضَحِكَ وقال : قد بلغني أَنَّكَ في هذه الأَيَّامِ صَنَعْتَ لِحْنًا في شعرِ الرَّاعِي ولم أَسْمَعْهُ مِنْكَ ؛ فقلتُ : يا سَيِّدِي ، ما سمعهُ أَحَدٌ إِلَّا جَوَارِيَّ ، ولا حضرتُ عِنْدَكَ للشربِ منذ صَنَعْتُهُ ؛ فقال : غَنِّهِ ؛ فقلتُ : الهَيْبَةُ والصَّخْوُ يَمْنَعَانِي أَنْ أُؤَدِّيَهُ كَمَا تَرِيدُ ، فلو أَنَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بشيءٍ يُطْرِبُهُ وَيَقْوِي بِهِ طَبْعَهُ كَانَ أَجودَ ؛ قال : صدقتُ ، ثم أَمَرَ بِالْغَدَاءِ فَتَغَدَّيْنَا ، ومُدَّتْ السَّتَارَةُ فغَنِّي من ورائها وشربنا أَقْداحًا ؛ فقال : يا إِسْحَاقَ ، أَمَا جَاءَ أَوَانُ ذَلِكَ الصَّوْتِ ؟ فقلتُ : بلى يا سَيِّدِي ، وَغَنَيْتُهُ لِحْنِي في شعرِ الرَّاعِي ¹ : [من الوافر]

صوت

أَلَمْ تَسْأَلْ بِعَارِمَةِ الدِّيارِ عن الحَيِّ الْمُفَارِقِ أَيْنَ صَارَا²
بلى ساءَ لَهَا فَأَبَتْ جَوَاباً وَكَيْفَ تُسْأَلُ الدَّمَنَ الْقِفَارَا

لِحْنُ إِسْحَاقَ في هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، قال : فاستحسنه وما زال يشربُ عَلَيْهِ سَائِرَ يَوْمِهِ ، وقال لي : يا إِسْحَاقَ ، لا طَلَبَ بَعْدَ وَجُودِ الْبُغْيَةِ ، ما أَشْرَبَ بَقِيَّةَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا عَلَى هَذَا الصَّوْتِ ؛ ثم وصلني وخَلَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً مِنْ ثِيَابِهِ .

1 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : القصيدة رقم 70 وهي فيه 59 بيتاً والبيت الأول هنا أولها والثاني هو الثامن والخمسون .

2 عارمة : موضع بنجد . صارا : الديوان : سارا .

[مدح أعرابية له]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْنُ بن محمد قال حدَّثني إسحاق قال¹ : كانت أعرابية تقدّم عليّ من البادية فأفّضل عليها ، وكانت فصيحة ؛ فقالت لي ذات يوم : والذي يعلم مغزى كلّ ناطق لكأنّك في علمك وُلدتَ فينا ونشأت معنا . ولقد أرّيتني نجداً بفصاحتك ، وأحللتني الربيع بسماحتك ؛ فلا اطرد لي قول إلا شكرتك ، ولا نسمت لي ربح إلا ذكرتك .

[أخّل أبو المجيب الربيع صداقاً وداعبه بشعر]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْنُ بن محمد قال حدَّثني المغيرة بن محمد المهلب عن إسحاق قال : كان أبو المجيب الربيع فصيحاً عالماً ، فقال لي : يا أبا محمد ، قد عزمْتُ على التزوُّج فأعني وقوّني ؛ قال : فأعطيته دنائير وثياباً . فغاب عني أياماً ثم عاد ؛ فقلت : يا أبا مجيب ، هاهنا أبيات فاسمعهما ؛ فقال : هاتهما ؛ فقلت :

يا ليت شعري عن أبي مجيب إذ بات في مجاسيد وطيب
معانقاً للرّشأ الرّيب أحمد المحفّار في القلب²
أم كان رخوّاً ذابل القضيبي

قال : فقال لي : الأخير والله يا أبا محمد .

[عتاب صديق]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عون بن محمد قال حدَّثني إسحاق قال : كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا ، فمررتُ ببابه يوماً ، فتذمّمتُ أن أجوزهُ ولا أدخل إليه ، فدعوتُ بدوّاةٍ وقرطاس وكتبتُ إليه :

رجعنا بالصفاء إلى الخليل فليس إلى التّهاجر من سبيل
عتابٌ في مراجعةٍ وصفح أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميل

قال : ووجهتُ بالرّقعة وقصدتُ بابهُ ، فخرج إليّ حتى تلقّاني ، ورجعنا إلى ما كنّا عليه .

[تَبَّتْ صدق روايته الأخبار]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عبد الله بن المعتز عن الهشامي قال : كان أهلنا يعتبرون على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره ، بأن يجلسوا كاتبين فهمتين خَلَفَ السّتارة ، فتكتبان ما يقوله وتضبطانه ، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك

1 انظر التذكرة الحمدونية 4 : 49 .

2 أحمد : أتى بما يحمد . القلب : البئر .

المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأها من دفتر ؛ فعلموا حينئذٍ أنه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلا الحق .
[غنى علويه لحناً لأبيه فخطاه في مجلس المأمون]

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن مزيد المهلب قال حدثني أبي عن إسحاق قال : كنا عند المأمون ، فغناه علويه :

صوت

لَعْبَدَةَ دَارٍ مَا تَكَلَّمْنَا الدَّارُ تُلُوحُ مَغَانِيهَا كَمَا لَاحَ أُسْطَارُ
أَسَائِلُ أَحْجَارٍ وَنُوبًا مُهَدَّمَا وَكَيْفَ يَرُدُّ الْقَوْلَ نَوِيٍّ وَأَحْجَارُ

الشعر لبشار ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، قال : فقال المأمون : لمن هذا اللحن ؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبي ، وقد أخطأ فيه علويه ؛ قال : فغناه أنت فغنيته ، فاستعادني مراراً وشرب عليه أقداحاً ؛ ثم تمثّل قول جرير : [من البسيط]

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ¹

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم . ووجدت هذا الخبر بخط أبي العباس ابن ثوبة ، فكان فيه : حدثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال : اجتمعنا بين يدي المعتصم ، فغنى علويه :

لَعْبَدَةَ دَارٍ مَا تَكَلَّمْنَا الدَّارُ

فقال له إسحاق : أخطأت فيه ، ليس هو هكذا ؛ فقال علويه : أم من أخذناه عنه هكذا زانية ؛ فقال إسحاق : شتمنا قبحه الله ، وسكت وبان ذلك فيه ؛ وكان علويه أخذه من إبراهيم .
[حواره مع علويه]

حدثني جحظة قال حدثني أبو العنيس بن حمدون عن أبيه عن جدّه قال : كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يُغني إلا الخليفة أو وليّ عهده أو رجلاً من الطاهرية مثلاً إسحاق بن إبراهيم وطبقته ؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم ، فاشتبهى الواثق أن يضرب² بين مخارق وعلويه وإسحاق حاضر ، ففعل حتى تهاترا ؛ ثم قال لإسحاق : كيف هما الآن عندك ؟ فقال : أما مخارق فمُنَادٍ طَيِّبُ الصوت ؛ وأما علويه فهو خير

1 ابن اللبون : ولد الناقبة في عامه الثاني . لز : شد . القرن : الحبل الذي يقرن به البعيران . البزل : جمع بازل وهو البعير الذي انشق نابه ويكون ذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . القناعيس : جمع قنعاس وهو الجمل الضخم الشديد .

2 التضريب : الاغراء .

حِمَارِي الْعِبَادِي¹ ، وهو على كلِّ حال شَيْءٌ (يريد تصغيره) ؛ فوثبَ عَلَيْهِ مُغَضَّباً ، ثم قال للوائق : جواريه حرائرٌ ونساؤه طوالقٌ ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقَّ أبك ، أن يصدقَ عَمَّا أَسْأَلُهُ عنه ، لَأَتُوبَنَّ عن الغناء ما عِشْتُ ؛ فقال له اللوائق : لا تُعَرِّدْ يا عَلِيّ ، نحن نفعل ما سَأَلْتَ ؛ ثم حَلَفَ إِسْحَاقُ أَنْ يَصْدُقَ فحلف ؛ فقال له : من أحسن الناس اليومَ صنعةً بعدك ؟ قال : أنت . قال : فَمَنْ أَضْرَبُ الناس بعد ثَقِيف ؟ قال : أنت . قال : فَمَنْ أَطِيبُ الناس صوتاً بعد مُخَارِق ؟ قال : أنت . قال عَلَيْهِ لِإِسْحَاقَ : أهذا قولك في وَأَنْتَ تعلم أَنِّي مُصَلِّي² كلِّ سابق فاضل ، وَأَنِّي ثالثُ ثَلَاثَةٍ أَنْتَ أَحَدُهُمْ لم يكن في الدنيا مثلهم ولا يكون ؟ فما أَنْتَ وَغَنَّاؤُكَ الَّذِي لا يُسْمَعُ انخفاضاً ! ؛ فغضب إِسْحَاقُ ، وانتهر اللوائق عَلَيْهِ . ثم أخذ إِسْحَاقُ عوداً فنقل مَنَاهُ إلى موضع البَمِّ ، وزِيَرَهُ إلى موضع المَثَلثِ ، وجعل البَمِّ والمثلثَ مكان الزير والمثنى ، وضرب وقال : ليغَنَّ مَنْ شاءَ مِنْكُمْ ؛ فغَنَّى مُخَارِقُ عليه :

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ أَخيراً على أَن لم يكن يَتَقَطَّعُ

وضرب عليه إِسْحَاقُ فلم يَبَيِّنْ في الأوتار خلافاً ولا فُتَيْدَ من الإيقاع شيء ولا بَانَ فيه اختلال ؛ فعظُمَ عجبُ اللوائق من فعله ؛ وقام إِسْحَاقُ فرَقَصَ طرباً ، فكان والله أَحْسَنَ رَقْصاً من كُبَيْشٍ وعبد السلام ، وكانا من أَرْقَصِ الناس ، فقال اللوائق : لا يكْمُلُ أَحَدٌ أَبداً في صناعته كَمَثَلِ إِسْحَاقِ .

[عبد الله بن طاهر يمدحه]

حَدَّثَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ : دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلَاعِبُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ وَهْبٍ بِالشُّطْرُنْجِ ، فغلبه عبد الله ، وأومأَ إِلَيَّ بَأَن أُكَايِدُهُ ؛ فقلت :

قَدْ ذَهَبَتْ مِنْكَ أَبَا إِسْحَاقٍ مِثْلَ ذَهَابِ الشَّهْرِ بِالْمِحَاقِ³

فقال لي عبد الله : إِنَّ فَضَائِلَكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَتَتَكَاثَرُ عِنْدَنَا ، كما قال الشاعر في إبله : [من الرجز]

1 المثل : كحماري العبادي ، سئل عبادي : أي حماريك شر ، فقال هذا ثم هذا أو قال هذا هذا . أي لا فضل لأحدهما على الآخر (مجمع المياني 2 : 161 وجمهرة العسكري 2 : 151 ومستقصى الزمخشري 2 : 215) .

2 المصلي : الذي يلي السابق من الخيل .

3 المحاق : آخر الشهر .

إذا أتاها طالبٌ يَسْتَأْمُها تكاثرتُ في عينه كِرَامُها

[صنع لحناً في بيتين وغناه الوائق]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال ذكر علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال :
أنشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌ ، فاستحسنتهما ، وصنعتُ فيهما لحناً
غنيته الوائق ؛ فاستعاده حتى أخذته ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم ؛ وهما : [من الطويل]

عسى الله يا ظمياً أن يعكس الهوى فتلقين ما قد كنت منك لقيت
ثراء فتحتاجي إلي فتعلمي بأنني قد أجزيك حين غنيت

[يضرب بعود مشوش الأوتار]

حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن مروان قال قال لي
يحيى بن مُعَاذ : كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلوا فهما أخوان ، وإذا التقيا عند
خليفة¹ تكاشحا أقبح تكاشح ؛ فاجتمعا يوماً عند المعتصم ؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق ، إن
إبراهيم يثلبك ويغض منك ويقول : إنك تقول : إن مُخَارِقاً لا يُحسن شيئاً ويتضحك منك ؛
فقال إسحاق : لم أقل يا أمير المؤمنين : إن مُخَارِقاً لا يُحسن شيئاً ، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ
أبي وتخريجه وتخريجني ؟ ولكن قلت : إن مُخَارِقاً يملك من صوته ما لا يملكه أحد ، فيتزايد
فيه تزايداً لا يُبقي عليه ويتغير في كل حال ، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقله نفعاً لمن يأخذ عنه ،
لقلة ثباته على شيء واحد . ولكني أفعل الساعة فعلاً إن زعم إبراهيم أنه يُحسنه فلستُ أحسن
شيئاً ؛ وإلا فلا ينبغي له أن يدعي ما ليس يُحسنه . ثم أخذ عوداً فشوش أوتاره ، ثم قال
لإبراهيم : غنّ على هذا أو يُغني غيرك وتضربُ عليه ؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم ، قد سمعتُ ،
فما عندك ؟ قال : ليفعله هو إن كان صادقاً ؛ فقال له إسحاق : غنّ حتى أضرب عليك فأبى ؛
فقال لِرُزْزُور : غنّ فغنّي وإسحاق يضربُ عليه حتى فرغ من الصوت ما علم أحد أن العود
مشوش . ثم قال : هاتوا عوداً آخر ؛ فشوشه وجعل كل وتر منه في الشدة واللين على مقدار العود
المشوش الأول حتى استوفى² ؛ ثم قال لِرُزْزُور : خذ أحدهما فأخذه ، ثم قال : انظر إلى يدي
واعمل كما أعمل واضرب ففعل ؛ وجعل إسحاق يغني ويضرب وزرور ينظر إليه ويفعل كما
يفعل ؛ فما ظن أحد أن في العودين شيئاً من الفساد لصحة نغمهما جميعاً إلى أن فرغ من
الصوت . ثم قال إبراهيم : خذ الآن أحد العودين ، فاضرب به مبدأ أو عمود طريقة أو كيف

1 ل : الخليفة تكاشفا أقبح تكاشف .

2 ل : استويا .

شئت إن كنت تحسن شيئاً ؛ فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً ؛ فقال له المعتصم : أرايت مثل هذا قط ؟ قال : لا ، والله ما رأيت ولا ظننت أن مثله يكون .

[أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر]

حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال : دعاني إسحاق يوماً ، فمضيت إليه وعنده الزبير بن دحمان وعلويه وحسين بن الضحاك ، فمررنا أحسن يوم ؛ فالتفت إلي إسحاق ثم قال : يومنا هذا والله يا أبا العباس كما قال الشاعر :

أنت والله من الأيام كدُن الطرفين
كلما قلبت عيني ففي قرّة عين

[غناء عند الواثق]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلت يوماً على الواثق فقال لي : يا إسحاق ، إنني أصبحت اليوم قمرًا¹ إلى غنائك فغنني ، فغنيت : [من البسيط]

من الأطباء طباء همها السخب² ترعى القلوب وفي قلبي لها عشب²
لا يغتربن ولا يسكنن بادية وليس يدرين ما ضرع ولا حلب
إذا يد سرت فالقطع يلزمها والقطع في سرق بالعين لا يجب

قال : فشرب عليه بقية يومه وبعض ليلته ، وخلع علي خلة من ثيابه .

[خرج مع الواثق إلى الصاحبة فحن إلى بغداد]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجت مع الواثق إلى الصاحبة وهو يريد النزهة ، فذكرت بغداد وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيت ؛ فقال لي : بحياتي أذكرت بغداد فبكيت شوقاً إليها ؟ فقلت : نعم ، وغنيت : [من الطويل]

صوت

وما زلت أبكي في الديار وإنما بكائي على الأحباب ليس على الدار

قال : فأمر لي بمائة ألف درهم وصرفتي .

وأخبرني محمد بن مزيد بهذا الخبر عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، وحدثني به علي بن هارون عن عمه عن حماد عن أبيه وخبره أتم ، قال : ما وصلني أحد من الخلفاء قط بمثل ما وصلني به الواثق . ولقد انحدرت معه إلى النجف ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلت في

1 القرم : شدة الشهوة إلى اللحم . ويقال : قرمت إلى لقاءك : تشهيت لقاءك .

2 السخب : جمع سخاب وهو القلادة من الزهر أو الجواهر .

النجف قصيدة ؛ فقال : هاتيها ؛ فأنشدته¹ : [من البسيط]

يا راكبَ العيسِ لا تعجلْ بنا وقفِ
نحْيَ داراً لسعدى ثم ننصرفِ
حتى أتيتُ على قولي :

لم ينزلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ
أصفي هواء ولا أعذى من النجف²
حُفَّتْ بئرٌ وبُحِرَ من جوانبها
فالبرُّ في طَرْفِ والبحر في طَرْفِ
وما يزالُ نسيمٌ من يمانيةٍ
يأتيك منها برياً روضةً أنف³

فقال : صدقتَ يا إسحاق ، هي كذلك . ثم أنشدته حتى أتيتُ على قولي في مدحه :

لا يحسبُ الجودَ يُفني ماله أبداً
ولا يرى بذلَ ما يحوي من السرفِ
ومضيت فيها حتى أتممتها ؛ فطرب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد ، وكناني يومئذٍ ،
وأمر لي بمائة ألف درهم ؛ وانحدر إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نؤاس :
بالصالحية من أكنافِ كلوادِ

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت : [من الطويل]

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ
فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعداً
لعمرك ما فارتقُ بغدادَ عن قلبي
لَوْ أَنَا وَجَدْنَا عَنْ فِرَاقٍ لَهَا بُدَاً
إذا ذكرتُ بغدادَ نفسي تقطعتُ
من الشوقِ أو كادت تموت بها وجداً
كفى حزنًا أن رُحْتُ لم أستطع لها
وداعاً ولم أُحدثُ بساكنها عهداً

قال : فقال لي : يا موصلي ، أشتقتُ إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن من أجل الصبيان ، وقد حضرنى بيتان ؛ فقال : هاتهما ؛ فأنشدته : [من الوافر]

حننتُ إلى الأصيبية الصغار
وشاقتُ منهم قرب المزارِ
وأبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً
إذا دنتِ الديارُ من الديارِ⁴

فقال لي : يا إسحاق ، صرَّ إلى بغداد فأقيم مع عيالك شهراً ثم صرَّ إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

1 يتكرر هذا الخبر والشعر في ترجمة الواثق فيما بعد ، وكذلك كثير من أخباره مع الواثق .

2 أعذى : أطيب هواء .

3 الروضة الأنف : التي لم يرعها أحد .

4 وأبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً في ترجمة الواثق : « وكلَّ مفارق يزداد شوقاً » .

[صنع لنا أحسن من نحن الوائق]

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرني أبي قال : لما صنع الوائق لحنه في : [من الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقْدَنِي مِنَ التي بها نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتْ

لقد بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى العَيْنِ مِنْ سَائِي التَّرَابِ لَضُنَّتْ

أعجب به إعجاباً شديداً ؛ فوجه بالشعر إلى إسحاق الموصلي وأمره أن يغني فيه ؛ فصنع فيه
لحنه الثقيل الأول ، وهو من أحسن صنعة إسحاق ؛ فلما سمعه الوائق عجب منه وصغر لحنه في
عينه ، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر ، لأنه قد أفسد علينا لحننا . قال
علي بن يحيى قال إسحاق : ما كان يحضر مجلس الوائق أعلم منه بهذا الشأن :

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقْدَنِي مِنَ التي بها نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتْ

لقد بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى العَيْنِ مِنْ سَائِي التَّرَابِ لَضُنَّتْ

الشعر لأعرابي ، والغناء للوائق ثاني ثقيل في مجرى البصر . وفيه لمخارق رمل ،
ولعريب رمل . ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى كثير ، وهو خطأ من قائله .
أنشدني هذه الأبيات عمي قال : أنشدني هارون بن علي بن يحيى ، وأنشدنيها علي بن
هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنّه أنشده لأعرابي فقال¹ :

صوت

ألا قاتل الله الحمامة غُدُوَّةً على الغصن ماذا هيّجت حين غَنَّتْ

تَغَنَّتْ بصوتٍ أعجميٌّ فهَيَّجَتْ من الشوق ما كانت ضلوعي أُجَنَّتْ

غنى في هذين البيتين عمرو بن بانه ثاني ثقيل بالوسطى . [من الطويل]

فلو قَطَرْتُ عَيْنُ امرئٍ من صَبَابَةٍ دماً قَطَرْتُ عَيْنِي دماً فَأَلَمَّتْ

فما سَكَنْتُ حَتَّى أُؤَيِّتُ لصوتها وقلت تُرى هذي الحمامة جُنَّتْ²

1 قارن بديوان مجنون ليلي (فراج) : 85-87 وفيه تخريج كثير . وسترده هذه الأبيات في ترجمة الوائق فيما بعد

منسوبة لأعرابي برواية محمد بن العباس اليزيدي عن ثعلب . وقد وردت في التذكرة الحمدونية 6 : 57 (رقم

146) منسوبة لأعرابي .

2 ترى في ل : أرى .

ولي زَفَرَاتٌ لو يَدُمْنَ قَتَلَنِي
 إذا قلت هذي زَفَرَةُ اليوم قد مضتْ
 فيا مُحْيِي المَوْتِ أَقْدِنِي من التي
 لقد بَخِلْتُ حتى لو أَنِّي سَأَلْتُهَا
 فقلتُ ارحَلَا يا صاحِبِي فليتنِي
 حلفتُ لها بالله ما أُمُّ واحدٍ
 وما وَجْدُ أَعْرَابِيَّةٍ قَذَفَتْ بها
 إذا ذكرتُ ماءَ العِضَاهِ وطِيبَهُ
 بأَكْثَرِ مِنِّي لوعةً غيرَ أَنَّنِي
 وأَمَّا لحنُ إِسْحاقَ فَإِنَّهُ غَنَى في :

[من الطويل]

لقد بَخِلْتُ حتى لو أَنِّي سَأَلْتُهَا

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو :

[من الطويل]

فإن بَخِلْتُ فالِخِلْ منها سَجِيَّةً
 وإن بَذَلْتُ أعطت قليلاً وأَكْدَتِ
 قال : ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّبَابَةِ في مجرى الوسطى .

[غضب الواثق على مخارق]

أخبرني الحسن بن عليٍّ ومحمد بن يحيى الصُّوْلِيُّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبِي ، وحدثني به عمِّي عن أبي جعفر بن دِهْقَانَةَ النَّدِيمِ عن أبيه قالاً : كان الواثق إذا صنع صوتاً³ قال لإسحاق : هذا وقع إلينا البارحة فاسمعه ، فكان ربّما أصلح فيه الشيء بعد الشيء . فكاده مخارق عنده وقال له : إنما يستجيد صنعتك إذا حضر لِيُقَارِكَ ويستخرج ما عندك ، فإذا فارق حضرتك قال في صنعتك غير ما تسمع ؛ قال الواثق : فأنّا أحبُّ أن أَقِفَ على ذلك ؛ فقال له مخارق : فأنّا أَغْنِيَهُ «أيا منشئ الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد ؛ قال : فافعل . فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْدِهِ ، وفعل ذلك في مواضع خَفِيَّةٍ لم يعلمها الواثق من قِسْمَتِهِ ؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق : كيف ترى هذا الصوت ؟ قال له : فاسدٌ غير مَرْضِيٍّ ؛ فأمر

1 العضاه : شجر له شوك . الخبت : الوادي العميق ، ويطلق أيضاً على صحراء بين مكّة والمدينة . أرنت المرأة : صاحت مع البكاء .

2 جَمِجَم : أخفى .

3 ل : صوتاً في غناء .

به فسُحِبَ من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأمر بنفيه إلى بغداد . ثم جرى ذكره يوماً . فقالت له فريدة : يا أمير المؤمنين ، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً وجودةً ، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سرّه ، ويفهم من غامض علل الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحضِرْهُ أمير المؤمنين ويحلّفه بغليظ الأيمان أن يصدّقه عمّا يسمع ، وأُغْنِيَهُ إِيَّاهُ حتى يقف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسداً فصّدق عنه لم يكن عليه عتب ، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد ؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده ؛ فأمر بالكتاب بحمله فحُمِلَ وأُحضِرَ ، فأظهر الرضى عنه ولزمه أياماً ؛ ثم أخلّفه ليصدّقنَّ عمّا يمرّ في مجلسه فحلّف له . ثم غنى الوائقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده ؛ ثم غنّته فريدة هذا الصوت وسأله الوائق عنه ، فرضيه واستجاده ، وقال له : ليس على هذا سمعته في المرّة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مخارق إِيَّاهُ ؛ فسكن غضبه ووصل إسحاق وتكرّر لمُخَارِقِ مدّة .

[قصة له مع الوائق بشأن الغناء والألحان]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو أيوب المدينيّ قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق الموصليّ : أنّه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، وقد كان تكلم له في حاجة فقضيت ، فقال له : أعطاك الله أيّها الأمير ما لم تُحِطْ به أمنيّة ولا تبلغه رغبة . قال : فاشتبهى هذا الكلام واستعاده منّي فأعدته . ثم مكثنا ما شاء الله ، وأرسل الوائق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أُغْنِي فيه ، وهو : [من الطويل]

لقد بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا

فَغَنَيْتَهُ إِيَّاهُ ، فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فخرجتُ وأقمْتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدر أن يأخذ هذا الغناء منّي . فلمّا طال مُقَامِي قلت له : يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدر أن يأخذ هذا الصوت منّي ؛ فقال لي : ولم ؟ وَيَحْكُ ! فقلت : لأنّي لا أُصَحِّحُهُ ولا تسخو نفسي به لهم ؛ فما فعلت الجارية التي أخذتها منّي ؟ (يعني شجاً ، وهي التي كان أهداها إلى الوائق وعَمِلَ مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغْنِيهِ ، وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم) ؛ فقال : وكيف ؟ قال : لأنّها تأخذه منّي ويأخذونه هم منها ؛ فأمر بها فأخرجتُ وأخذته على المكان ؛ فأمر لي بمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وأذن لي في الانصراف ؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً ، فقلت للوائق عند وداعي له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أمنيّة ولم تبلغه رغبة ؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : أيّ إسحاق أُتَعِيدُ الدعا ! فقلت : إي والله أُعيدُه قاضٍ أنا أو مغنّ . وقدمتُ بغداد ، فلمّا وافى إسحاقُ جئتُه

مسلماً عليه ؛ فقال لي : وَيَحْكُ يا إسحاق ؛ أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا أيها الأمير ؛ قال قال لي : ويحك ! كنّا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا حتى أفسده علينا . قال علي بن يحيى : فحدثني إسحاق قال : استأذنتُ الواثقَ عدّة دَفَعَاتٍ في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي ، فصنعتُ لحناً في : [من الطويل]

خليلي عُوجاً من صدور الرّواحل

ثم غنّيته الواثقَ فاستحسنه وعجب من صحّة قِسْمَتِهِ ومُكثَّ صَوْتِهِ أيّاماً ، ثم قال لي : يا إسحاق ، قد صنعتُ لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته ، وأمر من وراء السّتارة فغنّوه ؛ فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين بغّضتَ إليّ لحنِي وسمّجته عندي ؛ وقد كنتُ استأذنته في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي ؛ فلمّا صنّع هذا اللّحنَ وقلتُ له ما قلتُ ، اتبعته بأن قلتُ له : قد والله يا أمير المؤمنين اقتصصتُ مني في «لقد بخلت» وزدت ؛ فأذن لي بعد ذلك .

نسبة هذا الصوت¹

صوت

[من الطويل]

خليلي عُوجاً من صدور الرّواحل بجرعاء حُزوى فابكيا في المنازل²

لعلّ انحدار الدّمع يُعقب راحةً من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل³

الشعر لذي الرّمة ، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين . وللواثق في البيت الثاني وحده رَمَلٌ بالبصر .

[نأسى ابن عيَّاش بشعر ذي الرّمة]

أخبرني أحمد بن عَمَّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثني كثير بن أبي جعفر الحزامي الكوفي عن أحمد بن⁴ جَوَّاس الحنفي عن أبي بكر بن عيَّاش قال : كنتُ إذا أصابني المصيبة تصبّرتُ وأمسكتُ عن البكاء ، فأجد ذلك يشتدّ عليّ ، حتّى مررتُ ذات يوم بالكُنَّاسة⁵ ، فإذا أنا بأعرابي واقفٍ على ناقَةٍ له وهو يُنشد :

[من الطويل]

1 ديوان ذي الرّمة (مكارتني) : 492-493 .

2 بجرعاء حُزوى في الديوان : بجمهور حزوى ، ويروى بيرة حزوى . والجمهور : الرملة العظيمة ، والجرعاء : الأرض ذات الحزونة أو الرملة السهلة المستوية ، وحزوى : موضع بنجد .

3 البلابل : الهموم في الصدور .

4 ل : أحمد بن أبي جواس .

5 الكُنَّاسة : محلة بالكوفة .

خليليَّ عوجاً منْ صُدُورِ الرُّواحِلِ بجرَّعاءِ حُزْوَى فابكِيا في المنازلِ
 لعلَّ انحدار الدَّمعِ يُعْقِبَ راحةً من الوجديِّ أو يَشْفِي نَجِيَّ البَلابلِ
 فسألتُ عنه فقليل لي : هذا ذو الرُّمَّة ؛ فكنتُ بعدُ إذا أَصابَتني مصيبةٌ بكيتُ فأجدُ لذلك
 راحةً ؛ فقلت : قاتل الله الأعرابيَّ ! ما كان أعلمه وأفصح لهجته ! .
 [مفاضله بين لحنه ولحن والواق]

أخبرنا يحيى بن عليٍّ عن أبيه قال : قلت لإسحاق : أيُّما أجودُ ، لحنك في «خليليَّ عوجاً» أم
 لحن الواق ؟ فقال : لحنِي أجودُ قِسْمَةً وأكثر عملاً ، ولحنه أطربُ ، لأنَّه جعل رَدَّتَه من نفسِ
 قِسْمته ، وليس يقدر على أدائه إلَّا متمكِّن من نفسه . قال علي بن يحيى : فتأمَّلت اللحنين بعد ذلك
 فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لي إسحاق : ما كان بحضرة¹ الواق أعلمُ منه بالغناء .
 [فضَّل ابن المعتز لحن الواق على لحنه]

أخبرني علي بن هارون قال : كان عبد الله بن المعتز يخلِف أنَّ الواق ظلم نفسه في تقديمه
 لحن إسحاق على لحنه في «لقد بَخِلْتُ» . قال : ومن الدَّلِيل على ذلك أنَّه قلَّما غنَّى في صوت
 واحد بلحنين فسقط أجودهما وشهر الدُّون ، ولا يُشهر من اللحنين إلَّا أجودهما ، ولحنُ
 الواق أشهرُهما ، وما يروى لحن إسحاق إلَّا العجائزُ ومن كثرت² روايته .
 [كان الواق يعرض عليه صنعه]

حدَّثني جَحْظَةُ عن ابن المكيِّ المرتجل عن أبيه أحمد بن يحيى قال : كان الواق يعرض
 صنعه على إسحاق فيُصلِح فيها الشيء بعد الشيء .
 [آخر صوت صنعه]

أخبرنا حسين بن يحيى عن حمَّاد : أنَّ آخر صوت صنعه أبوه : «لقد بَخِلْتُ» ، ثم ما
 صنع شيئاً حتى مات .
 [غنى المعتصم بشعر أبي القنافذ]

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدَّثني أبو زيد عمر بن شَبَّة قال حدَّثني إسحاق
 قال : دخل أعرابيٌّ من بني سُلَيْم سرَّ من رأى ، وكان يُكنى أبا القنَافذ ، فحضر بابَ
 المعتصم مع الشعراء فأذن له ؛ فلمَّا مثَّل بين يديه أنشده :
 [من المتقارب]
 مِراضُ العيونِ خِماصُ البطونِ طِوالُ المتونِ قصارُ الخطِّ

1 ل : ما كان يحضر مجلس الواق .

2 ل : من كثرة .

عِتَاقُ النَّحُورِ رِقَاقُ الثَّغُورِ لُطَافُ الْخُصُوفِ خِذَالُ الشَّوَى¹
 عَطَائِيلُ مِنْ كُلِّ رَقْرَاقَةٍ تَلُوثُ الْإِزَارَ بِدِعْصِ النَّقَا²
 إِذَا هُنَّ مَنِينَا نَائِلًا أَبِي الْبُخْلِ مِنْهُنَّ ذَاكَ الْمُنَى
 إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ أَهْلُ الْبَطَاحِ وَأَهْلُ السَّمَاحِ طَلَبْنَا النَّدَى
 لَهُمْ سَطَوَاتٌ إِذَا هَيَّجُوا وَحَلَمٌ إِذَا الْجَهْلُ حَلَّ الْحُبَا³
 يَبِينُ لَكَ الْخَيْرُ فِي أَوْجِهِ لَهُمْ كَالْمَصَابِيحِ تَجْلُو الدُّجَى
 سَعَى النَّاسُ كَيْ يُدْرِكُوا فَضْلَهُمْ فَقَصَّرَ عَنْ سَعِيهِمْ مَنْ سَعَى
 سَعَى لِلْخِلَافَةِ فَاقتَادَهَا وَبَرَزَ فِي السَّبْقِ لَمَّا جَرَى

قال : فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنيت فيها ، وأمر للأعرابي بعشرين ألف درهم ولي بثلاثين ألف درهم ؛ وما خرج الناس يومئذ إلا بهذه الأبيات .
 [طلب من علي بن هشام نبياً]

حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال : كتبت إلى علي بن هشام أطلب منه نبياً ، فبعث إلي جُمانَ بما التمسْتُ ، وكب إلي : قد بعثت إليك بشرابٍ أصْلَبَ مِنَ الصَّخْرِ ، وأَعْتَقَ مِنَ الذَّهَرِ ، وَأَصْفَى مِنَ الْقَطْرِ .
 [عبد الله بن طاهر يكلف ليس أن تسرق لحناً له وتذيعه]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أحمد المكي قال : لما صنع إسحاقُ لَحَنَهُ فِي الرَّمْلِ⁴ :

أَمَاوِيَّ إِنَّ الْمَالَ غَايَ وَرَائِحُ وَيَقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا يَرِيدُ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ
 وَهُوَ رَمَلٌ نَادِرٌ ، ابْتَدَأُوهُ صِيَاخُ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْزِلُ عَلَى تَدْرِيجٍ حَتَّى يَقْطَعَهُ عَلَى سَجْحَةٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَلَاذِمَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، ثُمَّ تَخَلَّفَ عَنْهُ مَدَّةٌ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِلْمَيْسَرِ جَارِيَتُهُ : خُذِي لِحْنَ إِسْحَاقَ فِي :
 أَمَاوِيَّ إِنَّ الْمَالَ غَايَ وَرَائِحُ

- 1 عتاق النحور : جميلاتها . خدال الشوى : مستديرات الأطراف .
- 2 عطائيل : جمع عطلول وهي الفنية الطويلة العنق . والرقاقة : هي التي كأن الماء يجري في وجهها . تلوث : تلف . دِعْصِ النقا : كتيب الرمل .
- 3 إذا الجهل حلّ الحبا : إذا الجهل استغفر الرجال فحلوا أثوابهم استعداداً للفعل .
- 4 هذا الشعر مما ينسب لحاتم الطائي وسيرد في ترجمته فيما بعد ، والمخاطب فيه زوجته ماوية .

فاخلعيه على :

[من الطويل]

وَهَبْتُ شَمَالَ آخِرِ اللَّيْلِ قَرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بُرْدُهَا وَرَدَائِهَا¹
وَأَلْقِيهِ عَلَى كُلِّ جَارِيَةٍ تُعَلِّمُهَا وَاشْهَرِيهِ وَأَلْقِيهِ عَلَى مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْكَ مِنْ جَوَارِي زُبَيْدَةٍ ،
وقولي : أَخَذْتُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ ؛ فَفَعَلْتُ ، وَشَاعَ أَمْرُهُ حَتَّى غَنِيَ بِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ ؛
فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْجَارِيَةِ : مَنْ أَخَذْتَ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : مِنْ دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ لَمِيسَ جَارِيَتِهِ ،
وَأَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا أَخَذَتْهُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِإِسْحَاقَ : وَيْلَكَ ؛ قَدْ صَبِرْتَ تَسْرِقُ
الْغَنَاءَ وَتَدْعِيهِ ، اسْمِعْ هَذَا الصَّوْتَ ، فَسَمِعَهُ فَقَالَ : هَذَا وَحَيَاتِكَ لِحْنِي ، وَقَدْ وَقَعَ عَلَيَّ فِيهِ نَقَبٌ
مِنْ لَصٍّ حَازِقٍ ، وَأَنَا أَغْوَصُ عَلَيْهِ حَتَّى أَعْرِفَهُ ؛ ثُمَّ بَكَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَقَالَ : أَهَذَا حَقِّي
وَحُرْمَتِي وَخِدْمَتِي ! تَأْخُذْ لَمِيسَ لِحْنِي فِي :

أَمَاوِيَّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحٌ

فَتَغْنِيهِ فِي : «وَهَبْتُ شَمَالَ» ؟ وَلَيْسَ بِي ذَلِكَ ، وَلَكِنْ بِي أَنَّهَا فَضَحْتَنِي عِنْدَ الْخَلِيفَةِ
وَادَّعَتْ أَنَّهَا أَخَذَتْهُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ ؛ فَضَحَكَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : لَوْ كُنْتُ تُكْثِرُ عِنْدَنَا كَمَا
كُنْتَ تَفْعَلُ لَمْ تُقَدِّمِ عَلَيْكَ لَمِيسَ وَلَا غَيْرُهَا ؛ فَاعْتَذَرَ فَقَبِلَ عَذْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ ؟
قَالَ : أُرِيدُ أَنْ تُكَذِّبَ نَفْسَهَا عِنْدَ مَنْ أَلْقَتْهُ عَلَيْهَا حَتَّى يَعْلَمَ الْخَلِيفَةُ بِذَلِكَ ؛ قَالَ : أَفْعَلُ ؛
وَمَضَى إِسْحَاقُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَأَخْبَرَهُ الْقِصَّةَ ؛ فَاسْتَكْشَفَهَا مِنْ لَمِيسَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ
يَعْبَثُ بِإِسْحَاقَ بِذَلِكَ مَدَّةً .

[سخاء الأمين]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي شَهَوَاتُ الصَّنَاجَةِ
الَّتِي كَانَ إِسْحَاقُ أَهْدَاهَا إِلَى الْوَاتِقِ : أَنَّ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ لَمَّا غَنَاهُ إِسْحَاقُ لِحْنَهُ الَّذِي صَنَعَهُ فِي
شَعْرِهِ وَهُوَ الثَّقِيلُ الْأَوَّلُ :

صوت

يَا أَيُّهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ فَدَتُ نَفْسَكَ نَفْسِي بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
بَسَطْتُ لِلنَّاسِ إِذْ وَلَيْتَهُمْ يَدًا مِنَ الْجُودِ فَوْقَ كُلِّ يَدٍ
فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَرَأَيْتُهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى دَارِهِ يَحْمِلُهَا مَائَةُ فَرَّاشٍ .

[فهمه لدقائق الشعر]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
غَنَيْتُ الْوَاتِقَ :

[من الوافر]

صوت

عَفَا طَرْفُ الْقَرْيَةِ فَالْكَثِيبُ إِلَى مَلْحَاءٍ لَيْسَ بِهَا غَرِيبُ
تَأَبَّدَ رَسْمُهَا وَجَرَى عَلَيْهَا سَوَافِي الرِّيحِ وَالتُّرْبُ الْغَرِيبُ

ولحنه ثقیلٌ ثان قال : فقال لي : يا إسحاق ، قد أحسن ابنُ هَرَمَةَ في البيتين ، فأَيُّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟ قال قلت : قوله : «الترب الغريب» ، يريد أن الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد ؛ فقال : صدقت وأحسنْتَ ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم .

[ابن المدبر يزيد بيتاً على لحن له]

حدَّثني عليُّ بن سليمان الأَخْفَشُ قال حدَّثني محمد بن الحسن بن الحُرُون قال : كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبِّر ، فغنّاه مغنٌّ كان عنده لحنَ إسحاق :

[من الطويل]

صوت

فَأَصْبَحْتُ كَالْحَوْمَانِ يَنْظُرُ حَسْرَةً إِلَى الْمَاءِ عَطْشَانًا وَقَدْ مُنِعَ الْوَرْدُ¹
وَقَالَ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ الْمُدَبِّرِ : زِدْ فِيهِ :

[من الطويل]

وَأَمْسَيْتُ كَالْمُسْلُوبِ مَهْجَةً نَفْسَهُ يَرَى الْمَوْتَ فِي صَدِّ الْحَبِيبِ إِذَا صَدَا
لَحْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ .

[ذهل مروان بن أبي حفصة لسماع شعره]

حدَّثني الأَخْفَشُ قال حدَّثني محمد بن يزيد الأزدي قال حدَّثني شيخ من وَلَدِ الْمُهَلَّبِ قال : دخل مروان بن أبي حَفْصَةَ يوماً على إبراهيم الموصلي ، فجعلا يتحدَّثان إلى أن أنشد إسحاق بن إبراهيم مروان بن أبي حَفْصَةَ لنفسه² :

[من الطويل]

إِذَا مُضِرُّ الْحَمْرَاءِ كَانَتْ أَرْوَمَتِي وَقَامَ بَنْصَرِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامَخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

قال : وجعل إبراهيم يحدث مروان وهو عنه ساهٍ مشغول ، فقال له : ما لك لا تجيبني ؟ قال : إنَّكَ والله لا تدري ، ما أفرغ ابنك هذا في أذني .

1 الحومان : العطشان .

2 تقدّم هذان البيتان في أوّل هذه الترجمة ورواية الأوّل منهما هناك ، ص 179 :

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خازم

[طرب لشعر أعرابي]

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدَّثني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدَّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بشر¹ : كنتُ مع إسحاق الموصلي في نزهة ، فمرَّ بنا أعرابي ، فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زياد الذي يقول فيه :

وقولا لساقينا زيادٍ يُرقِّها فقد هدَّ بعضَ القومِ سَقْيُ زيادٍ
قال : فوافانا الأعرابي ، فلمَّا شربَ وسمعَ حنينَ الدواليب قال : [من منهوك الكامل]

صوت

بَكَرَتْ تَحْنُ وما بها وَجْدِي وَأَحْنُ من وَجْدٍ إلى نَجْدٍ
فدموعُها تَحْيِي الرِّياضُ بها ودموعُ عَيْنِي أَقْرَحَتْ خَدَي²
وبساكني نَجْدٍ كَلِّفْتُ وما يَعْنِي لَهْمُ كَلْفِي ولا وَجْدِي³
لو قيسَ وجدُ العاشقين إلى وَجْدِي لَزادَ عليه ما عندي
قال : فما انصرف إسحاق إلى بيته إلا محملاً سَكْرًا ، وما شرب إلا على هذه الأبيات .
والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بِالْبِنَصْرِ .

[بساطُ الفضل بن الربيع]

أخبرني محمد بن مَزِيد والحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سَعْد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال : دخلتُ على الفضل بن الربيع وهو على بساط سَوْسَنَجَرْدِي⁴ ستيني مُذهَّبٌ يلعب عليه مكتوب : «مَّا أَمَرُ بصنْعته حَمَّادُ عَجْرَدٍ» ؛ فقال لي : أتدري مَنْ حَمَّادُ عَجْرَدٍ ؟ قلت : لا ؛ قال : حَمَّادُ عَجْرَدٍ قد كان واليَ تلك الناحية ؛ أفرأيتَ مثله قطُّ ؟ قلتُ : لا ، فسكتَ ، ثمَّ قلتُ : أهكذا يفعل الناس ؟ قال : أي شيء يفعلونه ؟ قلت : تَهَبُّه لي ؛ قال : لا أَفْعَلُ ؛ قلت : إذا أَغْضَبُ ؛ قال : ما شئتَ إِفْعَلْ ؛ فخرجتُ مُتَغاضِبًا ؛ فلمَّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد كَجِئَنِي بالبساط ؛ فكتبتُ إليه بيتين لحَمْزَةٍ بن مُضَرَّ :

[من الكامل]

ولقد عدَدْتُ فلستُ أَحصِي كلَّ ما قد نِلْتُ منك من المتاع المُوَقِّي

1 ل : بشير .

2 أقرحت في ل : أحرقت .

3 يعني في ل : يعني .

4 سوسنجرد : قرية من قرى بغداد .

بخديعتي فأراك مُنخدعاً لها وفكاهتي وتغضبي وتملّقي
قال ابن أبي سعد في خبره : فلما دخلتُ عليه ضحك وقال لي : البيتان خير من البساط ،
فالفصلُ الآن لك علينا .
[مناظرة مع إبراهيم بن المهدي]

أخبرني يحيى بن عليّ وأحمد بن جعفر جَحْظَةَ عن أبي العَينس بن حَمْدُون عن عمرو بن
بانة قال : رأيتُ إبراهيم بن المهديّ ينظر إسحاقَ في الغناء ، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه
شيئاً ؛ فقلتُ لهما : لعنَ كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .
[شعره في الواثق]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال : قدِمْتُ على الواثق في بعض
قَدَماتي ، فقال لي : أما اشتقتَ إليّ ؟ فقلتُ : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدته : [من البسيط]
أشكو إلى الله بُعدي عن خليفته وما أعالج من سُقمٍ ومن كِبَرٍ
لا أستطيعُ رحيلاً إن هَمَمْتُ به يوماً إليه ولا أقوى على السَّفَرِ
أنوي الرّجيلَ إليه ثمّ يمنعي ما أحدثَ الدَّهرُ والأَيّامُ في بَصَري
قال : وقال وقد أشخصه إليه قصيدته الدالية : [من البسيط]

صوت

ضنّتُ سعادَ غداةَ البين بالزادِ وأخلفتك فما تُوفي بميعادِ
ما أنسَ لا أنسَ منها إذ تُودّعنا والحزنُ منها وإن لم تُبده بادي
لإسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى ، يقول فيها : [من البسيط]

لما أمرتَ بإشخاصي إليك هفاً قلبي حيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمتُ ولم أحفلَ بينهم وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحمادِ
كم نعمةٍ لأبيك الخيرُ أفردني بها وعمٌّ بأخرى بعدَ أفرادِ
فلو شكرتُ أياديكم وأنعمكم لما أحاطَ بها وصفي وتعدّادي
لأشكرنك ما ناحَ الحَمامُ وما حدّا على الصبح في إثرِ الدُّجى حادي
قال عليّ بن يحيى : قال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، لو قال الخليفة لإسحاق :
أخضبرني فضلاً وحماداً أليس كان قد افتضح من دَمامة خَلَقَهما وتخلفَ شاهِدَهما .
[ابن المهديّ يأسف لفقدان مَنْ يحكم بينهما]

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : كتب أبي إلى إسحاق
في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : «إلى مَنْ أحاكمك والناس بيننا حَمِير ؟» .

[ذهابه إلى تلّ عراز]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سليمان بن أيّوب قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثنا إسحاق قال : كنتُ مع الرشيد حين خرج إلى الرّقة ، فدخل يوماً إلى النساء ، وخرجتُ فمضيتُ إلى تلّ عراز ، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقنتني شرباً لم أر مثله حسناً وطيباً وطيب رائحة في بيت مرشوش ورّيحانٍ غَضٍّ ، وبرزتُ بنتٌ لها كأنها حُوطٌ¹ بانٍ أو جدلٍ عنان ، لم أر أحسن منها قدّاً ، ولا أسيلَ خدّاً ، ولا أعتقَ وجهاً ، ولا أبرعَ ظرفاً ، ولا أفتنَ طرفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا أتمَ تماماً ؛ فأقمتُ عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدر عليّ ؛ ثم انصرفتُ فذهبتُ بي رُسُلُه ، فدخلتُ عليه وهو غضبان ؛ فلما رأيته خطرتُ في مشيتي ورقصتُ ، وكانت في فضلة من السُّكر كبيرة ، وغنيتُ :

صوت

إنّ قلبي بالّلّ تلّ عراز عند ظلي من الظباء الجوّازي²
شادن يسكنُ الشّامُ وفيه مع دلّ العراق ظرفُ الحجاز
يا لقومي لبنت قسّ أصابتُ منك صفو الهوى وليست تجازي
حلفتُ بالمسيح أن تُنجز الوعد سدّ وليست تجود بالإنجاز

الغناء لإسحاق خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانه ، قال إسحاق : فسكن غضبه ، ثم قال لي : أين كنتُ ؟ فأخبرته ؛ فضحك وقال : إن مثل هذا إذا اتفق لطيبٌ ، أعِدْ غناءك ، فأعدته ، فأعجب به ، وأمرني أن أعيده ليلة من أولها إلى آخرها ؛ وأخذها³ المغنون مني جميعاً وشربنا إلى طلوع الفجر ، ثم انصرفنا فضليتُ الصبح ونمتُ ؛ فما استقرنا حتى أتى إليّ⁴ رسول الرشيد فأمرني بالحضور ، فركبتُ ومضيتُ ؛ فلما دخلتُ وجدت ابنَ جامع قد طرَحَ نفسه يتمرغ على دُكان في الدار لغلبة السُّكر عليه ، ثم قال : أتدري لِمَ دُعينا ؟ فقلت : لا والله ؛ قال : لكنّي أدري ، دُعينا بسبب نصرائيتك الزانية ، عليك وعليها لعنةُ الله ؛ فضحكتُ . فلما دخلتُ على الرشيد أخبرته بالقصة ، فضحك وقال : صدق ، عودوا فيه فإنّي اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لما فارقتموني ؛ فعُدنا فيه يومنا كلّهُ حتى انصرفنا .

1 حوط : غصن ناعم .

2 الظباء الجوّازي : التي اجتزأت بالرطب من البقل والشجر فاستغنت عن الماء .

3 لعلّها وأخذها ، أي الغناء .

4 ل : وافاني .

[شعره إلى المأمون حين وجد عليه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبّي قال : كان إسحاق قد أظهر التوبة
وغير زيه واحتجراً من حضور دار السلطان . فبلغه أنّ المأمون وجد عليه من ذلك وتكرّر ؛
فكتب إسحاق إليه وغنى فيه بعد ذلك :
[من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عمِّ النبيّ سمعاً وطاعةً قد خلعنا الرداءَ والدُّرّاعةَ
ورجعنا إلى الصنّاعة لما كان سُخطَ الإمام تركُ الصنّاعةِ
الغناء لإسحاق رملٌ بالبنصر عن عمرو ، وقد ذكر الغلابيّ أنّ هذا الشعر لأبي العتاهية ،
قاله لما حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ، وذكر حبش أنّ هذا اللحن لإبراهيم .
[تفصيل لحن له على لحنّي ابن سريج ومعبد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبيّ قال : قال لي محمد بن الحسن بن مُصعب ، وكان بصيراً
بالغناء والنغم ، : لحنُ إسحاق في «تشكّي الكميت الجري» أحسنُ من لحن ابن سريج ، ولحنه
في «يوم تُبدي لنا قتيلاً» أحسنُ من لحن معبد ، وذلك من أجود صنعة ابن سريج ، وهذا من
أجود صنعة معبد . قال : فأخبرت إسحاق بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزمامي راحليهما
وزعزعتُهما² وأنختُ بهما فما بلغتُهما . فأخبرت بذلك محمد بن الحسن ؛ فقال : هو والله يعلم
أنّه برز عليهما ، ولكنه لا يدعُ تعصُّبه للقدماء .

وأخبرني جَحْظَةُ قال حدثني حمّاد بن إسحاق : أنّ رجلاً سأل أباه فقال له : إنّ الناس قد
كثّروا في صوتيك : «تشكّي الكميت الجري» و«يوم تُبدي لنا قتيلاً» ، وقالوا : إنهما أجود من
لحنّي ابن سريج ومعبد ؛ قال أبيّ : ويحك رُميت في هذين الصوتين بمعبد وابن سريج وهما
هُما ، فقربت ووقع القياسُ بيني وبينهما ، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامي راحليهما
وانتصفتُ منهما .

[تحليل غائاه]

قرأتُ في بعض الكتب أنّ محمد بن الحسن ، أظنّه ابن مصعب ، ذكرَ إسحاق الموصليّ
فقال : كانت صنّعته مُحكمة الأصول ، ونغمته عجيبة الترتيب ، وقسمته مُعدّلة الأوزان ،
وكان يتصرّف في جميع بُسْط الإيقاعات ، فأَيّ بساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد
أقوى صوت جاء في ذلك البساط لحذاق القدماء فعارَضَه : وقد كان يذهب مذهب الأوائل ،

1 احتجّر : امتنع .

2 زعزعهما : ساقهما سوقاً عنيفاً .

ويسلك سبيلهم ، ويقتحم طُرُقهم ؛ فيبني على الرُّسْم فيصيه ، ويحتذي على المِثَال فيَحْكِيه¹ ، فتأتي صناعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين : القوّة في الطَّبع وسهولة المسلك ، وخنثاً بين كثرة النِّعم وترتيبها في الصَّياح والإسجاح ؛ فهي بصنعة الأوائل أشبه منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأما المتأخرون فأحسنُ أحوالهم أن يرووها فيردّوها . وكان حسن الطبع في صياحه ، حسن التلطف ، لتنزله من الصَّياح إلى الإسجاح على ترتيب بنغم يشاكله ، حتّى تعتدل وتترنّ أعجاز الشعر في القسمة بصدوره . وكذلك أصواته كلّها ، وأكثرها يتدّى الصوت فيصيح فيه ، وذلك مذهبه في جُلّ غنائه ؛ حتّى كان كثير من المغنّين يلقبونه الملسوع ؛ لأنّه يبدأ بالصَّياح في أحسن نغمة فتح بها أحدّ فاه ، ثم يردّ نغمته فيرجّحها ترجيحاً وينزلها تنزيلاً حتّى يحطّها من تلك الشدّة إلى ما يوازيها من اللين ، ثم يعود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شدّة إلى لين ومن لين إلى شدّة ؛ وهذا أشدّ ما يأتي في الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصنعة . قال يحيى بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاق في صدر كتابه الذي ألف في أخباره وزاد في بعض ما صنعه : «وكان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء ، وأنفذهم في جميع فنونه ، وأضرِبهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودهم صنعة ، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارض ابن سريج ومعبداً فانْتَصَفَ منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة ولم يُلْغِه فيها ، ولم يكن بعد إسحاق مثله» .

[تشبيهه لصوت له]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام : قال إسحاق وذكر صوته :

صوت

كان افتتاح بلائي النظرُ فالحين سبب ذاك والقدرُ
قد كان باب الصبر مفتوحاً فاليوم أغلق بابهُ النظرُ

الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلٌ مطلقٌ في مجرى البصر . وفيه لأحمد بن المكيّ خفيفٌ ثقيلٌ ، ولعريب ثاني ثقيلٌ ، جميعاً عن الهشاميّ ، قال إسحاق : ما شبّهت صوتي هذا إلاّ بإنسان أخذ الكرة على الطَّبْطابة² وأهل الميدان جميعاً خلفه ، فلمّا بلغ أقصى ضربها أحجزها³ .

1 ل : فيحكّمه .

2 الطبّطابة : خشبة يلعب بها بالكرة .

3 ل : أخرجها .

[مع يحيى بن معاذ والأمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن يزيد المهلبيّ قال حدثني إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ عن ابن المكّي عن إسحاق قال : صنعتُ هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن معاذ يشرب النبيذ ؛ فلما كان في أيام محمد الأمين غنيته ، فاشتراه واشتهر به ، وبعث إليّ يحيى بن معاذ وأنا أغنيته : [من مجزوء الرمل]

اسقني وابن نهيك وابن يحيى بن معاذ

فلما حضر يحيى غنيت : [من مجزوء الرمل]

فاسقني واسق نهيكاً واسق يحيى بن معاذ

فبعث إليه محمد فأحضره فقال : لتشربن أو لأعاقبك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلفه¹ وأمر له بمال ، وسر بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفت إلى البيت ؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرت إليه ، فلم يزل يستحلفني ألا أعود في هذا الصوت قدام محمد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ، ولم أعد فيه . [شعر عليّ بن هشام الذي غنى فيه]

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

يومنا يوم رذاذ واصطباح والتذاذ

فاسقني وابن نهيك وابن يحيى بن معاذ

من كُميت عنقت للشـيخ كسرى بن قباد

ليس للمرء من الهـم سواها من ملاذ

الشعر لعليّ بن هشام ، والغناء لإسحاق ثقيلاً أول بالنصر عن عمرو .

أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم الهاشمي² قال حدثني أبو عبد الله الهلاليّ قال : كنت عند عليّ بن هشام يوماً إذ رشت السماء رشاً وطشت ؛ فأنشأ عليّ يقول : [من مجزوء الرمل]

يومنا يوم رذاذ واصطباح والتذاذ

1 غلفه : طيّبه بالطيب .

2 ل : الهاشمي .

وذكر الأبيات الأربعة ، ثم قال لغلّامه : اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيّب ، فتعال أنت وغلّامك بُنان وعثعث ؛ فجاء إلى باب الرسول وعليه غُرماء له ، فمنعوه الدخول عليه ؛ فقال لهم : كم لكم عليه ؟ قالوا : مائتا ألف درهم ؛ فرجع الغلام إلى علي بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدّين ؛ فقال له : احمل إليه مائتي ألف درهم وجيء به وغلّاميه الساعة فحملها ؛ فجاء أحمد بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعلّي بن هشام : لم تحمّلت هذا لي ؟ أنا والله مُنتظر مالا يجيء فأعطيهما ؛ فقال له : مالي ومالك واحد . فتغديتُ معهما حتى جاءت الحلواء ؛ فقال : أكثر من الحلواء فلست تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرب) ؛ فأكلتُ وغسلتُ يدي ؛ فقال لغلّامه سراج : احمل مع أبي عبد الله الهلالي ثلاثين ألف درهم ؛ فانصرفتُ وهي معي .

[تذكر في كبره شعراً له فبكى]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا سليمان المدائني عن ابن المكيّ عن أبيه قال حدّثني إسحاق قال : تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها :

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عني مَنْ لا أُسمي فعَني كلَّ يومٍ عليه حُزنٌ تسيلُ

الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالنصر عن عمرو . وفيه لعريب خفيف رَمَلٌ آخر . وفيه لمحَمَّد بن حمزة وجه القُرعة خفيفٌ ثقيلٌ ، وقيل : إنّه لابن المكيّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى غلّويه وإلى حسين مُحَرِّز ، قال إسحاق : ثم ملكتها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كبرت واعتلتُ عليّ عينا ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامه المتقدمة ، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولى . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن يزيد المهلبيّ عن إسحاق ؛ وليس هذا على التمام .

[حكم يحيى المكيّ على لحن له]

أخبرني جَحْظَةُ عن مُحَمَّد بن أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال : دعا المأمونُ بإسحاق فأخضِرَه ، فأمره أن يُغني في هذا الصوت :

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ

فغناه ؛ وكنتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما عدا بلحنه معنى شعره ؛ فقال المأمون : فإنّا نردّ الحكم إلى مَنْ هو أعلم بذلك منك ؛ فبعث إلى أبي (يعني يحيى المكيّ) فجاء به ، فخبره بما قلتُ وما قال ، وأمر إسحاق بردّ الصوت فردّه ؛ فقال يحيى : أحسنَ إسحاق في غنائه وأحسنَ ابني في استحسانه ، إلّا أنّ هذا اللحن يحتاج أن يُسمَعَ من غير حلقٍ إسحاق ؛ فضحك المأمون ، وأمر لإسحاق بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله . قال : ولم يكن

في إسحاق شيء يُعاب إلا حلقه ، وكان يغلب الناس جميعاً بطبعه وجذقه .
[سبب ضعف بصره.]

قال : وأمّا السبب في علة عين إسحاق وضعف بصره ، فأخبرني به محمد بن خلف وكيع قال حدثني به أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي : أن إبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف نازع إسحاق في شيء بين يدي الرشيد من الغناء ، فردّ عليه ، فشتمه ، فردّ عليه إسحاق وأرّب في الردّ ؛ فقال له إبراهيم : أتردّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين ! فقال له : اسكُتْ فإنك من موالى العيدين¹ ؛ فقال له الرشيد : وأي شيء موالى العيدين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، يُشترى للخلفاء كل صانع وكلّ ضرب في العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحجام والحائك والسائس ؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه ، فلما جاز عليه مُنصرفاً ضرب رأسه بِمِقْرَعَةٍ فيها مِعْوَلٌ ؛ فكان ذلك سبب ضعف بصر إسحاق . وبلغ الرشيد الخبر ، فأمر بأن يُحجّب عنه إبراهيم ، وحلف ألا يدخل عليه ؛ فدسّ إلى الرشيد من غناه :

صوت

مَنْ لِعَبْدٍ أَذْلَهُ مَوْلَاهُ ما له شافعٌ إليه سواه
يشتكي ما به إليه ويخشا هُ ويرجوه مثل ما يخشاه

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف خفيف رمل . وفيه لَعْرِبٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . وقيل : إنّ لابن جامع فيه خفيف رمل آخر ، فلما غني الرشيد بهذه الأبيات ، سأل عن صاحب لحنها فعرّفه ، فحلف ألا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق ؛ فقام إسحاق فقال : قد رَضِيتُ عنه يا سيدي رضا حسناً ، وقبّل الأرض بين يديه شكراً لما كان من قوله ؛ فرضي عنه وأحضّر وأمره بترضي إسحاق ففعل .
[بينه وبين إبراهيم ابن أخي سلمة.]

وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال : جاء إبراهيم ابن أخي سلمة إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنني أحبّ أن تشرّفني بأن تكون نوبتي ونوبة إسحاق الموصلي في مكان واحد ، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان ، فإن رأيت أن تجعل ذلك كما سألتُ فعلت ؛ قال : قد فعلت ؛ ولم أكن حاضراً لمسأله . فلما كان يوم دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقّاً عفيفاً وعرفني الغلام خبره ؛ فقلت له : يدخل ؛ فأبى وقال له : قل له اخرج أنت ؛ فساء ظني واغتممت ، فخرجتُ إليه فقلت له : ما الخبر ؟ قال : إن أمير

المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدار إلا معي بعد أن أوجه إليك فتركب إلي وتمضي معي ؛ فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر ، وكنت بقية يومي على تلك الحال . ثم ركبنا إلى الفضل بن الربيع فشكوت ذلك إليه ؛ فقال : ما أرى أمير المؤمنين يُجلك هذا الخل ، قم بنا إليه ؛ فقمْتُ معه ، فدخل إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاق وخدمته وحقوق أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهدي تضيع مقداره أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سلمة ؟ قال : لا والله ما فعلتُ هذا ؛ قال : إنه قد جاءني يبيكي ويخلف إن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملةً ، ثم لو قُتل لم يعدْ إليه ؛ فقال : ويحك ؛ والله ما جرى من هذا شيء ، إلا أن إبراهيم ابن أخي سلمة جاء فقال : تشرفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت ؛ فقل له : يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامة ؛ فأخبرني فرجعت . فلما كانت نوبتي جاء إبراهيم إلي ففعل مثل فعله ؛ فقلت لغلامي : اخرج إليه فقل له : ولا كرامة لك يا زاني يا ابن الزانية ، لا أجبي معك ولا أدعك تجيء معي أيضاً ، وشتمه أقبح شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى إليه الرسالة ؛ فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلا بعد توثق فحجل ، فقال له : قل له : ومن أكرهك على هذا ! إنما أحببتُ أن نصطحب وتناشس في طريقنا ، فإن كرهت هذا فلا تفعله ؛ وانصرف ولم يعاودني بعدها .

[صوت إذا غناه بكى]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المدني عن ابن المكي عن أبيه قال : كان إسحاق إذا غنى هذا الصوت يأخذ بلحيته ويبيكي :

إذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه وتلثم تلثيم الإناء جوانبه
فللموت خير من حياة خسيصة تباعده طورا وطورا تقاربة

الشعر لزبان بن سيار الفزاري ، حدثني بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه . والغناء لإسحاق رمل بالوسطى .

[جفا المأمون فأمر غلوه أن يغنيه بشعر له]

أخبرنا محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال : أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني ، فكان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واطب على السماع مستتراً متشبهاً في أول أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربع حجج ، ثم ظهر إلى الندماء والمغنين . وكان حين أحب

السماعَ سأل عني ، فجُرِحتُ بحضرته ، وقال الطاعن عليّ : ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة¹ ؟ قال المأمون : ما أبقى هذا من التيه شيئاً إلا استعمله . فأمسك عن ذكرري ، وجفاني مَنْ كان يصلني ، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ ؛ فأضّر ذلك بي ؛ حتّى جاءني علّويه يوماً فقال لي : أتأذن لي في ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم ؛ فقلت : لا ولكن غنّه بهذا الشعر ، فإنه سيبعثه على أن يسألك : لمن هذا ؛ فإذا سألك انفتح لك ما تريد ، وكان الجواب أسهلّ عليك من الابتداء ؛ فقال : هات ، فألقيتُ عليه لَحْنِي في شعري : [من البسيط]

صوت

يا سَرَحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُه أما إِلَيْكَ طريقٌ غيرُ مسدودٍ²

لحائمٍ حامٍ حتّى لا حِيَامَ له مُحَلًّا عن طريقِ الماءِ مطرودٍ³

الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو قال : فمضى علّويه ، فلما استقرّ به المجلس ، غناه بالشعر الذي أمرته ؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتّى قال : ويحك يا علّويه ، لمن هذا ؟ قال : يا سيدي ، لعبد من عبيدك جفوتَه واطّرحته من غير جُرْم ؛ فقال : أإسحاق تعني ؟ قال : نعم ؛ قال : يحضر الساعة ؛ فجاءني رسوله فصرّت إليه . فلما دخلتُ عليه قال : ادنُ فدنوت ، فرفع يديه مادّهما ، فانكبتُ عليه ، واحتضنني بيديه ، وأظهر من برّي وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لبرّه .

[المتعزّد يثني على غناه بشعره]

أخبرني محمد بن إبراهيم الجرجاني قُرَيْضٌ قال : قال لي أحمد بن أبي العلاء : غنيت المتعزّد يوماً وهو أميرٌ صوت إسحاق :

يا سَرَحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُه أما إِلَيْكَ طريقٌ غيرُ مسدودٍ

فطرب واستعاده مراراً ، وقال : هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمَارِجُ اللحمَ والدمَ .

[صوته في شعره كان الناس يتهاذونه كالطرف]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو العنيس بن حمّدون قال أخبرني أبي قال : لما غنّى إسحاقُ في شعره هذا :

[من المتقارب]

1 ل : الخليفة .

2 سرحة الماء : كنى بها عن امرأة .

3 المحلّ : المنوع من ورود الماء .

صوت

لَأَسْمَاءَ رَسَمَ عفا بِاللَّوَى أَقَامَ رَهِيناً لَطُولَ الْبَلَى
تَعَاوَرَهُ الدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ بَكَرَ الْجَدِيدَيْنِ حَتَّى عفا

الشعر لإسحاق من قصيدة مدح بها الرشيد ، والغناء له ثاني ثقل بالوسطى . وفيه لسليم ثقل أول من رواية الهشامي ، وذكر حبش أنه لإبراهيم بن المهدي ، قال : فكان الناس يتهاذونه كما يتهاذون الطرفة والباكورة . وقال أبو العنيس حدثني ابن مخارق¹ : أن الواثق بعث إلى أبيه مخارق لما صنع إسحاق هذا الصوت ليُلقِيَه عليه ، فصادفه علياً ، ولم يكن أحد يلقن عن إسحاق طرَحَ الغناء كما يلقنه مخارق ، فأعاد إليه الرسول ومعه محفة ، وقال : لا بد أن يجيء على كل حال ؛ فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوت عن إسحاق ورجع . [يتحلى الشجاعة والفروسيّة]

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية² : أن إسحاق كان يتحلى بالشجاعة والفروسيّة ويحب أن يُنسبَ إليهما ، ويركب الخيل ويتعلم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهد بعض مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكص على عَقِيَّه ؛ فقال أخوه طيّاب فيه : [من المتقارب]

وَأَنْتَ تَكَلَّفْتَ مَا لَا تُطِيق وَقُلْتُ أَنَا الْفَارِسُ الْمَوْصِلِي
فَلَمَّا أَصَابَتْكَ نُشَابَةٌ رَجَعْتَ إِلَى سَنِّكَ الْأَوَّلِ

[حديث حمزة الزيات معه]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال : قال لي حمزة الزيات القاري³ : يا موصلي ، إن لي فيك رأياً ، أفترضى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عوضك من الآخرة فضل مطعم على مطعم ! .

[شعر الأصمعي أو ابن المنذر العروضي فيه]

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السكري قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي لعمه يقول لإسحاق :

أَنْ تَغْنَيْتَ لِلشَّرْبِ الْكَرَامَ «أَلَا رَدَّ الْخَلِيطُ جَمَالَ الْحَيِّ فَانْفَرَقُوا»

1 ل : هارون بن مخارق .

2 قارن بالتذكرة الحمدونية 7 : 272 (رقم 1168) .

3 هذا خبر مستغرب . فحمزة القاري توفي سنة 156 في خلافة المنصور ، وإسحاق ولد سنة 150 .

وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك إلى ما قلت ويحك لا يذهب بك الخرقُ
وقيل أنت حسانُ الناسِ كلهمُ وابنُ الحُسانِ فقد قالوا وقد صدقوا
فما بهذا تقومِ النادباتُ ولا يُثنى عليك إذا ما ضَمَكِ الخرقُ
قال يحيى بن عليّ: إن هذه الأبيات تُروى لابن المُنذِر العروضي ولالأصمعيّ .
[فساد ما بينه وبين الأصمعيّ]

قال مؤلف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد
ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرشد معاييه ، وأخبره بقلّة شكره وبخله وضعّة
نفسه وأنّ الصنّعة لا تزكو عنده ، ووصف له أبا عبيدة معمر بن المثنى بالثقة والصدق
والسماحة والعلم ؛ وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبة
الأصمعيّ وأسقطه عندهم ، وأنفذوا إلى أبي عبيدة مَنْ أقدمه .
أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أنشدتُ الفضل بن
الربيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس :

كانّه في الجُلِّ وهو سامي مُستَمِلٌ جاء من الحَمَامِ¹
يسُور بين السَّرَجِ واللِّجَامِ سَوْرَ القَطَامِيّ إلى اليَمَامِ²
قال : ودخل الأصمعيّ فسمعني أنشدتها ، فقال : هاتِ بقيتها ؛ فقلت له : ألم تقل إنّهُ لم يبقَ
منها شيء ؟ فقال : ما بقي منها إلّا عيونها ، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاطني
فعله ؛ فلمّا خرج عرّفت الفضل بن الربيع قلّة شكره لعارفة³ وبخله بما عنده ؛ ووصفت له
فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته وبذلّه لما عنده واشتماله على جميع علوم العرب ،
ورغبته فيه ، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه ؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة .

أخبرني عمّي قال حدثنا فضل اليزيديّ عن إسحاق قال : جاء عطاءُ الملِكِ⁴ بجماعة من أهل
البصرة إلى قُرْب أبي الأصمعيّ ، وكان نذلاً من الرجال ، فوجده ملتفّاً في كِسائه نائماً في
الشمس ، فركضه برجله وصاح به : يا قُرْب ، فم وبلك ؛ فقال له : هل لقيتُ أحداً من أهل
العلم قطُّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من محدّثين ؟ قال : لا والله ؛ قال : ولا
سمعتُ شيئاً تُرويه لنا أو تُشدّناهُ أو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله ؛ فقال لمن حضر : هذا أبو

1 الجل : غطاء للدابة .

2 يسور : يشب ويشور . القطامي : الصقر .

3 العارفة : المعروف .

4 ل : اللط .

الأصمعيّ ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه ، لا يَقُلْ لَكُمْ غَدًا أو بعده : حَدَّثَنِي أَبِي أَوْ
 أَنَشِدَنِي أَبِي ؛ فَفَضَّحَهُ . قال الفضل : ثم مَرِضَ الْأَصْمَعِيُّ ، وكان الحال بينه وبين إسحاق
 الموصلي انفرجت ؛ فعاده أَبُو رَبِيعَةَ ، وكان يرغب في الأدب وَبَيَّرَ أَهْلَهُ ؛ فقال له الْأَصْمَعِيُّ :
 أَقْرَضْنِي خَمْسَةَ آلَافِ دَرْهَمٍ ؛ فقال : أَفْعَلْ . فقال له أَبُو رَبِيعَةَ : فَأَيَّ شَيْءٍ تَشْتَهِي سِوَى هَذَا ؟
 فقال : أَشْتَهِي أَنْ تُهْدِيَ إِلَيَّ فَصًّا حَسَنًا وَسَيْفًا قَاطِعًا وَبُرْدًا¹ حَسَنًا وَسِرْجًا مُحَلًى ؛ فقال :
 أَفْعَلْ ، وبعث بذلك إليه لما عاد إلى منزله . وبلغ ذلك إسحاق فقال : [من الوافر]

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ قِرْدًا	أَصْنَمِعَ بَاهِلِيًّا يَسْتَطِيلُ
ويزعمُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُفْتِي	أَبَا عَمْرٍو وَيَسْأَلُهُ الْخَلِيلُ ²
إِذَا مَا قَالَ قَالَ أَبِي عَجَبْنَا	لِمَا يَأْتِي بِهِ وَلِمَا يَقُولُ
وَمَا إِنْ كَانَ يَذَرِي مَا ذَبِيرٌ	أَبُوهُ إِنْ سَأَلَتْ وَمَا قَبِيلُ ³
وَجَلَّلَهُ عَطَاءُ الْمَلِكِ عَارًا	تَزُولُ الرَّاسِيَاتُ وَلَا يَزُولُ ⁴
نصحتُ أَبَا رَبِيعَةَ فِيهِ جُهْدِي	وَبَعْضُ النَّصَحِ أحيانًا ثَقِيلُ
فَقُلْ لِأَبِي رَبِيعَةَ إِذْ عَصَانِي	وَجَارَ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ السَّيْلُ
لَقَدْ ضَاعَتْ بَرُودُكَ فَاجْتَسِبَهَا	وَضَاعَ الْفَصُّ وَالسَيْفُ الصَّقِيلُ
وَسِرْجٌ كَانَ لِلْبُرْدُونِ زِينًا	لَهُ فِي إِثْرِهِ جَزَعًا صَهِيلُ
وَأَمَّا الْخَمْسَةُ الْآلَافِ فَاعْلَمْ	بَأَنَّكَ غَبْنَهَا لَا تَسْتَقِيلُ
وَأَنَّ قَضَاءَهَا فَتَعَزَّ عَنْهَا	سَيَأْتِي دُونَهُ زَمَنٌ طَوِيلُ

[الواثق يبهه وصيفة أعجبه فأنشده شعرًا للمرار وعناه فيه فوهبها له]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا بَيْنَ يَدَيِ
 الْوَائِقِ وَهُوَ وَلِيَّ عَهْدٍ ، إِذْ خَرَجَتْ وَصِيفَةٌ مِنَ الْقَصْرِ كَانَتْهَا خُوطُ بَانٍ ، أَحْسَنُ مَنْ رَأَتْهُ عَيْنِي
 قَطُّ ، تَقْدُمُ عَدَّةَ وَصَائِفَ بَأَيْدِيهِنَّ الْمَذَابُ وَالْمَنَادِيلُ وَنَحْوُ ذَلِكَ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَرَ دَهْشٍ وَهُوَ
 يَرْمُقُنِي . فَلَمَّا تَبَيَّنَ الْحَاحَ نَظَرَنِي قَالَ : مَالِكُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ انْقَطَعَ كَلَامُكَ وَبَانَتِ الْحِيرَةُ

1 ل : وبرذونا .

2 يقصد أبا عمرو بن العلاء إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة والشعر ، والخليل بن أحمد النحوي
 العروضي .

3 إشارة إلى المثل : ما يعرف قبيلًا من دبير (مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 286 ومستقصى
 الزمخشري 2 : 337 .

4 الملك في ل : الملط .

فيك ؟ فتجلججتُ ؛ فقال لي : رمتك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبك ! ؛ فقلت : غيرُ ملوم ؛ فضحك ثم قال : أنشدني في هذا المعنى ؛ فأنشدته قولَ المرَّار¹ : [من الطويل]

أَلْكِنِي إِلَيْهَا عَمْرُكَ اللَّهُ يَا فَتَى بَايَةَ مَا قَالَتْ مَتَى هُوَ رَائِحُ²
وَايَةَ مَا قَالَتْ لَهْنَ عَشِيَّةً وَفِي السَّيْرِ حُرَاتُ الْوُجُوهِ مَلَانِحُ
تَخَيَّرَنَ أَرْمَاضُ فَارْمِينَ رَمِيَّةً أَخَا أَسَدٍ إِذْ طَرَحَتْهُ الطَّوَارِحُ
فَلَبَّسَنَ مِسْلَاسَ الْوِشَاحِ كَانَهَا مَهَاةً لَهَا طِفْلٌ بِرُمَّانٍ رَاشِحُ³

فقال له الواصل : أحسنتَ بحياتي وظرفتي ، اصنعُ فيها لحناً ؛ فإن جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفةُ لك ؛ فصنعتُ فيه لحناً وغنيتُه إياه ، فاصطبَحَ عليه وشربَ بقيَّةَ يومه وليلته حتى سكر ، ولم يقترح عليَّ غيره ، وانصرفتُ بالجارية .

[غنى الواصل وهو لقى النفس فطربه]

حدثني عمِّي قال حدثني فضلُ الزَّيْدِي عن إِسْحَاقَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْوَائِقِ يَوْمًا وَهُوَ خَاطِرُ النَّفْسِ ، فَاخْذَتُ عَوْدًا مِنَ الْخِزَانَةِ وَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَغَنَيْتُهُ : [من البسيط]

مِنَ الطُّبَّاءِ طِبَاءُ هُمُّهَا السُّخْبُ تَرَعَى الْقُلُوبَ وَفِي قَلْبِي لَهَا عُشْبُ
أَهْوَى الطُّبَّاءِ اللُّوَاتِي لَا قُرُونَ لَهَا وَحَلِيهَا الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ وَالذَّهَبُ
لَا يَغْتَرِبْنَ وَلَا يَسْكُنَنَّ بَادِيَةً وَلَيْسَ يَعْرِفَنَّ مَا صَرٌّ وَلَا حَلْبُ
وَفِي الَّذِينَ غَدَّوْا ، نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُمْ ، شَمْسٌ تَبْرَقُعُ أَحْيَانًا وَتَنْتَقِبُ
يَا حَسَنَ مَا سَرَقْتُ عَيْنِي وَمَا انْتَهَبْتُ وَالْعَيْنُ تَسْرِقُ أَحْيَانًا وَتَنْتَهَبُ
إِذَا يَدٌ سَرَقَتْ فَالْقَطْعُ يَلْزِمُهَا وَالْقَطْعُ فِي سَرَقِ الْعَيْنِينَ لَا يَجِبُ

قال : فَهَشَّ إِلَيَّ وَنَشِطَ وَدَعَا بِطَعَامٍ خَفِيفٍ وَأَكَلْنَا وَاصْطَبَحَ وَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ ابْنِ مَهْرُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرْخِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ ؛ وَقَالَ فِيهِ : فَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال : كان إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ يَدْخُلُ فِي مُبْطَنَةٍ وَطَيْلَسَانَ مِثْلَ زِيِّ الْفُقَهَاءِ عَلَى الْمَأْمُونِ ؛ فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي

1 هو المرَّار الفقعسي وسأني ترجمة له .

2 أَلْكِنِي : تحمل إليه رسالتي .

3 رمان : قصر بنواحي واسط . والراشح : الصغير الذي أخذ يمشي مع أمه أو خلفها .

دخول المقصورة يوم الجمعة بذراعة سوداء وطيلسان أسود ؛ فبسم المأمون وقال له : ولا كل هذا بمرّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تنغم ، وأمر بحملها إليه فحملت .

[أبو خالد الأسلمي يمدحه ويقدم شعره]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أبي خالد الأسلمي : أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضلّه ويعظم شأنه ويقدمه في الشعر تقديماً مفراطاً ، فقال : ما قولكم في رجل محدث تشبه بذي الرمة وقال على لسانه شعراً وغنى فيه ونسبه إليه ، فلم يشكك أحد سمعه أنه له ولا فطن لما فعل أحد إلا من حصل شعر ذي الرمة كله ورواه ؛ فسل أبو خالد عن هذا الشعر فقال :

ومدرجة للريح تيهاء لم تكن ليجشمها زميلة غير حازم
يضل بها الساري وإن كان هادياً وتقطع أنفاس الرياح النواسم
تعسفت أفري جوزها بشملة بعيدة ما بين القرا والمناسم¹
كان شيرار المرو من نبذها به نجوم هوت أخرى الليالي العواتم²

[غنى المأمون بشعر في الذات]

حدثني عمي وأحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا فضل الزبيدي عن إسحاق قال : غنيت المأمون يوماً هذين البيتين :

لأحسن من قرع المثاني ورجعها تواتر صوت الثغر يقرع بالثغر
وسكر الهوى أروى لعظمي ومفصلي من الشرب في الكاسات من عاتق الخمر
فقال لي المأمون : ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن ؟ الفراغ والشباب والجدة .

[اعتق غلامه لحسن جوابه]

حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال : كان لإسحاق غلام يقال له فتح ، يستقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً ؛ فقال إسحاق : قلت له يوماً : أي شيء خبرك يا فتح ؟ قال : خبري أنه ليس في هذه الدار أحد أشقى مني ومنك ؛ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنت تطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء ؛ فاستظرفت قوله وضحكت منه ، ثم قلت له : فأي شيء تحب ؟ قال : تعتقني وتهب لي البغلين أستقي عليهما ؛ فقلت له : قد فعلت .

1 جوز الشيء : وسطه ومعظمه . والشملة : الناقة السريعة . والقرا : الظهر ، والمناسم : الأخفاف .

2 المرو : حجارة بيض رفاق .

[شعره في أبي البصير]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال : كان لأبي البصير الشاعر قيان ، وكان يتكلم في الغناء بغير علم ولا صواب فيضحك منه ، فقال أبي فيه :

سكتُ عن الغناء فما أماري بصيراً لا ولا غيرَ البصير
مخافةً أن أجنن فيه نفسي كما قد جنَّ فيه أبو البصير

[نهاه الرشيد عن الغناء إلا له أو لجعفر بن يحيى]

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : نهاني الرشيد أن أغني أحداً غيره ، ثم استوهبني جعفر بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أغنيه ففعل ، واتفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل ، والرشيد يومئذ بعقب علة قد عوفي منها وليس يشرب ؛ فقال لي الفضل : انصرف إلي الليلة حتى أهب لك مائة ألف درهم ؛ فقلت له : إن الرشيد قد نهاني ألا أغني إلا له أو لأخي ، وليس يخفى عليه خبري ، وأنا متهم عنده بالميل إليكم ، ولست أتعرض له ولا أعرضك ، ولم أجبه . فلما نكبه الرشيد قال : إيه يا إسحاق ، تركتني بالرقّة وجلست ببغداد تغني للفضل بن يحيى ! فحلفت بحياته أنني ما جالسته قط إلا على المذاكرة والحديث ، وأنه ما سمعني قط أغني إلا عند أخيه جعفر ، وحلفت بترية المهدي أن يسأل عن هذا جميع من في الدار من نسائه ؛ فسأل عنه فحدثته بمثل ما ذكرته له ، وعرف خبر المائة الألف درهم التي بذلها لي فرددتها عليه . فلما دخلت عليه ضحك إلي ثم قال : قد سألت عن أمرك فعرفت منه مثل ما عرفتني ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل .

[نحدث بحديث لا إسناد فيه]

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون¹ عن إسحاق أنه كان يقول : الإسناد قيد الحديث ؛ فتحدث مرةً بحديث لا إسناد له ، فسئل عن إسناده ، فقال : هذا من المرسلات عروفاً .

[أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه]

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن أبيه ، وحدثني عمي عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : أنشد الفضل بن يحيى قول أبي الجحضاء نصيب مولى المهدي فيهم :

[من الكامل]

صوت

عند الملوك مَصْرَّةٌ ومنافعُ وأرى البرامِكَ لا تَصْرُ وتنفَعُ
 إنَّ كان شرٌّ كان غيرُهم له أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمعُ
 إنَّ العروقَ إذا استسرَّ بها الثرى أشيرَ النباتُ بها وطابَ المزْرَعُ
 فإذا جهَلْتَ من امرئٍ أعراقَه وقديمَه فانظرِ إلى ما يصنعُ
 قال فقال : كَأَنَّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ ، قد كنَّا وصلناه بثلاثين ألف درهم ، وإذا
 نُجِدَّ له الساعةَ صلة له ولك معه لحفظك الأبيات ؛ فوصلنا بثلاثين ألف درهم .
 [عتب عليه المأمون في شيء فاسترضاه]

وأخبرني الصُّوليُّ قال حدَّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمَّاز قال¹ : عتب المأمونُ
 على إسحاق في شيء ؛ فكتب إليه رُقعةً وأوصلها إليه من يده ؛ ففتحها المأمون فإذا فيها
 قوله :

لا شيء أعظمُ من جرُمي سوى أُملي لحسن عفوك عن ذنبي وعن زَلِّي
 فإن يكن ذا وذا في القَدْر قد عَظُما فَأنت أعظمُ من جرُمي ومن أُملي
 فضحك ثم قال : يا إسحاق ، عذرك أعلى قدراً من جرْمك ، وما جال بفكري ولا
 أُخْطِرْتُهُ بعد انقضائه على ذكري .
 [بينه وبين ابن بانة في مجلس الوراق]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني يزيد بن محمَّد المهلبِّي قال : خرجنا مع الوراق إلى القاطول² للصيد ،
 ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنين وفيهم عمرو بن بانة وعلويّه ومُخارق وعقيد ، وقدم إسحاق في
 ذلك الوقت فأخرجه معه ؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً ، ثم أمر بالبُكور إلى
 الصُّبوح فباكرنا واصطبحنّا . فغنّى عمرو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصلي :
 [من الطويل]

صوت

بلوتُ أمورَ الناس طُرّاً فأصبحتُ مُدَمِّمةٌ عندي براء من الحمدِ
 وأصبح عندي من وثقتُ بغيبه بغيضُ الأيادي كلُّ إحسانه نَكْدُ³
 ولحنه خفيف رَمَلٍ بالوسطى ، فغنّاه على ما أخذَه من إبراهيم بن المهدي وقد غيَّره . فقال
 الوراق لإسحاق : أتعرف هذا اللحن ؟ فقال : نعم ، هذا لحنُ أبي ولكنه ممَّا زعم إبراهيم بن

1 هذا الخبر ممَّا ورد في التذكرة الحمدونية 4 : 116 (رقم 340) .

2 القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة .

3 في هذا البيت إقواء .

المهديّ أنّه جَنَدَرَه وَأَصْلَحَه فَأَفْسَدَه وَدَمَّرَ¹ عليه ؛ فقال له : غَنَّه أَنْتَ ، فغَنَّا فَاتَى به على حَقِيقَتِه واستَحْسَنَه الوائِقُ جَدًّا ؛ فَعَمَّ ذَلِكَ عَمْرُو بن بَانَةَ فقال لإِسْحَاقَ : أَفَأَنْتَ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ بن المَهْدِيِّ حَتَّى تَقُولَ هَذَا فِيهِ ؟ ؛ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِثْلُهُ ، أَمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَأَنَا عَبْدُهُ وَعَبْدُ أَبِيهِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ؛ وَأَمَّا الْغَنَاءُ فَمَا دَخُولُكَ أَنْتَ بَيْنَنَا فِيهِ ؟ مَا أَحْسَنْتَ قَطُّ أَنْ تَأْخُذَ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَغْنِيَ ، وَلَا قَمْتَ بِأَدَاءِ غَنَاءٍ عَنْ أَنْ تَمَيِّزَ بَيْنَ الْمُحْسِنِينَ ؛ وَالْأَفْغَنُ أَيُّ صَوْتٍ شِئْتَ مِمَّا أُخَذَتْ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ ، فَإِنْ لَمْ أَوْضَحْ لَكَ وَلَمْنَ حَضَرَ أَنَّه لَا يَسْلَمُ لَكَ صَوْتٌ مِنْ نَقْصَانِ أَجْزَاءِ وَفْسَادِ صَنْعَةٍ فَدَمِي بِهِ رَهْنٌ ؛ فَأَسَاءَ عَمْرُو الْجَوَابَ وَأَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ ؛ فَأَمَضَهُ الْوَائِقُ وَشَتَمَهُ وَأَمَرَ بِإِقَامَتِهِ عَنْ مَجْلِسِهِ فَأَقِيمَ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلَ إِسْحَاقُ عَلَى الْوَائِقِ فَأَنْشَدَهُ : [من الرجز]

ومجلسٍ باكرته بُكُورًا	والطيرُ ما فارقتِ الوُكُورًا
والصبحُ لم يَسْتَنْطِقِ الْعُصْفُورًا	على غديرٍ لم يكن دُعُثُورًا ²
لم تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ غَدِيرًا	يجري حَبَابُ مَائِهِ مَسْجُورًا ³
على حَصَى تَحْسِبُهُ كَافُورًا	تسمع للماء به خَرِيرًا
يَنْسِجُ أَعْلَى مَتْنِهِ سَطُورًا	نَسِيمُ رِيحٍ قَدْ وَتَتْ فُتُورًا
حتى تَخَالَ مَتْنَهُ حَصِيرًا	وَالشَّرْبُ قَدْ حَفَّوْا بِهِ حُضُورًا
وَأَمَرُوا السَّاقِيَّ أَنْ يُدِيرَا	كَأَسْهُمِ الْأَصْغَرَ وَالْكَبِيرَا
وَأَعْمَلُوا الْبِمَّ مَعًا وَالزُّيرَا	وَجَاوَبَتْ عِيدَانُهُمْ زَمِيرَا
وَقَرَّبُوا الْمُغْنَى النَّحْرِيرَا	مُقَدِّمًا فِي حِذْقِهِ مَشْهُورَا
فَهُمْ يَطِيرُونَ بِهِ سُرُورَا	وَلَا تَرَى فِي شَرْبِهِمْ تَقْصِيرَا
وَلَا لِيَصْفُو عَيْشَهُمْ تَكْدِيرَا	وَلَا لِيَخْلُقَ مِنْهُمْ نَظِيرَا
إِلَّا رُجِيْلًا مِنْهُمْ سِكِّيرَا	مُعْرِبِدًا مُوَضَّحًا شَرِيرَا
مُدَّعِيًا لِلْعِلْمِ مُسْتَعِيرَا	يُرُومُ سَعِيًّا كَاذِبًا مَغْرُورَا
وَأَنْ يَكُونَ عَالِمًا بَصِيرَا	مُفَضَّلًا بَعْلَمَهُ مَذْكَورَا
عَمَزَتْهُ وَلَمْ يَكُنْ صَبُورَا	فَعَاذَ مِنِّْي هَارِبًا مَذْعُورَا
بِمَعْشَرٍ تَحْسِبُهُمْ حَمِيرَا	أَشَدَّ مِنْهُمْ حُمُقًا كَثِيرَا

1 دمر عليه : إذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشر .

2 الدعثور : الحوض المثلث أو الذي لم تحكم صنعته ولم يوسع .

3 المسجور : المنظوم المسترسل

لا يَنْطِقُونَ الدَّهْرَ إِلَّا زُورًا حَتَّى إِذَا كَسَرْتُهُ تَكْسِيرًا
كَالْلَيْثِ لَمَّا ضَغَمَ الْخَنْزِيرَا وَلَّى انْهَازًا خَاسَةً مَدْحُورًا¹
مَعْتَرَفًا بِذَلِكَ مَقْهُورَا وَكُنْتُ قَدَمًا ضِغْمًا هَصُورَا
مَعْتَلِيًا لِقِرْنِهِ عَقُورَا وَمَا أَخَافُ الزَّمْنَ الْعَثُورَا
إِذْ كُنْتُ بِالْوَائِقِ مُسْتَجِيرَا قَدْ عَزَّ مَنْ كَانَ لَهُ نَصِيرَا
إِمَامٌ عَدِلَ ذَبَرَ الْأُمُورَا بِرَأْيِهِ وَلَمْ يُرِدْ مُشِيرَا
تَرَى مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِ نُورَا تَقِيلُ الْمَهْدِيَّ وَالْمَنْصُورَا²
وَجَدَهُ الْأَدْنَى تُقَى وَخِيرَا وَرَّثَهُ الْمُعْتَصِمُ التَّدِيرَا
فَأَصْبَحَ الْمَلِكُ بِهِ مُنِيرَا وَأَصْبَحَ الْعَدْلُ بِهِ مَنْشُورَا
قَدْ أَمِنَ النَّاسُ بِهِ الْمَخْطُورَا إِذَا عَلَا الْمُنِيرَ وَالسَّرِيرَا
رَأَيْتُ بَدْرًا طَالِعًا مُنِيرَا بَحْرًا تَرَى الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَا
يَرْجُونَ مِنْهُ نَائِلًا غَزِيرَا وَاللَّهُ لَا زِلْتُ لَهُ شُكُورَا
لَا جَاحِدَ النُّعْمَى وَلَا كَفُورَا وَكُنْتُ بِالشُّكْرِ لَهُ جَدِيرَا

[أنشده الأصمعيّ جملة أشعار في الفروسية]

حَدَّثَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ يَقُولُ : أَنَشِدَنِي
الْأَصْمَعِيُّ قَوْلَ الْأَعَشَى :

إِنْ تَرَكَبُوا فَرَكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نُزُلٍ
ثُمَّ قُلْتُ : أَيُّ شَيْءٍ تَحْفَظُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ؟ وَكَانَ مَعَ بَخْلِهِ بِالْعِلْمِ لَا يَبْخُلُ بِمِثْلِ هَذَا ، فَأَنَشِدَنِي
لِرَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ الضَّبِّيَّ :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلٍ³
فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعِلَامٌ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

[سره غناء ملاحظ فمدحها]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَرْوَانَ قَالَ
حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ : اجْتَمَعْنَا يَوْمًا إِمَامًا قَالَ فِي مَنْزِلِي أَوْ فِي مَنْزِلِ

1 ضغم : عضّ ملء فيه .

2 تقيل الرجل أباه : أشبهه .

3 أوظفه : جمع وظيف وهو ما فوق الحافر .

محمد بن الحارث بن بُسْخَر ، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصليّ وعندنا ملاحظٌ تُغْنِيَا وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم ومن عندكم ؟ فأخبرناه بخبرها ؛ فقال : لا تُعرّفوها من أنا فيُخرجها التصنع لي والتحفّظ مني عن طبعها ، ولكن دعوها وهواها حتّى نتفّع بها ؛ وخرجت وهي لا تعرفه وجلست كما كانت أولاً ، وابتدأت وغنّت والصنعة لفليح بن أبي العوّاء ، ولحنه رَمَلٌ . هكذا أخبرنا إسحاق ليلتئذٍ أنّ الغناء لفليح : [من البسيط]

صوت

إِنِّي تَعَلَّقْتُ ظِيماً شَادِناً خَرِقاً عُلَّقَتْهُ شِقْوَةٌ مِنِّي وَمَا عَلِقَا
قال : فطرب إسحاق وشرب حتى وآلى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها ؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب : [من الطويل]

سَأَشْرَبُ مَا دَامَتْ تُغْنِي مَلاَحِظُ	وَإِنْ كَانَ لِي فِي الشَّيْبِ عَنْ ذَاكَ وَاعِظُ
مَلاَحِظُ غَنِيْنَا بَعِيشِكُ وَلِيَكُنْ	عَلَيْكَ لَمَّا اسْتَحْفَظْتُهُ مِنْكَ حَافِظُ
فَأَقْسَمَ مَا غَنَى غِنَاءُكَ مُحْسِنٌ	مُجِيدٌ وَلَمْ يَلْفِظْ كَلْفَظُكَ لَافِظُ
وَفِي بَعْضِ هَذَا الْقَوْلِ مِنِّي مَسَاءَةٌ	وَغِيْظٌ شَدِيدٌ لِلْمَغْنَنِ غَائِظُ

[حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثني إسحاق قال : قال لي الرشيد يوماً : بأيّ شيء يتحدّث الناس ؟ قلت : يتحدّثون بأنك تقبضُ على البرامكة وتؤليّ الفضلَ بن الرّبيع الوزارة ؛ فغضب وصاح بي : وما أنت وذاك ويْلَكَ ! فأمسكتُ . فلمّا كان بعدَ أيّامٍ دعا بنا ؛ فكان أوّل شيء غنّيته : [من الهزج]

صوت

إِذَا نَحْنُ صَدَقْنَاكَ	فَضَرَ عِنْدَكَ الصَّدَقُ
طَلَبْنَا النِّفْعَ بِالْبَاطِلِ	لِإِذْ لَمْ يَنْفَعِ الْحَقُّ
فَلَوْ قَدَّمْ صَبّاً فِي	هَوَاهُ الصَّبْرُ وَالرَّفْقُ
لَقَدَّمْتُ عَلَى النَّاسِ	وَلَكِنَّ الْهَوَى رَزَقُ

في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع ، والصحيح أنّه لإسحاق . وقيل : إنّ الشعر لأبي العتاهية . قال : فضحك الرشيد وقال لي : يا إسحاق ، قد صيرتَ حقّودا .

[المعتصم يجيزه وعلويه دون مُخارق]

أخبرني الحسن قال حدثنا يزيد بن محمد قال حدثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ على المعتصم يوماً بسرّاً من رأى ، فإذا الواثق بين يديه وعنده علويه ومُخارق ؛ فغناه صوتاً فلم يَنشَطْ له ، ثم غناه علويه فأطربه . فلما رأيتُ طربه لغناء علويه دون غناء مُخارق اندفعتُ فغنيته لحنى :

صوت

تَجَنَّبْتَ لَيْلَى أَنْ يَلِجَ بِكَ الْهَوَى وَهِيَهَاتَ كَانَ الْحَبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ وَلَعَلَّوَيْهِ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَلَمْ يَأْمُرْ لِمُخَارِقٍ بِشَيْءٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَجَنَّبْتَ لَيْلَى أَنْ يَلِجَ بِكَ الْهَوَى وَهِيَهَاتَ كَانَ الْحَبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَىُّ أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
الشعر للمجنون¹ . والغناء لإسحاق ثقیلاً أولُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وغنى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر ، هزجاً بالبنصر . والبيتان المضافان :

بَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَهْنَاءِ عَظْمِي وَمَنْكِبِي هَوَىُّ لَسُلَيْمَى فِي الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ
وَإِنِّي سَعِيدٌ أَنْ رَأَيْتُ لَكَ مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ عَيْنِي مَنْزَلاً فِي بَنِي أَبِي

[الواثق يجيزه على غناء علويه بلحنه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال : غنى علويه بين يدي الواثق يوماً :

صوت

خَلِيلٌ لِي سَاهِجُهُ لَذَنْبٍ لَسْتُ أَذْكُرُهُ
وَلَكِنِّي سَأْرَعَاهُ وَأَكْتُمُهُ وَأُسْتَرُهُ
وَأُظْهِرُ أَتَنِي رَاضٍ وَأَسْكُتُ لَا أُخْبِرُهُ
لَكِي لَا يَعْلَمُ الْوَاشِي بِمَا عِنْدِي فَأَكْسِرُهُ

الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى ، قال : فَطَرَبَ الْوَائِقُ طَرَباً شَدِيداً ، واستحسن اللحن ، وأمر لَعْلَوِيَّهَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَهَذَا اللَّحْنُ لَكَ ؟ قَالَ : لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ لِهَذَا الْهَزَجِ¹ (يعني إسحاق) قَالَ : وَكَانَ إِسْحَاقُ حَاضِراً ، فَضَحِكَ الْوَائِقُ وَقَالَ : قَدْ ظَلَمْنَاهُ إِذَا ، وَأَمَرَ إِسْحَاقُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

[عارض ثقيلاً بهرج]

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكَاتِبُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُرْدَاذِيَهَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ إِسْحَاقُ عِنْدَ الْفَتْحِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْكَرْخِيِّ وَعَلَوِيَّهَ حَاضِرٌ ؛ فَغَنَاهُ عَلَوِيَّهَ : [من مجزوء الوافر]

عَلِقْتُكَ نَاشِئاً حَتَّى رَأَيْتِ الرَّأْسَ مَبْيُضَا
عَلَى يُسْرِ وَإِعْسَارٍ وَفَيْضِ نَوَالِكِمَ فَيْضَا
أَلَا أَحِبُّ بَارِضٍ كَدَ تَحْتَلِينَهَا أَرْضَا
وَأَهْلُكَ حَبْدًا مَا هَمَّ وَإِنْ أَبَدُوا لِي الْبُعْضَا

الشعر لابن أذينة . والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، عَنْ إِسْحَاقٍ . وَفِيهِ إِسْحَاقُ هَزَجٌ خَفِيفٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، عَنْ إِسْحَاقٍ أَيْضاً . وَفِيهِ لِلْأُبَجَرِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ ، وَفِيهِ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِي هَزَجٌ خَفِيفٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ أَيْضاً ، وَفِيهِ لِلْأُبَجَرِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ آخَرُ ، وَلِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي رَمَلٌ ، جَمِيعُ ذَلِكَ عَنْ الْهَشَامِيِّ . قَالَ : فَغَنَاهُ إِيَّاهُ فِي الثَّقِيلِ ، ثُمَّ غَنَاهُ هَزَجاً ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ : لِمَنِ الثَّقِيلُ ؟ فَقَالَ : لِابْنِ سُرَيْجٍ ، قَالَ : فَلِمَنِ الْهَزَجُ ؟ قَالَ : لِهَذَا الْهَزَجِ² (يعني إسحاق) ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ : وَيْلَكَ يَا إِسْحَاقُ ! أَتُعَارِضُ ثَقِيلَ ابْنِ سُرَيْجٍ بِهِزَجَكَ ؟ قَالَ : فَقَبَضَ إِسْحَاقُ لِحِيَّتَهُ ثُمَّ قَالَ : عَلَى ذَلِكَ فَوَاللَّهِ مَا فَاتَنِي إِلَّا بِتَحْرِيكِهِ الذَّقْنَ .

[تصويبه المعتصم في شعر لأبي خراش]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ ، وَاسْتَدْنَانِي فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، وَاسْتَدْنَانِي فَتَوَقَّعْتُ خَوْفًا مِنْ أَنْ أَكُونَ مُوَارِيًا فِي الْمَجْلِسِ لِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؛ فَفَطِنَ الْمُعْتَصِمُ لِذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ إِسْحَاقَ لَكَرِيمٌ ، وَإِنَّكَ لَمْ تَسْتَنْزِلْ مَا عِنْدَ الْكَرِيمِ بِمَثَلِ إِكْرَامِهِ . ثُمَّ تَحَدَّثْنَا وَأَفْضَتْ بِنَا الْمَذَاكِرَةُ إِلَى قَوْلِ أَبِي خِرَاشٍ الْهَذَلِيِّ³ :

[من الطويل]

1 ل : الهريد وهو أحد خدماة النار عند المجوس أو أحد عظماء الهند أو علمائها (فارسية) .

2 ل : الهريد .

3 شرح أشعار الهذليين : 1230 والحماسية رقم 262 .

حَمِدْتُ إلهي بعد عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فَأَنْشَدَهَا الْمُعْتَصِمُ إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنْشَدَ فِيهَا :

وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداءَهُ سَوَى أَنَّهُ قَدْ حُطَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ¹
وَالرَّوَايَةُ «قَدْ بَزَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ» ؛ فَغَلِطْتُ وَأَسَأْتُ الْأَدَبَ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ
رِوَايَةُ الْكِتَابِ وَمَا أَخَذَ عَنِ الْمُعَلِّمِ ؛ وَالصَّحِيحُ «بَزَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ» ؛ فَقَالَ لِي : نَعَمْ صَدَقْتَ ،
وَعَمَزَنِي بَعِينُهُ ، يَحْذَرُنِي مِنْ إِسْحَاقَ ؛ وَفَطِنْتُ لَغَلَطِي فَأَمْسَكْتُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أَشْفَقَ عَلَيَّ مِنْ
بَادِرَةِ تَبَدُّرٍ مِنْ إِسْحَاقَ ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذَا فِي الْخُلَفَاءِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يُعْظِمَ عَقُوبَتَهُ
وَيُطِيلَ حَبْسَهُ ، كَأَنَّهُ مَنْ كَانَ ؛ فَنَبِّهَنِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَكَتُ وَتَبَّهْتُ .
[غَنَى الْمُأْمُونُ ثَلَاثِينَ صَوْتًا مِنْ أَهْزَاجِ الْقَدَمَاءِ]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ : كُنَّا عِنْدَ
الْمَأْمُونِ ، فَقَالَ : مَا أَقَلُّ الْهَزَجِ فِي الْغَنَاءِ الْقَدِيمِ ! ؛ وَقَالَ إِسْحَاقُ : مَا أَكْثَرَهُ ! ثُمَّ غَنَاهُ نَحْوَ ثَلَاثِينَ
صَوْتًا فِي الْهَزَجِ الْقَدِيمِ . فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي : هَذَا الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَلِيلُ الرَّوَايَةِ ! .
[أَتْنَى عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ بْنُ جَرِيرٍ]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : قَالَ لِي الْعَبَّاسُ بْنُ جَرِيرٍ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ! مَذَكَّرُ
فَطْنَةٍ ، وَمَوْنَتْ طَبِيعَةٍ ، مَا أَمَكْرُكَ ! .
[أُعْرَابِيٌّ يَعْجَبُ بِشَعْرِهِ]

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ ، وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا
يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : أَنْشَدْتُ بَعْضَ الْأَعْرَابِ شِعْرًا لِي أَقُولُ فِيهِ : [مِنْ الْكَامِلِ]

لَمَّا جَرَى لَكَ سَانِحٌ بِفِرَاقٍ	أَجَرْتُ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ
هَاجَتْ عَلَيْكَ صَبَابَةُ الْمُشْتَقِ ²	إِنَّ الظَّعَائِنَ يَوْمَ نَاصِفَةِ اللَّوَى
مَنْهَنَ بِيضَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقٍ	لَمْ أَنْسَ إِذْ أَلَمَحْنَا فِي رِقْبَةٍ
حُمِرَ كَهْدَابُ الدَّمَقْسِ رِقَاقٍ	وَأَشْرَنَ إِذْ وَدَعْنَا بَأَنَامِلٍ
بَاغَرَّ عَذْبُ بَارِدٍ بَرَّاقٍ ³	وَرَمَتْكَ هُنْدٌ يَوْمَ ذَاكَ فَأَقْصَدَتْ
نَفْسًا تَصْعَدُ فِي حَشَا خَفَاقٍ	وَتَنْفَسَتْ لَمَّا رَأَتْكَ صَبَابَةً

1 في الديوان والحماسة : ولكنه قد سل .

2 الناصفة : الرحبة في الوادي .

3 أقصدت : أصابت .

ولقد حَذِرْتُ فما نجوت مُسَلِّماً حتى صُرِعْتُ مَصَارِعَ العُشَّاقِ
 إِنَّ الخِلافةَ أَثْبَتْتُ أوتادُها لَمَّا تَحَمَّلَهَا أَبُو إِسْحاقِ
 مَلِكٌ أَغْرُ يُلُوحُ فوق جَبِينِهِ نورُ الخِلافةِ ساطِعَ الإِشراقِ
 كُسيَ الجِلالَ مع الجِمالِ وزانَهُ هَدْيُ التَّقَى ومِكارمُ الأَخلاقِ
 صَحَّتْ عِروْقُكَ في الجِياذِ وإنما يجري الجِوادُ بِصَحَّةِ الأَعراقِ
 ذَخَرَ المِلكُ فَكانَ أَفْضَلَ ذُخْرِهِم لِّلْمَلِكِ ما جَمَعُوا مِنَ الأُوراقِ
 وَذَخَرْتَ أبناءَ الحِروبِ كَأَنَّهُم أَسَدُ العَرِينِ على مُتُونِ عِناقِ
 كَمَ من كَريمةٍ مَعَشَرٍ قد أنكِحَتْ بِسِوْفِهِم قَسراً بِغَيْرِ صَداقِ
 وَعِزِيزَةٌ في أَهلِها وَقَطينِها قد فارقتُ بَعْلاً بِغَيْرِ طلاقِ

قال فقال لي : أَفَلَيْتَ وَاللَّهِ يا أبا مُحَمَّدٍ ؛ فقلت له : وما أَفَلَيْتَ ؟ قال : رَعَيْتَ فِلاَةً لم يرَها أَحَدٌ غَيْرَكَ .

[كان المَعْنُون يتلاشون أَمامَهُ]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بنَ عَلِيٍّ قال حَدَّثَنِي أَخِي أَحْمَدُ بنَ عَلِيٍّ عَنِ عَافِيَةَ بنِ شَيْبٍ قال : قلت لَزُرَّوْر بنِ سَعِيدٍ : حَدَّثَنِي عَنِ إِسْحاقَ كَيْفَ كانَ يَصْنَعُ إِذا حَضَرَ مَعَكُمْ عِنْدَ الخَلِيفَةِ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ ذَاهِبٌ وَحُلُوفُكُمْ لَيْسَ مِثْلُها في الدُّنْيا ؟ فقال : كانَ وَاللَّهِ لا يَزَالُ بِحَذَقِهِ وَرَفَقِهِ وَتَأَنِّيهِ وَلُطْفِهِ حَتَّى نَصِيرَ مَعَهُ أَقْلًا مِنَ التُّرابِ .

[شعره للفضل بن الربيع في الشيب]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى قال حَدَّثَنِي أَبِي قال حَدَّثَنَا إِسْحاقُ قال : دَخَلْتُ على الفَضْلِ بنِ الرِّبْعِ فقال لي : يا إِسْحاقُ ، كَثُرَ وَاللَّهِ شَيْبُكَ ؛ فقلت : أَنَا وَذاك أَصْلَحَكَ اللَّهُ كما قال أَخُو ثَقِيفٍ :

الشَّيبُ إِن يَظْهَرُ فَإِنَّ وِراءَهُ عَمراً يَكُونُ خِلالَهُ مُتَنَفِّسُ
 لَمْ يَنْتَقِصْ مَنِّي المَشِيبُ قُلامَةً وَلَنَحْنُ حِينَ بَدَأَ أَلْبُ وَأَكْيَسُ

قال : هاتِ يا غلامِ دِواءَ وَقَرطاساً ، أَكُتُبُها لِي لَأَتَسَلَّى بِهِما .

[قَصَّتْهُ مَعَ الفَضْلِ بنِ يَحْيَى وَنافذَ حاجِجَهُ]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى قال حَدَّثَنِي أَبِي قال حَدَّثَنِي إِسْحاقُ ، وَأَخْبَرَنِي الحُسَيْنُ بنُ يَحْيَى عَنِ حَمَّادٍ عَنِ أَبِيهِ ، وَأَخْبَرَنِي الحُسَيْنُ بنَ عَلِيٍّ عَنِ يَزِيدَ بنِ مُحَمَّدَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ عَنِ إِسْحاقَ وَأَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ عَنِ أَبِي أُتَيْوبَ المَدِينِيِّ عَنِ مُحَمَّدَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مالِكٍ عَنِ إِسْحاقَ قال : قالَ الفَضْلُ بنُ يَحْيَى لِأَبِي :

مالي لا أرى إسحاقَ ، عرّفني ما خبره ؟ فقال : خير . ورأى في كلامه شيئاً يُشكّك ، فقال : أعليلُ هو ؟ فقال : لا ، ولكنه جاءك مرّاتٍ فحجّبه نافذُ الخادم ولحقته جفوةٌ ؛ فقال له : فإن حجّبه بعدها فلننكّه . فجاءني أبي فقال لي : إلّقه ، فقد سأل عنك ؛ وخبرني لما جرى . وجئتُ فحجبتُ أيضاً ؛ وخرج الفضل ليركب ؛ فوثبتُ إليه برُقعة وقد كتبتُ فيها : [من المتقارب]

جُعِلْتُ فداءك من كلّ سوءٍ إلى حسن رأيك أشكو أناسا
يحولون بيني وبين السلام فما إن أُسلم إلا اختلاسا
وانفذتُ أمرك في نافذٍ فما زاده ذاك إلا شماسا
فلما قرأها ضحك حتى غلب ، ثم قال : أو قد فعلتها يا فاسق ؟ فقلت : لا والله يا سيدي ،
وإنما مزحتُ ؛ فحجل نافذٌ خجلاً شديداً ، ولم يعد بعد ذلك لمسااتي .
[سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو أيوب المدينيّ عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني
إسحاق قال : ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالوا حتى نقول ما
يصنع في هذا الوقت ؛ فقال قوم : يلعب بالنرد ، وقال قوم : يغني ؛ فبلغتني النبوة ، فقال : قل يا
إسحاق ؛ قلت : إذا أقول وأصيب ؛ قال : أتعلم الغيب ؟ قلت : لا ، ولكنني أفهم ما يصنع وأقدر
على معرفته ؛ قال : فإن لم تصب ؟ قلت : فإن أصبت ؟ قال : لك حكمك ، وإن لم تصب ؟
قلت : لك دمي ؛ قال : وجب ؛ قلت : وجب ؛ قال : فقل ؛ قلت : يتنفس ؛ قال : فإن كان
ميتاً ؟ قلت : تحفظ الساعة التي تكلمتُ فيها ، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قمرتني ؛ فقال :
قد انصفت ؛ قلت : فالحكم ؛ قال : احتكم ما شئت ؛ قلت : ما حكمي إلا رضاك يا أمير
المؤمنين ؛ قال : فإن رضاي لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ فقلت : ما
أولاك بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنها مائتا ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أحوجني إلى
ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنها ثلثمائة ألف ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أولاك بذلك يا أمير
المؤمنين ؛ قال : يا صفيق الوجه ، ما نزيدك على هذا شيئاً .

[مدح سفينة للأمين فأجازه]

أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني
إسحاق قال : عمل محمد المخلوع سفينةً فأعجب بها ، وركب فيها يريد الأنبار . فلما أمعن وأنا
مقبلٌ على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق ! فوثبتُ فدنوتُ منه ؛ فقال لي :
كيف ترى سفيتي ؟ فقلت : حسنة يا أمير المؤمنين ، عمرها الله ببقائك . فقام يريد الخلاء وقال
لي : قل فيها أبياتاً ، فقلت ، وخرج فقمتُ بالأبيات ؛ فاشتهاها جداً وقال لي : أحسنت يا

إسحاق ، وحياتك لأهبن لك عشرة آلاف دينار ؛ قلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسع الله عليك ؟ فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات هاهنا .
[عرض للوائق بتشوقه إلى أهله]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غيّتُ الوراق في شعر قلته وأنا عنده بسرّ من رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ إلى أهلي ، وهو :
[من الكامل]

صوت

يا حَبْدَا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا بَدَتْ فِي الصَّيْحِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ
قَدْ حُمِلَتْ بَرْدَ النَّدى وَتَحَمَّلَتْ عَبْقاً مِنَ الْجَنَاجِثِ وَالْيَسْبَاسِ

فشرب عليه واستحسنه وقال لي : يا أبا محمد ، لو قلتَ مكان «يا حَبْدَا رِيحُ الجنوب» : «يا حَبْدَا رِيحُ الشَّمال» ، أَلَمْ يَكُنْ أَرْقَ وَأَعْدَى وَأُصَحَّ لِلْأَجْسَادِ وَأَقْلَّ وَخَامَةً وَأَطْيَبَ لِلْأَنْفَسِ ؟ فقلت : ما ذهب عليّ ما قاله أمير المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعد ؛ فقال : قل ؛ فقلت :

ماذا تَهَيَّجُ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى لِلصَّبِّ بَعْدَ ذَهُولِهِ وَالْيَاسِ

فقال الوراق : إنّما استطبت ما تجيء به الجنوب من نسيم أهل بغداد لا الجنوب ، وإليهم اشتقت لا إليها ؛ فقلت : أَجَلْ يا أمير المؤمنين ؛ وقمتُ فقبلت يده ؛ فضحك وقال : قد أذنتُ لك بعد ثلاثة أيام ، فامض راشداً ؛ وأمر لي بمائة ألف درهم . لحنُ إسحاق هذا من الثقیل الأول .

[جعفر بن يحيى البرمكي وعبد الملك بن صالح الهاشمي]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي عن إسحاق قال : لم أَرُ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له قُتُوَّةٌ وَظُرْفٌ وَأَدَبٌ وَحَسَنُ غِنَاءٍ وَضَرْبٌ بِالطَّبْلِ ، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كلِّ فنٍّ من الأدب والفتوة . فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد ، فقيل لي : إنّه نائمٌ ، فانصرفت ؛ فلقيني جعفر بن يحيى فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ ؛ فقال : قِفْ مكانك ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنّه نائمٌ ؛ فخرج إليّ وقال لي : قد نام أمير المؤمنين ، فسير بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بقيّة يومنا وتغنيني وأغنيك وتأخذ في شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت نعم ، فسيرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام فطعمنا ، وأمر بإخراج الجوّاري وقال : لِنَبْرُزَنَّ ؛ فليس عندنا من تَحْتَشِمَنَّ منه . فلما وُضِعَ الشَّرَابُ دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلّق به ، ثم دعا لي بمثل ذلك ، وجعل يغنيني وأغنيه ؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بالأذن لأحدٍ من الناس كلّهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنّه مشغول ؛

واحتاط في ذلك وتقدم فيه إلى جميع الحُجَّاب والخَدَم ؛ ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأذنوا له يعني رجلاً كان يأنس به ويمارحُه ويحضرُ خلواتِه ثم أخذنا في شأننا ؛ فوالله إنا لعلَى حالة سارة عجيبة إذ رُفِعَ السُّرُّ ، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل ، وغلِطَ الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشمي من جلالَةِ القَدَرِ والتَقَشُّفِ وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل ، وكان أميرُ المؤمنين قد اجتهد به أن يشربَ معه أو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه . فلَمَّا رأيناه مَقْبِلاً ، أقبل كلُّ واحدٍ منا ينظر إلى صاحبه ، وكاد جعفر أن ينشقَّ غيظاً . وفهم الرجلُ حالنا ، فأقبل نحونا ، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذي نحن فيه نزَع فلَنَسِيَّتِه فرمى بها مع طيلسانه جانباً ؛ ثم قال : أطعمونا شيئاً ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو متنفخ غضباً وغيظاً فطَعِم ، ثم دعا برطل فشربه ، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضَادَتِي الباب ثم قال : اشركونا فيما أنتم فيه ؛ فقال له جعفر : ادخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخلق فليس وتخلق ، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدةً أرطال ، ثم اندفع ليغنينا ، فكان والله أحسننا جميعاً غناءً . فلَمَّا طابت نفسُ جعفر وسُرِّي عنه ما كان به التفتَ إليه فقال له : ارفع حوائجك ؛ فقال : ليس هذا موضعُ جوائج ؛ فقال : لَتَفْعَلَنَّ ، ولم يَزَلْ يُلحَّ عليه حتى قال له : أمير المؤمنين عليّ واجدٌ ؛ فأجِبَ أن ترضاه ؛ قال : فإنَّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك ، فهاتِ حوائجك ؛ فقال : هذه كانت حاجتي ؛ قال : ارفع حوائجك كما أقول لك ؛ قال : عليّ دِينَ فادِحٌ ؛ قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإنَّ أحببتَ أن تقبضها فاقبضها من منزلي الساعة ، فإنه لم يمنعي من إعطائك إياها إلا أن قدَّرَكَ يَجَلَّ على أن يصليكَ مثلي ، ولكنني ضامنٌ لها حتى تُحمِلَ من مال أمير المؤمنين غداً ؛ فسَلُّ أيضاً ؛ قال : ابني ، تُكَلِّمُ أمير المؤمنين حتى ينوّه باسمه ؛ قال : قد ولَّاهُ أمير المؤمنين مصرَ وزوجَه ابنته العالية ومهرَها عنه ألفي ألف درهم . قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سَكِرَ الرجلُ (أعني جعفرًا) . فلَمَّا أصبحتُ لم تكن لي هِمَّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد ؛ وإذا جعفر بن يحيى قد بَكَرَ ، ووجدتُ في الدَّارِ جَلْبَةَ ، وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه قد دُعِيَ بهم ، ثم دُعِيَ بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخِلَا على الرشيد ؛ فقال الرشيد لعبد الملك : إنَّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رَضِيَ عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم ، فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة . ثم دعا بابنه فقال : اشهدوا عليّ أني قد زوجتُه العالية بنتَ أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفي ألف درهم من مالي وولَّيته مصرَ . قال : فلَمَّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر ؛ فقال : بَكَرْتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كُنَّا فيه حرفاً حرفاً ، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنع ؛ فعَجِبَ لذلك وسُرَّ به ؛ ثم قلتُ له : قد

صَمِنْتُ لَهْ عَنكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ضَمَانًا ؛ فَقَالَ : مَا هُوَ ؟ فَأَعْلَمْتُهُ ؛ قَالَ : أَوْفٍ لَهْ بِضَمَانِكَ ، وَأَمْرٌ بِإِحْضَارِهِ ؛ فَكَانَ مَا رَأَيْتَ .
[حَمَلَ عَلَوَيْهَ لَحْنًا لَهْ إِلَى أَبِيهِ فَأَعْجَبَ بِهِ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : لَمَّا صَنَعْتُ لَحْنِي فِي : [مِنَ الْخَفِيفِ]
هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ

أَلْقَيْتُهُ عَلَى عَلَوَيْهِ ، وَجَاءَنِي رَسُولُ أَبِي بَطْنَى فَكَهَتْهُ بِأَكُورَةٍ ؛ فَبِعِثْتُ إِلَيْهِ : بَرَكَ اللَّهُ يَا أَبَةَ وَوَصَلَكَ ، السَّاعَةَ أَبْعَثْ إِلَيْكَ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْبَاكُورَةِ ؛ فَقَالَ : إِنِّي أَظُنُّهُ قَدْ أَتَى بِأَبْدَةٍ¹ ؛ فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلَوَيْهِ فَغَنَاهُ الصَّوْتُ ؛ فَعَجِبَ مِنْهُ وَأَعْجَبَ بِهِ ، وَقَالَ : قَدْ أَخْبَرْتَكُمْ أَنَّهُ قَدْ أَتَى بِأَبْدَةٍ . ثُمَّ قَالَ لَوْلَدِهِ : أَنْتُمْ تَلُمُونَنِي عَلَى تَفْضِيلِ إِسْحَاقَ وَحَبِّتِي لَهُ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ غَيْرِي لِأَحَبِّتُهُ لَفَضَلْتُهُ فَكَيْفَ وَهُوَ ابْنِي ؛ وَسَتَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ لَا تَعِيشُونَ إِلَّا بِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ الْبَاهِلِيَّ عَنْ أَخِيهِ أَبِي مُعَاوِيَةَ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ لَمَّا صَنَعَ إِسْحَاقُ لَحْنَهُ فِي :

غَمِضْنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي

وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ مَعَ أَخْبَارِ هَذَا الصَّوْتِ فِي مَوْضِعِهِ .

[رَأَاهُ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّي]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ : سَأَلْتُ إِسْحَاقَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّي ، فَقَالَ : دَعْنِي مِنْهُ ، فَلَيْسَتْ لَهُ رَوَايَةٌ وَلَا دِرَايَةٌ وَلَا حِكَايَةٌ .
[رَأَاهُ هُنَيْمَةُ الْخَمَارَةُ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : كَانَتْ هُشَيْمَةُ الْخَمَّارَةُ جَارَتِي ، وَكَانَتْ تَخْصُنِي بِأَطْيَبِ الشَّرَابِ وَجَيِّدِهِ ؛ فَمَاتَتْ فَقُلْتُ أُرْثِيهَا : [مِنَ الْكَامِلِ]

أَضَحَتْ هُشَيْمَةُ فِي الْقُبُورِ مَقِيمَةً وَخَلَتْ مَنَازِلَهَا مِنَ الْفَتَيَانِ
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الْحَبَّ حَبِيبُهُ دَبَّتْ لَهُ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
حَتَّى يَلِينْ لَمَّا تُرِيدُ قِيَادَهُ وَيَصِيرَ سَيْئُهُ إِلَى الْإِحْسَانِ

[قَضَى حَاجَةً لِإِدْرِيسَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَأَلَنِي إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ حَاجَةً ، فَقَضَيْتُهَا لَهُ وَزَدْتُ فِيهَا سَأَلَ ؛ فَقَالَ لِي : [مِنَ الرَّجَزِ]

إذا الرجالُ جهَلُوا المكارمًا كان بها ابنُ الموصليَّ عالمًا
أبقاك ذو العرش بقاءً دائماً فقد جُعِلَتْ للكُرام خاتماً
إسحاقُ لو كنتَ لقيتَ حاتماً كان نَداه لَنَداك خادماً
قال حمّاد : وقال لي أبي : كان إدريسُ سخياً من بين آل أبي حفصة ؛ فنزل به ضيفٌ ،
فتنمّرت امرأته عليه ؛ فقال لها :
من شرّ أيامك اللَّاتي خُلِقَتْ لها إذا فقدتِ ندى صوتي وزواري¹

[تشاغل عن دعوة علي بن هشام]

أخبرني محمد بن مزيّد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال : كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا
عبد الله بن محمد بن أبي عيّنة ، فتأخّرتُ عنه حتى اصطبحننا شديداً ، وتشاغلْتُ عنه برجل من
الأعراب كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً ؛ وكان عند عليّ بن هشام بعضُ مَنْ يُعاديّني ؛
فسألوا ابنَ أبي عيّنة أن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه إلى الخُلَف ؛ فكتب إليّ : [من الخفيف]

يا مَليّاً بالوعد والخُلف والمُط ل بطيئاً عن دعوة الأصحاب
لَهجاً بالأعراب إنّ لدينا بعضَ ما تشتهي من الأعراب
قد عَرَفنا الذي شُغِلت به عَنّا وإن كان غيرَ ما في الكتاب
قال : فكتبْتُ إلى الذي حمل ابن أبي عيّنة على هذه الأبيات ، قال حمّاد : وأظنّه
إبراهيم بن المهديّ :

قد فَهِمْتُ الكتابَ أصلحك الله هُ وعندي عليه رَدُّ الجواب
ولعمري ما تُنصفون ولا كا ن الذي جاء منكم في حسابي
لستُ آتيك فاعلمنّ ولا لي فيك حظٌّ من بعد هذا الكتاب

[عاتب علي بن هشام لأنّه مرض ولم يعده]

قال حمّاد : قال أبي : وكتبْتُ إلى عليّ بن هشام وقد اعتللتُ أيّاماً فلم يأتني
رسوله :

أنا عليلٌ منذُ فارقتني وأنتَ عَمَن غاب لا تسألُ
ما هكذا كنتَ ولا هكذا فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ
فلَمّا وصلتُ إليه رُفعتي ركبَ إليّ وجاءني عائداً .

[شعره حين عودته من البصرة]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال : لما خرج أبي إلى البصرة خرجته الأولى
وعاد ، أنشدني في ذلك لنفسه :

صوت

ما كنتُ أعرفُ ما في البين من حزنٍ حتى تنادوا بأن قد جيء بالسُّقُنِ
قامتُ تودّعني والعينُ تغلبها فجَمَجَمَتْ بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
مالت عليّ تُفدّيني وترشّفي كما يميل نسيمُ الرِّيحِ بالغُصْنِ
وأعرضتُ ثم قالت وهي باكيةٌ يا ليت معرفتي إياك لم تكنِ
لما افترقنا على كُرهٍ لفرقتها أيقنتُ أنّي رهينُ الهَمِّ والحزنِ

[يزيد على شعرٍ لجميل]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : أنشدني شدّاد بن عُبّة
لجميل¹ :

قفي تسألُ عنكِ النفسُ بالخُطّةِ التي تطيلن تخويني بها ووعيدي²
فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ رضىنا بحكمٍ منك غيرٍ سديدٍ
قال : فأنشدتُ الزُّبَيْرُ بنَ بَكَّارٍ هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف من العراق إلاّ بهما
لرايتهما غنماً . وأنشدني شدّاد لجميل أيضاً³ :

بُثْنٌ سَلِينِي بعضَ مالي فإنّما يُبَيِّنُ عند المال كلُّ بخيلٍ
فإنّي وتكراري الزيارةَ نحوكم لَبَيِّنٌ يَدَيَّ هَجْرُ بُثْنٍ طويلٍ
قال أبي : فقلت لشدّاد : فهلا أزيدك فيهما ؟ فقال : بلى ؛ فقلت :

فيا ليتَ شِعْري هل تقولين بعدنا إذا نحن أزمعنا غداً لرحيلٍ
ألا ليتَ أياماً مَصْنِنَ رواجعٍ وليت النوى قد ساعدتُ بجميلٍ
فقال شدّاد : أحسنت والله ، وإن هذا الشعر لضائعٌ ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟
قال : نفيتَه عن نفسك بتسميتك جميلاً فيه ، ولم يَلْحَقْ بجميل ، فضاع بينكما جميعاً .

1 ديوان جميل : 50 .

2 تخويني في ل : تسويفي .

3 ديوان جميل : 111 .

[عند إسحاق المصعبي]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني علي بن يحيى المُنْجَم قال حدثني إسحاق الموصلي قال : دعاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ ، فوجه إليّ فحضرت وحضر علويه ومخارق وغيرهما من المغنين ؛ فبينما هم على شرايبهم وهم أسرّ ما كانوا ، إذ وافاه رسولُ المأمون فقال له : أجب أمير المأمون فقال : السمع والطاعة ؛ ودعا بثيابه فلبسها . ثم التفت إلى محمد بن راشد الخناق فقال له : قد بلغني أنك أحفظ الناس لما يدور في المجالس ، فاحفظ لي كل صوت يمرّ وما يشربه كل إنسان ، حتى إذا عدت أعدت عليّ الأصوات وشربت ما فاتني ؛ فقال : نعم ، أصلح الله الأمير . ومضى إلى المأمون ، فأمره بالشخص إلى بابك¹ من غد ، وتقدّم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده . فلما دخل ووضع ثيابه قال : يا محمد ، ما صنعت فيما تقدّمت به إليك ؟ قال : قد أحكمت أعزك الله ؛ ثم أخبره بما شرب القوم وما استحسنوه من الغناء بعده ؛ فأمر أن يُجمع له أكثر ما شربه واحد منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه صوت صوتٌ ممّا حفظه له حتى يستوفي ما فاته القومُ به ، ففعل ذلك وشرب حتى استوفي النبيذ والأصوات . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إني قد عملت في مُنصرَفي من عند أمير المؤمنين أبيتاً فاسمعها ؛ فقلت : هايتها أعز الله الأمير ؛ فأنشدني : [من الطويل]

صوت

ألا مَنْ لقلبٍ مُسلمٍ للنوائب أحاطت به الأحزانُ من كلِّ جانبٍ
تَبَيَّنَ يومَ البين أنَّ اعتزامه على الصبر من بعض الظنون الكواذبِ

صوت

[من الطويل]

حرامٌ على رامي فؤادي بسهمه دمّ صبه بين الحشا والترائبِ
أراق دماً لولا الهوى ما أراقه فهل بدمي من تائبٍ أو مُطالبِ
قال : فقلت له : ما سمعت أحسن من هذا الشعر قط ؛ فقال لي : فاصنع فيه لحناً ؛ فصنعت فيه لحناً ؛ وأحضرتني وصيفةً له ، فألقيته عليها حتى أخذته ؛ وقال : إنما أردت أن أتسلى به في طريقي وتذكّرني به الجاريةُ أمرك إذا غنته . فكان كلما ذكر أتابي برّه ، إلى أن قَدِم ، عدّة دفعات . لم أجد لإسحاق صنعةً في هذا الشعر ، والذي وجدت فيه لعبد الله بن طاهر خفيف رملي ، ذكره ابنه عبيد الله عنه . ولمخارق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانه هزجٌ بالوسطى . ولمخارق والطاهرية خفيفٌ ثقیل .

1 هو بابك الخرمي خرج على الدولة العباسية وقتل في أيام المعتصم .

[سأل عنه المتوكل عندما كفَّ بصره]

حدَّثني جَحْظَةُ قال حدَّثني أبو عبد الله محمد بن حمَّدون قال : سأل المتوكل عن إسحاق الموصلي ، فعرف أنَّه قد كفَّ وأنَّه في منزله ببغداد ؛ فكتب في إحضاره . فلمَّا دخل عليه رفعه حتى اجلسه فُدَامَ السرير ، وأعطاه مِخْدَةَ ، وقال له : بلغني أنَّ المعتصم دفع إليك مِخْدَةَ في أوَّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنَّه لا يُستجلب ما عند حرِّ بمثل الكرامة ؛ ثمَّ سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى ؛ فلمَّا شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمد عوداً فجاء به ؛ فاندفع يغني بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له :

صوت

ما علَّةُ الشيخ عيناه بأربعةٍ تَغْرُورِقَان بدمع ثم يَنْسَكِبُ
قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلامٌ من الغلمان الوقوفِ على الخير¹ إلاَّ وجدته يرقصُ طرباً وهو لا يعلم بما يفعل ، فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لي المتوكل : يا ابن حمَّدون ، أتُحسن أن تغني هذا الصوت ؟ فقلت نعم ؛ قال : غنَّه ؛ فترنَّمت به ؛ فقال إسحاق : مَنْ هذا الذي يحكيهني ؟ فقال : هذا ابنُ صديقك حمَّدون ؛ فقال : ودِدْتُ أنَّه يُحسن أن يحكيهني ، فقلت له : أنت عرَّضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكل إلى رَقَّة بوضراً² ؛ وكان يستطيعها لكثرة تغريد الأطيار بها ، فغنَّى إسحاق :

صوت

إِنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنِ غَضِّ الشَّبابِ مِنَ الرَّندِ³
بكيت كما يبكي الحزين صباةً وشوقاً وتابعت الحنينَ إلى نجدٍ⁴
فضحك المتوكل وقال له : يا إسحاق ، هذه أختُ فَعَلْتِك بالوائق لما غنَّيته بالصالحية⁵ :

طَرِبْتُ إِلَى الْأَصْبِيَّةِ الصَّغَارِ وَذَكَرْنِي الْهَوَى قَرَبُ الْمَزَارِ⁶

1 الحير : مشبه الحظيرة للحيوانات البرية ، والمقصود هنا هو قصر المتوكل بسامراء والذي كان له مثل تلك الحظيرة .

2 الرقة : أرض إلى جانب الوادي ينسبط فيها الماء . بوضراً : إحدى قرى بغداد .

3 ل : على فن غرض النبات من الرند .

4 رواية ل :

بكيت كما يبكي الوليد ولم تزل وأبدت الذي لم تكن تبدي

5 الصالحية : إحدى قرى الجزيرة .

6 الْأَصْبِيَّةُ فِي ل : أَصْبِيَّة .

فكم أعطاك لما أذن لك في الانصراف ؟ قال : مائة ألف درهم ؛ فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخر عهدنا به ، لأن إسحاق توفي بعد ذلك بشهرين .

[تطير من اقتراح الائق شعراً للغناء]

حدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلت على الائق أستأذنه في الانحدار إلى بغداد فوجدته مصطبحاً ؛ فقال : بحياتي غن¹ : [من الطويل]

صوت

ألا إن أهل الدار قد ودّعوا الداراً وإن كان أهل الدار في الحي أجواراً
وقد تركوا قلبي حزناً متيماً بذكرهم ، لو يستطيع لقد طارا
فتطيرت من اقتراحه له وغنيته إياه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وأذن لي فانصرفت ؛ ثم كان آخر عهدي به . الشعر لمطيع بن إياس . والغناء لإبراهيم الموصلي ثقیل
أول بالوسطى عن عمرو .
[استسقى نبذاً ولكن الدن انكسر]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن الفرج قال حدثنا أحمد بن معاوية قال : كنت في بيتي وعلويه يُغنيني :

صوت

أعرضن من شمطي في الرأس لاح به فهنّ عنه إذا أبصرته جيد
قد كنّ يعهدن مني منظرًا حسنًا وجمة حسرت عنها العناقيد
فوردت علي رقعة من إسحاق الموصلي يستسقينني نبذاً ؛ فبعثت إليه بدنّ مع غلام لي ؛ فلمّا توسّط الغلام به الجسر زجم فكسر ؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبر وسأله مسألتي التجافي عنه ؛ فكتب إليّ :
[من مجزوء الكامل]

يا أحمد بن معاوية إني رُميت بداهية
أشكو إليك فأشكني كسر الغلام الخابية
يا ليتها سلمت وكا ن فداءها ابن الزانية

فبعثت إليه بأربعة أدنان ، وأعتقت الغلام بشفاعته في أمره .

[صنع صوتاً أعجب به المعتصم والوائق]

أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مَزِيد قالا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيُّ قَالَ قَالَ لِي
حَمْدُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمَّا صَنَعَ أَبُوكَ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الصَّوْتَ : [من المنسرح]

صوت

قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي عَفَى الْقِدَمُ وَغَيَّرَتْهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدَّيْمُ
لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نُسَائِلُهَا فَاضَتْ مِنَ الْقَوْمِ أُعَيْنُ سُجْمِهَا
ذِكْرًا لَعِيشٍ مَضَى إِذَا ذَكَرْتُ مَا فَاتَ مِنْهُ فَذَكَرَهُ سَقَمُ
وَكُلُّ عِيشٍ دَامَتْ غَضَارَتُهُ مُنْقَطِعٌ مَرَّةً وَمُنْصَرِمٌ

ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ ، أعجب به المعتصم والوائق جميعاً ؛ فقال له المعتصم : بحياتي اردُّه على
مُخَارِقٍ وَعَلَوِيهِ وَالْجَمَاعَةَ لِيَأْخُذُوهُ عَنْكَ ، وَاَنْصَحْهُمْ فِيهِ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنُوا فِيهِ نَسَبَ إِلَيْكَ
إِحْسَانَهُمْ ، وَإِنْ أَسَاءُوا بَانَ فَضْلُكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي مَرَّةً ، وَكَانُوا يَقْصِدُونَ
إِلَى مَنْزِلِهِ وَيُرَدُّه عَلَيْهِمْ ، وَمَاتَ وَمَا أَخَذُوا مِنْهُ عِلْمَ اللَّهِ إِلَّا رَسْمَهُ . الشَّعْرَ وَالْغَنَاءَ لِإِسْحَاقَ ،
ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ .

[في دير القائم وتلّ عزاز]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ² : خَرَجْنَا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ يَرِيدُ
الرَّقَّةَ ؛ فَلَمَّا صِرْنَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْقَائِمُ نَزَلْنَا ، وَخَرَجَ يَتَصَيَّدُ وَخَرَجْنَا مَعَهُ ، فَأَبْعَدَ فِي طَلَبِ
الصَّيْدِ ؛ وَلاَحَ لِي دَيْرٌ فَقَصَدْتُهُ وَقَدْ تَعَبْتُ ، فَأَشْرَفْتُ عَلَى صَاحِبِهِ ؛ فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي النَّزُولِ بِنَا
الْيَوْمَ ؟ فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، وَإِنِّي إِلَى ذَلِكَ لِحْتَاجٍ ؛ فَنَزَلَ فَفَتَحَ لِي الْبَابَ وَجَلَسَ يَحْدِثُنِي ، وَكَانَ شَيْخًا
كَبِيرًا وَقَدْ أَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَجَعَلَ يَحْدِثُنِي عَمَّنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْقَوْمِ وَمَوَالِيهِمْ وَجِيُوشِهِمْ ؛
وَعَرَضَ عَلَيَّ الطَّعَامَ فَأُجِبْتُهُ ؛ فَقَدَّمَ إِلَيَّ طَعَامًا مِنْ طَعَامِ الدِّيَارَاتِ نَظِيفًا طَيِّبًا ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، وَأَتَانِي
بِشَرَابٍ وَرِيحَانٍ طَرِيٍّ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ، وَوَكَّلَ بِي جَارِيَةً تَخْدُمُنِي رَاهِبَةً لَمْ أَرَّ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْهَا وَلَا
أَشْكَلَ ؛ فَشَرِبْتُ حَتَّى سَكِرْتُ ، وَنِمْتُ وَانْتَبَهْتُ عِشَاءً ؛ فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ : [من المزج]

صوت

بَذِيرُ الْقَائِمِ الْأَقْصَى غَزَالٌ شَادِنٌ أَخْوَى
بَرَى حُبِّي لَهُ جِسْمِي وَلَا يَعْلَمُ مَا أَلْقَى

1 أعين في ل : أدمع .

2 هذه أخبار مكررة .

وَأَكْتُمُ حَبَّه جُهْدِي وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى

وَرَكِبْتُ فَلَحِقْتُ بِالْمَعْسُكِرِ وَالرَّشِيدُ قَدْ جَلَسَ لِلشَّرْبِ وَطَلَبَنِي فَلَمْ أُوجَدْ . وَأُخْبِرْتُ بِذَلِكَ ، فَعَنَيْتُ فِي الْأَبْيَاتِ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ لِي : أَيْنَ كُنْتَ ؟ وَيَحْكُ ! فَأُخْبِرْتَهُ بِالْخَبَرِ وَغَنَيْتَهُ الصَّوْتُ ؛ فَطَرِبَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَكِرَ ، وَأَخَّرَ الرَّحِيلَ فِي غَدٍ ، وَمَضَيْنَا إِلَى الدَّيْرِ وَنَزَلَهُ ، فَرَأَى الشَّيْخَ وَاسْتَنْطَقَهُ ، وَرَأَى الْجَارِيَةَ الَّتِي كَانَتْ تَخْدِمُنِي بِالْأَمْسِ ؛ فَدَعَا بِطَعَامٍ خَفِيفٍ فَأَصَابَ مِنْهُ ، وَدَعَا بِالشَّرَابِ ، وَأَمَرَ الْجَارِيَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْأَمْسِ تَخْدِمُنِي أَنْ تَتَوَلَّى خِدْمَتَهُ وَسَقَيْهِ فَفَعَلَتْ ، وَشَرِبَ حَتَّى طَابَتْ نَفْسُهُ ؛ ثُمَّ أَمَرَ لِلدَّيْرِ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَمَرَ بِاحْتِمَالِ خَرَاكِ مَزَارِعٍ كَانَتْ لَهُ سَبْعَ سِنِينَ ؛ فَرَحَلْنَا .

قَالَ حَمَادٌ : فَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : فَلَمَّا صِرْنَا بَنِي عَزَازٍ مِنْ دَابِقٍ¹ خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي لِي نَنْتَزِعَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا ، فَأَقَمْنَا بِهَا أَيَّامًا ، وَطَلَبَنِي الرَّشِيدُ فَلَمْ يَجِدْنِي . فَلَمَّا رَجَعْتُ أَتَيْتُ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ ؛ فَقَالَ لِي : أَيْنَ كُنْتَ ؟ طَلَبَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأُخْبِرْتَهُ بِزُهْرَتِنَا فَغَضِبَ . وَخَفْتُ مِنَ الرَّشِيدِ أَكْثَرَ مِمَّا لَقِيتُ مِنَ الْفَضْلِ ؛ فَقُلْتُ :

صوت

إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلَّ عَزَازٍ عِنْدَ ظَهْمِي مِنَ الظُّبَاءِ الْجَوَازِي
شَادِنٍ يَسْكُنُ الشَّامَ وَفِيهِ مَعَ ظَرْفِ الْعِرَاقِ شَكْلُ الْحَجَازِ
يَا لَقَوْمِي لَبِنتُ قَسًّا أَصَابَتْ مِنْكَ صَفْوَ الْهَوَى وَلَيْسَتْ تُجَازِي
حَلَفْتُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُنْجِزَ الْوَعْدَ بَدَ وَلَيْسَتْ تَهْمُ بِالْإِنْجَازِ

وَغَنَيْتُ فِيهِ ؛ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ مُغْضَبٌ ؛ فَقَالَ : أَيْنَ كُنْتَ ؟ طَلَبْتُكَ فَلَمْ أَجِدْكَ ؛ فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَأَنْشَدْتُهُ هَذَا الشَّعْرَ وَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ ؛ فَنَبَسَمَ وَقَالَ : عَذْرُ وَأَيْبُكَ وَأَيُّ عَذْر ! وَمَا زَالَ يَشْرَبُ عَلَيْهِ وَيَسْتَعِيدُنِي لَيْلَتَهُ جَمْعَاءَ حَتَّى انْصَرَفْنَا مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى رَحْلِي إِذَا بِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَتَانَا يَدْعُونَا ؛ فَوَافَيْتُ فَدَخَلْتُ ، وَإِذَا ابْنُ جَامِعٍ يَتَمَرَّغُ عَلَى دُكَّانٍ فِي الدَّارِ وَهُوَ سَكْرَانٌ يَتَمَلَّمُ ؛ فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ الْمُوصِلِيِّ ، أَتَدْرِي مَا جَاءَ بِنَا ؟ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي ؛ فَقَالَ : لَكِنِّي وَاللَّهِ أَدْرِي دِرَايَةً صَحِيحَةً ، جَاءَتْ بِنَا نَصْرَانِيَّتُكَ الزَّانِيَةُ ، عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ . وَخَرَجَ الْآذِنُ فَأَذِنَ لَنَا ، فَدَخَلْنَا . فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّشِيدَ تَبَسَّمتُ ؛ فَقَالَ لِي : مَا يُضْحِكُكَ ؟ فَأُخْبِرْتَهُ بِقَوْلِ ابْنِ جَامِعٍ ؛ فَقَالَ : صَدَقَ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَقَدْتُمْ فَاشْتَقْتُ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ ، فَعُودُوا بِنَا ، فَعُدْنَا فِيهِ حَتَّى انْقَضَى مَجْلِسُنَا وَانْصَرَفْنَا .

1 دابق : من قرى حلب .

لحن إسحاق الأوّل :

بديّر القائم الأقصى

خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُورٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ . ولحنه في : [من الخفيف]

إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلَّ عَزَازِ

خفيفٌ رَمَلٍ .

[دخل على الرشيد ضارباً مغنياً]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حمّاد عن أبيه قال : دخلتُ على الرشيد يوماً في عمامة قد كَوَّرْتُهَا على رأسي ؛ فقال : ما هذه العمامة ! كأنك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنون جميعاً قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطِي بِمِشْدَةِ حَرِيرٍ أَحْمَرٍ ، وَلَبِستُ لِبَاساً مُشْتَهَراً ، وأخذتُ بيدي صَفَاقَتَيْنِ وَأَقْبَلْتُ أُخْطِرُ وَأَضْرِبُ بِالصَّفَاقَتَيْنِ وَأُغْنِي :

إِسمَعْ لَصَوْتٍ مَلِيحٍ مِنْ صَنَعَةِ الْأَنْبَارِي

صَوْتٍ خَفِيفٍ ظَرِيفٍ يَطِيرُ فِي الْأَوْتَارِ

فبسط يده إليّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أَحسنتَ وحياتي ! أَحسنتَ أَحسنتَ ! حتى جَلَسْتُ ، ثم شرب عليه بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، وما استعاد غيره ، وأمر لي بعشرين ألف درهم . لحنُ إسحاق في هذا الشعر هَزَج .

[لحن لذلك الشيطان إسحاق]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حمّاد قال حدثني أحمد بن يحيى المَكِّيّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغَنَى بعضُ مَنْ كان عنده :

صوت

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ فِي عَيْنِي حَسَنٌ وَنَصِييَ مِنْكَ هَمٌّ وَحَزَنٌ

لَا تَظُنِّي أَنَّهُ غَيْرُنِي قَدَمُ الْعَهْدِ وَلَا طُولُ الزَّمَنِ

فقال لي : أتدري لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّبُورِيِّينَ ؛ فقال : لا ولكنّه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

[شعره في جارية سقته في الطريق إلى طوس]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حمّاد عن أبيه قال : لما خرجنا مع الرشيد إلى طُوس كنتُ معه أسايرُهُ ، فاستسقيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنَةُ¹ ، فخرجتُ إلينا جارية

كَأَنَّهَا طَبِيبَةٌ ، فَسَقَتْنِي مَاءً ؛ فَقُلْتُ هَذَا الشَّعْرُ :
 غَزَالٌ يَرْتَعِي جَنَبَاتِ وَادٍ بَسَحْنَهُ قَدْ تَمَكَّنَ فِي فَوَادِي
 سَقَانِي شَرْبَةً كَانَتْ شِفَاءً لِغَلَّةِ حَائِمٍ حَرَّانَ صَادِي¹
 وَغَنِيَتِهِ الرَّشِيدَ ؛ فَقَالَ لِي : أَتَحِبُّ أَنْ أَرْوِّجَكُمَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي . قَالَ :
 فَاخْطُبُهَا وَالْمَهْرُ عَلَيَّ وَمَا يُصْلِحُهَا ؛ فَخَطَبْتُهَا ، فَأَبَى أَهْلُهَا أَنْ يُخْرِجُوهَا مِنْ بَلَدِهَا . لَحَنُ
 إِسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . وَفِيهِ لَعَلُّوِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ .
 [أحد العامة يأخذ صوتاً عنه]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : قَالَ لِي أَبِي : مَا اغْتَمَمْتُ
 بِشَيْءٍ قَطُّ مِثْلَ مَا اغْتَمَمْتُ بِصَوْتِ مَلِيحٍ صَنَعْتَهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ :
 [من المديد]

صوت

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ فَكَتَوَى بِالنَّارِ فَاحْتَرَقَا
 أَنَا لَمْ أَرْزُقْ مَحَبَّتَهَا إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَا
 مَنْ يَكُنْ مَا ذَاقَ طَعْمَ رَدَى ذَاقَهُ لَا شَكَّ إِنْ عَشِقَا
 فَإِنِّي صَنَعْتُ فِيهِ لَحْنًا وَجَعَلْتُ أُرْدَدَهُ فِي جَنَاحٍ لِي سَحَرًا ؛ فَأُظَنُّ أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْعَامَّةِ مَرَّ بِي
 فَسَمِعَهُ فَأَخَذَهُ ؛ فَفَكَّرْتُ مِنْ غَدٍ إِلَى الْمَعْتَصِمِ لِأُغْنِيَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَاطٍ يَسُوطُ² النَّاطِفِ وَهُوَ يُغْنِي
 اللَّحْنَ بَعِينَهُ إِلَّا أَنَّهُ غَنَاءٌ فَاسِدٌ . فَعَجِبْتُ وَقُلْتُ : تُرَى مِنْ أَيْنَ لِهَذَا السَّوَاطِ هَذَا الصَّوْتُ ! وَلَعَلِّي
 إِذَا غَنَيْتُهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَرَّ بِي هَذَا فَسَمِعَنِي أُغْنِيَهُ ؛ وَبَقِيتُ مُتَحِيرًا ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا فَتَى ، مَنْ سَمِعْتَ
 هَذَا الصَّوْتُ ؟ فَلَمْ يَجِبْنِي وَالتَفَتَ إِلَى شَرِيكِهِ ، وَقَالَ : هَذَا يَسْأَلُنِي مَنْ سَمِعْتَهُ ! هَذَا غَنَائِي ، وَاللَّهِ
 لَوْ سَمِعَهُ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِي لَخَرِيءٌ فِي سَرَاوِيلِهِ ؛ فَبَادَرْتُ وَاللَّهِ هَارِبًا خَوْفَ أَنْ يَمُرَّ بِي إِنْسَانٌ
 فَيَسْمَعَ مَا جَرَى عَلَيَّ فَأَفْضِيحَ ؛ وَمَا عَلَّمَ اللَّهُ أَنِّي نَطَقْتُ بِذَلِكَ الصَّوْتِ بَعْدَهَا .
 [جوابه في أحجية]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ إِلَى
 أَبِي : أَيُّ شَيْءٍ تَصْحِيفُ : «لَا يُرِخُ مِثْلُ الْأَسِنَّةِ» . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبِي : تَصْحِيفُهُ : «لَا يَرِثُ
 جَمِيلٌ إِلَّا بُشْنَةً» ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : وَيْ مِنْكَ ! .
 [مديحه جعفر بن يحيى]

أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فَرَأَى

1 حائم : عطشان .

2 يسوط : يخلط .

شَفَتِيَّ تَحَرَّكَانِ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَعْمَلُهُ ؛ فَقَالَ : أَتَدْعُو أَمْ تَصْنَعُ مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : بَلْ أُمْدِحُ ؛
قَالَ : قُلْ ؛ فَقُلْتُ :

صوت

وَكُنْتُ إِذَا إِذْنُ عَلَيْكَ جَرَى لَنَا تَجَلَّى لَنَا وَجْهٌ أَغْرُ وَسِيمُ
عَلَانِيَةً مَحْمُودَةً وَسِرِيرَةً وَفَعَلُ يَسْرُ الْمُعْتَفِينَ كَرِيمُ

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكسوة ، وقال : زدِ البيتين حسناً بأن تصنع فيهما لحناً ؛
فصنعتُ لحناً من الثقيل الثاني ؛ فلم يزل يشربُ عليهما حتى سكر .
[طفيلي ومقترح]

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه أنه حدثه قال : غدوت يوماً
وأنا ضَجِرُّ من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها ؛ فخرجتُ وركبتُ بُكْرَةً ، وعزمتُ على أن
أطوفَ الصحراءَ وأتفرَّجَ ؛ فقلتُ للغلماني : إن جاء رسول الخليفة أو غيره فعرّفوه أنني
بكرتُ في بعض مهمّاتي ، وأنكم لا تعرفون أين توجّهتُ ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي ، ثم
عُدْتُ وقد حمي النهارُ ؛ فوقفْتُ في الشارع المعروف بالمخرم في فناء تخين الظلّ وجناح
رحبٍ على الطريق لأستريح . فلم ألبثُ أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارهاً عليه جاريةٌ راكبة ،
تحتها منديلٌ ديبقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده ، ورأيتُ لها قواماً حسناً وطرفاً
فاتراً وشمائل حسنة ؛ فخرّصتُ¹ عليها أنها مُغَنّية ، فدخلتِ الدار التي كنتُ واقفاً عليها . ثم
لم ألبثُ أن جاء رجلانِ شابانِ جميلانِ ، فاستأذنا فأذن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ ؛
فظننا أن صاحبَ الدار دعاني وظنَّ صاحبُ الدار أنني معهما ؛ فجلسنا ، وأتي بالطعام فأكلنا
وبالشراب فوضِع ، وخرجتِ الجاريةُ وفي يدها عودٌ فغنّتُ وشرّينا ؛ وقمتُ قومةً ، وسأل
صاحبُ المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني ؛ فقال : هذا طفيلي ، ولكنه ظريفٌ ،
فأجملوا عشرته . وجئتُ فجلستُ ؛ وغنّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي :

ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ
مِنَ الْمُؤَلَفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةً شُعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ

فأدّته أَدَاءً صَالِحاً وَشَرِبْتُ . ثم غنّتُ أصواتاً شتى ، وغنّتُ في أضعافها من
صنعتي :

1 فخرّصتُ : قدرتُ .

الطُّولُ الدَّوَارِسُ فَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ
أَوْحَشْتُ بَعْدَ أَهْلِهَا فَهِيَ قَفَرٌ بَسَائِسُ

فكان أمرها فيه أصلح منه في الأول . ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث ، وغنت في
أثنائها من صنعتي :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدَ تَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِيًا

فكان أصلح ما غنته ؛ فاستعدته منها لأصححها لها ؛ فأقبل علي رجل من الرجلين وقال : ما
رأيتُ طفيلياً أصفقَ وجهاً منك ! لم ترَضَ بالتطفيل حتى اقترحتَ ، وهذا غاية المثل ¹ «طفيلي
ومقترح» ؛ فأطرقتُ ولم أجبه ؛ وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكفُ . ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ
قليلاً ، فأخذتُ العود من الجارية ، ثم شددتُ طبقتَه وأصلحته إصلاحاً محكماً ، وعُدتُ إلى
موضعي فصليتُ ، وعادوا ؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عَرَبْدَتِهِ علي وأنا صامتٌ ؛ ثم أخذتِ
الجاريةُ العودَ فجسسته وأنكرتُ حاله وقالت : مَنْ مَسَّ عُودِي ؟ قالوا : ما مسّه أحدٌ ! قالت :
بلى ، والله لقد مسّه حاذقٌ متقدمٌ وشدّ طبقتَه وأصلحه إصلاحاً متمكناً من صناعته ؛ فقلتُ لها :
أنا أصلحته ؛ قالت : فبالله عليك خذه واضرب به ؛ فأخذته وضربتُ به مبدأً صحيحاً ظريفاً
عجيباً صعباً ، فيه نقراتٌ محرّكة ؛ فما بقي أحدٌ منهم إلّا وثبَ على قدميه وجلس بين يدي ؛ ثم
قالوا : بالله يا سيدنا اتغني ؟ فقلتُ : نعم ، وأعرّفكم نفسي ، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ،
ووالله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني وأنتم تُسمعونني ما أكره منذ اليوم لأنّي تملّحتُ معكم ؛
فوالله لا نطقُ بحرفٍ ولا جالسٌ معكم حتى تُخرجوا هذا المُعَرَّبَ المقيتَ الغثَّ ؛ فقال له
صاحبه : مِنْ هذا حَدَرْتُ عليك ؛ فأخذ يعتذر ؛ فقلتُ : والله لا نطقُ بحرفٍ ولا جالسٌ
معكم حتى يُخرجَ ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا . فبدأتُ وغنيتُ الأصواتَ التي غنتها
الجاريةُ من صنعتي ؛ فقال لي الرجلُ : هل لك في خصلةٍ ؟ قلتُ : ما هي ؟ قال : تُقيمُ عندي
شهراً ، والجاريةُ والحمارُ لك مع ما عليها من حُلٍّ ؛ قلتُ : أفعَل ، فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا
يُدري أحدٌ أين أنا ، والمأمونُ يطلبني في كلِّ موضعٍ فلا يعرفُ لي خبراً . فلما كان بعد ثلاثين
يوماً أسلم إلي الجاريةَ والحمارَ والخادمَ ؛ فجئتُ بذلك إلى منزلي ، وركبتُ إلى المأمون من
وقتي ؛ فلما رأيَ قال : إسحاق ! وَيَحْكُ ، أين تكون ؟ فأخبرته بخبري ؛ فقال : علي بالرجل
الساعة ؛ فدلتهم على بيته فأحضر ؛ فسأله المأمونُ عن القصّة فأخبره ؛ فقال له : أنت رجلٌ ذو

مروءةً وسبيلك أن تُعاونَ عليها ، وأمر له بمائة ألف درهم ، وقال : لا تُعاشِرَنَّ ذلك المعريَّةَ النَّذْلَ
ألبتَّةَ ؛ وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال : أحضِرْني الجاريةَ ، فأحضَرْتُها فغَنَّتْه ؛ فقال لي : قد
جعلتُ لها نوبةً في كلِّ يومٍ ثلثاء تُغَنِّيني وراءَ الستارة مع الجواري ؛ وأمر لها بخمسين ألف
درهم . فربحتُ والله بتلك الرِّكْبَةِ وأرْبَحْتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

ذكرتك أن مرَّت بنا أم شادين أمام المطايا تشرَّب وتَسْنَحُ
من المولفات الرمل أدماء حرَّة شعاع الضحى في متنها يتوضَّحُ
الشعرُ لذي الرِّمَّة . والغناء لإسحاقَ ثَقِيلَ أوَّلٍ بالسبابة والوسطى ، عن ابن المكيِّ . ومن
أغاني إسحاق :

صوت

قُلْ لِمَن صَدَّ عَاتِيَا ونأى عنك جانبًا
قد بلغت الذي أُرِد ت وإن كنتَ لاعبًا
الشعرُ والغناء لإسحاقَ . وقد تقدَّم خبره قبل هذه الأخبار . [من مجزوء الخفيف]

الطلُّولُ الدَّوَارِسُ فارقَتْها الأوانِسُ
أوحشتُ بعد أهلها فهي قَفَرٌ بَسَائِسُ

الشعرُ لابن ياسين ، شاعر مجهول قليل الشعر ، كان صديقاً لإسحاق . والغناء لإسحاق
خفيفٌ ثَقِيلٍ . وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائع . وقد ذكرنا ما كان من فعله فيه قبل
هذا .

[إعجاب الواصل بصوت له]

أخبرني عمِّي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبِّي قال : كنتُ عند الواصل ؛ فغَنَّتْه «شحي» التي
وهبها له إسحاق هذا الصوت ؛ فقال لمخارق وعَلَوِيه : والله لو عاش مَعْبُدٌ ما شقَّ غبارَ إسحاقَ
في هذا الصوت ؛ فقالا له : إنَّه لحسنٌ يا أمير المؤمنين ؛ فغَضِبَ وقال : ليس عندك فيه إلَّا هذا !
ثم أقبل على أحمد بن المكيِّ فقال : دعني من هذين الأحمقين ؛ أوَّلُ بيتٍ في هذا الصوت أربعُ
كلمات : «الطلُّول» كلمة ، و«الدَّوَارِس» كلمة ، و«فارقَتْها» كلمة ، و«الأوانِس» كلمة ؛
فانظر هل ترك إسحاق شيئاً من الصنعة يتصرَّفُ فيه المغنِّي لم يُدْخِلْه في هذه الكلمات الأربع !
بدأ بها نشيداً ، وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صياحاً ، وإسجاحاً ، وترجيحاً للنَّغم ، واختلاساً

فيها ، وعمل هذا كله في أربع كلمات ، فهل سمعت أحداً تقدّم أو تأخّر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ ! فقال : صدق أمير المؤمنين ، قد لحق من قبله وسبق من بعده .
[شعره في دير مريم]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني إسحاق قال : لما خرجت مع الواثق إلى النجف دُرنا بالحيرة ومَرَرنا بدياراتها ؛ فرأيت دير مريم¹ بالحيرة ، فأعجبني موقعه وحسنُ بناءه ؛ فقلتُ :

نعم المحلُّ لمن يسعى للذّته ديرٌ لمريم فوق الظهر معمورٌ
ظلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أسنٍ وقاصيراتُ كأمثالِ الدّمي حورٌ
فقال الواثقُ : لا نصطبجُ والله غداً إلّا فيه ؛ وأمر بأن يُعدَّ فيه ما يصلحُ من الليل ؛ وباكرناه فاصطبحنا فيه على هذا الصوت ؛ وأمر بمالٍ ففرّق على أهل ذلك الدّير ، وأمر لي بجائزة .
لحنُ إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقلٍ بالنصر .
[غناؤه بشعر على بساط طاهر]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أخرج إليّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بيتي شعرٍ في رُقعةٍ وقال : هذان البيتان وجدتهما على بساطٍ طبريّ أصبهُديّ أهدي إليّ من طبرستان ، فأحبُّ أن تُغنّيني فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هما : [من مجزوء الخفيف]

لَجَّ بالعين واكفُ من هوى لا يُساعِفُ
كلّما كفَّ غرْبها هيّجته المعارِفُ
قال : فغنّيت فيهما وغدوتُ بهما إليه ، فأعجب بالصوت ووصلني بصلة سنيّة ، وكان يشتبهه ويقترحه ، وطرحته على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه به . فبينا المعتصم يوماً جالسٌ يُعرضُ عليه فرشُ الربيع ، إذ مرَّ به بساطٌ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما :

إنما الموتُ أن تفأ رَقَ مَنْ أَنْتَ أَلْفُ
لك حُبّانٍ في الفؤأ د تليدٌ وطارفُ
فأمرَ بالبساطِ فحُمِلَ إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل له : إنّي قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط أحببتُ أن أُتِمَّ سرورك به . فشكر عبدُ الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقداره ، وقال لي : والله يا أبا محمد لسروري بتمام الشعر أشدُّ من

1 دير مريم : المقصود هنا هو الدير الذي بناه المنذر . وهناك دير آخر بهذا الاسم بالشام .

سروري بكل شيء ، فألحقهما في الغناء بالبيتين الأولين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لَجَّ بالعين واكفُ من هوى لا يُساعِفُ
كلِّما كفَّ غَرْبُها هيَّجَتْه المعارِفُ
إنَّما الموتُ أنْ تُفَا رِقَ مَنْ أَنْتَ أَلِفُ
لكَ حُبَّانٌ في الفؤا دِ تَلِيدٌ وطَارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غير ما ذكرته في هذا الخبر . والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى .

[مقدار صناعته]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني عن ابن المكي عن أبيه قال : قلت لإسحاق يوماً : يا أبا محمد ، كم تكون صنعتك ؟ فقال : ما بلغت مائتين قط .

[مرضه ووفاته]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال : قال لي وكيل بن الحروني : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمد ، كم يكون غناؤك ؟ قال : نحواً من أربعمائة صوت . قال : وقال له رجل بحضرتي : مالك لا تكثر الصنعة كما يكثر الناس ؟ قال : لأنني إنما أنقر في صخرة .

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحشو ، طرحتها لذلك ؛ وله أخبار أخر حسن ذكرها في مواضع تليق بها فأخترتها واحتبستها عليها ؛ وفيما ذكرته هاهنا منها مقنع .

وتوفي إسحاق ببغداد في أول خلافة المتوكل . فأخبرني الصولي قال ذكر إبراهيم بن محمد الشاهيني :

أن إسحاق كان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه ؛ فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له : قد أجيبك دعوتك ولست تموت بالقولنج ، ولكنك تموت بضدّه ، فأصابه دَرَبٌ في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين ؛ فكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ؛ ثم ضعف عن الصوم فلم يُطِقه ومات في شهر رمضان .

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثني يزيد بن محمد المهلب قال : نعي إسحاق إلى المتوكل في وسط خلافته ، فغمّه وحزن عليه ، وقال : ذهب صدرٌ عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته ؛ ثم نعي إليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمن وتبته علي مقام الفجيعة بإسحاق ؛

فالحمد لله على ذلك .

حدثني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدثني رجل من الكتاب من أهل قُطْرُبُل قال حدثني أبي عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي : [من مجزوء الكامل]

مات الحُسان ابن الحُسا نِ ومات إحسانُ الزمانِ
فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي ، فتلَقَّاني خبر وفاة إسحاق الموصلي .

[ما رثاه به الشعراء]

وقال إدريس بن أبي حَفْصَةَ يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي : [من الطويل]

سقى الله يا ابنَ الموصلي بوابِلِ من الغيثِ قبراً أنت فيه مقيمُ
ذهبت فأوحشتَ الكرامَ فمأينِي بعِبرته يَبْكِي عليك كريمُ
إلى الله أَشْكُو فَقَدْ إسحاقُ إنني وإن كنت شيخاً بالعراق يَتِيمُ

وقال محمد بن عمرو الجُرْجاني يرثيه : [من الطويل]

على الجدثِ الشرقي عُوجاً فسُلمَا ببغدادَ لما ضَنَّ عنه عوائدُهُ
وقولا له لو كان للموت فِدْيَةٌ فذاك من الموت الطَّرِيفُ وتالِدُهُ
إسحاقُ لا تَبْعُدْ وإن كان قد رمى بك الموتُ ورِداً ليس يَصْدُرُ وارِدُهُ
إذا هزل اخضرتُ فنونُ حديثه ورقَّتْ حَواشيه وطابت مَشاهدُهُ
وإن جدَّ كان القول جدّاً وأقسمتُ مَخارجُهُ أَلَّا تَلينَ مَعاقدُهُ
فبكُّ على ابنِ الموصلي بَعْبَرَةٌ كما أرفَضَ من نَظَمِ الجُمانِ فرائدُهُ

وقال مصعب بن عبد الله الزُّبيري يرثيه ، نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قُدَّامة ، وذكر أنَّ حَمَّاد بن إسحاق أنشدته إياها ، ونسخته أيضاً من كتاب الحَرَمي بن أبي العلاء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمِّه مصعب أنَّه أنشدته لنفسه يرثي إسحاق :

[من الطويل]

أَتَدْرِي لِمَن تَبْكِي العيونُ الدَّوارِفُ وينهلُ منها واكِفٌ ثم واكِفُ
نعمَ لأمريء لم يبقَ في الناس مثله مفيدٌ لعلم أو صديقٌ مُلاطِفُ
تجهَّزَ إسحاقُ إلى الله غادياً فله ما ضُمَّتْ عليه اللُغائِفُ
وما حَمَلَ النعشَ المَرْجى عَشِيَّةً إلى القبرِ إلَّا دامعُ العينِ لاهِفُ
صدورهم مَرَضَى عليه عَميدَةٌ لها أُرْمَةٌ من ذكره وزَفازِفُ

ترى كلَّ محزون تَفِيضَ جفونهُ
جُزِيَتْ جزاءَ المحسنين مضاعفاً
فكم لك فينا من خلائقَ جَزَلَةٍ
هي الشَّهْدُ أو أحلى إلينا حلاوةً
ذهبتَ وخليتَ الصديقَ بعوْلَةٍ
إذا خَطَرَاتُ الذكر عاودنَ قلبه
حبيبٌ إلى الإخوان يَرزُون ماله
هو المَنّ والسَّلوى لمن يستفيده
بكت دارُهُ من بعده وتنكرتُ
فما الدار بالدار التي كنتَ أُعْتَرِي
هي الدار إلاَّ أنها قد تخشعتُ
وبانَ الجمال والفعال كلاهما
خلت دارُهُ من بعده فكأنما
وقد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ
كرامةُ إخوانِ الصفاء وزُلْفَةٌ
صِحابته الغرَّ الكرام ولم يكن
يُووِل إليه كلَّ أبلجٍ شامخٍ
فلقيتَ في يمني يديك صحيفةً
يسرُّ الذي فيها إذا ما بدا له
بما كان ميموناً على كلِّ صاحب
سريعٍ إلى إخوانه برضائه

دموعاً على الخدين والوجهُ شاسيفٌ¹
كما كان جدّواك الندى المتضاعفُ
سبقتَ بها منها حديثٌ وسالفُ
من الشَّهْد لم يمزج به الماء غارِفُ
به أسفٌ من حزنه مترادِفُ
تتابع منهنّ الشؤون النوازِفُ
وأتى لما يأتي امرؤ الصديق عارفُ
وسمٌ على من يشرب السمَّ زاعِفُ
معالمٌ من آفاقها ومعارِفُ²
وإني بها لولا افتقاديك عارفُ
وأظلم منها جانبٌ فهو كاسِفُ
من الدار واستنتت عليها العواصفُ³
بعاقبةٍ لم يَغْنِ في الدار طارفُ
وملتمسٌ إن طاف بالدار طائفُ⁴
لمن جاء تزجيه إليه الرّواجِفُ
ليُصَحِّبه السُّودُ اللثام المَقارِفُ⁵
ملوكٌ وأبناء الملوك الغطارِفُ
إذا نُشرت يومَ الحساب الصحائفُ
ويَقْتَرُ منها ضاحكاً وهو واقِفُ
يُعين على ما نابِه ويُكائِفُ⁶
وعن كلِّ ما ساء الأَخِلَاءُ صارِفُ

1 شاسف : يابس ضمراً وهزالاً .

2 بعده في ل : فقدّه . آفاقها في ل : آياتها .

3 استنتت : انصبت .

4 المعرس : المكان الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل للاستراحة .

5 المقارف : الأندال .

6 نابِه في ل : ناله .

أرى الناس كالنَّسَناس لم يبق منهمُ خلافاً لك إلا حُشوةٌ وزَعانِفُ¹
 أخبرنا يحيى بن عليّ قال : أنشدني أبو أيوبَ لأحمد بن إبراهيم يرثي إسحاقَ في
 قصيدة له :

لقد طاب الحمامُ غداةَ اللّوى بنفس أبي حمّـدِ الحمامِ
 فلو قُبِلَ الفداءُ إذا فـدّته ملوكُ كان يالفها كرامُ
 فلا تَبْعِدْ فكلُّ فتى سيثوي عليه التُّربُ يُحْثِي والرَّجامُ

قال وقال أيضاً يرثيه :

لله أيُّ فتى إلى دار البلى حمل الرجال ضحى على الأعوادِ
 كم من كريم ما تجفُّ دموعه من حاضرٍ يبكي عليه وبادِ
 أمسى يؤنّسه ويعرف فضله من كان يثلبه من الحُسادِ
 فسقتك يا ابن الموصلي روائحُ تُروى صدك بصوبها وغوادِ

قال الأصفهاني : وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثل أخباره مع بني هاشم ، وأخباره مع
 إبراهيم بن المهدي وغيرها ، فإنها كثيرة ، ولها مواضع ذُكرت فيها وحسن ذكرها هنالك ،
 فأخبرتها لذلك عن أخباره التي ذُكرت هاهنا ، حسبما شرطنا في أول الكتاب .
 ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

صوت

[من الطويل]

ألا قاتلَ الله اللّوى من محلّة وقاتلَ دُنْيانا بها كيف ذلّتِ
 غَيننا زماناً باللّوى ثم أصبَحَتْ عِراضُ اللّوى من أهلها قد تخلّتِ
 عرّوضه من الطويل . الشعرُ للصّمة القُشيريّ ، والغناء لإسحاق ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ
 بالوسطى في مجراها .

* * * *

1 الحشوة والزعانف : أراذل الناس قليلو القدر .

الفهرس

- [62] - ذكر النابغة الجعدي ونسبه وأخباره والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر . . 5
- 63 - [حرب بكر وتغلب] 24
- [64] - ذكر الهذلي وأخباره 42
- [65] - ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات ونسبه وأخباره 48
- [66] - ذكر مالك بن أبي السّمح وأخباره ونسبه 68
- [67] - خبر النهدي في هذا الشعر وخبر الوليد بن عتبة 79
- [68] - ذكر باقي خبر الوليد بن عتبة ونسبه 82
- [69] - نسب إبراهيم الموصلي وأخباره 102
- [70] - شيء من ذكر ابن هرمة أيضاً 168
- [71] - أخبار إسحاق بن إبراهيم 173

